



آثار الإمام ابن قيم الجوزية وما حلقها من أغالٍ
(١٧)

طبعات المجمع

اللهُ وَالْوَلَاءُ

تأليف
الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قاسم الجوزي
(٦٩١ - ٧٥١)

تحقيق
محمد زاد بن أحمد الشريفي
رئيسي تحقيق أحاديث

إشراف

بِكَرْ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ

تعميد
مؤسسة سليمان بن عبد العزيز التاجي الخيرية

دار علم القرآن
لنشر وتأهيل

نسخ البيع

آثار الإمام ابن قيم الجوزية وما لحقها من أعمال
(١٧)



طبعات المجمع

الكتاب والرواية

تأليف

الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية

(٧٥١ - ٦٩١)

حَقَّهُ مُحَمَّدًا جَمِيلُ الْإِصْلَافِيُّ
رَأْئِدُ بْنِ أَحْمَدَ النَّشِيرِيُّ
خَرَجَ أَحَادِيثُه

إشراف

بِكَرِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجَوْزِيِّ

تَمْوِيل

مُؤسَّسَةِ سَيِّدِ الْعَزِيزِ الرَّاجِحِيِّ الْخَيْرِيَّةِ

دارِ إِعْلَامِ الْفَقَائِدِ
للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَا حُوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ^(١)

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين^(٢) - رضي الله عنهم أجمعين^(٣) - في رجل ابتلي ببلية، وعلم أنها إن استمررت به أفسدت عليه^(٤) دنياه وأخرته، وقد اجتهد في دفعها عن نفسه بكل طريق، فما تزداد^(٥) إلا توقداً وشدة؛ فما الحيلة في دفعها؟ وما الطريق إلى كشفها؟

فرحم الله من أعاذه مبتلى^(٦) ، «والله في عون العبد ما كان العبد^(٧) في عون أخيه»^(٨) ، أفتونا مأجورين^(٩) .

فأجاب الشيخ الإمام العالم شيخ الإسلام مفتى الفرق شمس الدين

(١) س: «رب يسر وأعن برحمتك». ز: «حسبي الله ونعم الوكيل، اللهم وفق». ل: «رب يسر وأعن».

(٢) هكذا بدأت الساختان ف، خب. وفي غيرهما ذكر اسم المؤلف وألقابه في أول الكلام، فبدأت ز مثلاً على النحو الآتي: «سئل الشيخ الإمام العالم... ما تقول السادة العلماء... مأجورين. فكتب الشيخ رضي الله عنه: الجواب: الحمد لله، ثبت...».

(٣) «أجمعين» ساقط من ز.

(٤) «عليه» من س، ل، خا.

(٥) كذا في ل، خا. ولم ينقطع حرف المضارع في س. وفي غيرها: «يزداد». س: «المبتلى».

(٦) «العبد» ساقط من ف.

(٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء (٢٦٩٩).

(٩) كذا في ف، ز. وزاد في س، خب: «رحمكم الله». وفي ل: «رحمكم الله ورضي عنكم». وزاد في خب: «وختم لكم بخير».

أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب إمام المدرسة الجوزية بدمشق
المحروسة رضي الله عنه^(١):

الحمد لله^(٢). ثبت في صحيح البخاري^(٣) من حديث أبي هريرة
رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء».

وفي صحيح مسلم^(٤) من حديث جابر^(٥) بن عبد الله قال: قال
رسول الله ﷺ: «لكل داء دواء، فإذا أصيّب دواء الداء برأ بإذن الله».

وفي مسنـد الإمام أحمد^(٦) من حديث أسامة بن شريك عن النبي ﷺ
قال: «إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء، علمـه من عـلمـه، وجـهـله مـنـ

(١) كذا في ف. وانظر للألقاب الواردة في النسخ الأخرى: وصفها في مقدمة التحقيق.

(٢) زاد في ف: «رب العالمين».

(٣) في كتاب الطب (٥٦٧٨). وفي س: «صحيح مسلم والبخاري».

(٤) في كتاب السلام (٢٢٠٤).

(٥) س: «مسلم عن جابر».

(٦) ٢٧٨ / ٤ (١٨٤٥٦). من طريق مصعب بن سلام ثنا الأجلع عن زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك . . . فذكره. وقد خولف مصعب. خالقه محمد بن فضيل، فرواه عن الأجلع عن زياد عن أسامة باللفظ الثاني الذي ذكره المؤلف. أخرجه الطبراني في الكبير (١٨٣ / ٤٧٨). ورواه محمد بن فضيل عن الشيباني والأجلع عن زياد به بمثله. أخرجه هناد في الزهد (١٢٦٠). ورواية الجماعة - كما سيأتي - بدون زيادة (علمه من علمـه، وجـهـله من عـلمـه) ورواتـها حفاظ متقدـون كالثوري وشـعبـة والأعمـشـ وغيرـهمـ. وأيضاـ مصعبـ بن سلامـ فيه ضـعـفـ. وقد جاءـتـ هذهـ الزيـادةـ منـ حـدـيـثـ عبدـ اللهـ بنـ مـسـعـودـ عـنـ أـحـمدـ فيـ المسـنـدـ (٣٥٧٨ـ)ـ وـغـيـرـهـ. وـفـيـ اختـلـافـ فيـ رـفـعـهـ وـوـقـفـهـ، وـفـيـ سـمـاعـ أـبـيـ عبدـ الرحمنـ السـلـمـيـ منـ اـبـنـ مـسـعـودـ. رـاجـعـ عـلـلـ الدـارـقـطـنـيـ (٥ـ /ـ ٣ـ٣ـ٤ـ -ـ ٣ـ٣ـ٥ـ).

جَهْلِهِ».

وفي لفظ^(١): «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُضْعِفْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شَفَاءً أَوْ دَوَاءً إِلَّا دَاءً وَاحِدًا» قالوا: يا رسول الله ما هو؟ قال: «الْهَرَمُ». قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح^(٢).

وهذا يعمّ أدوات القلب والروح والبدن، وأدويتها.

وقد جعل النبي ﷺ^(٣) الجهل داء، وجعل دواؤه سؤال العلماء: فروى أبو داود في سنته^(٤) من حديث جابر بن عبد الله قال: خرجنا

(١) أخرجه الترمذى (٢٠٣٨) وأبو داود (٢٠١٥) وابن ماجه (٣٤٣٦) وأحمد (١٨٤٥٤) والطبرانى (١٧٩/١٨٤) وغيرهم، من طرق عن الثورى وشعبة وابن عيينة والأعمش وزائدة وزهير وغيرهم، كلهم عن زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك. فذكره بعضهم مطولاً، وبعضهم مختصراً. والحديث صححه سفيان بن عيينة والترمذى وابن خزيمة وابن حبان والحاكم والدارقطنى والضياء المقدسى والبصیري وغيرهم. انظر الأحاديث المختارة (٤/١٧١)، والإلزمات والتتبع للدارقطنى (ص ١١٣ - ١١٤).

(٢) كذا في ف، ومتن الترمذى المطبوع مع تحفة الأحوذى (٦/١٦٠). وكذا في نسخة باريس من الجامع رواية الكروخي (٤/١٣٤)، ومثله في تحفة الأشراف للمزمى (١/٦٢). وفي النسخ الأخرى: «حديث صحيح».

(٣) العبارة «يُعَمِّ... ﷺ» ساقطة من س.

(٤) في كتاب الطهارة (٣٣٦). وأخرجه الدارقطنى (١٩٠/١) والبغوي في شرح السنة (٣١٣) من طريق الزبير بن خريق عن عطاء بن أبي رباح عن جابر، فذكره. قال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير (١٥٦/١): «صححه ابن السكن، وقال ابن أبي داود: تفرد به الزبير بن خريق، وكذا قال الدارقطنى، قال: وليس بالقوى» ثم ذكر الاختلاف على رواة الحديث. وانظر تحقيق المسند (٣٠٥٦) وبيان الوهم والإيهام لابن القطان = (٢٣٦/٢٢٧ - ٢٣٧).

في سفر، فأصاب رجلاً منا حجر، فشجه في رأسه، ثم احتلم، فسأل أصحابه^(١)، فقال^(٢): هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ قالوا: ما نجد لك رخصة، وأنت تقدر على الماء. فاغتسل، فمات. فلما قدمنا على رسول الله [أ/٢] ﷺ أخبر بذلك فقال: «قتلوه، قتلهم الله! ألا سألوا إذ لم يعلموا! فإنما شفاء العي السؤال إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر - أو يعصب - على جرمه خرقاً، ثم يمسح عليها، ويغسل سائر جسده».

فأخبر أن الجهل داء، وأن شفاءه السؤال.

وقد أخبر سبحانه عن القرآن أنه شفاء^(٣)، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قِرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ وَأَعْجَمِيٌّ وَعَرِيقٌ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ أَمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ﴾ [فصلت / ٤٤].

وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء / ٨٢] و«من» هنا لبيان الجنس لا للتبعيض^(٤)، فإن القرآن كله شفاء، كما قال في الآية الأخرى^(٥). فهو شفاء للقلوب من داء الجهل والشك والريب، فلم ينزل الله سبحانه من السماء شفاء قط أعم ولا أفع ولا أعظم ولا أنفع^(٦) في إزالة الداء من القرآن.

(١) ف: «الصحابية».

(٢) «فقال» ساقط من س.

(٣) ل: «أن القرآن شفاء». وقد أشير إلى هذه النسخة في حاشية س.

(٤) ل: «هنا الجنس لا للتبعيض».

(٥) يعني الآية السابقة. وفي النسخ المطبوعة: «المتقدمة» مكان «الأخرى».

(٦) س: «أبلغ».

وقد ثبت في الصحيحين^(١) من حديث أبي سعيد قال: انطلق نفر من أصحاب النبي ﷺ^(٢) في سفارة سافروها حتى نزلوا على حيٍّ من أحياء العرب، فاستضافوه، فأبوا أن يُضيّقوهم^(٣). فلُدغَ سيدُ ذلك الحي، فسعوا له بكل شيء، لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا، لعله أن يكون عند بعضهم شيء^(٤). فأتواهم، فقالوا: أيها الرهط إن سيدنا لُدغ، وسعينا له بكل شيء لا ينفعه، فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم^(٥)، والله إني لأرقى، ولكن والله استضيفناكم فلم تُضيّقونا، فما أنا براق حتى يجعلوا لنا جعلاً. صالحوهم على قطيع من الغنم. فانطلق يتغلب عليه، ويقرأ «الحمد لله رب العالمين»^(٦) [الفاتحة/ ٢]. فكأنما نُشِطَ من عقال، فانطلق يمشي، وما به قلبة^(٧). فأوفوه جعلهم الذي صالحوهم عليه. فقال بعضهم: اقتسموا، فقال الذي رقى: لا نفعل حتى نأتي النبي ﷺ^(٨)، فنذكر له الذي كان، فننتظر بما يأمرنا. فقدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له ذلك، فقال: «وما يدريك أنها رقية؟» ثم قال: «قد أصبتُم، اقتسموا وأضربوالي معكم سهماً».

(١) أخرجه البخاري في الإجارة، باب ما يعطي في الرقية... (٢٢٧٦) وغيره، ومسلم في السلام، باب جوازأخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار (٢٢٠١).

(٢) ف: «رسول الله ﷺ».

(٣) س: «فلم يضيّقوهم»، وأشار في الحاشية إلى ما أثبتناه من غيرها.

(٤) ل: «عندهم بعض شيء».

(٥) سقط «نعم» من ز.

(٦) القلب: الألم والعلة. انظر النهاية (٤/ ٩٨).

(٧) ل: «رسول الله ﷺ».

فقد أثّر هذا الدواء في هذا^(١) الداء، وأزاله حتى كأن لم يكن. وهو أسهل دواء وأيسره. ولو أحسن العبد التداوي بالفاتحة لرأى لها تأثيراً عجيباً في الشفاء.

ومكثت بمكة مدةً تعترني^(٢) أدواء، ولا أجد طبيباً ولا دواء، فكنت أعالج نفسي بالفاتحة، فأرى لها تأثيراً [٢/ب] عجيباً^(٣). فكنت أصف ذلك لمن يشتكى^(٤) ألمًا، وكان^(٥) كثير منهم يبراً سريعاً^(٦).

ولكن هنا أمر ينبغي التفطن له، وهو أن الأذكار والآيات والأدعية التي يستشفى بها ويرقى بها، هي في نفسها نافعة شافية، ولكن تستدعي قبول الم محلّ، وقوة همة الفاعل وتأثيره. فمتي تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل، أو لعدم قبول المنفعل، أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينفع فيه الدواء؛ كما يكون ذلك في الأدوية والأدواء الحسية، فإن عدم تأثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء، وقد يكون لمانع^(٧) قوي يمنع من اقتضائه أثره. فإن الطبيعة إذا أخذت الدواء بقبول تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول، وكذلك القلب إذا أخذ الرقى والتعاويذ بقبول

(١) «هذا» ساقط من ف.

(٢) ف، ز: «يعترني».

(٣) «أعالج... تأثيراً» تكرر في س. وسقط «لا دواء فكنت... عجيباً» من ز، واستدرك بخط مغاير في الحاشية.

(٤) ز: «اشتكى».

(٥) ف: «فكان».

(٦) وانظر كلام المؤلف في تأثير سورة الفاتحة في زاد المعاد (١٧٦/٤ - ١٧٨)، وهناك أيضاً حكى عن نفسه أنه كان ي تعالج في مكة بسورة الفاتحة. وانظر: مدارج السالكين (٥٨ - ٥٧).

(٧) ل: «المانع».

قام^(١)، وكان للراقي نفس فعالة وهمة مؤثرة، أثر في إزالة الداء^(٢).

وكذلك الدعاء، فإنه من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، ولكن قد يختلف عنه أثره^(٣)، إما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العداوة، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء، فيكون بمنزلة القوس الرخو جدًا فإن السهم يخرج منه خروجًا ضعيفاً؛ وإما لحصول المانع من الإجابة من أكل الحرام، والظلم، ورَيْن الذنب على القلوب، واستيلاء الغفلة والشهو^(٤) والله وغلبتها عليها^(٥).

كما في صحيح الحاكم^(٦) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلبٍ

(١) ف: «بالقبول التام».

(٢) س: «أثرت وأزالت الداء»، وأشار في الحاشية إلى ما أثبتنا من غيرها.

(٣) ف: «ولكن يختلف أثره عنه».

(٤) س: «الشهوة»، ولم يرد فيها ما بعد هذه الكلمة.

(٥) كذا في ف، ز. وفي ل: «الغفلة والشهو والذنب».

(٦) كذا سمي المؤلف مستدرك الحاكم بالصحيح، وسيأتي مراراً، وكذا يسميه شيخه، نظراً إلى شرط المصنف لا توثيقاً لتصحیحه. ويدلّ على ذلك قوله في الفروسيّة (١٨٥ - ١٨٦): «ولا يعبأ الحفاظ أطباء علل الحديث بتصحیح الحاكم شيئاً، ولا يرفعون به رأساً البتة، بل لا يدلّ تصحیحه على حسن الحديث، بل يصحح أشياء موضوعة بلا شك عند أهل العلم بالحديث...». وقال شيخ الإسلام: «... وروى ذلك الحاكم في صحیحه، لكن هذا ضعيف، وللحَاكم مثل هذا، يروي أحاديث موضوعة في صحیحه» (رسالة في قنوت الأشياء - جامع الرسائل ١٢/١).

غافلٍ لاهٍ»^(١).

فهذا دواء نافع مزيل للداء، ولكن غفلة القلب عن الله تبطل قوّته.

وكذلك أكل الحرام يبطل قوته ويضعفها، كما في صحيح مسلم^(٢) من حديث أبي هريرة: قال قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس، إن الله طيب، لا يقبل إلا طيباً. وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَتَائِبُهَا الرَّسُولُ﴾ [١/٣] ۖ كُلُّوا مِنَ الطَّيْبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلَيْمٌ﴾ [٥١] ۖ [المؤمنون/٥١] وقال: ﴿يَتَائِبُهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَثُرًا مِنْ طَيْبَاتِ مَا رَزَقْنَاهُمْ﴾ [البقرة/١٧٢] ۖ. ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِيَ بالحرام، فأنى يستجاب لذلك!

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٦٧١ - ٦٧٠ / ١ (١٨١٧) والترمذى (٣٤٧٩) وابن حبان في المجروحين (٣٦٨ / ١١) وابن عدي في الكامل (٤ / ٦٢) وغيرهم، من طريق صالح المري عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة، فذكره. قال الحاكم: «هذا حديث مستقيم الإسناد، تفرد به صالح المري، وهو أحد زهاد البصرة، ولم يخرجاه». وتعقبه الذهبي بقوله: «صالح متروك». والحديث ضعفه الترمذى، وعدّه ابن عدي وابن حبان من منكرات صالح المري.

وورد من حديث عبدالله بن عمرو عند أحمد في المستند ١٧٧ / ٢ (٦٦٥٥) لكنه من طريق حسن بن موسى عن ابن لهيعة قال ابن المديني: «الحسن بن موسى إنما سمع من ابن لهيعة بأخرة...». وحسنه المنذري والهيثمي انظر: الترغيب والترهيب (٤٩٢ - ٤٩١ / ٢) ومجمع الزوائد (١٤٨ / ١٠) ومستند الفاروق لابن كثير (٦٤٩ / ٢).

(٢) في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (١٠١٥).

وذكر عبدالله ابن الإمام^(١) أحمد في كتاب الزهد لأبيه^(٢): أصاب بنى إسرائيل بلاء، فخرجوا مخرجاً، فأوحى الله عز وجل إلى نبئهم أن أخبرهم: تخرجون إلى الصعيد بأبدان نجسة، وترعون إلى أكفاً قد سفكتم بها الدماء وملأتم بها بيوتكم من الحرام، الآن حين اشتد غضبى عليكم، ولن تزدادوا مني إلا بعداً.

وقال أبو ذر: يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح^(٣).

فصل

والدعاء من أفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدفعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل.

وهو سلاح المؤمن، كما روى الحاكم في صحيحه^(٤) من حديث علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء سلاح المؤمن».

(١) «الإمام» من س.

(٢) لم أقف عليه في المطبوع، وأخرجه أبو داود في الزهد (١٣)، وفي سنته ضعف.

(٣) أخرجه أحمد في الزهد (٧٨٨)، وابن المبارك في الزهد (٣١٩) وغيرهما، من طريق بكر بن عبدالله المزن尼 عن أبي ذر، فذكره. قال أبو حاتم الرازي: «بكر بن عبدالله المزن尼 عن أبي ذر مرسل». المراسيل (٢٥) لابن أبي حاتم (ط دار الكتب العلمية).

(٤) ٦٦٩ / ١٨١٢ (١٤٣). وأخرجه ابن عدي في الكامل (٦/١٧٢) والقضاعي في مستند الشهاب (١٤٣) وغيرهما. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح، فإن محمد بن الحسن هذا هو التل أو هو صدوق في الكوفيين». قلت: محمد بن الحسن هو ابن أبي يزيد الهمданى، متروك الحديث. وكذبه ابن معين وأبو داود. وقال بعضهم: ضعيف. انظر: تهذيب الكمال (٢٥/٧٦ - ٧٩). راجع السلسلة الضعيفة للألباني (١٧٩).

و عماد الدين، و نور السموات والأرض».

وله مع البلاء ثلاث مقامات:

أحدها: أن يكون أقوى من البلاء، فيدفعه.

الثاني: أن يكون أضعف من البلاء، فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد. ولكن^(١) قد يخففه، وإن كان ضعيفاً.

الثالث: أن يتقاوماً، ويمنع كلّ واحد منهما صاحبه.

وقد روى الحاكم في صحيحه^(٢) من حديث عائشة قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «لا يغنى حَدَرٌ من قَدْرٍ، والدُّعَاء ينفع مِمَّا نُزِّلَ وَمِمَّا لَمْ يُنْزَلْ. وَإِنَّ الْبَلَاءَ لَيُنْزَلُ، فَيَلْقَاهُ الدُّعَاءُ، فَيُعْتَلِجَانُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

وفيه أيضاً^(٣) من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «الدُّعَاء ينفع مِمَّا نُزِّلَ وَمِمَّا لَمْ يُنْزَلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالدُّعَاءِ».

(١) ز: «ولكنه».

(٢) ٦٦٩ / ١٨١٣). وأخرجه الطبراني في الدعاء (٣٣)، والبزار في مسنده (زوائد: ٢١٦٥) وغيرهما. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وتعقبه الذهبي بقوله: «ذكر يا مجتمع على ضعفه».

(٣) ٦٧٠ / ١٨١٥). وأخرجه الترمذى (٣٥٤٨) من طريق عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر، فذكره. قال الترمذى: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر القرشى، وهو ضعيف في الحديث، ضعفه بعض أهل العلم من قبل حفظه». وقال الذهبي في التلخيص: «عبد الرحمن واه».

وفيه أيضاً^(١) من حديث ثوبان: «لا يردّ القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه».

فصل

ومن أنس الأدوية: [٣/ب] الإلحاح في الدعاء

وقد^(٢) روى ابن ماجه في سنته^(٣) من حديث أبي هريرة قال: قال

(١) ٦٧٠ / ١ (١٨١٤). وأخرجه ابن ماجه (٤٠٢٢) وأحمد ٦٨ / ٣٧ (٢٢٣٨٦) وابن حبان (٨٧٢) والبغوي في شرح السنة ٦ / ١٣ (٣٤١٨) وغيرهم، من طريق الثوري عن عبدالله بن عيسى عن أبي الجعد عن ثوبان، فذكره. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». قلت: ولم يتعقبه الذهبي. وقد وقع في الحديث اختلاف، وطريق الثوري أشبه بالصواب، لكن في سنه عبدالله بن أبي الجعد، لم يوثقه غير ابن حبان.

وورد من حديث سلمان بلفظ «لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر». أخرجه الترمذى (٢١٣٩) وقال: «هذا حديث حسن غريب من حديث سلمان، لا نعرف إلا من حديث يحيى بن الضريس». قلت: والحديث تفرد به أبو مودود، واسمه فضة - ضعيف الحديث - عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان. انظر: تهذيب الكمال (٢٦٧ / ٢٣).

(٢) لم يرد «وقد» في س.

(٣) رقم (٣٨٢٧). وأخرجه الترمذى (٣٣٧٣) وأحمد ٤٤٢ / ٢ (٩٧٠١) والحاكم ٦٦٨ / ١ (١٨٠٧) وغيرهم، من طريق أبي المليح عن أبي صالح الخوزي عن أبي هريرة، فذكره. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، فإن أبو صالح الخوزي وأبا المليح الفارسي لم يذكرا بالجرح، وإنما هما في عداد المجهولين لقلة الحديث». قلت: الحديث تفرد به أبو صالح الخوزي، وهو لم يرو عنه غير أبي المليح، وقال فيه ابن معين: ضعيف الحديث. وقال أبو زرعة: لا بأس به. وقال ابن حجر: لين الحديث. وجعل ابن عدي هذا الحديث من مفاريده. انظر تهذيب الكمال (٤١٨ / ٣٣) والكامل في الضعفاء (٧ / ٢٩٤ - ٢٩٥).

رسول الله ﷺ: «من لم يسأل الله يغضب عليه».

وفي صحيح الحاكم^(١) من حديث أنس عن النبي ﷺ: «لا تعجزوا في الدعاء، فإنه لا يهلك مع الدعاء أحد».

وذكر الأوزاعي، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب الملحين في الدعاء»^(٢).

وفي كتاب الزهد للإمام أحمد^(٣) عن قتادة قال: قال مورق: ما وجدت للمؤمن مثلاً إلا رجلاً في البحر على خشبة، فهو يدعو: يا رب

(١) ٦٧١ / ١٨١٨. وأخرجه ابن حبان (٨٧١) والعقيلي في الضعفاء (١٨٨/٣). وابن عدي في الكامل (١٣/٥) وغيرهم، من طريق عمر بن محمد بن صهبان الإسلامي عن ثابت عن أنس فذكره. صححه الحاكم قال الحافظ في اللسان (١٤١/٦): «صححه الحاكم فتساهل في ذلك». قلت: الحديث تفرد به عمر بن محمد عن ثابت. وعمر هذا قال البخاري: منكر الحديث. وقال النسائي: متروك. وقال أحمد: لم يكن بشيء. وقال العقيلي: «لا يتبع عليه، ولا يعرف إلا به». وقد وقع في سند ابن حبان والحاكم وهم. راجع السلسلة الضعيفة للألباني (٨٤٣) والتعليق على ابن حبان.

(٢) أخرجه العقيلي في الضعفاء (٤/٤٥٢) والطبراني في الدعاء (٢٠) وابن عدي في الكامل (١٦٤/٧)، من طريق بقية عن يوسف بن السفر عن الأوزاعي به، فذكره. ويوفى هذا متروك، قاله أبو زرعة والنسائي. وقال البخاري: كان يكذب. وقال ابن عدي: «وهذه الأحاديث التي رواها يوسف عن الأوزاعي بواسطيل كلها».

والصحيح في المتن أنه من قول الأوزاعي. هكذا رواه عيسى بن يونس عن الأوزاعي قال: كان يقال: «أفضل الدعاء الإلحاح على الله والتضرع إليه». أخرجه العقيلي (٤/٤٥٢) وقال: حديث عيسى بن يونس أولى.

(٣) رقم (١٧٦٥)، ورجاله ثقات.

يا رب، لعل الله عز وجل أن ينجيه.

فصل

ومن الآفات التي تمنع ترثيَّبَ أثر الدعاء عليه: أن يستعجل العبد، ويستبطئ الإجابة، فيستحسنَ، ويَدْعُ الدعاء. وهو بمنزلة مَن^(١) بذر بذراً، أو غرس غِراساً، فجعل يتعاهده ويسقيه، فلما استبطأ كماله وإدراكه، تركه وأهمله!

وفي صحيح البخاري^(٢) من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال^(٣): «استحباب لأحدكم ما لم يعجلُ، يقول: دعوتُ، فلم يُستجبْ لي».

وفي صحيح مسلم^(٤) عنه: «لا يزال يُستحباب للعبد ما لم يَدْعُ بإثمه أو قطيبة رحمٌ، ما لم يَسْتَعْجِلُ». قيل: يا رسول الله، وما الاستعجال^(٥)? قال: «يقول: قد دعوتُ وقد دعوتُ، فلم أَرَ يُستجيب^(٦) لي. فيستحسنُ عند ذلك ويَدْعُ الدعاء».

(١) «أن يستعجل... من» ساقط من س.

(٢) ز: «وفي البخاري». والحديث في كتاب الدعوات، باب يستحباب للعبد ما لم يعجل (٦٣٤٠).

(٣) ف: «أبي هريرة قال: قال رسول الله».

(٤) في كتاب الذكر والدعاء، باب بيان أنه يستحباب للداعي ما لم يعجل (٢٧٣٥).

(٥) س: «وما لا يستحباب».

(٦) س، ل: «يُستجب».

وفي مسنـد أـحمد^(١) من حـديث أـنس قـال: قـال رـسول اللـه ﷺ: «لا يـزال العـبد بـخـير ما لـم يـستـعـجل» قالـوا: يا رـسول اللـه، كـيف يـستـعـجل؟ قـال: «يـقول: قد^(٢) دـعـوت ربـي، فـلـم يـستـجـب لـي».

فصل

وإذا جمع الدعاء حضور القلب وجمعيته بكلـته على المطلوب، وصادـف وقتـاً من أوقـات الإجـابة الستـة وهي : الثـلث الأـخـير^(٣) من اللـيل، وعـند الأـذـان، وبيـن الأـذـان والإـقـامة، وأـدبـار الصلـوات المـكتـوبـات، وعـند صـعود الإمام يوم الجمعة عـلى المنـبر حتـى تـقضـى الصـلاـة، وآخـر سـاعة بـعد العـصـر من ذـلـك اليـوم^(٤)؛ وصادـف خـشـوعـاً في القـلب، وانـكـسـارـاً بيـن يـدي الـرب، وذـلـاً لـه، وـتـضـرـعـاً وـرـقـة؛ واستـقـبـل [٤/٤] الدـاعـي القـبلـة، وـكـان عـلـى طـهـارة، وـرـفـع يـديـه إـلـى اللـه تـعـالـى، وـبـدـأ بـحـمد اللـه وـالـثـنـاء عـلـيـه، ثـم ثـنـى بـالـصـلاـة عـلـى مـحـمـد عـبـدـه وـرـسـولـه ﷺ، ثـم قـدـم بيـن يـدي

(١) ١٩٣/٣ (١٣٠٨، ١٣١٩٨). وأـخرـجه أبو يـعلى فـي مـسـنـدـه (٢٨٦٥) والـطـبرـانـي فـي الدـعـاء (٨١) وـابـن عـدـي فـي الـكـامل (٦/٢١٤) وـغـيرـهـمـ، مـن طـرـيقـ أبي هـلـال الرـاسـيـ عن قـتـادـةـ عن أـنـسـ بـه فـذـكـرـهـ. قـلتـ: أـبـو هـلـالـ اسـمـهـ مـحـمـدـ بـنـ سـلـيمـ. فـي حـفـظـهـ مـقـالـ، وـيـخـالـفـ أـو يـتـفـرـدـ عـن قـتـادـةـ وـلـهـذاـ قـالـ اـبـنـ عـدـيـ بـعـدـماـ سـاقـ لـأـبـيـ هـلـالـ أـحـادـيـثـ: «وـهـذـهـ أـحـادـيـثـ لـأـبـيـ هـلـالـ عـنـ قـتـادـةـ عـنـ أـنـسـ كـلـ ذـلـكـ أـوـ عـامـتهاـ غـيرـ مـحـفـوظـةـ».

وـقدـ روـيـ مـنـ وجـهـينـ عـنـ أـنـسـ، وـلـاـ يـثـبـتـ. انـظـرـ مـسـنـدـ الـبـزارـ (٦٦٦٦) وـالـحـلـيةـ (٦/٣٠٩).

(٢) لمـ يـردـ «قدـ» فـي «فـ» وـكـذاـ فـيـ مـسـنـدـ (٢٠/٣١١). وـفـيهـ (٤٢٢/٢٠) كـماـ أـثـبـتـنـاـ مـنـ النـسـخـ الـأـخـرىـ.

(٣) سـ: «الـأـخـرـ».

(٤) «اليـومـ» سـاقـطـ مـنـ سـ.

حاجته التوبة والاستغفار، ثم دخل على الله، وألح عليه^(١) في المسألة، وتملقه، ودعا به رغبة ورهبة^(٢)، وتوسل إليه بأسماهه^(٣) وصفاته وتوحيده، وقدّم بين يدي دعائه صدقة = فإنّ هذا الدعاء لا يكاد يُردد أبداً، ولا سيما إن صادف الأدعية التي أخبر النبي ﷺ أنها مظنة الإجابة، أو أنها متضمنة للاسم الأعظم :

فمنها ما في السنن وصحيحة ابن حبان من حديث عبدالله بن بريدة عن أبيه أنّ رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول : اللهم إني أسألك بأتي أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . فقال : «لقد سأّل الله بالاسم الذي إذا سُئل به أعطى، وإذا دُعى به أجاب»^(٤) .

(١) فـ: «به عليه».

(٢) زاد في سـ: «وتملقه» مكرراً.

(٣) في زـ: «الحسنى» فوق السطر.

(٤) أخرجه أبو داود (١٤٩٣)، والترمذى (٣٤٧٥) وابن ماجه (٣٨٥٧) وابن حبان (٨٩٢) وأحمد ٣٥٠ / ٥ (٢٢٩٥٢، ٢٢٩٦٥) من طريق مالك بن مغول عن ابن بريدة عن أبيه، فذكره . وفيه قصة .

ورواه عبدالوارث عن حسين بن ذكوان المعلم عن عبدالله بن بريدة عن حنظلة بن علي أن ممحجن بن الأدرع حدثه أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فإذا هو برجل قد قضى صلاته وهو يتشهد ، وهو يقول : اللهم إني أسألك بالله الواحد الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، أن تغفر لي ذنبي ، إنك أنت الغفور الرحيم . قال : فقال النبي ﷺ : «قد غفر له ، قد غفر له ، قد غفر له» ثلاث مرات . أخرجه أحمد ٣٣٨ / ٤ (١٨٩٧٤) وابن خزيمة (٧٢٤) والحاكم ٤٠٠ / ١ (٩٨٥) وغيرهم . قال أبو حاتم الرازي بعد ذكر الطريقيين : «وحدث عبد الوارث أشبهه» . قلت : حديث عبد الوارث صححه ابن خزيمة والحاكم . انظر علل ابن أبي حاتم ٢ / ١٩٧ - ١٩٨ (٢٠٨٢) .

وفي لفظ : «لقد سألتَ اللهَ باسمِهِ الأَعْظَمِ»^(١) .

وفي السنن وصحيغ ابن حبان أيضاً من حديث أنس بن مالك أنه كان مع رسول الله ﷺ جالساً، ورجلٌ يصلي، ثم دعا فقال^(٢) : اللهم إني أسألك بأنكَ الحمد، لا إله إلا أنتَ المنشى بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم. فقال النبي ﷺ : «لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى»^(٣) .

وأخرج الحدثين الإمام أحمد في مسنده^(٤) .

وفي جامع الترمذى^(٥) من حديث أسماء بنت يزيد أن النبي ﷺ

(١) سنن أبي داود (١٤٩٤). وفي ز : «لقد سأّل».

(٢) «فقال» لم يرد في ف.

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٩٥) والنسائي (١٣٠٠) وابن ماجه (٣٨٥٨) والترمذى (٣٥٤٤) وابن حبان (٨٩٣) وأحمد (٢٦٥، ١٥٨، ١٢٠/٣، ١٢٦١١، ١٢٢٠٥) وغيرهم، من طرق كثيرة عن أنس فذكره، وفيه قصة. وأقوى الطرق عن أنس : طريق إبراهيم بن عبيد بن رفاعة، وطريق أنس بن سيرين، وطريق حفص بن عمر.

وال الحديث صححه ابن حبان والحاكم والضياء المقدسي. انظر : الأحاديث المختارة (١٥١٤، ١٥٥٢، ١٨٨٥).

(٤) انظر التعليق السابق.

(٥) برقم (٣٤٧٦). وأخرجه أبو داود (١٤٩٦) وابن ماجه (٣٨٥٥) وأحمد (٤٦١/٦) والطبراني في الدعاء (١١٣) والبغوي في شرح السنة (٣٩ - ٣٨/٥) وغيرهم، من طريق عبيد الله بن أبي زياد ثنا شهر بن حوشب عن أسماء، فذكرته.

وال الحديث صححه الترمذى، وتكلم فيه البغوي فقال : «هذا حديث غريب». قلت : عبيد الله وشهر في حفظهما ضعف.

قال : «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين : ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة / ١٦٣] وفاتحة آل عمران : ﴿إِنَّمَا يُحَظِّي اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ الْقَيُومُ﴾ [آل عمران / ١ - ٢]. قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

وفي مسند أحمد^(١) وصحيح الحاكم من حديث أبي هريرة، وأنس بن مالك، وربيعة بن عامر عن النبي ﷺ أنه قال : «أَلِظُّو بِـ(يا ذا الجلال والإكرام)»^(٢). يعني : [ـ(٤/ـ٤) تعلّقوا بها ، والزموها ، وداوموا عليها .

وفي جامع الترمذى^(٣) من حديث أبي هريرة أنّ النبي ﷺ كان إذا أهّمه^(٤) الأمر رفع رأسه^(٥) إلى السماء ، [فقال : «سبحان الله

(١) ف : «الإمام أحمد».

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند في المسند ٤/٤ ١٧٧ (١٧٥٩٦) والحاكم ١/٦٧٦ (١٨٣٦) والطبراني في الدعاء (٩٢) وغيرهم ، من حديث ربيعة بن عامر . قال الحاكم : «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» .

وأخرجه الحاكم ١/٦٧٦ - ٦٧٧ (١٨٣٧) من حديث أبي هريرة . وفيه رشدين بن سعد ، ضعيف الحديث . وأخرجه الترمذى (٣٥٢٥) والطبراني في الدعاء (٩٤) وغيرهما من حديث أنس ، وقد أعله أبو حاتم الرازى والترمذى بالإرسال . انظر : علل ابن أبي حاتم (٢/١٧٠ - ١٩٢) . وله طريق آخر عن أنس ، ولا يصح .

فالخلاصة أن الحديث صحيح الإسناد عن ربيعة بن عامر ، ولا يثبت عن غيره .

(٣) برقم (٣٤٣٦) وقال : «هذا حديث غريب». قلت : فيه إبراهيم بن الفضل المخزومي . قال البخاري : منكر الحديث . وقال الدارقطنى : متروك .

(٤) س : «همه» .

(٥) غير بعض قراء النسخة (ز) «رأسه» إلى «يديه» .

العظيم»^(١)، وإذا اجتهد في الدعاء قال: «يا حيّ يا قيوم».

وفيه أيضًا^(٢) من حديث أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ إذا كَرْبَهُ^(٣) أمر قال: «يا حيّ يا قيوم بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغْفِثُ». ﴿أَلَّهُ الْقَيُّومُ﴾

وفي صحيح الحاكم^(٤) من حديث أبي أمامة عن النبي ﷺ أنه^(٥) قال: «اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي ثَلَاثٍ سُورٍ مِنَ الْقُرْآنِ: الْبَقْرَةُ وَآلُ عُمَرَ وَطَهُ». قال القاسم: فَإِذَا تَمْسَطَّتْ هُنَّا، فَإِذَا هِيَ آيَةٌ ﴿أَلَّهُ الْقَيُّومُ﴾.

وفي جامع الترمذى وصحيح الحاكم من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ قال: «دُعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا، وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كَنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾» [الأنباء / ٨٧] إِنَّهُ لَمْ يَدْعُ^(٦) بِهَا مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطًّا إِلَّا اسْتِجَابَ اللَّهُ لَهُ»^(٧). قال الترمذى:

(١) ما بين الحاضرتين زيادة من الحديث المذكور.

(٢) برقم (٣٥٢٤) وقال: «وهذا حديث غريب». قلت: تفرد به يزيد الرقاشي عن أنس، ويزيد أقلّ أحواله أنه ضعيف.

ورواه إبراهيم بن طهمان عن الحجاج بن الحجاج عن قتادة عن أنس قال: كان النبي ﷺ يدعوه: «يا حي يا قيوم». أخرجه الطبراني في الدعاء. وظاهر سنته لا يأس به.

(٣) كان في ف: «حزبه»، فغيّر إلى «كربه».

(٤) ٦٨٤ / ١ (١٨٦١). وأخرجه ابن ماجه (٣٨٥٦) والطبراني في الكبير (٢٨٢ / ٨) وتمام في فوائده (١٥٦٨) - الروض البسام) وغيرهم، من طريق القاسم أبى عبد الرحمن عن أبي أمامة، فذكره. وفي رواية القاسم هذا عن أبي أمامة كلام. انظر تهذيب الكمال (٢٣ / ٣٨٦ - ٣٨٧).

(٥) «أَنَّهُ» لم يرد في س.

(٦) س: «يصدع».

(٧) أخرجه الترمذى (٣٥٠٥) والحاكم ١ / ٦٨٤، ٦٨٥، ١٨٦٢ (١٨٦٣، ١٨٦٤) وأحمد =

الحديث صحيح^(١).

وفي صحيح الحاكم^(٢) أيضاً من حديث سعد عن النبي ﷺ: «ألا أخبركم بشيء، إذا نزل برجل منكم [كرب أو بلاء من بلايا الدنيا]^(٣) فدعا به يفرج الله عنه؟ دعاء ذي النون».

وفي صحيحه أيضاً^(٤) عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول^(٥): «هل أدلّكم

= ١٧٠ / ١ =
ذكر الترمذى بعض الاختلاف في إسناده. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ولم يتعقبه الذهبي. وقال الهيثمى في «المجمع»: ٦٨/٧
رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(١) لم يرد حكم الترمذى هذا في نسخ الجامع المطبوعة ولا في نسخة الكروخي وتحفة الأشراف.

(٢) ٦٨٥ / ١٨٦٤)، وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٦٦٠) من طريق محمد بن مهاجر القرشى عن إبراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه عن جده، فذكره.

قلت: حديث يونس بن أبي إسحاق عن إبراهيم أصح من حديث محمد بن مهاجر عن إبراهيم، لأن محمد بن مهاجر قال فيه ابن عدي والذهبى: ليس بمعرفة. وقال ابن حجر: لين.

انظر: تهذيب الكمال (٥١٩/٢٦) والتاريخ الكبير للبخارى (١١/٢٣٠) والكامل لابن عدي (٦/٢٦٤).

(٣) ما بين الحاضرتين زيادة من المستدرک وعمل اليوم والليلة. وفي خب: «أمر مهم»، وكذا في ط.

(٤) ٦٨٥ / ١٨٦٥). قلت: فيه عمرو بن بكر السكسكي. قال الذهبى: أحاديثه شبه موضوعة. وقال ابن حجر: مترونك. انظر تهذيب الكمال (٥٥١/٢١) والتقرير (٤٩٩٣).

(٥) «يقول» لم يرد في ز.

على اسم الله الأعظم؟ دعاءً يومنس». فقال رجل: يا رسول الله، هل^(١) كانت ليونس خاصة؟ فقال: «ألا تسمع قوله: ﴿فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَبَحْتَنَاهُ مِنَ الْغَمٍّ وَكَذَلِكَ نُثْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء/٨٨] فرأيت مسلم دعا بها في مرضه أربعين مرة، فمات في مرضه ذلك، أعطي أجر شهيد. وإن برأ منغوراً له».

وفي الصحيحين^(٢) من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله ربُّ العرش العظيم^(٣)، لا إله إلا الله ربُّ السموات وربُّ الأرض ربُّ العرش الكريم».

وفي مسنـد الإمام أحمد^(٤) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: علّمني رسول الله ﷺ - إذا نزل بي كرب - أن أقول: «لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله [٥/١]، وتبارك الله ربُّ العرش العظيم، والحمد لله ربُّ العالمين».

وفي مسنـده^(٥) أيضاً من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول

(١) س: «هي».

(٢) أخرجه البخاري في الدعوات، باب الدعاء عند الكرب (٦٣٤٦)؛ ومسلم في الذكر والدعاء، باب دعاء الكرب (٢٧٣٠).

(٣) من أول الدعاء إلى هنا ساقط من س.

(٤) ٩١/١ ٩٤، ٧٠١ (٧٢٦)، وأخرجه ابن حبان (٨٦٥) والحاكم ٦٨٨/١ - ٦٨٩.

(٥) ١٨٧٣، ١٨٧٤ (٣٧١٢). وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٩٧٩) والحاكم ٦٩٠/١ انظر الفتوحات الربانية لابن علان (٧/٤).

(٦) ١٨٧٧ (١٠٣٥). والطبراني في الدعاء (٣٧١٢). وغيرهم، من طرق عن فضيل بن

الله بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ: «ما أصَابَ أَحَدًا قَطُّ هُمْ وَلَا حُزْنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمْتَكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، ماضٍ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَائِكَ. أَسْأَلُكَ اللَّهَمَّ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمِّيَتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلِمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عَنْكَ: أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِيِّ، وَنُورَ صَدْرِيِّ، وَجَلَاءَ حَزْنِيِّ وَذَهَابَ هَمِّيِّ؛ إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ وَحَزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحَّاً». فَقَيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نَتَعْلَمُهَا؟ قَالَ: «بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا^(١) أَنْ يَتَعْلَمَهَا»^(٢).

وقال ابن مسعود: ما كُرِبَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا سَعَاهُ بِالْتَسْبِيحِ^(٣).

وذكر ابن أبي الدنيا في كتاب المجايبين في الدعاء^(٤) عن الحسن^(٥) قال: كان رجل من أصحاب النبي بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ من الأنصار يكنى أبا معلقاً، وكان

مرزوق عن أبي سلمة الجهمي عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود، فذكره. قال الحكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه فإنه مختلف في سماعه عن أبيه». وتعقبه الذهبي بقوله: «وأبو سلمة لا يدرى من هو، ولا رواية له في الكتب الستة».

قلت: عبد الرحمن لم يسمع من أبيه ابن مسعود إلا حديثاً أو نحوه لصغر سنّه. وأبو سلمة إن كان هو موسى بن عبد الله فهو ثقة، وإنما فهو مجهول. والله أعلم. انظر جامع التحصيل للعلائي (٤٣٧). والحديث صحيح ابن حبان والحاكم والمؤلف وغيرهم وحسنة ابن حجر في اللسان (٩/٨٤).

(١) ز: «يسمعها».

(٢) انظر تفسير هذا الحديث في شفاء العليل (٢٧٤).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) برقم (٢٣)، ولا يثبت سنته.

(٥) في كتاب المجايبين: «عن الحسن عن أنس...».

تاجراً، يتّجر بمال له ولغيره، يضرب به في^(١) الآفاق، وكان ناسكاً ورغاً. فخرج مرة، فلقيه لصّ مقنّع في السلاح، فقال له: ضع ما معك، فإني قاتلك. قال: ما تريده إلى دمي؟ شأنك بالمال. قال: أما المال فلي، ولست أريد إلا دمك. قال^(٢): أمّا إذ^(٣) أبیت، فذرني أصلّي أربع ركعات. قال صلّ ما بدا لك. فتوضاً، ثم صلّ^(٤) أربع ركعات. فكان^(٥) من دعائه في آخر سجدة أن قال: يا ودود^(٦)، يا ذا العرش المجيد، يا فعال^(٧) لما يريد، أسألك بعزك الذي لا يُرَام، ومُلْكك الذي لا يضام، وبنورك الذي ملاً أركانَ عرشك: أن تكفيني^(٨) شرّ هذا اللصّ. يا مغيثُ أغثني، يا مغيثُ أغثني^(٩) ثلث مرات. فإذا هو بفارس قد أقبل، بيده حربة، قد وضعها بين أذني فرسه. فلما بصر به اللصّ أقبل نحوه، فطعنه، فقتله. ثم أقبل إليه، فقال: قم، فقال: من أنت، بأبي أنت^(١٠) وأمي؟ فقد أغاثني الله بك اليوم. فقال: أنا ملك من أهل السماء الرابعة، دعوت بدعائك الأول، فسمعت لأبواب السماء قعقة، ثم

(١) «في» ساقط من ف.

(٢) ف: «فقال».

(٣) س، ل: «إذا».

(٤) ف: «وصلّى».

(٥) س: «وكان».

(٦) س، ل: «يا ودود، يا ودود».

(٧) س، ز: «فعالاً».

(٨) س: «تكفني»، وفي الحاشية أشير إلى هذه النسخة.

(٩) كذا في س، ز. وفي فورد «يا مغيث أغثني» مرة واحدة، وفي ل ثلاث مرات.

(١٠) «أنت» ساقط من ف.

دعاوت بدعائك الثاني، فسمعت لأهل السماء ضجّةً. ثم دعاوت بدعائك الثالث، فقيل لي^(١): دعاء مكروب. فسألتُ الله [هـ/بـ] أن يُولّيني قتلـه.

قال الحسن^(٢): فمن توضأ، وصلّى أربع ركعات، ودعا بهذا الدعاء، استجيب له، مكروباً كان^(٣) أو غير مكروب.

فصل

وكمّيراً ما تجد أدعيةً دعا بها قوم، فاستجيب لهم، ويكون قد اقترب بالدعاء ضرورةً صاحبه، وإنقاذه على الله، أو حسنةً تقدمت منه جعل الله سبحانه إجابةً دعوته شكرًا لحسناته، أو صادف وقت إجابة ونحو ذلك، فأجيبيت دعوته. فيظن الطّاغٌ أن السرّ في لفظ ذلك الدعاء، فيأخذه مجرداً عن^(٤) تلك الأمور التي قارنته من ذلك الداعي. وهذا كما إذا استعمل رجل دواء نافعاً في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي، فانتفع به، فظنّ^(٥) غيره أن استعمال هذا الدواء بمجرده كافٍ^(٦) في حصول المطلوب، كان غالطاً. وهذا موضع يغلط فيه كثير من الناس.

ومن هذا أنه^(٧) قد يتافق دعاؤه باضطرار عند قبر في حجاب، فيظنّ الجاهل أن السرّ للقبر، ولم يعلم أن السرّ للاضطرار وصدق اللجاج إلى

(١) «لي» ساقط من ز.

(٢) كذا في الأصول. وفي كتاب المجابين: «قال أنس».

(٣) «كان» ساقط من س.

(٤) س: من.

(٥) ز: «وظن».

(٦) س، ز: «كافيا». ل: «نافع».

(٧) «أنه» ساقط من ل.

الله . فإذا حصل ذلك في بيت من بيوت الله كان أفضل وأحب إلى الله .

فصل

والأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح ، والسلاح بضاربه لا بحده^(١) فقط ، فمتى^(٢) كان السلاح سلاحاً تاماً لا آفة به ، والساعد ساعد قوي^(٣) ، والمانع مفقود ، حصلت به النكأة في العدو . ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير .

إذا كان الدعاء في نفسه غير صالح ، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء ، أو كان ظمّ مانع من الإجابة ، لم يحصل الأثر .

فصل

وه هنا سؤال مشهور ، وهو أنَّ المدْعُوَّ به إنْ كان قد قُدِرَ لم يكن بدَّ من وقوعه ، دعا به العبد أو لم يدعُ . وإنْ لم يكن قد قدرَ لم يقع ، سواء سأله العبد أو لم يسأله^(٤) .

فظننت طائفة صحة هذا السؤال ، فتركت الدعاء ، وقالت : لا فائدة

(١) «والسلاح . . . بحده» ساقط من س .

(٢) س : «فإن» .

(٣) ف : «والساعد قوي» .

(٤) وانظر في هذه المسألة : مدارج السالكين (١٠٤/٣)، ومجموع الفتاوى (١٩٢/٨)، واقتضاء الصراط المستقيم (٢٢٨/٢). وقد ذكر الشوكاني في البدر الطالع (١٤٤/٢) رسالة للمؤلف في هذه المسألة بعنوان «الجواب الشافي لمن سأله عن ثمرة الدعاء إذا كان ما قد قدر واقع» (كذا «واقع» بالرفع، و«الشافي» لعلّ صوابه : «النافع» ليتم السجع). وقد تفرد الشوكاني بذكر هذه الرسالة، ولا ندرى أهي رسالة مستقلة ، أم استخرج بعضهم هذا الفصل من كتابنا ، وسمّاه بذلك الاسم .

فيه! وهؤلاء - مع فرط جهلهم وضلالهم - متناقضون، فإن طرد مذهبهم يُوجب تعطيل جميع الأسباب.

فيقال لأحدهم: إن كان الشعب والريّ قد قُدراً لك فلا بد^(١) من وقوعهما، أكلت أو لم تأكل. وإن [٦/٦] لم يقدّرا لم يقعا، أكلت أو لم تأكل.

وإن كان الولد قدّر لك فلا بد منه، وطئت الزوجة والأمة^(٢) أو لم تطأ. وإن لم يقدّر لم يكن، فلا حاجة إلى التزوج والتسرّي. وهلمّ جرّا.

فهل يقول هذا عاقل أو آدمي؟ بل الحيوان البهيم مفظور على مباشرة الأسباب التي بها قوامه وحياته. فالحيوانات أعقل وأفهم من هؤلاء الذين هم كالأنعام، بل هم أضلّ سبيلاً.

وتکايس بعضهم، وقال: الاشتغال بالدعاء من باب التعبد الممحض، يشيب الله عليه الداعي، من غير أن يكون له تأثير في المطلوب بوجه ما. ولا فرق عند هذا^(٣) الكيس بين الدعاء وبين الإمساك عنه بالقلب واللسان في التأثير في حصول المطلوب، وارتباط الدعاء عندهم به كارتباط السكوت، ولا فرق.

وقالت طائفة أخرى أكيسٌ من هؤلاء: بل الدعاء علامة مجردة نصبهما الله سبحانه أمارة على قضاء الحاجة. فمتى وُفق العبد للدعاء كان ذلك علامة له وأمارة على أن حاجته قد قضيت. وهذا كما إذا رأينا غيمًا

(١) س: ل «فلا فائدة»، تحريف.

(٢) س: «أو الأمة».

(٣) «هذا» ساقط من س.

أسود باردا في زمن الشتاء، فإن ذلك دليل وعلامة على أنه يمطر.

قالوا^(١): وهكذا حكم الطاعات مع الثواب، والكفر والمعاصي مع العقاب، هي أمارات محسنة لوقوع الثواب والعقاب، لا أنها أسباب له.

وهكذا عندهم الكسر مع الانكسار، والحرق^(٢) مع الإحرق، والإزهاق مع القتل. ليس شيء من ذلك سبباً ألبته، ولا ارتباط بينه وبين ما يتربى عليه إلا مجرد الاقتران العادي، لا التأثير السببي^(٣).

وخالفوا بذلك الحس، والعقل، والشرع، والفطرة؛ وسائل طوائف العقلاء، بل أضحكوا عليهم العقلاء^(٤)!

والصواب أن هننا قسمًا ثالثاً غير ما ذكره السائل، وهو أن هذا المقدور^(٥) قدر بأسباب، ومن أسبابه الدعاء. فلم يقدر مجردًا عن سببه، ولكن قدر بسببه. فمتى أتى العبد بالسبب وقع المقدور^(٦)، ومتى لم يأت بالسبب انتفى المقدور. وهذا كما قدر الشبع والري بالأكل والشرب، وقدر الولد بالوطء، وقدر حصول الزرع بالبذرة، وقدر خروج نفس الحيوان بذبحه^(٧). وكذلك [٦/ب] قدر دخول الجنة بالأعمال،

(١) «قالوا» ساقط من س.

(٢) س : «الحرق».

(٣) انظر: طريق الهجرتين (١٩٦، ٢٠٦) وشفاء العليل (١٨٨).

(٤) «بل... العقلاء» ساقط من ز.

(٥) ز : «المقدر».

(٦) س : «المقدر».

(٧) ز : «بالذبح».

ودخول النار بالأعمال^(١).

وهذا القسم هو الحق، وهو الذي حُرِّمَه السائل ولم يوفق له.

وحينئذ فالدعاء من أقوى الأسباب. فإذا قُدر وقوع المدعا به بالدعاء لم يصح أن يقال: لا فائدة في الدعاء، كما لا يقال: لا فائدة في الأكل والشرب وجميع الحركات والأعمال! وليس شيء من الأسباب أفعى من الدعاء ولا أبلغ في حصول المطلوب.

ولما كان الصحابة رضي الله عنهم أعلم الأمة بالله ورسوله، وأفقههم في دينه، كانوا أقوم بهذا السبب وشروطه وآدابه من غيرهم. وكان عمر بن الخطاب^(٢) رضي الله عنه يستنصر به على عدوه، وكان^(٣) أعظم جنديه^(٤)، وكان يقول للصحابية^(٥): لستم تُنصرُون بكثره، وإنما تُنصرُون من السماء^(٦).

وكان يقول: إني لا أحمل هم الإجابة، ولكن هم الدعاء. فإذا ألهِمتُ الدعاء فإن الإجابة معه^(٧).

وأخذ الشاعر هذا، فنظمه، فقال:

(١) سقط «ودخول النار بالأعمال» من ز، فكتب بعضهم فوق السطر: «الصالحة».

(٢) «بن الخطاب» من س، ز.

(٣) ل: «فكان».

(٤) ف: «جنده».

(٥) ف: «ال أصحاب».

(٦) لم أقف عليه.

(٧) ذكره المصنف في المدارج (١٠٣/٣) والفوائد (٩٧)، وشيخ الإسلام في الفتاوى (١٩٣/٨) والاقتضاء (٢٢٩/٢).

لو لم تُرِدْ نيلَ ما أرجو وأطلُبُه مِنْ جُودِكَ فَكَمَا عَوَّدْتَنِي الظَّلَبَا^(١)

فَمَنْ أَلْهَمَ الدُّعَاءَ فَقَدْ أَرِيدَ بِهِ الْإِجَابَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ يَقُولُ: ﴿أَدْعُوكَ فَأَسْتَجِبُ لَكُمْ﴾ [غافر/٦٠] وَقَالَ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادٍ عَنِّي فَإِنَّ قَرِيبَ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة/١٨٦].

وَفِي سُنْنَ ابْنِ ماجِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هَرِيرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَسْأَلْ اللَّهَ يَغْضِبُ عَلَيْهِ»^(٢).

وَهَذَا يَدْلِي عَلَى أَنَّ رَضَاهُ فِي سُؤَالِهِ وَطَاعَتْهُ . وَإِذَا رَضِيَ الرَّبُّ تَبارَكَ وَتَعَالَى فَكُلَّ^(٣) خَيْرٌ فِي رَضَاهُ، كَمَا أَنَّ كُلَّ بَلاءً وَمَصِيبةً فِي غَضَبِهِ .

وَقَدْ ذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي كِتَابِ الزَّهْدِ^(٤) أَثْرًا^(٥): «أَنَا اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، إِذَا رَضِيْتُ بَارَكْتُ، وَلَيْسَ لِبَرَكَتِي مُنْتَهِي»^(٦). وَإِذَا غَضِبْتُ لَعَنْتُ، وَلَعْنَتِي تَبَلُّغُ السَّابِعَ مِنَ الْوَلَدِ».

وَقَدْ^(٧) دَلَّ الْعُقْلُ وَالنَّقلُ وَالْفَطْرُ وَتَجَارِبُ الْأَمْمِ - عَلَى اختِلافِ أَجْنَاسِهَا وَمَلَلِهَا وَنَحْلِهَا - عَلَى أَنَّ التَّقْرِبَ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ وَطَلْبَ مَرْضَاتِهِ، وَالْبَرِّ وَالْإِحْسَانِ إِلَى خَلْقِهِ، مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِكُلِّ

(١) س، ل: «كَفِيكَ». وَذِكْرُهُ الْمُؤْلَفُ فِي الْمَدَارِجِ (١٠٣/٣)، وَفِيهِ: «بَذَلَ مَا أَرْجُو».

(٢) تَقْدِيمُ تَخْرِيجِهِ فِي صِ (١٣).

(٣) س، ز: «وَكُلٌّ»، خَطَأً.

(٤) بَرْقَمِ (٢٨٩)، وَسِنْدُهُ صَحِيحٌ إِلَى وَهْبِ بْنِ مَنْبِهِ.

(٥) «أَثْرًا» ساقطٌ مِنْ س.

(٦) س: «عَنْ مُنْتَهِي»، خَطَأً.

(٧) ز: «وَلَقَدْ».

خير. وأضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر. فما استجلبـت [١/٧] نِعْمَ الله واستدفعت نِقَمُه بمثيل طاعته والتقرب إليه، والإحسان إلى خلقه.

وقد رتب الله سبحانه حصول الخيرات في الدنيا والآخرة^(١) وحصول الشرور في الدنيا والآخرة^(٢) في كتابه على الأعمال، ترتيب^(٣) الجزاء على الشرط، والمعلول على العلة، والمسبب على السبب. وهذا في القرآن يزيد على ألف موضع^(٤).

فتارةً يرتب الحكم الخبري الكوني والأمري^(٥) الشرعي على الوصف المناسب له، كقوله تعالى: «فَلَمَّا عَتَّوْا عَنْ مَا نَهَا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَنِيسِينَ» [الأعراف/ ١٦٦]، قوله: «فَلَمَّا ءا سَفَقُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ» [الزخرف/ ٥٥]، قوله: «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيهِمَا» [المائدة/ ٣٨] قوله: «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ» إلى قوله: «وَالذَّكَرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّكَرَاتُ أَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» [الأحزاب/ ٣٥]. وهذا كثير جدًا.

(١) «وقد رتب... الآخرة» ساقط من ز.

(٢) كتب في حاشية ز: «مرتب» مع علامة صح. ولعله تقويم للعبارة بعدما سقط أول الكلام.

(٣) ف: «ترتيب».

(٤) وقال المصنف في المفتاح (١/٣٦٣): « ولو كان هذا في القرآن والسنّة في نحو مائة موضع أو مائتين لسقاها، ولكنه يزيد على ألف موضع بطرق متنوعة».

(٥) «الأمري» من ز، ويبدو أنه كذا كان في ف أيضًا ثم طمس. وفي غيرهما: «الأمر».

وتارة يرتبه عليه بصيغة الشرط والجزاء، كقوله: «إِن تَنْقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتُكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ» [الأنفال/ ٢٩]، وقوله: «فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكُوْةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ» [التوبه/ ١١] وقوله: «وَأَلَّوْ أَسْتَقْدِمُوا عَلَى الظَّرِيفَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا» [الجن/ ١٦] ونظائره.

وتارة يأتي بلام التعليل، كقوله: «لَيَلْبِرُوا إِيمَانَهُ وَلَيَنْدَكُرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ» [ص/ ٢٩] وقوله: «لَنَكُونُوا شَهَادَةَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» [البقرة/ ١٤٣].

وتارة يأتي بأداة (كي) التي للتعليل، كقوله: «كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ» [الحشر/ ٧].

وتارة يأتي بباء السبيبة كقوله تعالى: «ذَلِكَ بِمَا فَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ» [آل عمران/ ١٨٢]، والأنفال/ ٥١ وقوله: «بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» [الأعراف/ ٤٣]^(١) و«بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» [الأنعام/ ١٢٩]^(٢) وقوله: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِعَيْنَيْتَنَا»^(٣) [الأعراف/ ١٤٦].

(١) وانظر أيضاً: النحل: ٣٢، والسجدة: ١٤، والزخرف: ٧٢، والطور: ١٩، والمرسلات: ٤٣.

(٢) وانظر أيضاً: الأعراف: ٩٦، والتوبه: ٨٢، ٩٥، ويونس: ٨، ويس: ٦٥، وفصلت: ١٧، والجاثية: ١٤.

(٣) وردت الآية في جميع النسخ خطأ: ((ذلك بأنهم كفروا بآياتنا)), فأثبتوا في ط قوله تعالى: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعِيَاتِ اللَّهِ» [البقرة: ٦١]، وآل عمران: ١١٢.

وتارة يأتي بالمعنى لأجله ظاهراً أو مخدوفاً^(١)، قوله: «فَرَجُلٌ وَأَرْأَيْتَكَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَضْلِلَ إِحْدَى هُنَّمَا فَتَذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى» [البقرة/٢٨٢]، قوله: «أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ» [الأعراف/١٧٢]، قوله: «أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا» [الأنعام/١٥٦] أي كراهة أن تقولوا.

وتارة يأتي بفاء السبيبة، قوله: «فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّنَهَا» [الشمس/١٤] قوله: «فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخْذَهُمْ أَخْذَةً رَأْيَةً» [الحاقة/١٠] قوله: «فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهَلَّكِينَ» [المؤمنين/٤٨]، ونظائره.

وتارة يأتي بأداة (لما) الدالة على الجزاء، قوله: «فَلَمَّا آتَيْنَاكُمْ مَا أَنْتُمْ تَنْتَهِيُونَ إِذْنَنَّا مِنْهُمْ» [الزخرف/٥٥]، ونظائره.

وتارة يأتي بيان [٧/ب] عملت فيه، قوله: «إِنَّهُمْ كَانُوا سُدِّعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ» [الأنبياء/٩٠]، قوله في ضد هؤلاء: «إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سُوءً فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ» [الأنبياء/٧٧].

وتارة يأتي بأداة (لو لا) الدالة على ارتباط ما قبلها بما بعدها، قوله: «فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَيْحِينَ لَلَّيْلَةِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبَعَّثُونَ» [الصفات/١٤٣ - ١٤٤].

وتارة يأتي بـ(لو) الدالة على الشرط، قوله: «وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوَعَّظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ» [النساء/٦٦].

(١) ف، س: «ومخدوفاً».

وبالجملة، فالقرآن من أوله إلى آخره صريح في ترتيب^(١) الجزاء بالخير والشر والأحكام الكونية والأمرية على الأسباب، بل ترتيب^(٢) أحكام الدنيا^(٣) والآخرة ومصالحهما ومحاسنها على الأسباب والأعمال. ومن فقه^(٤) هذه المسألة، وتأملها حق التأمل، انتفع بها غاية النفع، ولم يتكل^(٥) على القدر جهلاً منه وعجزاً وتفريطاً وإضاعةً، فيكون توكله عجزاً، وعجزه توكلًا.

بل الفقيه كلُّ الفقيه الذي يردّ القدر بالقدر، ويدفع القدر بالقدر، ويعارض القدر بالقدر، بل لا يمكن الإنسان يعيش^(٦) إلا بذلك، فإنَّ الجوع والعطش والبرد وأنواع المخاوف والمحاذير هي من القدر، والخلقُ كلهم ساعون^(٧) في دفع هذا القدر بالقدر^(٨).

وهكذا^(٩)، من وفقه الله، وألهمه رُشدَه، يدفع قدر العقوبة^(١٠)

(١) س: «ترتيب».

(٢) ز: «يرتب».

(٣) السياق في ف: «صريح في ترتيب الجزاء بالخير والشر في الدنيا...».

(٤) ماعدا س، خب: «فقه في» وضبطت في ز، لبضم القاف. وفي ط: «تفقه في».

(٥) ز: «ومن يتكل».

(٦) كذا في النسخ كلها ما عدا ز التي فيها: «العيش». وفي ط: «أن يعيش». وما ورد في النسخ جائز مقبول.

(٧) س: «سارعون».

(٨) وانظر مدارج السالكين (١٩٩/١)، وطريق الهجرتين (٦٤)، ومجموع الفتاوى (٥٤٧، ٣٠٦/٨).

(٩) س: «هذا»، تحريف.

(١٠) زاد بعضهم في ز فوق السطر: «الدنيوية و»، مع علامة صع، وهو خطأ. وفي س: «قدره»، وهو أيضاً خطأ، وقد تحرفت فيها الكلمة «الأخروية» أيضاً.

الأخروية بقدر التوبة والإيمان والأعمال الصالحة؛ فهذا وزان القدر المخوف في الدنيا وما يضاده سواء^(١). فربُ الدارين واحد، وحكمته واحدة، لا ينافق بعضها بعضاً، ولا يبطل بعضها بعضاً.

فهذه المسألة من أشرف المسائل لمن عرف قدرها، ورعاها حق رعايتها، والله المستعان.

لكن يبقى عليه أمران، بهما تتم سعادته وفلاحه:

أحدهما: أن يعرف تفاصيل أسباب الشر والخير، ويكون له بصيرة في ذلك بما يشاهده^(٢) في العالم، وما جرّبه في نفسه وغيره، وما سمعه من أخبار الأمم قديماً وحديثاً.

ومن أنسٍ ما في ذلك تدبر القرآن، فإنه كفيل بذلك على أكمل الوجوه، وفيه أسباب الشر والخير^(٣) جمِيعاً مفصلةً مبيّنةً. ثم السنة، فإنها شقيقة القرآن، وهي الوحي الثاني. ومن صرف إليهما عنایته اكتفى بهما عن غيرهما، وهما يُريانِكَ الخير والشر وأسبابهما، حتى كأنك تعيين ذلك عياناً.

وبعد ذلك [٨/١] إذا تأملت أخبار الأمم وأيام الله في أهل طاعته وأهل معصيته طابق ذلك ما علمته من القرآن والسنة، ورأيت تفاصيل^(٤) ما أخبر الله به ووعد به^(٥)، وعلمت من آياته في الآفاق ما يدلّك على أن

(١) «سواء» ساقط من ف.

(٢) ز: «شاهد».

(٣) خب: «الخير والشر».

(٤) ف، خب: «ورأيته بتفاصيل». وفي ز: «بفاضل».

(٥) «ووعد به» ساقط من س.

القرآن حق، وأن الرسول حق، وأن الله ينجز وعده لا محالة. فالتاريخ تفصيل لجزئيات ما عرّفنا الله ورسوله به^(١) من الأسباب الكلية للخير والشر.

فصل

والأمر الثاني^(٢): أن يحذر مغالطة نفسه له^(٣) على هذه الأسباب. وهذا من أهم الأمور، فإن العبد يعرف أن المعصية والغفلة من الأسباب المضرة له في دنياه^(٤) وأخرته، ولا بدّ؛ ولكن تغالطه نفسه^(٥) بالاتكال على عفو الله ومغفرته تارة، وبالتسويف بالتوبة تارة، وبالاستغفار باللسان تارة، وبفعل المندوبات تارة، وبالعلم تارة، وبالاحتجاج بالقدر تارة، وبالاحتجاج بالأشباء والنظراء والاقتداء^(٦) بالأكابر تارة.

وكثير من الناس يظن أنه لو فعل ما فعل، ثم قال: «أستغفر الله» زال أثر الذنب، وراح هذا بهذا!

وقال لي رجل من المتسبّين إلى الفقه: أنا أفعل ما أفعل، ثم أقول: سبحان الله وبحمده مائة مرة، وقد غفر ذلك أجمعه، كما صحّ عن النبي

(١) «به» من ف، ز.

(٢) ما عدا س، ل: «الأمر الثاني» دون الواو.

(٣) ز: «به».

(٤) زاد في س قبل «دنياه»: «دینه و».

(٥) ل: «يغالطه بنفسه».

(٦) ز: «والنظر». س: «والنظر بالاقتداء». خا: «بالأشباء والنظر أو الاقتداء». وكذا كان في خب، فأصلحه بعضهم: «بالأشباء والنظراء تارة والاقتداء». وكذا في ط. والمثبت من ف، ل.

عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ: سَبَحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مائةَ مَرَّةٍ حُطِّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ^(١)، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(٢).

وَقَالَ لِي آخِرُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ: نَحْنُ أَحَدُنَا إِذَا فَعَلَ مَا فَعَلَ اغْتَسَلْ^(٣)، وَطَافَ^(٤) بِالْبَيْتِ أَسْبُوعًا^(٥)، وَقَدْ مَحِيَ عَنْهُ ذَلِكَ.

وَقَالَ لِي آخِرٌ: قَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: أَيْ رَبٌّ أَصْبَثُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ لِي، فَغَفَرَ لَهُ^(٦). ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا آخَرَ، فَقَالَ: أَيْ رَبٌّ أَصْبَثُ ذَنْبًا، فَاغْفِرْهُ لِي، فَغَفَرَ لَهُ. ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا آخَرَ، فَقَالَ: أَيْ رَبٌّ أَصْبَثُ ذَنْبًا، فَاغْفِرْهُ لِي^(٧). فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِهِ قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، فَلِيصْنَعْ مَا شَاءَ!»^(٨).

(١) ل، خا، خب: «حُطت خطاياه».

(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في الدعوات، باب فضل التسبيح (٦٤٠٥) ومسلم في الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعا (٢٦٩١).

(٣) ز: «ثم اغتسل».

(٤) س: «فطاف».

(٥) يعني سبع مرات أي سبعة أشواط. النهاية (٣٣٦/٢).

(٦) ز: «غفر له». ل: «غفر الله له ذنبه».

(٧) النص «غفر له...» إلى هنا أثبتناه من ل، ونحوه في خا، خب. وقد استدرك في حاشية ف. وكذا وردت هذه العبارة في الحديث ثلاث مرات، وفي رواية في صحيح مسلم أربع مرات.

(٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُبَدِّلُونَكَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَمَ اللَّهِ﴾ (٧٥٠٧). ومسلم في التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة (٢٧٥٨).

قال : وأنا لا أشكّ أنّ لي ربّا يغفر الذنب ، ويأخذ به .

وهذا الضرب من الناس قد تعلق بنصوص الرجاء ، واتكل عليها ،
وتعلق بها^(١) بكلتا يديه . وإذا عوت على الخطايا والانهماك فيها سرد
لک ما يحفظه من سعة رحمة الله ومغفرته ونصوص الرجاء .

وللجهال [٨/ب] من هذا الضرب من الناس في هذا الباب غرائب
وعجائب ، كقول بعضهم :

وكثُر ما استطعتَ من الخطايا إذا كان القدومُ على كريمٍ^(٢)

وقول الآخر : التنّزه من الذنوب جهل بسعة عفو الله !

وقول الآخر^(٣) : تركُ الذنوب جراءً على مغفرة الله ، واستصغارٌ
لها !

وقال أبو محمد ابن حزم : رأيت بعض هؤلاء يقول في دعائه : اللهم
إني أعوذ بك من العصمة !

ومن هؤلاء المغوروين من يتعلق بمسألة الجبر ، وأن العبد لا فعل له
البنة ولا اختيار ، وإنما هو مجبر على فعل المعاشي .

(١) ز : «به» .

(٢) س ، ل : «وأكثر» . وقد أنشده المؤلف في عدة الصابرين (٥٠) أيضًا . والبيت
لأبي نواس في وفيات الأعيان (٩٧/٢) وفيه : «تكثّر» . وفي ديوانه (٧٣٠) مع
عجز آخر :

تكثّر ما استطعتَ من الخطايا فإنك قاصدٌ ربّا غفورا
(٣) ل ، خا : «وقال الآخر» .

ومن هؤلاء من يغتر بمسألة الإرجاء، وأن الإيمان هو مجرد التصديق، والأعمال ليست من الإيمان، وإيمان أفسق الناس كإيمان جبريل وميكائيل.

ومن هؤلاء من يغتر بمحبة الفقراء والمشايخ والصالحين، وكثرة التردد إلى قبورهم، والتضرع إليهم، والاستشفاع بهم، والتسلل إلى الله بهم، وسؤاله بحقهم عليه وحرمتهم عنده.

ومنهم من يغتر بآبائه وأسلافه، وأن لهم عند الله مكانة وصلاحاً؛ فلا يدعون^(١) أن يخلصوه؛ كما يشاهد في حضرة الملوك، فإن الملوك تهُب لخواصّهم ذنوب أبنائهم وأقاربهم، وإذا وقع أحد منهم في أمر مفزع خلّصه أبوه وجده بجاهه ومنتزله.

ومنهم من يغتر بأن الله عز وجل غني عن عذابه، وأن عذابه^(٢) لا يزيد في ملكه شيئاً، ورحمته له لا ينقص من ملكه شيئاً؛ فيقول: أنا مضطراً إلى رحمته، وهو أغنى الأغنياء^(٣). ولو أن فقيراً مسكيناً، مضطراً^(٤) إلى شربة ماء، عند من في داره شطٌ يجري، لما منعه منها؛ فالله أكرم وأوسع، فالغفرة لا تنقصه شيئاً، والعقوبة لا تزيد^(٥) في ملكه شيئاً.

(١) س: «فلا يدعوه».

(٢) «أن» من س.

(٣) ز: «وهو غني عن عذابه»، ولعلها تكررت خطأ مكان «وهو أغنى الأغنياء».

(٤) ف: «مضطراً».

(٥) ز: «لاتزيده».

ومنهم من يغترّ بفهم فاسد فهِمَه^(١) هو وأضرابه من نصوص القرآن والسنّة^(٢)، فاتكالوا عليه، كاتكال بعضهم على قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعَطِّيلَكَ رَبُّكَ فَتَرَضَّعَ ﴾ [الضحى/ ٥] قالوا^(٣): وهو لا يرضي أن يكون في النار أحد^(٤) من أمته!

وهذا من أقبح الجهل، وأبين الكذب عليه. فإنّه يرضي بما يرضي^(٥) ربّه عزّ وجلّ، والله تعالى يُرضيه تعذيب الظلمة [٩/١] والفسقة والخونة والمصرّين على الكبائر. فحاشا رسوله أن لا يرضي بما يرضي به ربّه^(٦) تبارك وتعالى.

وكاتكال بعضهم على قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر/ ٥٣]. وهذا أيضاً من أقبح الجهل. فإن الشرك داخل في هذه الآية، فإنّه رأس الذنوب وأساسها، ولا خلاف أنّ هذه الآية في حق التائبين، فإنّه يغفر كلّ ذنب للتأتب^(٧)، أي ذنب كان^(٨). ولو كانت الآية في حق غير التائبين^(٩) لبطلت نصوص الوعيد كلّها، وأحاديث إخراج

(١) «فهمه» ساقط من ز.

(٢) «والسنّة» ساقط من س.

(٣) ف: «قال».

(٤) س: «أحد في النار».

(٥) ز: «يرضي به».

(٦) س: «أن لا يرضي به ربّه»، فأسقط «بما يرضي».

(٧) كذا في ف. وفي ل، ز، خا: «ذنب كلّ تائب».

(٨) ل، خا: «من أي ذنب كان».

(٩) العبارة «فإنّه يغفر... غير التائبين» ساقطة من س.

القوم من الموحدين^(١) من النار بالشفاعة .

وهذا إنما أتى صاحبُه من قلة علمه وفهمه ، فإنَّه سبحانه ههنا عَمَّ وأطلق فعْلَمَ أنه أراد التائبين . وفي سورة النساء خصص وقِيدَ ، فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء / ٤٨] ، فأخبر سبحانه أنه لا يغفر^(٢) الشرك ، وأخبر أنه يغفر ما دونه . ولو كان هذا في حقَّ التائب لم يفرق بين الشرك وغيره^(٣) .

وكاغترار بعض الجهال بقوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمَ ﴾^(٤) [الانفطار / ٦] فيقول : كَرِمُه ! وقد يقول بعضهم : إنه لقَن المغترَّ حجته ، وهذا جهل قبيح . وإنما غرَّه بربِّه الغرورُ - وهو الشيطان - ونفسُه الأُمَّارة بالسوء ، وجهلُه ، وهواه .

وأتى سبحانه بلفظ «الكريم» ، وهو السيد العظيم المطاع^(٥) الذي لا ينبغي الاغترار به ولا إهمال حقَّه ، فوضع هذا المغترَّ الغرورَ في غير موضعه ، واغترَّ بمن لا ينبغي الاغترار به .

وكاغترار بعضهم بقوله تعالى في النار : ﴿ لَا يَصِلُّهَا إِلَّا أَلَّا أَشَقَّ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّ ﴾^(٦) [الليل / ١٥ - ١٦] وقوله : ﴿ أَعْدَّتِ لِكُلِّ كُفَّارٍ ﴾ [البقرة / ٢٤] . ولم يدر هذا المغترَّ أنَّ قوله : ﴿ فَإِذْرَتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴾^(٧) [الليل / ١٤] هو لِنارِ

(١) ز : «قوم موحدين» .

(٢) العبارة بعد «لا يغفر» في الآية إلى هنا ساقطة من س .

(٣) «وأخبر ... وغيره» سقطت من ف ، فاستدرك بعضهم في الحاشية : «وأخبر أنه يغفر ما دونه» فقط .

(٤) الآية الكريمة في ف إلى قوله تعالى ﴿ الَّذِي خَلَقَكَ ﴾ وفي س اكتفى بـ«الذِي» !

(٥) س : «والمطاع» ..

مخصوصيةٌ من جملة دركات جهنم . ولو كانت جميع جهنم ، فهو سبحانه
 لم يقل : «لا يدخلها» ، بل قال : ﴿لَا يَصْلَهَا إِلَّا أَشْفَقَ﴾^(١) ، ولا يلزم
 من عدم صِلَيْهَا عدم دخولها ، فإنَّ الصَّلَاةَ أَحْصُنَّ مِن الدُّخُولِ ، وَنَفِيَ
 الأَحْصَنُ لَا يَسْتَلِزُمُ نَفِيَ الْأَعْمَمِ .

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْمُغْتَرِّ لَو تَأْمُلُ الْآيَةَ التِّي بَعْدَهَا لَعْلَمَ أَنَّهُ غَيْرَ دَخْلٍ فِيهَا ،
 فَلَا يَكُونُ مَضْمُونًا لَهُ أَنْ يُجَنِّبَهَا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي النَّارِ : ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِ﴾^(٢) [البقرة / ٢٤] ، فَقَدْ قَالَ فِي
 الْجَنَّةِ : ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٣) [آل عمران / ١٣٣] . وَلَا يَنَافِي إِعْدَادُ النَّارِ
 لِلْكَافِرِ أَنْ تَدْخُلُهَا الْفَسَاقُ وَالظَّلَمَةُ ، وَلَا يَنَافِي إِعْدَادُ الْجَنَّةِ لِلْمُتَّقِينَ أَنْ
 يَدْخُلُهَا مَنْ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ ، [٩/ب] وَلَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا
 قَطُّ .

وَكَاتَكَالُ^(٤) بعضاًهُمْ عَلَى صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ ، أَوْ يَوْمِ عَرْفَةَ^(٥) ، حَتَّى
 يَقُولُ بعضاًهُمْ : يَوْمَ عَاشُورَاءَ^(٦) يَكْفُرُ ذَنَوبَ الْعَامِ^(٧) كُلُّهَا ، وَيَبْقَى صَوْمُ
 يَوْمِ عَرْفَةَ^(٨) زِيادةً فِي الْأَجْرِ^(٩) . وَلَمْ يَدْرِ هَذَا الْمُغْتَرِّ أَنَّ صَوْمَ رَمَضَانَ

(١) فَ : «فَلَا يَلْزَمُ» .

(٢) زَ : «وَكَاغْتَرَارٍ» ، وَلَعْلَهُ سَهْوٌ .

(٣) فَ، سَ : «وَيَوْمَ عَرْفَةَ» .

(٤) يَعْنِي : صَوْمَهُ . وَقَدْ زَادَ بعضاًهُمْ كَلْمَةً «الصَّوْمُ» فَوْقَ السُّطُرِ فِي زَ ، كَمَا كَتَبَ فِي
 حَاشِيَةَ سَ : «ظَ صَوْمُ» .

(٥) فَ : «الذَّنَوبُ لِلْعَامِ» . سَ : «الذَّنَوبُ الْعَامِ» .

(٦) لَ : «صَيَامُ يَوْمِ عَرْفَةَ» . زَ : «وَيَبْقَى يَوْمَ عَرْفَةَ» .

(٧) يَشِيرُ إِلَى حَدِيثِ أَبِي قَاتِدَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : سَئَلَ - ﷺ - عَنْ =

والصلوات الخمس أعظم وأجل من صيام يوم عرفة ويوم عاشوراء، وهي إنما تکفر ما بينها^(١) إذا اجتنب الكبائر^(٢).

فرمضان [إلى رمضان]^(٣) وال الجمعة إلى الجمعة لا يقوى على تکفير الصغار إلا مع انضمام ترك الكبائر إليها، فيقوى مجموع الأمرين^(٤) على تکفير الصغار. فكيف يکفر صوم يوم طویل كلّ كبيرة عملها العبد، وهو مصرّ عليها، غير تائب منها؟ هذا محال، على أنه لا يمتنع أن يكون صوم يوم عرفة^(٥) ويوم عاشوراء مکفراً لجميع ذنوب العام على عمومه، ويكون من نصوص الوعد^(٦) التي لها شروط وموانع، ويكون إصراره على الكبائر مانعاً من التکفير. فإذا لم يصرّ على الكبائر تساعداً الصوم وعدم الإصرار وتعاونا على عموم التکفير، كما كان رمضان والصلوات

صوم يوم عرفة، فقال: «يکفر السنة الماضية والباقية». قال: وسئل عن صوم يوم عاشوراء فقال: «يکفر السنة الماضية» الحديث، أخرجه مسلم في الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء... (١١٦٢). (١) كذا في س، خا. وفي غيرهما: «ما بينهما». ووقع في ز: «ما يکفر»، فزاد بعضهم فوق السطر: «إلا» ليستقيمه المعنى.

(٢) كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «الصلوات الخمس وال الجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مکفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر» أخرجه مسلم في الطهارة، باب الصلوات الخمس وال الجمعة إلى الجمعة... (٢٣٣).

(٣) ما بين الحاضرين من خب.

(٤) ز: «مجموع الأمر».

(٥) س: «صوم عرفة».

(٦) ز، خا: «الوعيد»، خطأ.

الخمس مع اجتناب الكبائر متساعدين متعاونين على تكفير الصغائر، مع أنه سبحانه قد قال^(١): ﴿إِن تَحْتَنُوا كَبَائِرَ مَا تُهَوَّنَ عَنْهُ نُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء / ٣١].

فعلم أن جعل الشيء سبباً للتکفير لا يمنع^(٢) أن يتساعد هو وسبب آخر على التکفير، ويكون التکفير مع اجتماع السببين أقوى وأتم منه مع انفراد أحدهما، وكلما قويت أسباب التکفير كان أقوى وأتم وأشمل^(٣).

وكذلك بعضهم على قوله ﷺ حاكياً عن ربه: «أنا عند حسن ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء»^(٤) يعني: ما كان في ظنه، فإنني فاعله به^(٥).

ولا ريب أن حسن الظن إنما يكون مع الإحسان، فإن المحسن حسن الظن بربه أنه يجازيه^(٦) على إحسانه، ولا يخلف وعده، ويقبل توبته. وأما المسيء المصر على الكبائر والظلم والمخالفات، فإن وحشة

(١) ف: « سبحانه قال».

(٢) ف: «لا يمتنع». وفي ز: «ولا يمنع» وكلاهما خطأ.

(٣) «منه مع انفراد... أتم» سقط من ل لانتقال النظر، كما تحرف «أشمل» فيها إلى «أسهل».

(٤) أخرجه أحمد ٤٩١/٣ (١٦٠١٦) وابن المبارك في الزهد ٩٠٩) وابن حبان ٦٤١، ٦٣٣) والحاكم ٢٦٨/٤ (٧٦٠٣) وغيرهم، من طريق حيان أبي النضر الشامي عن وائلة، فذكره، وفيه قصة.

والحديث صححه ابن حبان، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وقال الذهبي: «صحيح على شرط مسلم».

(٥) ف: «فأنا فاعله به»، وسقط «به» من س.

(٦) ف: «أن يجازيه».

المعاصي والظلم والإجرام تمنعه^(١) من حسن الظن بربه. وهذا موجود في الشاهد، فإنَّ العبد الآبق المُسيء^(٢) الخارج عن طاعة سيده لا يحسن [١٠/١] الظن به^(٣).

ولا يجامع وحشة الإساءة إحسان الظن^(٤) أبداً، فإنَّ المُسيء مستوحش بقدر إساءته. وأحسن الناس ظنَّاً بربه أطوعُهم له، كما قال الحسن البصري: إنَّ المؤمن أحسن الظن بربه، فأحسن العمل. وإنَّ الفاجر أساء الظن بربه، فأساء العمل^(٥).

وكيف يكون محسن الظن^(٦) بربه من هو شارد عنه، حالٌ مرتحل في مساقطه وما يغضبه^(٧)، متعرض^(٨) للعنجهة، قد هان حقه وأمره عليه فأضاعه، وهان نهيه عليه فارتكتبه، وأصرَّ عليه!

وكيف يحسن الظن به^(٩) من بارزه بالمحاربة، وعادى أولياءه، ووالى أعداءه، وجحد صفات كماله، وأساء الظن بما وصف به نفسه

(١) ل، ز، خا: «يمنعه».

(٢) ف: «المسيء الآبق».

(٣) «به» ساقط من س.

(٤) «الظن» ساقط من س، وفيها: «تجماع».

(٥) أخرجه أحمد في الزهد (١٦٥٢) من طريق سفيان عن رجل عن الحسن، فذكره. ورواه مخلد بن الحسين عن هشام عن الحسن، فذكره. أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٤٤/٢) وعليه فالتأثر لا بأس به.

(٦) ف: «حسن الظن». ز: «يحسن الظن».

(٧) ف، ب: «يغضبه».

(٨) س: «يتعرض»، وأشار في الحاشية إلى ما في غيرها.

(٩) ز: «بربه».

ووصفتُه به رُسُلِه^(١)، وظنَّ بجهله أنَّ ظاهر ذلك ضلالٌ وكفرٌ؟

وكيف يحسن الظنُّ به من يظنُ^(٢) أنه لا يتكلَّمُ، ولا يأمرُ، ولا ينهيُ، ولا يرضيُ، ولا يغضبُ؟

وقد قال تعالي في حق من شكَّ في تعلق سمعه ببعض الجزئيات، وهو السرُّ من القول: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي طَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدَنَكُمْ فَأَصَبَّهُمْ مِنَ الْخَسِيرَنَ﴾ [فصلت / ٢٣] فهو لاءٌ لما ظنوا أنَّ الله سُبحانه لا يعلم كثيراً مما يعملون، كان هذا إساءةً لظنهم بربِّهم، فأرداهم ذلك الظن.

وهذا شأن كل من جحد صفات كماله ونحوت جلاله ووصفه بما لا يليق به. فإذا ظنَّ هذا أنه يدخلُه الجنةَ كان هذا غروراً وخداعاً من نفسه، وتسويلاً من الشيطان، لا إحسانَ ظنَّ بربِّه^(٣).

فتأملُ هذا الموضع، وتأملُ شدة الحاجة إليه!

وكيف يجتمع في قلب العبد تيقُّنه بأنه ملائِقُ الله، وأنَّ الله^(٤) يسمع كلامه، ويرى مكانه، ويعلم سرَّه وعلانيته، ولا يخفى عليه خافية من أمره؛ وأنَّه^(٥) موقوف بين يديه ومسؤول عن كل ما عمل، وهو مقيم على مساقطه، مضيقاً لأوامره، معطل لحقوقه. وهو مع هذا محسنُ الظنَّ^(٦)

(١) ف: «وصفه به رسوله».

(٢) ف: «به الظن من ظن».

(٣) س: «إحسان الظن بربِّه تعالي». وفي ز: «إحسان ظنه بربِّه». وفي خا: «إحسان ظنَّ به». والمثبت من ف، ل. وكذا في خب.

(٤) س: « وأنَّه».

(٥) ز: « فإنه»، خطأ.

(٦) كذا ضبط بفتح النون في ف. وفي ز: «يحسن الظن» وكذا في خب.

بـ؟ وهـل هـذا إـلا من خـدـع النـفـوس وغـرـور الـأـمـانـي؟

وقد قال أبو أمامة بن سهل^(١) بن حنيف: دخلت أنا وعروة بن الزبير على عائشة رضي الله عنها فقالت: لو^(٢)رأيتـا رسول الله ﷺ في مرضـه، وكانت عنـدي ستـة دنانـير - أو سـبـعة - فأـمـرـني رسـول الله ﷺ [١٠/ب] أـن أـفـرـقـها. قـالـتـ: فـشـغلـنـي وـجـعـ النـبـي ﷺ، حتـى عـافـهـ اللهـ. ثـمـ سـأـلـنـي عنـها فـقـالـ: «ما فـعـلتـ؟ أـكـنـتـ فـرـقـتـ السـتـةـ الدـنـانـيرـ؟»^(٣) فـقـلـتـ: لاـ، وـالـلـهـ لـقـدـ كـانـ شـغـلـنـيـ^(٤) وـجـعـكـ. قـالـتـ: فـدـعـاـ بـهـاـ، فـوـضـعـهـاـ فـيـ كـفـهـ، فـقـالـ: «ما ظـنـ نـبـيـ اللـهـ لـوـ لـقـيـ اللـهـ، وـهـذـهـ عـنـهـ؟»^(٥) وـفـيـ لـفـظـ: «ما ظـنـ مـحـمـدـ بـرـبـهـ لـوـ لـقـيـ اللـهـ، وـهـذـهـ عـنـهـ؟».

فيـ اللـهـ! ما ظـنـ أـصـحـابـ الـكـبـائـرـ وـالـظـلـمـةـ بـالـلـهـ إـذـا لـقـوـهـ، وـمـظـالـمـ الـعـبـادـ

(١) وقعـ فيـ سـ: «أـبـوـ أمـامـةـ سـهـلـ»، فـأـسـقطـ كـلـمـةـ الـابـنـ قـبـلـ «سـهـلـ». وـكـذـاـ فيـ طـ. وـهـوـ غـلـطـ، فـإـنـ أـبـاـ أـمـامـةـ كـنـيةـ اـشـتـهـرـ بـهـاـ أـسـعـدـ بـنـ حـنـيفـ. وـقـدـ وـلـدـ قـبـلـ وـفـاةـ النـبـيـ ﷺ بـعـامـينـ، وـحـنـكـهـ النـبـيـ ﷺ وـسـمـاهـ باـسـمـ جـدـهـ لـأـمـهـ: أـبـيـ أـمـامـةـ أـسـعـدـ بـنـ زـرـارـةـ. انـظـرـ الإـصـابـةـ (١٨١ـ/ـ١ـ).

(٢) سـ: «أـوـ».

(٣) فـ. زـ: «الـسـتـةـ دـنـانـيرـ».

(٤) فـ: «قـدـ شـغـلـنـيـ». زـ: «لـقـدـ شـغـلـنـيـ».

(٥) أـخـرـجـهـ أـحـمـدـ (٦/ـ١٠٤ـ)ـ (٢٤٧٣٣ـ)ـ وـابـنـ حـبـانـ (٣٢١٣ـ)ـ منـ طـرـيقـ مـوـسـىـ بـنـ جـبـيرـ عنـ أـبـيـ أـمـامـةـ بـنـ سـهـلـ. فـذـكـرـهـ. قـلـتـ: هـذـاـ سـنـدـ ضـعـيفـ، فـيـهـ مـوـسـىـ بـنـ جـبـيرـ قـالـ اـبـنـ حـبـانـ فـيـ الثـقـاتـ: «كـانـ يـخـطـئـ وـيـخـالـفـ». وـقـالـ اـبـنـ الـقطـانـ: «لـاـ يـعـرـفـ حـالـهـ».

وـرـواـهـ مـحـمـدـ بـنـ عـمـرـ وـأـبـوـ حـازـمـ عـنـ أـبـيـ سـلـمـةـ عـنـ عـائـشـةـ فـذـكـرـتـهـ بـالـلـفـظـ الـآـخـرـ الـذـيـ ذـكـرـهـ الـمـؤـلـفـ. أـخـرـجـهـ أـحـمـدـ (٢٤٢٢ـ، ٢٤٥٦ـ)ـ وـابـنـ حـبـانـ (٣٢١٢ـ، ٧١٥ـ)ـ وـغـيرـهـماـ. وـالـحـدـيـثـ سـنـدـ صـحـيـحـ، وـقـدـ صـحـحـهـ اـبـنـ حـبـانـ.

عندهم؟ فإن كان ينفعهم قولهم: «حَسَّنَا ظنونا بك^(١)»، لم يعذبْ ظالم ولا فاسق^(٢). فليصنع العبد ما شاء، وليرتكب كلّ ما نهاه الله عنه، وليحسن ظنه بالله؛ فإنّ النار لا تمسه! فسبحان الله، ما يبلغ الغرور بالعبد! .

وقد قال إبراهيم لقومه: «أَيْفَكَا إِلَهَةُ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُوكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾» [الصفات/ ٨٦ - ٨٧] أي: ^(٣) ظنكم به أن يفعل بكم إذا لقيتموه، وقد عبدتم غيره؟

ومن تأمل هذا الموضع^(٤) حق التأمل علم أنّ حسنَ الظن بالله هو حسنُ العمل نفسه. فإنّ العبد إنما يحمله على حسن العمل حسنُ ظنه بربه أن يجازيه على أعماله، ويثنيه عليها، ويقبلها منه. فالذي^(٥) حمله على العمل حسنُ الظن، وكلّما^(٦) حسُنَ ظنه حسُنَ عملُه، وإنَّ فحسُنَ الظن مع اتباع الهوى عجز، كما في الترمذى والمسند من حديث شداد بن أوس عن النبي ﷺ أنه قال^(٧): «الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت. والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على

(١) خا: «بالله». ز: «حسن...».

(٢) وقع في ف: «أنك لم تعذب ظالماً ولا فاسقاً». وهذا مفسد للسياق. وفي ل: «ظنوا بancock» وهو تحريف «ظنوننا بك».

(٣) ل، ز: «وما».

(٤) ل: «هذه الموضع».

(٥) ف: «إإن الذي».

(٦) ف، ل: «فلما». خب: «فكليما».

(٧) «أنه قال» انفردت بها ز.

الله»^(١).

وبالجملة، فحسن الظن إنما يكون مع انعقاد أسباب النجاح. وأما مع انعقاد أسباب الهلاك، فلا يتأتى إحسان الظن.

فإن قيل: بل يتأتى ذلك، ويكون مستندًّا حسن الظن سعةً مغفرة الله ورحمته وعفوه وجوده، وأن رحمته سبقت غضبه، وأنه لا تنفعه العقوبة ولا يضره العفو.

قيل: الأمر هكذا، واللهُ فوق ذلك، وأجل^(٢) وأكرم وأجود وأرحم. ولكن إنما يضع ذلك في محله اللائق به، فإنه سبحانه موصوف بالحكمة، والعزّة، والانتقام وشدة البطش، وعقوبة من يستحق العقوبة. فلو كان [١/١١] معلوًّا حُسِنَ الظن على مجرد صفاتـه وأسمائه لاشترك في ذلك البر والفاجر، والمؤمن والكافر، ووليه وعدوه. فما ينفع المجرم أسماؤه وصفاته، وقد باء بسخطه وغضبه، وتعرض للعتـه، وأوضع في محارمه، وانتهـك حرماتـه؟ بل حسن الظن ينفع من تاب، وندم، وأقلع، وبدل السيئة بالحسنة، واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة، ثم حسـن الظن. فهذا حسن الظن^(٣)، والأول غروراً والله المستعان.

(١) أخرجه الترمذـي (٢٤٥٩) وأحمد ١٢٤/٤ (١٧١٢٣) وابن ماجـه (٤٢٦٠) والحاكم ١٢٥/١ (١٩١) وغيرـهم، من طريق أبي بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب عن شداد بن أوس، فذكرـه.

قال الترمـذـي: «هـذا حـديث حـسن». وقال الحـاكم: «هـذا حـديث صـحـيح عـلـى شـرـط البـخارـي ولـم يـخـرـجـاه»، فـتعـقـبـه الـذـهـبـي بـقولـه: «لـا واللهـ، أـبـو بـكـرـ وـأـوـاءـ».

(٢) «أـجلـ» سـاقـطـ من زـ.

(٣) سـ، زـ، لـ: «حسـن ظـنـ». وـالمـثـبـتـ من فـ، وكـذاـ في خـاـ، خـبـ.

ولا تستطِلُّ هذا الفصل ، فإن الحاجة إليه شديدة لكل أحد ، ففرق^(١)
بين حسن الظن بالله وبين الغرفة^(٢) به .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾ [البقرة / ٢١٨]^(٣) ، فجعل هؤلاء أهل الرجاء ، لا
البطالين^(٤) والفاشين .

وقال^(٥) تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنَّا
ثُمَّ جَهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا الْغَفُورُ رَحِيمٌ ﴾ [النحل / ١١٠] ،
فأنخبر سبحانه أنه بعد هذه الأشياء غفور رحيم لمن فعلها .

فالعالِم^(٦) يضع الرجاء مواضعه ، والجاهل المغتر يضعه في غير
مواضعه .

(١) س : «فرق» .

(٢) ف : «الغرور» .

(٣) في ز خلط بين هذه الآية والآية (٧٢) من الأنفال . وكذا في خب .

(٤) س ، ل : «الظالمين» .

(٥) ز : «وقد قال» .

(٦) ز : «العالِم» .

فصل

وَكَثِيرٌ مِّنَ الْجَهَالِ اعْتَمَدُوا عَلَىٰ^(١) رَحْمَةِ اللَّهِ وَعَفْوِهِ وَكَرْمِهِ، وَضَيَّعُوا أَمْرَهُ وَنَهَيْهُ، وَنَسُوا أَنَّهُ شَدِيدُ الْعَقَابِ، وَأَنَّهُ لَا يَرْدَدُ بِأَسْهِ عنِ الْقَوْمِ الْمُجْرَمِينَ.

وَمَنْ اعْتَمَدَ عَلَىِ الْعَفْوِ مَعَ الإِصْرَارِ فَهُوَ كَالْمَعَانِدِ.

وَقَالَ مَعْرُوفٌ^(٢): رَجَاؤُكَ لِرَحْمَةِ اللَّهِ مَنْ لَا تُطِيعُهُ مِنَ الْخَذَلَانِ^(٣).

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: مَنْ قَطَعَ عَضْوًا مِّنْكَ^(٤) فِي الدُّنْيَا بِسُرْقَةٍ ثَلَاثَةَ دِرَاهِمَ، لَا تَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ عَقْوَبَتِهِ فِي الْآخِرَةِ عَلَىِ نَحْوِ هَذَا^(٥).

وَقَيلَ لِلْحَسَنِ: نَرَاكَ طَوْيِيلَ الْبَكَاءِ! فَقَالَ: أَخَافُ أَنْ يَطْرُحَنِي فِي النَّارِ، وَلَا يَبَالِي^(٦).

وَسَأَلَ رَجُلُ الْحَسَنِ فَقَالَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، كَيْفَ نَصْنَعُ بِمَجَالِسَةِ أَقْوَامٍ

(١) س : «إلى».

(٢) هُوَ الْكَرْخِيُّ، الزَّاهِدُ الْمُشْهُورُ الْمُتَوَفِّيُّ سَنَةُ ٢٠٠ هـ.

(٣) وَرَدَ فِي طَبَقَاتِ الصَّوْفَيَّةِ لِلْسَّلْمَيِّ (٨٩) بِلِفَظِ: «وَارْتَجَاءُ رَحْمَةٍ مِّنْ لَا يُطِيعُ جَهَلٌ وَّحَمْقٌ».

(٤) ف : «مِنْكَ عَضْوًا».

(٥) نَقْلُ الْمُؤْلِفِ نَحْوَهُ مِنْ كَلَامِ أَبِي الْوَفَاءِ بْنِ عَقِيلٍ فِيمَا يَأْتِي فِي ص ٧٥.

(٦) صَفَةُ الصَّفَوَةِ (١١٧/٢). وَزَادَ بَعْدَهُ فِي طِّ الْمَدْنِيِّ وَالسَّلْفِيَّةِ: «وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ قَوْمًا أَهْتَهُمْ أَمَانِيَ الْمَغْفِرَةِ حَتَّىٰ خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ تُوبَةٍ. يَقُولُ أَحَدُهُمْ: لَأَنِّي حَسَنَ الظَّنَّ بِرَبِّي، وَكَذَّبَ! لَوْ أَحْسَنَ الظَّنَّ لِأَحْسَنَ الْعَمَلِ». وَلَمْ تَرُدْ هَذِهِ الْزِيَادَةُ فِي شَيْءٍ مِّنَ النُّسُخِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا.

يخوّفونا حتى تكاد قلوبنا تطير؟ فقال : والله لأن تصحب أقواماً يخوّفونك حتى تدرك أمناً خير لك من أن تصحب قوماً يؤمّنونك حتى تلحقك المخاوف^(١).

وقد ثبت في الصحيحين^(٢) من حديث أسمة بن زيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يُجاء بالرجل يوم القيمة ، فيُلقى في النار ، فتندلق أقتاب^٣ بطنه ، فيدور في النار كما يدور [١١/ب] الحمار برحاه ، فيُطيف به أهل النار ، فيقولون : يا فلان ما أصابك؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف ، وتنهانا عن المنكر؟ فيقول : كنت أمركم بالمعروف ولا آتية وأنهاكم عن المنكر وآتية».

وذكر الإمام أحمد^(٤) من حديث أبي رافع قال : مرّ رسول الله ﷺ

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد على الزهد (١٤٥٩) من طريق العلاء بن زياد عن المغيرة بن مخادش عن الحسن فذكره ، وفي سنته ضعف . وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١٤٩/٢ - ١٥٠) من طريق علقة بن مرثد عن المغيرة بن مخادش عن الحسن فذكره ، وسياقه طويل . وفي سنته ضعف .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بده الخلق ، باب صفة النار وأنها مخلوقة (٣٢٦٧) ومسلم في كتاب الزهد والرقائق ، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله . . . (٢٩٨٩).

(٣) أي تخرج أمعاؤه من جوفه . النهاية (٢/١٣٠).

(٤) س : «تأمر . . . وتنهى». ز : «تأمرنا . . . وتنهى».

(٥) في مسنه ٦/٣٩٢ (٢٧١٩٢). وأخرجه النسائي (٨٦٢، ٨٦٣) وابن خزيمة (٢٧٣٧) والطبراني في الكبير ١/٣٢٣ (٩٦٢) وغيرهم ، من طريق ابن جريج حدثني منبود - رجل من آل رافع - عن الفضل بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبي رافع ، فذكره .

قلت : منبود لم أقف على توثيقه . ولم يرو عنه غير ابن جريج وابن أبي =

بالبقيع فقال: «أَفْ لَكَ، أَفْ لَكَ!» فظننتُ أنه يريدني. فقال: «لا، ولكن هذا قبر فلان بعثته ساعيَا على^(١) آل فلان، فغَلَّ نَمِرَةٌ^(٢) ، فدُرْعَةٌ الآن مثلها من نار». .

وفي مسنده أيضاً^(٣) من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «مررتُ ليلةً أُسْرِيَ بي على قومٍ تُقرَضُ شفاهُهم بمقاريض من نار،

= ذئب. وأيضاً الفضل بن عبيد الله لا يعرف له سماع من جده أبي رافع، وأعلى طبقة يروي عنها طبقة كبار التابعين.

وله شاهد عند البخاري في تاريخه (١٣٥/٦) والبزار في مسنده (٣٨٧٠) من طريق الدراوردي عن ابن الهاد عن عبادل عن جدته امرأة أبي رافع عن أبي رافع فذكره بمعناه. قلت: سنه حسن لكن وقع فيه اختلاف. انظر الطبراني (٩٧٤).

وله شاهد آخر في الحلية (١٨٤/١) من طريق كثير بن زيد عن المطلب عن أبي رافع فذكره بنحوه. ولعل هذا يدل على أن للحديث أصلًا.

(١) ل: «إلى».

(٢) النمرة: بردة مخططة من صوف، من لباس الأعراب. انظر اللسان (نمر).

(٣) ١٢٠/٣ (١٢٢١١). وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٨١٩) ووكيع في الزهد (٢٩٧) والبغوي في شرح السنة (٤١٥٩) وغيرهم، من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن أنس، فذكره. قلت: علي بن زيد في حفظه ضعف، لكن هذا مما حفظه عن أنس، فرواه ابن المبارك والمعتمر بن سليمان عن سليمان التيمي عن أنس فذكره بمثله. أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤٠٦٩) وأبو نعيم في الحلية (١٧٢/٨) والبيهقي في الشعب (٤٦١١). وسنه صحيح. قال أبو نعيم: «مشهور من حديث أنس، رواه عنه عدة، وحديث سليمان عزيز». ورواه المغيرة بن حبيب (ختن مالك بن دينار) عن مالك بن دينار عن أنس، فذكره بمثله. أخرجه ابن حبان في صحيحه (٥٣) وأبو يعلى (٤١٦٠) والبيهقي في الشعب (٤٦١٢). قلت: في المغيرة كلام لا يضره.

فقلتُ : من هؤلاء؟ قالوا^(١) : خطباء من أهل الدنيا^(٢) ، كانوا يأمرنون الناس بالبرّ ، وينسون أنفسهم ، أفلًا يعقلون^(٣)؟ .

وفيه أيضًا^(٤) من حديثه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس ، يخمشون وجوههم وصدورهم . فقلت : من هؤلاء يا جبريل؟ فقال^(٥) : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم» .

وفيه أيضًا^(٦) عنه ، قال : كان النبي ﷺ يكثُر أن يقول : «يا مقلب القلوب^(٧) ثبتْ قلبي على دينك». فقلنا : يا رسول الله ، آمنا بك وبما جئت به ، فهل تخاف علينا؟ قال : «نعم ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنِ إِصْبَاعَيِ اللَّهِ، يَقْلِبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ» .

(١) ز : «قالوا» .

(٢) ف : «خطباء أهل الدنيا» .

(٣) «أفلًا يعقلون» ساقط من ف .

(٤) المستند ٢٢٤/٣ (١٣٣٤٠). وأخرجه أبو داود (٤٨٧٩، ٤٨٧٨) والطبراني في الأوسط^(٨) وابن أبي الدنيا في الصمت (١٦٥)، والضياء في المختاراة (٢٢٨٦، ٢٢٨٥) وغيرهم ، من طريق صفوان بن عمرو عن راشد بن سعد وعبدالرحمن بن جبير عن أنس ، فذكره . ورجاله ثقات ، والحديث صحيحه الضياء في المختاراة .

(٥) ل : «قال» .

(٦) المستند ١١٢/٣ (١٢١٠٧). وأخرجه الترمذى (٢١٤٠) وأبو يعلى (٣٦٨٧) والحاكم ٧٠٧ (١٩٢٧) والضياء في المختاراة (٢٢٢٤، ٢٢٢٢) وغيرهم ، من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن أنس فذكره . والحديث صحيحه الترمذى والحاكم والضياء .

(٧) ل : «مثبت القلوب» .

وفيه أيضًا^(١) عنه: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لجبريل: «مالي لم أر^(٢) ميكائيل ضاحكًا قط؟» قال: ما ضحك منذ خلقت النار».

وفي صحيح مسلم^(٣) عنه، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمٍ أَهْلَ الدِّنِيَا مِنْ^(٤) أَهْلِ النَّارِ، فَيُصِيبُ فِي النَّارِ صَبَغَةً، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطْ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطْ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبَّ. وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدِّنِيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصِيبُ فِي الْجَنَّةِ صَبَغَةً، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطْ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شَدَّةً قَطْ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبَّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسًا قَطْ، وَلَا رَأَيْتُ شَدَّةً^(٥) قَطْ».

(١) المستند ٣/٢٢٤ (١٣٣٤٣). وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٩/٥)، من طريق إسماعيل بن عياش عن عمارة بن غزية أنه سمع حميد بن عبيد مولىبني المعلى عن ثابت عن أنس، فذكره. وهذا سند لا يصح لأن إسماعيل بن عياش إذا روى عن غير أهل بلده اضطرب حفظه. وأيضاً حميد بن عبيد فيه جهالة. انظر مجمع الزوائد (١٠/٣٨٥).

وقد روى الحديث ابن وهب عن ابن لهيعة ويحيى بن أيوب كلاهما عن عمارة بن غزية عن حميد، قال: سمعت أنس بن مالك، فذكره بمثله. كذا أخرجه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (٤٠٨)، ولا أدرى أسقط من المطبوعة (ثابت) أم هكذا وقعت له. وحميد هذا لعله ابن عبيد المتقدم فهو مجهول. والله أعلم بالصواب.

(٢) ف: «لَا أَرَى».

(٣) في صفات المنافقين، باب صبغ أَنْعَمَ أَهْلَ الدِّنِيَا فِي النَّارِ... (٢٨٠٧).

(٤) «أَهْلَ الدِّنِيَا مِنْ» ساقط من لـ.

(٥) لـ: «مَا رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطْ وَلَا مَرَّ بِي شَدَّةً».

وفي المسند^(١) من حديث البراء بن عازب، قال: خرجنا مع

النبي^(٢) ﷺ [١/١٢] في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر، ولما
يُلْحَدُ، فجلس النبي^(٣) ﷺ، وجلسنا حوله، كأنّ على رؤوسنا الطير، وفي
يده عود ينگُثُ به في الأرض، فرفع رأسه، فقال: «استعذوا بالله من
عذاب القبر» مرتين أو ثلاثة. ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا كان^(٤) في
انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء يُضْنِ
الوجوه، كأنّ وجههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحَنوط من
حنوط الجنة^(٥)، حتى يجلسوا منه مَدَّ البصر. ثم يجيء^(٦) ملك الموت
حتى يجلس عند رأسه، فيقول: اخرجني أيتها النفس المطمئنة، اخرجني
إلى مغفرة من الله ورضوان. فتخرج تسيل كما تسيل قطرة من في السقاء^(٧)،

(١) ٢٨٧ / ٤ (١٨٥٣٤). وأخرجه أبو داود (٤٧٥٣، ٣٢١٢) وهناد في الزهد
(٢٣٩) والطبراني في التهذيب (٧٨، ٧٢١، ٧٢٠) والحاكم (٩٢ / ١) (١٠٧)
والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٢١، ٢٠) وغيرهم، من طرق عن الأعمش عن
المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب فذكره.

ورواه عمرو بن قيس عن منهال بن عمرو به أخرجه ابن ماجه (١٥٤٩). ورواه
عيسى بن المسيب عن عدي بن ثابت عن البراء. أخرجه الطبراني في التهذيب (مسند
عمر - ٧٢٣). والحديث صصحه جماعة منهم أبو عوانة وابن خزيمة وابن منه
والحاكم والبيهقي، وحسنه المنذري، وصححه المؤلف. انظر الروح (ص ٩١).

(٢) ف، ل، خا: «رسول الله».

(٣) انظر الحاشية السابقة.

(٤) س: «إذا كان العبد المؤمن».

(٥) ف: «وحنوط من الجنة».

(٦) ز: «يخرج».

(٧) ل: «من السقاء».

فِيأخذها . إِذَا أَخذها لَم يَدعُوهَا فِي يَدِه طَرْفَة عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا ، فِي جَعْلُوهَا^(١) فِي ذَلِكَ الْكَفْن ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنْوَط ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطِيبِ نَفْحَةٍ مُسِكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْض . فَيَصْعُدُونَ بِهَا ، فَلَا يَمْرُونَ بِهَا عَلَى مَلَأِ مِنَ الْمَلَائِكَة إِلَّا قَالُوا : مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ^(٢)؟ فَيَقُولُونَ : فَلَان^(٣) بْنَ فَلَان ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يَسْمَونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى يَتَهَوَّبَ بِهِ^(٤) إِلَى السَّمَاوَاتِ الدُّنْيَا^(٥) فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ ، فَيَفْتَحُ لَهُ ، فَيَشِيعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقْرَبًا إِلَيْهَا إِلَى السَّمَاوَاتِ الَّتِي تَلِيهَا ، حَتَّى يَتَهَوَّبَ بِهِ^(٦) إِلَى السَّمَاوَاتِ السَّابِعَةِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : اكْتُبُوا كِتَابًا عَبْدِيِّ فِي عَلَيْنِ ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَإِنَّمَا مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ ، وَفِيهَا أَعْيَدْتُهُمْ ، وَمِنْهَا أَخْرَجْتُهُمْ تَارَةً أُخْرَى» .

قال : «فَتَعَادُ رُوحَهُ ، فَيَأْتِيهِ مَلْكَان ، فَيَجْلِسَانَهُ ، فَيَقُولُانَ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ : رَبِّي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ^(٧) . فَيَقُولُانَ لَهُ : مَا دِينُك؟ فَيَقُولُ : دِينِي الإِسْلَام^(٨) . فَيَقُولُانَ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَّ فِيْكُمْ؟ فَيَقُولُ : هُوَ رَسُولُ اللَّهِ . فَيَقُولُانَ لَهُ^(٩) : وَمَا عَلِمْتُك؟ فَيَقُولُ : قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ ، فَآمَنْتُ بِهِ^(١٠) ،

(١) فَ: «وَيَجْعَلُوهَا» .

(٢) فَ: «الْأَطِيبُ» .

(٣) فَ: «رُوحُ فَلَانُ» .

(٤) فَ: «الَّتِي كَانَ... دَارَ الدُّنْيَا حَتَّى يَتَهَوَّبُونَ بِهَا» .

(٥) زَ: «سَمَاوَاتِ الدُّنْيَا» .

(٦) فَ، زَ: «بِهَا» .

(٧) فَ: «اللَّهُ رَبِّي» .

(٨) فَ: «الْإِسْلَامُ دِينِي» .

(٩) «لَهُ» ساقطٌ مِنْ فَ.

(١٠) فَ: «وَآمَنْتُ» .

وصدّقت . فینادي منادٍ من السماء أن^(۱) صدق عبدي ، فأفرِشُوه من الجنة ، وألْبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة»^(۲) .

قال : «فيأتيه من روحها وطيبها ، وينسح له في قبره مَدَّ بصْرِه» .

قال : «ويأتيه رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول : أبشر [۱۲/ب] بالذي يسرك ، هذا يومك الذي كنت تُوعَد . فيقول له : من أنت ؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير . فيقول : أنا عملك الصالح . فيقول : رب أقم الساعة ، رب أقم الساعة^(۳) ، حتى أرجع إلى أهلي ومالي» .

قال : «وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه ، معهم المُسوح^(۴) ، فيجلسون منه مدّ البصر ، ثم يجيء ملك الموت ، حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الخبيثة ، اخرجي^(۵) إلى سخط من الله وغضب» .

قال : «فتَفَرَّقَ في جسده ، فينتزعها كما يُنْتَزَع السَّفُودُ^(۶) من الصوف المبتل ، فيأخذها^(۷) . فإذا أخذها^(۸) لم يدعوها في يده طرفة عين حتى

(۱) «أن» لم ترد في س.

(۲) ز : «إلى السماء» .

(۳) تكررت الجملة في س ثلاث مرات .

(۴) جمع مسْح ، وهو كساء غليظ من الشعر .

(۵) ف : «فيقول : اخرجي أيتها النفس الخبيثة إلى ...» .

(۶) السَّفُود : الحديدة التي يشوى بها اللحم .

(۷) «فيأخذها» ساقط من ف .

(۸) «فإذا أخذها» ساقط من س .

يجعلوها في تلك المسوح . ويخرج منها كانتن ريح جيفة^(١) وُجِدَتْ على وجه الأرض . فيصعدون بها ، فلا يمرون بها^(٢) على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان^(٣) بن فلان ، بأقبع أسمائه التي كان يسمى^(٤) بها في الدنيا^(٥) ، فِيُسْتَفْتَحَ فَلَا يُفْتَحَ لَه ». ثم قرأ^(٦) رسول الله ﷺ : ﴿ لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَقَّ يَلْحَمُ فِي سَرَّ الْحَيَاطِ ﴾ [الأعراف / ٤٠] . «فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلی^(٧) . فُطِرَّ روحه طرحاً ». ثم قرأ : ﴿ وَمَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَكَانَ مِنَ الْحَرَمَنَاتِ فَتَخَطَّفَهُ الظَّيْرُ أَوْ تَهُوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَجِيقٍ ﴾ [الحج / ٣١] . «فتعاد روحه في جسده ، ويأتيه ملكان ، فيجلسانه ، فيقولان له : من ربک ؟ فيقول : هاه هاه لا أدری . فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدری . فيقولان له^(٨) : ما هذا الرجل الذي بُعِثَ فيكم ؟ فيقول : هاه هاه لا أدری . فينادي منادٍ من السماء أن كذبَ عبدي ، فأفرِسوه من النار ، وألبسوه من النار ، وافتحو له باباً إلى النار . فيأتيه من حرّها وسمومها ، ويُضيق عليه قبره ، حتى تختلف فيه أضلاعه . ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتן الريح ، فيقول : أبشر بالذي يسوءك ! هذا يومك الذي

(١) ف : «كانتن جيفة».

(٢) «بها» ساقط من ز.

(٣) ف : «روح فلان».

(٤) ز : «كانوا يسمونه».

(٥) زاد هنا بعضهم في حاشية ف : «حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا». وكذا في المسند (٥٠٢/٣٠).

(٦) ف : «تلًا».

(٧) «في الأرض السفلی» ساقط من ل.

(٨) «له» ساقط من ف.

كنت تُوعَدُ. فيقول: ومن أنت^(١)؟ فوجهك الوجه يجيء^(٢) بالشّرّ، فيقول: أنا عملك الخبيث. فيقول: [أ] رب لا تُقْمِ الساعَة».

وفي لفظ لأحمد أيضًا^(٣): «ثم يقيض له أعمى أصمّ أبكم، في يده مِرْزَبَةٌ^(٤)، لو ضرب بها جبلاً كان تراباً. فيضربه ضربةً، فيصير تراباً^(٥). ثم يعيده الله عز وجل كما كان، فيضربه ضربةً أخرى، فيصبح صيحةً^(٦)

(١) س، ف: «فيقول: من أنت».

(٢) ف: «فوجهك الذي يجيء».

(٣) المسند ٤/٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ (١٨٦١٤). وأخرجه عبدالرزاق في المصنف ٣/٣ - ٥٨٠ - ٥٨٢ (٦٧٣٧) والطبرى في تهذيب الآثار (مسند عمر - ٧٢٢ والحاكم ١/٩٧ - ٩٨ (١١٤)، من طريق يونس بن خباب عن المنهاج بن عمرو عن زاذان عن البراء فذكره. قلت: يونس ضعيف الحديث، ولكنه لم يتفرد بها. فرواه جرير بن عبد الحميد عن الأعمش عن المنهاج عن زاذان عن البراء فذكر نحوه. أخرجه أبو داود (٤٧٥٣) والطبرى في التهذيب (٧١٨) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٢١). قلت: وأصحاب الأعمش كأبي معاوية وغيره لم يذكروا تلك اللفظة (ثم يقيض...). ورواه عمرو بن ثابت عن المنهاج عن زاذان عن البراء فذكر نحوه. أخرجه الطيالسي في مسنده (٧٨٩) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٢٠). قلت: وعمرو بن ثابت ضعيف، وأخشى أن يكون أخذه عن يونس بن خباب لأنهما رافضيان. قال أبو داود: «عمرو بن ثابت وإسرائيل - يعني الملائكة - ويونس بن خباب ليس في حديثهم نكارة إلا أن يonus بن خباب زاد في حديث القبر: وعلى ولّي». انظر تهذيب الكمال (٥٥٨/٢١).

(٤) المرزبة: المطرقة الكبيرة التي تكون للحداد، ويقال لها أيضًا: «الإرببة». اللسان (رجب).

(٥) «فيضربه... تراباً» ساقط من لـ.

(٦) لـ: «صيحة واحدة».

يسمعها كُلُّ شيءٍ إِلَّا الثقلَيْنِ». قال البراء: «ثُمَّ يفتحُ لَه بَابٌ إِلَى النَّارِ، وَيُمَهَّدُ لَه مِنْ فُرُشِ النَّارِ»^(١).

وفي المسند أيضًا^(٢) عنه، قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ، إذ بَصَرْ بِجَمَاعَةٍ، فَقَالَ: عَلَامَ اجْتَمَعَ هُؤُلَاءِ؟ قَيْلَ: عَلَى قَبْرِ يَحْفَرُونَهُ. فَفَزَعَ رَسُولُ اللهِ^(٣) ﷺ، فَبَدَرَ بَيْنَ يَدِي أَصْحَابِهِ مُسْرِعًا حَتَّى اتَّهَى إِلَى الْقَبْرِ، فَجَثَا عَلَى رَكْبَتِيهِ، فَاسْتَقْبَلَتُهُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ لَأَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ. فَبَكَى حَتَّى بَلَّ الشَّرِى من دموعه، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «أَيُّ إِخْوَانِي، لَمْثِلِ هَذَا الْيَوْمِ فَأَعِدُّوَا».

(١) س، ف: «فرش من النار».

(٢) ٤/٢٩٤ (١٨٦٠). وأخرجه ابن ماجه (٤١٩٥) والبخاري في تاريخه الكبير (١/٢٢٩) وغيرهم، من طريق عبدالله بن واقد عن محمد بن مالك عن البراء بن عازب فذكره.

قلت: عبدالله بن واقد هو أبو رجاء الخراساني. قال ابن عدي: «ولعبدالله بن واقد هذا غير ما ذكرت، وليس بالكثير. وهو مظلوم الحديث، ولم أمر للمتقدمين فيه كلامًا فأذكره». قلت: قال أحمد وابن معين وأبو داود في رواية: ثقة. وقال ابن معين - في رواية - وأبو داود وأبو زرعة والنسيائي: ليس به بأس. انظر الكامل (٤/٢٥٥) وتهذيب الكمال (١٦ - ٢٥٥). وأيضاً محمد بن مالك هو أبو المغيرة الجوزجاني مولى البراء بن عازب. قال فيه أبو حاتم الرازبي: لا بأس به. وذكره ابن حبان في الثقات وقال: «لم يسمع من البراء بن عازب شيئاً». وذكره أيضاً في المجرودين (٢/٢٥٩) وقال: «يخطيء كثيراً، لا يجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد لسلوكه غير مسلك الثقات في الأخبار». وقال ابن حجر: «صدق يخطيء كثيراً». انظر: تهذيب الكامل (٢٦/٣٥١).

(٣) ف: «فزع النبي».

وفي المسند^(١) من حديث بريدة، قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ يوماً^(٢)، فنادى ثلاث مرات: «يا أيها الناس، تدرؤن ما مئكى ومئكُم؟» فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال: «إنما مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدواً يأتיהם، فبعثوا رجلاً يتراءى لهم، فأبصر العدو، فأقبل لينذرهم، وخشي أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه، فأهلوا بشوبه: أيها الناس أُتيتُم، أيها الناس أُتيتُم؛ ثلاث مرات».

وفي صحيح مسلم^(٣) من حديث جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ ما أَسْكَرَ^(٤) حرام، وإنَّ عَلَى اللهِ عزَّ وجلَّ عَقْدًا^(٥) لمن شربَ^(٦) المسكرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ». قيل: وما طينة الْخَبَال؟ قال: «عرَقُ أهل النار، أو عصارة أهل النار».

(١) ٣٤٨ / ٥ (٢٢٩٤٨). وأخرجه الرامهرمي في أمثال الحديث (٧) وأبو الشيخ الأصبهاني في الأمثال (٢٥٣) من طريق بشير بن المهاجر الغنوبي عن عبدالله بن بريدة عن أبيه فذكره.

قلت: فيه بشير بن المهاجر. قال فيه الإمام أحمد: «منكر الحديث، قد اعتبرت أحاديثه فإذا هو يجيء بالعجب». ووثقه ابن معين. وقال النسائي: «ليس به بأس». وقال مرة: «ليس بالقوى». وقال أبو حاتم: «يكتب حديثه ولا يحتاج به». وقال ابن عدي: «ول بشير بن مهاجر أحاديث غير ماذكرت عن ابن بريدة وغيره. وقد روی ما لا يتابع عليه، وهو من يكتب حديثه، وإن كان فيه بعض الضعف». انظر: الكامل (٢١ / ٢) وتهذيب الكمال (٤ / ١٧٧).

(٢) «يوماً» ساقط من س.

(٣) كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر حمر... (٢٠٠٢).

(٤) في س: «كل مسكر». وفي حاشيتها: «خ ما أَسْكَرَ».

(٥) س: «عهداً». وكان في ف: «عقدًا»، فغير إلى «عهداً».

(٦) س: «يشرب».

وفي المسند^(١) أيضاً من حديث أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعَ مَا لَا تَسْمَعُونَ». أَطْتَ السَّمَاءَ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَعِظَّ! مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعُ أَصَابِعٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ. لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لِضَحْكِكُمْ قَلِيلًا، وَلِبَكِيرَتِكُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشِ، وَلِخَرْجَتُمْ إِلَى الصُّبُّدَاتِ^(٢) تَجَأَرُونَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». قال أبو ذر: والله لَوْدَدْتُ أَنِّي شَجَرَةٌ تُعَضَّدُ^(٤)!

وفي المسند^(٥) أيضاً من حديث حذيفة، قال: كَنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

(١) ١٧٣ / ٥٢١٥١٦. وأخرجه الترمذى (٢٣١٢) وابن ماجه (٤١٩٠) والحاكم ٥٥٤ / ٢ ٣٨٨٣) والبزار في مسنده (٣٩٢٥، ٣٩٢٤) وغيرهم، من طريق إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن مورق عن أبي ذر، فذكره.

قال الترمذى: «حسن غريب». وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وقال البزار: «وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن أبي ذر إلا من هذا الوجه، ولا نعلم له طريقة غير هذا الطريق، ولا نعلم روى مجاهد عن مورق عن أبي ذر إلا هذين الحديثين، وأحسب أن هذا الكلام الأخير من قول أبي ذر، أعني: لَوْدَدْتُ أَنِّي شَجَرَةٌ تُعَضَّدُ».

قلت: هذا سند ضعيف، مورق لم يسمع من أبي ذر. قاله أبو زرعة والدارقطنى. وأيضاً إبراهيم بن مهاجر فيه ضعف وقد تفرد بالحديث.

انظر: المراسيل لابن أبي حاتم (٨١٧) وعلل الدارقطنى (٦/٢٦٤).

(٢) ف: «وَإِنِّي أَسْمَعُ».

(٣) هي الطرقات. النهاية (٣/٢٩).

(٤) أي تقطع.

(٥) ٤٠٧ / ٥٤٥٧). وأخرجه تمام في فوائد الروض البسام - ٥١٨) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (١١٢) وابن الجوزي في الموضوعات (٤٠٦ / ٢) من طريق محمد بن جابر عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن حذيفة فذكره. قال ابن =

في جنازة، فلما [١٣/ب] انتهينا إلى القبر قعد على شأفتة، فجعل يردد بصره فيه، ثم قال: «يُضْغَطُ الْمُؤْمِنُ فِيهِ ضَغْطَةً تَزُولُ مِنْهَا حَمَائِلُهُ، وَيُمْلَأُ عَلَى الْكَافِرِ نَارًا». والحمائل: عروق الأنثيين^(١).

وفي المسند^(٢) أيضاً من حديث جابر، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ حين توفي، فلما صلّى عليه رسول الله ﷺ، ووضع في قبره، وسوئي عليه، سبّح رسول الله ﷺ، فسبّحنا طويلاً، ثم كبر، فكبّرنا. فقيل: يا رسول الله، لم سبّحت ثم كبرت؟ فقال: «لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره، حتى فرج الله عنه».

الجوزي: «هذا حديث لا يصح. قال يحيى: محمد بن جابر ليس بشيء. وقال أحمد: لا يحدث عنه إلا من هو شرّ منه». وقال ابن رجب الحنبلي: «محمد بن جابر هو الإمامي ضعيف. وأبو البختري لم يدرك حذيفة». وضعفه كذلك الحافظ العراقي وابن حجر والهيثمي. راجع الروض البسام (١٢٥/٢).

(١) نقله الهروي عن الأزهربي في الغريبين (٤٥٧/٢). وزاد في النهاية (٤٤٢/١): ويحتمل أن يراد به موضع حمائل السيف، أي عواتقه وصدره وأضلاعه».

(٢) ٣٦٠ (١٤٨٧٣). وأخرجه الطبراني ١٣/٦ (٥٣٤٦) والبخاري في تاريخه (١٤٨/١) مختصراً، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (١١٠) وغيرهم من طريق محمد بن إسحاق حدثني معاذ بن رفاعة عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح عن جابر فذكره. وقد خولف ابن إسحاق. خالفة ابن الهداد فرواه عن معاذ عن جابر. أخرجه البخاري في تاريخه (١٤٨/١) معلقاً.

قلت: معاذ بن رفاعة فيه ضعف يسير، فقد قال ابن معين: ضعيف. وقال أبو داود: ليس به بأس.

ومحمد أو محمود بن عبد الرحمن لم يرو عنه غير معاذ بن رفاعة. لكن قال أبو زرعة: «أنصاري مديني ثقة». انظر: الجرح والتعديل (٣١٦/٧) وتهذيب الكمال (١٢٢/٢٨).

وفي صحيح البخاري^(١) من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وُضِعت الجنازة، واحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدّموني، قدّموني؛ وإن كانت غير صالحة قالت: يا ولّا! أين تذهبون بها؟ يسمع صوتها كلّ شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصَعَقَ».

وفي مسند الإمام^(٢) أحمد^(٣) من حديث أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «تدنو الشمس يوم القيمة على قدر ميل، ويُزداد في حرّها كذا وكذا. تغلي منها الرؤوس^(٤)، كما تغلي القدور. يعرّقون فيها^(٥) على قدر خطاياهم، منهم من يبلغ إلى كعبية، ومنهم من يبلغ إلى ساقيه، ومنهم من يبلغ إلى وسطه، ومنهم من يُلْجِمُه العرق».

وفيه^(٦) عن ابن عباس^(٧)، عن النبي ﷺ قال: «كيف أنعم،

(١) في كتاب الجنائز، باب حمل الرجال الجنازة دون النساء (١٣١٤) وغيره.

(٢) لم يرد «الإمام» في لـ.

(٣) ٢٥٤ / ٢٢١٨٦. وأخرجه الطبراني في الكبير ٢٢٢ / ٨ (٧٧٧٩)، من طريق معاوية بن صالح عن القاسم بن عبد الرحمن الدمشقي عن أبي أمامة فذكره. والقاسم وثقه غير واحد، لكن تكلم في روايته عن أبي أمامة. والحديث ثبت عن المقداد بن الأسود عند مسلم في صحيحه (٢٨٦٤) لكن بدون جملة (ويزاد في حرّها كذا وكذا، فتغلي منها الرؤوس).

(٤) ف: «فتغلي...». وفي المطبوع من المسند والطبراني: «يغلي منها الهوام». ولعل الصواب: «الهوام» جمع هامة، أي الرؤوس، كما ورد هنا.

(٥) س: «منها».

(٦) «وفيه» ساقط من فـ.

(٧) ٣٢٦ / ٣٠٠٨. وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٦ / ٧٧ (٢٩٥٧٨) والطبراني =

وصاحب القرن قد التقم القرآن، وحَنَى جبهته يسمع متى يؤمر، فينفع؟
فقال أصحابه: كيف نقول؟ قال: «قولوا: حسبنا الله، ونعم الوكيل،
على الله توكلنا».

وفي المسند أيضًا^(١) عن ابن عمر يرفعه: «من تعظّم في نفسه، أو
اختال في مشيته، لقي الله تبارك وتعالى، وهو عليه غضبان».

(١٢٦٧٠) وغيرهما من طريق جماعة عن عطية العوفي عن ابن عباس مرفوعاً
فذكره. ورواه خالد الخفاف عن عطية العوفي عن زيد بن أرقم فذكره. أخرجه أحمد
(١٩٣٤٥) والطبراني (٥٠٧٢) وابن عدي في الكامل (١٩/٣). ورواه ابن عيينة عن
مطرف عن عطية عن أبي سعيد مرفوعاً فذكره. أخرجه أحمد (١١٠٣٩) والترمذى
(٣٢٤٣) وغيرهما. ورواه جرير بن عبد الحميد وإسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى التميمي
عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد فذكره. أخرجه ابن حبان (٨٢٣) وأبو يعلى
(١٠٨٤) والحاكم (٤/٦٠٣ - ٦٠٤) وغيرهم. قال الذهبي: «أبو يحيى واه».
قلت: وقد خولف جرير. فرواه الثوري عن الأعمش عن عطية العوفي عن أبي
سعيد فذكره. أخرجه أحمد (١١٦٩٦) وأبو نعيم في الحلية (٧/١٣٠ - ١٣١)
والبغوي في شرح السنة (٤٢٩٩) وغيرهم. قلت: هذا الطريق أصح. والحديث
المعروف عن عطية العوفي. فقد رواه خالد بن طهمان الخفاف (كما في أكثر الروايات)
وحجاج بن أرطاة وعمران البارقي وعمار الدهني وعمرو بن قيس ومالك بن مغول،
كلهم عن عطية عن أبي سعيد فذكره. قال ابن عدي بعد أن ذكر أوجه الاختلاف:
«ورواه جماعة كثيرة عن عطية عن أبي سعيد، وهذا أصحها». انظر: تحقيق المسند
(١٧/٩٠)، والكامل لابن عدي (٣/١٩). قلت: عطية العوفي ضعيف الحديث.
(١٢٨/١ ١١٨/٢ ٥٩٩٥). وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٤٩) والحاكم
(٢٠١) والمزي في تهذيب الكمال (٣٢/٥٣٩، ٥٤٠) وغيرهم، من طريق يونس بن
القاسم الحنفي عن عكرمة بن خالد قال: سمعت ابن عمر، فذكره. قال الحاكم:
«هذا حديث صحيح على شرط الشيفين ولم يخرجاه».

وفي الصحيحين^(١) عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمُصْوِرِينَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيِوْا مَا خَلَقْتُمْ».

وفيهما أيضًا^(٢) عنه عن النبي ﷺ [١٤/١١]: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا ماتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعُدُهُ بِالغَدَةِ وَالْعَشَيِّ. إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعُدُكَ حَتَّى يَبْعَثَنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وفيهما أيضًا^(٤) عنه عن النبي ﷺ: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ، جَيْءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يَوْقَفَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يَذْبَحُ، ثُمَّ يَنْادِي مَنَادِيًّا: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خَلُودٌ فَلَا مَوْتٌ؛ وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خَلُودٌ فَلَا مَوْتٌ. فَيُزِدَّادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرْحًا إِلَى فَرْحِهِمْ، وَيُزِدَّادُ أَهْلُ النَّارِ حَزْنًا إِلَى حَزْنِهِمْ».

وفي المسند^(٥) عنه قال: «من اشتري ثواباً بعشرة دراهم، فيها درهم

(١) أخرجه البخاري في البيوع، باب التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء (٢١٠٥)، وفي مواضع أخرى. وأخرجه مسلم في اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان... (٢١٠٨).

(٢) أخرجه البخاري في الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغدة والعشي (١٣٧٩)، وفي مواضع آخر. وأخرجه مسلم في كتاب الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار... (٢٨٦٦).

(٣) «إِنَّ الْمُصْوِرِينَ...» إلى هنا سقط من ز.

(٤) أخرجه البخاري في الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٦٥٤٨)، ومسلم في كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون... (٢٨٥٠).

(٥) ٩٨/٢ (٥٧٣٢). وأخرجه عبد بن حميد في المسند (الم منتخب - ٨٤٩) من طريق =

حرام، لم يقبل الله له صلاةً ما دام عليه». ثم أدخل إصبعيه في أذنيه، ثم قال: **صُمَّتَا إِنْ لَمْ أَكُنْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ** ﷺ يقوله.

وفيه^(١) عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ: «من ترك الصلاة سكرًا مرة واحدة، فكأنما كانت له الدنيا وما عليها، فسُلِّبَها». ومن ترك الصلاة سكرًا أربع مرات كان حَقًا على الله أن يسقيه من طينة الخبال». قيل: وما طينة الخبال يا رسول الله؟ قال: «عصارة أهل جهنم».

وفيه أيضًا^(٣) عنه^(٤) مرفوعًا: «من شرب الخمر^(٥) شربةً لم يقبل الله

هاشم عن ابن عمر، فذكره. وهاشم هذا هو الأوسع - كما جاء مصرحًا به في بعض الطرق - ضعيف جدًا. انظر لسان الميزان (٣١٥/٨) وقد وقع في الحديث اضطراب كثير. قال الخلال: قال أبو طالب: سألت أبا عبد الله (الإمام أحمد) عن هذا الحديث، فقال: «ليس بشيء، ليس له إسناد». والحديث ضعفه ابن حبان والبيهقي والذهبي وغيرهم. انظر: نصب الرأية (٢٥/٢)، وتحقيق المسند (٢٦-٢٥).

(١) ١٧٨/٢ (٦٦٥٩). وأخرجه الحاكم ١٦٢ (٧٢٣٣) والبيهقي (٢٨٧/٨) من طريق عمرو بن الحارث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده فذكره. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» قال الذهبي معقبًا عليه: «سمعه ابن وهب عنه، وهو غريب جدًا».

(٢) ل، ز: «عن رسول الله». وكذا في خا.

(٣) ١٧٦/٢ (٦٦٤٤). وأخرجه ابن ماجه (٣٣٧٧) وابن حبان في صحيحه (٥٣٥٧)، من طريق الأوزاعي عن ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن الدليلي قال: دخلت على عبد الله بن عمرو، فذكره مطولاً. وسنته صحيح. والحديث صححه ابن حبان.

(٤) «عنه» ساقط من ف.

(٥) زاد بعضهم في ف قبل الخمر: «من».

له صلاةً أربعين صباحاً . فإن تاب تاب الله عليه». فإن عاد لم يقبل^(١) له صلاةً أربعين صباحاً . فإن تاب تاب الله عليه^(٢) . فلا أدرى في الثالثة أو في الرابعة قال : «إن عاد كان حَقّاً على الله أن يسقيه من رُدْغةِ الْخَبَال^(٣) يوم القيمة».

وفي المسند^(٤) أيضاً^(٥) من حديث أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : «من مات مدمناً للخمر سقاهم الله من نهر الغوطة». قيل : وما نهر الغوطة؟ قال : «نهر يجري من فروج المومسات ، يؤذى أهل النار ريح فروجهن».

(١) ف : «لم يقبل».

(٢) «إن عاد...» إلى هنا لم يرد في لـ . وكذا في خـ .

(٣) الردغة : طين ووحل كثير . وجاء تفسيرها في الحديث أنها «عصارة أهل النار». النهاية (٢١٥/٢).

(٤) ٣٩٩/٤ (١٩٥٦٩) . وأخرجه ابن حبان (٥٣٤٦) والحاكم (٧٢٣٤) وأبو يعلى (٧٢٤٨) وغيرهم ، من طريق الفضيل بن ميسرة عن أبي حريز عن أبي بربة عن أبي موسى ، فذكره . قال الحاكم : «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». قلت : أبو حريز وثقه أبو زرعة ، وابن معين في رواية ابن أبي خيثمة . وضعفه ابن معين في رواية والنسيائي . وقال أبو داود : ليس حدبي بشيء . وقال الإمام أحمد : حدبي منكر . وسئل الإمام أحمد عنه ذكر أن يحيى - يعني ابن سعيد - كان يحمل عليه ، ولا أراه إلا كما قال . قال علي بن المديني : قال يحيى بن سعيد : قلت لفضل بن ميسرة : أحاديث أبي حريز؟ قال : سمعتها فذهب كتابي فأخذتها بعد من إنسان». وقال ابن عدي : «وعامة ما يرويه لا يتبعه عليه أحد». انظر الكامل لابن عدي (٤/١٥٨ - ١٦٨) ، وتهذيب الكمال (١٤/٤٢٠ - ٤٢٣) .

(٥) «أيضاً» ساقط من فـ .

وفيه عنه^(١) أيضاً^(٢) قال: قال رسول الله ﷺ: «تُعرض الناسُ يوم القيمة ثلاثة عَرَضاتٍ. فأما عرضستان فجداول ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فآخذ بيديه وآخذ بشماله»^(٣).

وفي المسند أيضاً^(٤) [١٤/ب] من حديث ابن مسعود أن رسول الله ﷺ

(١) ٤١٤ / ٤١٥ (١٩٧١). وأخرجه ابن ماجه (٤٢٧٧)، من طريق وكيع عن علي بن علي بن رفاعة عن الحسن عن أبي موسى فذكره. ورواه أبو كريب عن وكيع عن علي بن علي عن الحسن عن أبي هريرة فذكره. أخرجه الترمذى (٢٤٢٥) وقال: «ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة، وقد رواه بعضهم عن علي بن علي - وهو الرفاعي - عن الحسن عن أبي موسى عن النبي ﷺ». قال الدارقطنی في العلل (٢٥١/٧): «يرويه وكيع عن علي بن رفاعة عن الحسن عن أبي موسى عن النبي ﷺ مرفوعاً، وغيره يرويه موقوفاً، والموقوف هو الصحيح». قلت: علي بن علي الرفاعي في حفظه لين، قال الإمام أحمد: «لابأس به، إلا أنه رفع أحاديث». والحسن لم يسمع من أبي موسى الأشعري قاله ابن المديني. انظر: تهذيب الكمال (٢١/٧٢ - ٧٥) وجامع التحصيل (١٣٥).

(٢) ز: (وفيه أيضاً عنه). وقد سقط «عنه» من فاستدركه بعضهم في الحاشية.

(٣) ز: آخذ بيساره.

(٤) ٤٠٢ / ٤٠٣ - ٤٠٣ (٣٨١٨). وأخرجه الطيالسي في مسنده (٤٠٠) والطبراني ٢٦١ / ١٠ (١٠٥٠٠) وأبو الشيخ في الأمثال (٣١٩) وغيرهم، من طريق عمران القطان عن قتادة عن عبد ربه عن أبي عياض عن ابن مسعود فذكره. قلت: الحديث تفرد به عمران عن قتادة، وروايته فيها غرائب. وأيضاً عبد ربه فيه جهالة. ورواه سفيان بن عيينة ومحمد بن دينار عن إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن ابن مسعود، فذكره. أخرجه الحميدي في مسنده (٩٨) وأبو يعلى (٥١٢٢). قلت: إبراهيم ضعيف الحديث. ونقموا عليه رفعه أحاديث موقوفة، وهذا من روایة ابن عيينة عنه، وقد أصلح ابن عيينة له كتابه. قال الحافظ ابن حجر:

قال : «إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه». وضرب لهن^(١) رسول الله ﷺ مثلًا كمثل قوم نزلوا أرض فلأة، فحضر صنيع القوم^(٢) ، فجعل الرجل ينطلق، فيجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا سواداً، وأججوا ناراً، وأنضجوا ما قذفوا فيها».

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يضرب الجسر على جهنم، فأكون أول من يُجيز، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وحافيه كاللبيب مثل شوك السعدان، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم المويق^(٣) بعمله، ومنهم المخدرل^(٤) ثم ينجو، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أن يُخرج من الناس من أراد أن يرحم من كان يشهد أن لا إله إلا الله، أمر الملائكة أن يُخرجوهم، فيعرفونهم بعلامة آثار السجود. وحرّم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود، فيُخرجونهم، قد امتحنوا^(٥) ، فيُصبّ عليهم من ماء^(٦)»

القصة المتقدمة عن ابن عيينة تقتضي أن حديثه عنه صحيح، لأنَّه إنما عيب عليه رفعه أحاديث موقوفة، وابن عيينة ذكر أنه ميز حديث عبد الله من حديث النبي ﷺ.

انظر: تهذيب التهذيب (١١/٨٦ - ٨٧).

(١) ز: «لها».

(٢) يعني طعامهم. انظر: النهاية (٣/٥٦).

(٣) ز: «الموثق»، وهي رواية أخرى في الحديث عند مسلم.

(٤) من خردل اللحم: قطعه، وقيل: خردل بمعنى صدَع. ورواه بعضهم بالجيم أيضًا. انظر شرح النووي (٣/٢٦).

(٥) بفتح التاء والماء، أي احترقوا. انظر شرح النووي (٣/٢٧).

(٦) ف: «عليهم ماء» دون حرف الجر.

يقال له ماء الحياة، فينبتون نبات الحِجَّة^(١) في حَمْيل السَّيْل^(٢).

وفي صحيح مسلم^(٣) عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أول الناس^(٤) يُقضى فيه يوم القيمة ثلاثة: رجلٌ استُشهدَ، فأتَى به، فعرَّفَه نعمَّه، فعرفَها، فقال: ما عملْتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى قُتلتُ. قال: كذبَتَ، ولكن قاتلتَ ليقال: هو جريء، فقد قيل. ثم أمر به، فسُحبَ على وجهه حتى ألقى في النار. ورجلٌ تعلمَ العلمَ وعلمه، وقرأ القرآن؛ فأتَى به، فعرَّفَه نعمَّه، فعرفَها. فقال: ما عملْتَ فيها؟ قال: تعلمتَ فيكَ العلمَ وعلّمته، وقرأتَ فيكَ^(٥) القرآن. فقال: كذبَتَ، ولكنك تعلّمتَ ليقال: هو عالم^(٦)؛ وقرأتَ القرآن ليقال^(٧): هو قاريء، فقد قيل. ثم أمر^(٨) به، فسُحبَ على وجهه حتى ألقى في النار. ورجلٌ وسَعَ الله عليه رزقَه، وأعطاه من أصناف المال كُلَّه، فأتَى به، فعرَّفَه نعمَّه، فعرفَها، فقال: ما عملْتَ فيها؟ فقال^(٩): ما [١٥/أ] تركتُ من

(١) بكسر الحاء: بزر القول والعشب تنبت في البراري وجوانب السيول. النموي (٢٧/٣).

(٢) آخر جه البخاري في الرقاق، باب الصراط جسر جهنم (٦٥٧٣) ومواضع آخر. وسلم في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١٨٢).

(٣) كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار (١٩٠٥).

(٤) ف: «أول من».

(٥) «فيك» ساقط من ل.

(٦) كذا في س، وصحيح مسلم. وفي النسخ الأخرى هنا أيضًا: «فقد قيل».

(٧) ز: «وقرأتَ ليقال».

(٨) ف: «فأمر».

(٩) ف: «قال».

سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت، ولكنك^(١) فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل^(٢). ثم أمر به، فسحب على وجهه حتى ألقى في النار».

وفي لفظ: «فهؤلاء أول خلق الله تسعّر بهم النار يوم القيمة»^(٣).

وسمعتُ شيخ الإسلام^(٤) يقول: كما أن خير الناس الأنبياء، فشرّ الناس من تشبه بهم من الكاذبين^(٥)، وادعى أنه منهم، وليس منهم^(٦). فخير الناس بعدهم العلماء والشهداء والمتصدقون المخلصون، فشرّ الناس^(٧) من تشبه بهم، يوهم أنه منهم، وليس منهم.

وفي صحيح البخاري^(٨) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «من كانت عنده لأخيه مظلمة في مال أو عرض فليأتِه، فليستحلّها منه»^(٩) قبل أن يؤخذ، وليس عنده دينار ولا درهم، فإن كانت له حسنات أخذَ من حسناته، فأعطيها هذا؛ وإلا أخذَ من سيئات هذا، فطُرحت عليه، ثم

(١) س: «ولكن».

(٢) ف: «وقد قيل».

(٣) أخرجه الترمذى في أبواب الزهد، باب ما جاء في الرياء والسمعة. تحفة الأحوذى (٤٦/٧).

(٤) زاد بعضهم في خب: «ابن تيمية»، فدخلت هذه الزيادة في المتن في بعض المطبوعات.

(٥) ف: «الكافر».

(٦) «وليس منهم» ساقط من س. وانظر في معنى هذا الكلام: العقيدة الأصفهانية (١٢١).

(٧) ل: «وشر الناس».

(٨) كتاب المظالم، باب من كانت له مظلمة... (٢٤٤٩).

(٩) «منه» ساقط من ف. وفي س: «منه قبل أن يؤخذ منه».

طُرَحَ فِي النَّارِ».

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ^(١): «من أخذ شبراً من الأرض بغير حقه خُسِفَ به يوم القيمة إلى سبع أرضين»^(٢).

وفي الصحيحين^(٣) عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ناركم هذه التي يُوقد بنو آدم جزء واحد من سبعين جزءاً من نار جهنم» قالوا: والله إن كانت لكافية. قال: «فإنها قد فُضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرّها».

وفي المسند^(٤) عن معاذ قال: أوصاني رسول الله ﷺ، فقال: «لا تشرك بالله شيئاً، وإن قُتلت وحرقت. ولا تتعنّ والديك، وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك. ولا تترکن صلاة مكتوبة متعمداً، فإن من ترك

(١) ل، ز: «عنه ﷺ». وزاد في ف: «قال».

(٢) بهذا اللفظ أخرجه البخاري من حديث ابن عمر في المظالم، باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض (٢٤٥٤)، وفي بدء الخلق (٣١٩٦). أما حديث أبي هريرة، فأخرجه مسلم في المسافة، باب تحريم الظلم وغضب الأرض وغيرها (١٦١١) بلفظ «طوقه الله إلى سبع أرضين».

(٣) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب صفة النار (٣٢٦٥)، ومسلم في كتاب الجنة، باب شدة حر نار جهنم... (٢٨٤٣).

(٤) ٢٣٨ / ٢٢٠٧٥ من طريق صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي عن معاذ فذكره.

قال المنذري: «... وإن سند أحمد صحيح لو سلم من الانقطاع، فإن عبد الرحمن بن جبير بن نفير لم يسمع من معاذ». راجع تحقيق المسند (٣٩٣ / ٣٦).

صلوة مكتوبة متعمّدًا فقد برئت منه ذمةُ الله . ولا تشربَنَ^(١) خمراً ، فإنه رأس كل فاحشة . وإياك والمعصية ، فإن المعصية تُحلُّ سخطَ الله ».

والأحاديث في هذا الباب أضعافٌ أضعافٍ ما ذكرنا ، فلا ينبغي لمن نصح نفسه أن يتعمّى عنها ، ويرسل نفسه في المعاشي ، ويتعلّق بحبل الرجاء وحسن الظن .

قال أبو الوفاء بن عقيل : [١٥/ب] احذرْه ولا تغترّ^(٢) ، فإنّه قطع اليد في ثلاثة دراهم^(٣) ، وجلد الحدّ في مثل رأس الإبرة من الخمر^(٤) ، وقد دخلت امرأةُ النارَ في هرّة^(٥) ، واشتعلت^(٦) الشملة نارًا على من غلّها وقد

(١) ز : «ولا تشرب» .

(٢) س : «احذر...». وفي ل : «احذروا ولا تغتروا» وأشار إلى هذه النسخة في حاشية س أيضًا .

(٣) يشير إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قطع في مجنّ ثمنه ثلاثة دراهم . أخرجه البخاري في الحدود ، باب قول الله تعالى : «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطِعُوا أَيْدِيهِمَا» وفي كم يقطع (٦٧٩٨ - ٦٧٩٥) . ومسلم في الحدود ، باب حد السرقة (١٦٨٦) .

(٤) لعله على سبيل المبالغة ، والمقصود قليل الخمر . وقد تقدّم في ص ٦٢ حديث «كل ما أسكر حرام» . وقد أخرج أصحاب السنن من حديث جابر بن عبد الله : «ما أسكر كثيرة ، فقليله حرام» . انظر مثلاً سنن أبي داود ، كتاب الأشربة ، باب النهي عن المسكر (٣٦٨١) .

(٥) يشير إلى حديث ابن عمر ، الذي أخرجه البخاري في المسافة ، باب فضل سقي الماء (٢٣٦٥) ومسلم في السلام ، باب تحريم قتل الهرة (٢٢٤٢) .

(٦) ل ، ز : «أشعل» .

قتل شهيداً^(١).

وقال الإمام أحمد^(٢): حدثنا أبو معاوية^(٣)، حدثنا الأعمش، عن سليمان بن ميسرة، عن طارق بن شهاب يرفعه قال: «دخل رجل الجنة في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب». قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال مرّ رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً. فقالوا لأحدهما: قرّب، فقال^(٤): ليس عندي شيء. قالوا له^(٥): قرّب ولو ذباباً. فقرّب ذباباً، فخلوا سبيله، فدخل النار. وقالوا للآخر: قرّب، فقال: ما كنتُ لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل، فضرموا عنقه، فدخل الجنة».

وهذه الكلمة الواحدة يتكلّم بها العبد يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب^(٦).

(١) يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في المغازى، باب غزوة خيبر (٤٢٣٤)، ومسلم في الإيمان، باب غلظ تحريم الغلول (١١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في الزهد (٨٤). وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١٢٠٣) من طريق الأعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب عن سلمان فذكره. قال أبو نعيم: «ورواه شعبة عن قيس بن مسلم عن طارق مثله. ورواه جرير عن منصور عن المنهاج بن عمرو عن حيان بن مرثد عن سلمان نحوه». وسنته صحيح.

(٣) س: «حدثنا معاوية»، خطأ.

(٤) س، ف: «قال».

(٥) «له» من س، ف.

(٦) يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في الرفاق، باب حفظ اللسان (٦٤٧٧) ومسلم في الزهد، باب التكلم بالكلمة... (٢٩٨٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وربما اتكل بعض المغترّين على ما يرى من نعم الله عليه في الدنيا، وأنه لا يغيّر به^(١)، ويظنّ أنّ ذلك^(٢) من محبة الله له، وأنه يعطيه في الآخرة أفضل من ذلك. وهذا من الغرور.

قال الإمام أحمد^(٣): حدثنا يحيى بن غيلان، حدثنا رشدين بن سعد^(٤)، عن حرملة بن عمران^(٥) التجبيي، عن عقبة بن مسلم، عن عقبة بن عامر، عن النبي ﷺ قال: «إذا رأيتَ الله عز وجل يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحبّ، فإنما هو استدرج». ثم تلا قوله عز وجل: «فَلَمَّا نَسُوا مَا ذَكَرْنَا بِهِ، فَتَحَنَّا عَلَيْهِمْ أَتَوَبَ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُتُوهُ أَخَذَنَاهُمْ بَعْتَدَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ» [الأنعام / ٤٤].

(١) ف: «عليه فيما يغتر به». وقد وقع في غيرها جميّعاً: «لا يغتر به»، ولعله تصحيف صوابه ما ثبّتنا وكذا في ط المدني. وصواب ما جاء في ف: «فما يغيّر به». وفي ط محمود فائد: « وأنه يعتنّ به» فحذف «لا» وغيّر «يعتّر». وفي ط أبي السمح: « وأنه يغتر به».

(٢) كذا في س، خب. وفي ز: «ذلك أنه». وفي غيرها: «ويظن ذلك من».

(٣) في المسند ٤/١٤٥ (١٧٣١١) والzed (٦٢). وأخرجه الطبراني في تفسيره (١٩٥/٧) والدولابي في الكنى والأسماء (١١١/١) والطبراني في الأوسط (٩٢٧٢) وغيرهم من طريق حرملة بن عمران عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر، فذكره. قال الطبراني: «لا يروى هذا الحديث عن عقبة بن عامر إلا بهذا الإسناد. تفرد به حرملة بن يحيى».

ورواه ابن وهب ثنا حرملة وابن لهيعة عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر، فذكره. أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٢٩٠ - ١٢٩١ (٧٢٨٨). وهذا يدل على ثبوت هذا الحديث. راجع تحقيق المسند (٥٤٧/٢٨). والحديث حسنه العراقي في تخريج الإحياء.

(٤) تحرف «رشدين» في ل إلى «رشد» وفي س إلى «رشيد».

(٥) س: «عثمان»، تحريف.

وقال بعض السلف: إذا رأيت الله يتابع نعمه عليك^(١)، وأنت مقيم على معاصيه، فاحذره؛ فإنما هو استدراج^(٢) يستدرجك به^(٣).

وقد قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالْرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فَضَّلَةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ٢٣ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُّرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ٢٤ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَعَ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ٢٥ ﴾ [الزخرف/ ٣٣ - ٣٥].

وقد رد سبحانه على من يظن هذا [١/١٦] الظن بقوله: ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَنُ إِذَا مَا أَبْتَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَمَهُ فَيَقُولُ رَبِّيْ أَكْرَمَنِي ١٧ وَأَمَّا إِذَا مَا أَبْتَلَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَيَقُولُ رَبِّيْ أَهْنَنِي ١٨ كَلَّا ١٩ ﴾ [الفجر/ ١٥ - ١٧] أي: ليس كل من نعمته ووسعت عليه رزقه أكون قد أكرمه، ولا كل من ابتليه وضيقه عليه رزقه أكون قد أهنته. بل أبتلي هذا بالنعمة، وأكرم هذا بالابلاء.

وفي جامع الترمذى^(٤) عنه عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ يَعْطِي الدُّنْيَا مَن يُحِبُّ وَمَن

(١) ز: «تابع عليك نعمه».

(٢) زاد في لـ: «منه». وكذا في خـ.

(٣) من قول أبي حازم الأعرج. أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر (٣١) وأبو نعيم في الحلية (٣/٢٤٤) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٤/٢٢) وغيرهم (ز).

وقد ذكره المؤلف في كتاب الروح (٥٤٥) أيضاً (ص).

(٤) لم أقف عليه في المطبوع. والحديث أخرجه أحمد ١/٣٨٧(٣٦٧٢) والبخاري في تاريخه (٤/٣١٣) والشاشي في مسنده (٨٧٧) مختصرًا، والحاكم ٤٨٥/٢ (٣٦٧١) والبزار في مسنده (٢٠٢٦) وغيرهم، من طريق أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد عن مرة الهمданى عن ابن مسعود، فذكره. قال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ولم يتعقبه الذهبي. وقال البزار: «...» والصباح بن محمد فليس بمشهور، وإنما ذكرناه على ما فيه من العلة لأنها لم

لَا يُحِبُّ، وَلَا يَعْطِي الإِيمَانَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ».

وَقَالَ بَعْضُ السَّلْفِ: رَبٌّ مُسْتَدْرَجٌ بِنَعْمِ اللَّهِ^(١) عَلَيْهِ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ
وَرَبٌّ مَغْرُورٌ بِسَتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ^(٢). وَرَبٌّ مُفْتُونٌ بِشَنَاءِ النَّاسِ
عَلَيْهِ^(٣)، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ.

فصل

وَأَعْظَمُ الْخَلْقِ غَرُورًا مِنْ اغْتَرَّ بِالدُّنْيَا وَعَاجَلَهَا، فَآثَرُهَا^(٤) عَلَى
الْآخِرَةِ، وَرَضِيَّ بِهَا مِنَ الْآخِرَةِ^(٥)، حَتَّى يَقُولُ بَعْضُ هُؤُلَاءِ: الدُّنْيَا نَقْدٌ،
وَالْآخِرَةُ نَسِيَّةٌ، وَالنَّقْدُ أَنْفَعُ مِنَ النَّسِيَّةِ!

وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: ذَرَّةٌ مَنْقُودَةٌ، وَلَا ذُرَّةٌ مَوْعِدَةٌ!

وَيَقُولُ آخَرُ مِنْهُمْ: لَذَاتُ الدُّنْيَا مَتِيقَّنَةٌ، وَلَذَاتُ الْآخِرَةِ مُشْكُوكَةٌ

نَحْفَظُ كَلَامَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ بِهَذَا الْإِسْنَادِ...».

قَلْتَ: الصَّبَاحُ بْنُ مُحَمَّدٍ ضَعِيفُ الْحَدِيثِ.

وَرَوَاهُ الثُّوْرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ عَنْ زَيْدٍ عَنْ مَرْبُوْثَةِ عَنْ أَبِي مُسْعُودٍ، فَذَكَرَهُ
مُوقِفًا. أَخْرَجَهُ أَبْنُ الْمَبَارِكِ فِي الزَّهْدِ (١١٣٤) وَالْطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ (٨٩٩٠)
وَغَيْرُهُمَا. وَرَجَحَ المَوْقُوفُ الْعَقِيلِيُّ وَالْدَّارِقَطَنِيُّ وَالْذَّهَبِيُّ. اَنْظُرْ: الْضَّعِفاءُ
(٢/٢١٣) وَعَلَلُ الدَّارِقَطَنِيِّ (٥/٢٦٩ - ٢٧١) وَالْمِيزَانُ (٣/٤٢٠).

(١) فَ: «بِنَعْمَةِ اللَّهِ».

(٢) «وَرَبٌّ مَغْرُورٌ...» إِلَى هُنَا ساقِطٌ مِنْ ل.

(٣) «عَلَيْهِ» ساقِطٌ مِنْ ف. وَقَدْ ضَمَّنَ الْمُؤْلِفُ هَذَا الْأَثْرَ كَلَامًا لَهُ فِي مَدَارِجِ السَّالِكِينَ
(١/١٧٢). (ص). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي الزَّهْدِ (١٦٠٦) عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ بِمَعْنَاهُ.
وَسَنَدُهُ صَحِيحٌ (ز).

(٤) فَ: «وَآثَرُهَا».

(٥) «وَرَضِيَّ بِهَا مِنَ الْآخِرَةِ» ساقِطٌ مِنْ س، كَمَا سَقَطَ «مِنَ الْآخِرَةِ» مِنْ ل.

فيها، ولا أدع اليقين للشك^(١)!

وهذا من أعظم تلبيس الشيطان وتسوبله. والبهائم العُجم أعقل من هؤلاء، فإن البهيمة إذا خافت مضرَّةً شيء لم تُقدم عليه، ولو ضرِبَتْ؛ وهؤلاء يُقدِّم أحدهم على عطبه، وهو بين مصدق ومكذب. فهذا الضرب إن آمن أحدهم بالله ورسوله^(٢) ولقاءه والجزاء، فهو من أعظم الناس^(٣) حسرةً، لأنَّه أقدم على علم. وإن لم يؤمِّن بالله ورسوله^(٤)، فأبِعدْ له!

وقول هذا القائل: «النقد خير من النسيئة»، فجوابه^(٥) آله إذا تساوى النقد والنسيئة، فالنقد خير. وإن تفاوتا وكانت النسيئة أكثر^(٦) وأفضل، فهي خير. فكيف والدنيا كلَّها^(٧) من أولها إلى آخرها كنفس واحد من أنفاس الآخرة! كما في مسنَد الإمام أحمد والترمذى^(٨) من حديث المستورِد بن شداد قال: قال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يدخلُ أحدكم إصبعه في اليم، فلينظرُ بم ترجع»^(٩).

(١) ف: «بالشك».

(٢) س: «رسله».

(٣) ز: « فهو أعظم الناس».

(٤) س: «رسله».

(٥) ف: «جوابه».

(٦) ف: «أكبر».

(٧) «كلها» ساقط من لـ.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٨٥٨) وأحمد ٢٢٩/٤ (١٨٠٠٨). والترمذى (٢٣٢٢) ولفظ مسلم: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم».

(٩) ف، ز: «يرجع».

فإيثار هذا النقد على هذه النسبيّة من أعظم الغبن وأقبح الجهل .
 وإذا^(١) كان هذا نسبـة الدنيا بمجموعها إلى الآخرة ، [١٦/ب] فـما مقدار عمر الإنسان بالنسبة إلى الآخرة ؟ فأيـما أولـى بالـعـاقـل : إـيثـار العـاجـل في هـذـه المـدـة الـيـسـيرـة وـحرـمـانـ الخـير الدـائـمـ فيـ الـآخـرـة ، أم تـرـكـ شيءـ حـقـيرـ صـغـيرـ^(٢) مـنـقـطـعـ عنـ قـرـبـ لـيـأـخـذـ ماـ لـاـقـيمـ لهـ^(٣) ، وـلـاـ خـطـرـ لهـ^(٤) ، وـلـاـ نهايةـ لـعـدـدـهـ ، وـلـاـ غـاـيـةـ لـأـمـدـهـ .

وأما قول الآخر : «لا تـرـكـ متـيقـنـا لـمـشـكـوكـ^(٥) فيهـ» ، فيـقالـ لهـ : إـماـ أنـ تكونـ عـلـىـ شـكـ منـ وـعـدـ اللهـ وـوـعـيـدـهـ وـصـدـقـ رسـلـهـ ، أوـ تكونـ عـلـىـ يـقـينـ منـ ذـلـكـ . فـإـنـ كـنـتـ عـلـىـ يـقـينـ ، فـمـاـ تـرـكـتـ إـلـاـ ذـرـةـ عـاجـلـةـ مـنـقـطـعـةـ فـانـيـةـ عـنـ قـرـبـ ، لـأـمـرـ مـتـيقـنـ لـاشـكـ فـيـهـ وـلـاـ انـقـطـاعـ لـهـ .

وـإـنـ كـنـتـ عـلـىـ شـكـ ، فـرـاجـعـ آـيـاتـ الرـبـ تـعـالـىـ الدـالـلـةـ عـلـىـ وـجـودـهـ وـقـدـرـتـهـ وـمـشـيـتـهـ وـوـحـدـانـيـتـهـ ، وـصـدـقـ رـسـلـهـ فـيـمـاـ أـخـبـرـواـ بـهـ^(٦) .

(١) سـ : «إـذاـ». زـ : «وـإـنـ» .

(٢) فـ، زـ : «صـغـيرـ حـقـيرـ» .

(٣) أيـ لاـ يـقـدـرـ ثـمـنـهـ مـنـ عـزـتـهـ وـنـفـاسـتـهـ وـعـظـمـ قـدـرـهـ .

(٤) أيـ لـاعـوضـ عـنـهـ وـلـاـ نـظـيرـ لـهـ ، كـمـاجـاءـ فـيـ حـدـيـثـ أـسـامـةـ بـنـ زـيـدـ : «أـلـاـ مـشـمـرـ لـلـجـنـةـ ، فـإـنـ الـجـنـةـ لـاـ خـطـرـ لـهـ» روـاهـ اـبـنـ مـاجـهـ فـيـ كـتـابـ الزـهـدـ (٤٣٣٢) . وـقـالـ المـصـنـفـ فـيـ زـادـ المـعـادـ (٤/٢٧٣) : «فـلـاـ تـبـعـ لـذـةـ الـأـبـدـ الـتـيـ لـاـ خـطـرـ لـهـ بـلـذـةـ سـاعـةـ تـنـقـلـبـ آـلـامـاـ» . وـقـالـ فـيـ المـدارـجـ (٣/٢٨٥) : «الـحـيـاةـ الدـائـمـةـ الـبـاقـيـةـ الـتـيـ لـاـ خـطـرـ لـهـ مـنـ هـذـهـ الـحـيـاةـ الـزـائـلـةـ الـفـانـيـةـ الـتـيـ لـاـ قـيمـةـ لـهـ» . وـلـكـنـ جـعـلـ «لـاـ قـيمـةـ لـهـ» هـنـاـ لـلـشـيـءـ الـحـقـيرـ .

(٥) فـ : «بـمـشـكـوكـ» .

(٦) سـ ، فـ : «عـنـ اللهـ» .

وتجرّدٌ، وقُمْ لله ناظرًا أو مناظرًا، حتى يتبيّن لك أنّ ما جاءت به الرسال عن الله فهو الحق الذي لا شك فيه، وأنّ خالق هذا العالم ورب السموات والأرض يتعالى ويقدّس ويتنزّه عن خلاف ما أخبرت به رسّله عنه. ومن نسبة إلى غير ذلك فقد شتمه، وكذبه، وأنكر ربوبيته وملكه. إذ من المحال الممتنع عند كل ذي فطرة سليمة أن يكون الملك الحق عاجزاً أو جاهلاً، لا يعلم شيئاً، ولا يسمع^(١)، ولا يبصر، ولا يتكلّم، ولا يأمر ولا ينهى، ولا يثيب ولا يعاقب، ولا يعزّ من يشاء ولا يذل^(٢) من يشاء، ولا يرسل رسّله إلى أطراف مملكته ونواحيها، ولا يعتني بأحوال رعيته، بل يتركهم سدىًّا، ويخليهم هملاً.

وهذا يقدح في ملك آحاد ملوك البشر ولا يليق به، فكيف يجوز نسبة الملك الحق المبين إليه؟

وإذا تأمل الإنسان حاله من مبدأ كونه^(٣) نطفة إلى حين كماله واستواه^(٤)، تبيّن له أنّ^(٥) منعني به هذه العناية^(٦)، ونقله إلى هذه الأحوال، وصرفه في هذه الأطوار، لا يليق به أن يهمله ويتركه سدىًّا، لا يأمره ولا ينهاه، ولا يعرف حقوقه عليه، ولا يثبّه ولا يعاقبه.

ولو تأمل العبد حق التأمل لكان كلّ ما يبصره وما لا يبصره دليلاً له

(١) ز: «أو لا يسمع».

(٢) س، ز: «ويذل».

(٣) ف: «بدء كونه». ز: «مبدأ حال كونه».

(٤) ز: «كماله واصطفائه».

(٥) ز: «آته».

(٦) ل: «عني لهذه الغاية».

على التوحيد والنبوة والمعاد وأن القرآن كلامه. وقد ذكرنا وجه الاستدلال بذلك في [١/١٧] كتاب «أيمان القرآن»^(١) عند قوله: ﴿فَلَا أُقِسِّمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴾٣٨﴿ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾٣٩﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولِكَرِيمٍ ﴾٤٠﴾ [الحافة/ ٣٨ - ٤٠].

وذكرنا^(٢) طرفاً من ذلك عند قوله: ﴿وَقَرَأْنَا أَنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولِكَرِيمٍ ﴾١١﴾ [الذاريات/ ٢١]، وأنّ الإنسان دليل لنفسه^(٣) على وجود حالقه، وتوحيده، وصدق رسالته، وإثبات صفات كماله^(٤).

فقد باع أنّ المضيّع مغدور على التقديررين: تقدير تصديقه ويقينه، وتقدير تكذيبه وشكّه^(٥).

فإن قلت: كيف يجتمع التصديق الجازم الذي لا شك فيه بالمعاد والجنة والنار، ويتخلف العمل^(٦)? وهل في الطابع البشرية أن يعلم العبد أنه مطلوب غداً إلى بين يدي بعض الملوك^(٧) ليعاقبه أشدّ عقوبة، أو يكرمه أتمّ كرامة؟ وبيت^(٨) ساهياً غافلاً، لا يتذكر^(٩)

(١) وهو المطبوع بعنوان «التبیان فی أقسام القرآن». انظر ص ١٠٩.

(٢) ف: «وقد ذكرنا».

(٣) ل: «دليل نفسه»، وكذا في خا.

(٤) التبیان فی أقسام القرآن (١٩٠).

(٥) ز: «تكذيبه رسالته»، تحريف.

(٦) كذا في النسخ كلها. وفي حاشية س: «تخلّف»، وفوقه: «ظ خ»، يعني أن الظاهر «تخلّف» كما في نسخة أخرى، ليكون معطوفاً على «التصديق»، ولا شك أن وجه الكلام كما قال صاحب الحاشية. ومقصود المؤلف ظاهر.

(٧) ف: «ملك».

(٨) ل: «يثبت»، تصحيف.

(٩) ل: «يذكر»، وكذا في خا.

موقفه^(١) بين يدي الملك، ولا يستعدّ له، ولا يأخذ له أهبهته^(٢)؟

قيل: هذا - لعمر الله - سؤال صحيح وارد على أكثر هذا الخلق.
وأجتمع هذين الأمرين من أعجب الأشياء.

وهذا التخلف له عدة أسباب:

أحدها: ضعف العلم ونقصان اليقين. ومن ظن أن العلم لا يتفاوت، فقوله من أفسد الأقوال وأبطلها. وقد سأله إبراهيم الخليل ربَّه أن يُرِيه إحياء الموتى عيَّاناً، بعد علمه بقدرة الرب على ذلك، ليزداد طمأنينةً، ويصير المعلوم غيَّراً^(٣) شهادةً.

وقد روى أحمد في مسنده^(٤) عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس الخبر كالمعاينة»^(٥).

(١) س: «وقفه».

(٢) ف، ز: «أهبة».

(٣) ل، ز: «عياناً»، تصحيف.

(٤) ٢٧١، ٢١٥ / ٢٤٤٧، ١٨٤٢ (٢٤٠٢). وأخرجه ابن حبان (٦٢١٣) والحاكم ٣٢٥٠ (٣٢٥٠) وأبو الشيخ في الأمثال (٥) وغيرهم من طريق هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، فذكره. قال يحيى بن حسان: «هشيم لم يسمع حدث أبي بشر عن سعيد عن ابن عباس: ليس الخبر كالمعاينة، وإنما دلّسه». وقال ابن عدي: «ويقال: إن هذا لم يسمعه هشيم من أبي بشر، إنما سمعه من أبي عوانة عن أبي بشر فدلّسه». انظر: الكامل لابن عدي (١٣٦/٧).

وأخرجه ابن حبان (٦٢١٤) والحاكم ٤١٢ / ٢ (٣٤٣٥) وغيرهما، عن أبي عوانة عن أبي بشر به بمثله. والحدث صححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي.

(٥) كذا في ف. وفي النسخ الأخرى: «ليس الخبر كالمعاين». (ص) ورد هذا اللفظ من حديث أنس بن مالك عند ابن عدي في الكامل (٦/٢٩١) والخطيب =

فإذا اجتمع إلى ضعف العلم عدم استحضاره وغَيْبُتُه عن القلب في كثير من أوقاته أو أكثرها، لاشغاله بما يصاده؛ وانضم إلى ذلك تقاضي الطبع، وغلَباتُ الهوى، واستيلاءُ الشهوة، وتسويفُ النفس، وغرورُ الشيطان، واستبطاءُ الوعد، وطولُ الأمل، ورقدةُ الغفلة، وحبُ العاجلة، ورُخْصُ التأويل، وإلْفُ العوائد = فهناك لا يمسك الإيمان إلا الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا.

ولهذا السبب^(١) يتفاوت الناس في الإيمان حتى ينتهي إلى أدنى أدنى^(٢) مثقال ذرة في القلب^(٣).

وِجْمَاعُ هذه الأسباب يرجع^(٤) إلى ضعف البصيرة والصبر^(٥). ولهذا مدح الله سبحانه أهل الصبر^(٦) واليقين، [١٧ / ب] وجعلهم أئمة الدين، فقال تعالى : « وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِمَا رَأَيْنَا مَاصَرِّبُوا وَكَانُوا بِعَيْنِنَا يُؤْقِنُونَ » [السجدة / ٢٤].

= في تاريخ بغداد (٤١٨ / ٣). وهو حديث منكر، من منكريات محمد بن مرزوق الباهلي. قال ابن عدي : « لم أر لابن مرزوق هذا أنكر من هذين الحديثين - أي هذا، وأخر في الصيام - وهو لين، وأبوه محمد بن مرزوق ثقة ». وانظر : تهذيب الكمال (١٦ / ٣٨٠). (ز).

(١) س : « وبهذا السبب ».

(٢) كلمة « أدنى » وردت في فمرة واحدة.

(٣) « الناس ... ذرة في » ساقط من ل. وكذا من خا.

(٤) ز : « ترجع ». ل : « وجمع ... ترجع ».

(٥) ف : « التصبر ». وفي س : « البصر »، خطأ.

(٦) ل : « ولهذا سبحانه مدح أهل البصيرة ». و « البصيرة » خطأ.

فصل

فقد تبين^(١) الفرق بين حسن الظن والغرور، وأنّ حسن الظن إن حمل على العمل، وحثّ عليه، وساق إليه، فهو صحيح. وإن دعا إلى البطالة والانهماك في المعا�ي، فهو غرور.

وحسن الظن هو الرجاء. فمن كان رجاؤه حادياً^(٢) له على الطاعة، زاجراً له عن المعصية، فهو رجاء صحيح. ومن كانت بطالتة رجاء، ورجاؤه بطالةً وتغريطاً، فهو المغدور.

ولو أن رجلاً له أرض يؤمّل أن يعود عليه من مغلّها ما ينفعه فأهملها، ولم يبذرها، ولم يحرثها، وأحسن ظنه بأنه يأتي من مغلّها ما يأتي من حرث^(٣)، وبذر، وسقى، وتعاهد الأرض، لعدّه الناس من أسفه السفهاء.

وكذلك لو حسّن ظنه وقوّى رجاءه^(٤) بأن يجيئه ولد من غير جماع، أو يصير أعلمَ أهل زمانه^(٥) من غير طلب للعلم^(٦) وحرص تامٌ عليه، وأمثال ذلك.

(١) ل: «قد تبين».

(٢) س، ز: «جادباً»، تصحيف.

(٣) ف: «من غير حرث»، وهو وجه جيد. والغريب أن ناسخ ل ضبط «من» بفتح الميم، و«حرث» بتنوين الكسرة.

(٤) ضبط في ف، ل: «حسّن» بالشدة. و«رجاؤه» فيهما وفي غيرهما بالواو. ونحوه فيما يأتي.

(٥) س: «أعلم زمانه».

(٦) «للعلم» من ل، وكذا في خا. وفي غيرهما: «العلم».

فكذلك^(١) من حسّن ظنه وقوى رجاءه في الفوز بالدرجات العلي والنعم المقيم، من غير طاعة ولا تقرب إلى الله تعالى^(٢) بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. وبالله التوفيق.

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ﴾ [آل عمران/٢١٨].

فتأمل كيف جعل رجاءهم إتيانهم بهذه الطاعات! وقال المغترون^(٣): إن المفرطين المضيّعين لحقوق الله^(٤)، المعطلين لأوامره، الباغين على عباده، المتجرّئين على محارمه = أولئك يرجون رحمة الله!

وسرّ المسألة أن الرجاء وحسن الظن إنما يكون مع الإتيان بالأسباب التي اقتضتها حكمة الله في شرعيه، وقدره، وثوابه وكرامته؛ ف يأتي العبد بها، ثم يحسن^(٥) ظنه بربه، ويرجوه أن لا يكله إليها، وأن يجعلها موصلةً إلى ما ينفعه، ويصرف ما يعارضها، ويبطل أثرها.

فصل

ومما ينبغي أن يعلم أنّ من رجا شيئاً استلزم رجاؤه أموراً:
أحدها: محبة ما يرجوه.

الثاني: خوفه من فواته.

(١) ف، ل: «وكذلك».

(٢) ف، ز: «من غير تقرب إلى الله».

(٣) ف: «المغترون».

(٤) ل: «حقوق الله».

(٥) ز: «ويحسن».

الثالث : [١٨/أ] سعيه في تحصيله بحسب الإمكان .

وأما رجاء لا يقارنه^(١) شيء من ذلك ، فهو من باب الأماني ! والرجاء شيء ، والأمانى شيء آخر . فكل راجٍ خائف ، والسائل على الطريق إذا خاف أسرعَ السيرَ مخافةَ الفوات .

وفي جامع الترمذى^(٢) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله

(١) ز : «لا يقاربه». س : «لا يقابلها».

(٢) برقم (٢٤٥٠). وأخرجه البخاري في تاريخه (١١١/٢) وعبد بن حميد (الم منتخب - ١٤٦٠) والقضاءعي في مسند الشهاب (٤٠٦) والحاكم (٣٤٣/٤) وغيرهم ، من طريق يزيد بن سنان الراهاوى عن بكير بن فيروز عن أبي هريرة ، فذكره . قال الترمذى : «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر». وقال الحاكم : «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». قلت : يزيد بن سنان هذا ضعيف الحفظ يخطيء كثيراً . انظر : تهذيب الكمال (٣٢/١٥٦ - ١٥٩).

وورد من حديث أبي بن كعب عند الحاكم (٣٤٣/٤) (٧٨٥٢) من طريق عبدالله بن الوليد العدنى عن الثورى عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن الطفيلي بن أبي بن كعب عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : «من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل . ألا إن سلعة الله غالبة ، ألا إن سلعة الله الجنة . جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه» .

وقد خولف عبدالله بن الوليد في لفظه ، فرواه وكيع وقبصة وسعيد بن سلام العطار وعمرو بن محمد العنقيزي كلهم عن الثورى به بلفظ «جاءت الراجفة ...» ولم يذكروا جملة «من خاف ... الجنة» . أخرجه أحمد (٢١٢٤١) والترمذى (٢٤٥٧) وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (١٤) والبيهقي في الشعب (١٠٠٩٥) وغيرهم .

تنبيه : وقع عند أبي نعيم (٣٧٧/٨) والبيهقي في الشعب (١٠٠٩٣) من طريق أحمد بن محمد بن عمر وأبي عبدالله الصفار عن ابن أبي الدنيا عن =

وَيَقُولُ اللَّهُ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ. أَلَا إِنَّ سَلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سَلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ».

وهو سبحانه كما جعل الرجاء لأهل الأعمال الصالحة، فكذلك جعل الخوف لأهل الأعمال^(١). فعلم أن الرجاء والخوف النافع هو ما اقترن^(٢) به العمل. قال الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ هُم مِنْ خَشِيَّةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ٥٧ وَالَّذِينَ هُم بِثَابَتِ رَبِّهِم يُؤْمِنُونَ ٥٨ وَالَّذِينَ هُوَ بِرَبِّهِم لَا يُشْرِكُونَ ٥٩ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجْهَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِم رَّجِعُونَ ٦٠ أَفَلَيْكَ يُسَرِّعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَيِّقُونَ ٦١» [المؤمنون / ٥٧ - ٦١].

= يحيى بن إسماعيل الواسطي عن وكيع عن الثوري به بمثل لفظ عبدالله بن الوليد العدني بزيادة جملة «من خاف أدلج...». ورواه أبو جعفر عبدالله بن إسماعيل الهاشمي عن ابن أبي الدنيا - في قصر الأمل (١١٦) - عن يحيى بن إسماعيل الواسطي عن وكيع به ولم يذكر جملة «من خاف أدلج...».

والصحيح عن وكيع: ما رواه الإمام أحمد بن حنبل وأبو كريب محمد بن العلاء وعبد الله بن هاشم العبدى وأبو معشر الحسين بن محمد وغيرهم، كلهم عن وكيع عن الثوري به بدون الجملة المذكورة. أخرجه أحمد (٢١٤١) والطبرى في تفسيره (٣٢/٣٠) وتمام في فوائده (الروض البسام - ١٣٦٤) ووكتاب في الزهد (٤٤).

قلت: يحيى بن إسحاق الواسطي لم أقف على توثيقه وكان صديقاً للإمام أحمد. وعليه فمتن (من خاف أدلج...) لا يثبت إسناده. والله أعلم. ولهذا قال

أبو نعيم: «غريب تفرد به وكيع عن الثوري بهذا اللفظ».

(١) لا البطاليين. وزاد في خب، ط: «الصالحة».

(٢) ل، ز: «اقترب»، تصحيف.

وقد روی الترمذی في جامعه^(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: سأّلْتُ رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقلت^(٢): أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَزِنُونَ وَيَسْرُقُونَ؟ فَقَالَ: «لَا يَا بَنْتَ الصَّدِيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيَصْلُوُنَ»^(٣) وَيَتَصَدَّقُونَ، وَيَخَافُونَ أَنْ لَا يُتَقْبَلَ مِنْهُمْ. أَوْلَئِكَ يَسْارِعُونَ فِي الْخِيرَاتِ».

وقد روی من حديث أبي هريرة أيضاً^(٤).

(١) برقم (٣١٧٥). وأخرجه ابن ماجه (٤١٩٨) وأحمد ١٥٩ / ٦ (٢٥٢٦٣) والطبرى (٢٦ / ١٨) والحاكم ٤٢٧ / ٢ (٣٤٨٦) وغيرهم، من طريق مالك بن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب عن عائشة فذكرته. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». قلت: هذا الإسناد ضعيف للإرسال، فإن عبد الرحمن بن سعيد لم يلق عائشة رضي الله عنها. قال ابن أبي حاتم: سأّلت أبي عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب لقي عائشة؟ قال: لا، هو كوفي، أبوه من أصحاب عبد الله بن مسعود...». انظر المراسيل (٤٥٦).

ورواه ليث بن أبي سليم واضطرب فيه كثيراً: فمرة يرويه عن مغيث عن رجل من أهل مكة عن عائشة. ومرة عن عمرة عن عائشة. ومرة عن العوام بن حوشب عن عائشة. ومرة عن رجل عن عائشة. انظر: تفسير الطبرى (٣٤ / ١٨) والوسط للواحدى (٣ / ٢٩٣) وأبو يعلى (٤٩١٧). وعليه لا يثبت سنته عن عائشة.

(٢) «فقلت» لم يرد في ف، ل.

(٣) «ويصلون» ساقط من ل.

(٤) أخرجه الطبرى (١٨ / ٣٣) والطبراني في الأوسط (٣٩٦٥) من طريق الحكم بن بشير عن عمرو بن قيس الملائى عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قالت عائشة: يا رسول الله ﷺ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا أَنْتَ وَقُلُوبُهُمْ وَجْلَهُ أَهُمُ الَّذِينَ يَخْطُؤُنَ وَيَعْمَلُونَ بِالْمُعَاصِي؟ فَقَالَ: «لَا يَا عَائِشَةً، هُمُ الَّذِينَ يَصْلُوُنَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَقُلُوبُهُمْ وَجْلَهُ». قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن عمرو بن قيس إلا الحكم بن بشير».

قلت: كلام الطبراني يدل على تفرد الحكم بهذا الحديث، وهو صدوق، =

والله سبحانه وصف أهل السعادة بالإحسان مع الخوف، ووصف الأشقياء بالإساءة مع الأمان. ومن تأمل أحوال الصحابة رضي الله عنهم وجدتهم في غاية العمل مع غاية الخوف. ونحن جمعنا بين التقصير - بل التفريط - والأمن !

فهذا الصديق يقول: «وددتْ أَنِّي شعرةٌ فِي جَنَبِ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ». ذكره أَحْمَدُ عَنْهُ^(١).

وذكر عنه أنه كان يمسك بلسانه ويقول: هذا أوردني الموارد!^(٢) وكان يبكي كثيراً، ويقول: ابكونا، فإن لم تبكوا فتباكوا^(٣). وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود من خشية الله عز وجل^(٤).

فيخشى من وهمه . وقد سئل الدارقطني عن هذا الحديث فقال: «... وغيره يرويه عن عبد الرحمن مرسلاً عن عائشة ، وهو المحفوظ». وهذا حكم على حديث أبي حازم عن أبي هريرة عن عائشة بأنه غير محفوظ ، وترجم حظ طريق مالك بن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد عن عائشة المتقدم عند الترمذى . انظر علل الدارقطني (١١/١٩٣).

(١) في الزهد (٥٥٩). وفي سنته ضعف.

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (٥٦١) من طريق الثوري عن زيد بن أسلم عن أبيه ، قال: رأيت أبا بكر رضي الله عنه آخذنا بلسانه ، فذكره . ورواه الإمام مالك وهشام بن سعد وابن عجلان وغيرهم عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر دخل على أبي بكر فذكره . أخرجه مالك في الموطأ (٢٨٢٥) وعبد الله بن أحمدر في زوائد الزهد (٥٧٩) وغيرهما . وسنته صحيح . انظر علل الدارقطني (١٠٩ / ١٦١) . ورواه قيس بن أبي حازم عن أبي بكر ، وهي رواية معلولة . انظر علل الإمام أحمد (٥٣١٩) .

(٣) أخرجه أحمد في الزهد (٥٥٨).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢/٢٦٤) وابن نصر في تعظيم قدر الصلاة (١٤٤) وغيرهما . مجاهد لم يدرك أبا بكر الصديق .

وأتي بطائر، فقلبه، ثم قال: ما صيدَ مِنْ صَيْدٍ وَلَا قُطِعَتْ مِنْ شَجَرَةٍ
إِلَّا بِمَا ضَيَّعْتَ مِنْ [١٨/ب] التَّسْبِيحِ^(١).

ولما احضر قال لعائشة: يا بنية، إني أصبحتُ من مال المسلمين هذه العباءة، وهذا الحِلَاب^(٢)، وهذا العبد، فأسرعي به إلى ابن الخطاب^(٣).

وقال: والله لو دِدتُّ إِنِّي كُنْتُ^(٤) هذه الشجرة، تؤكِّل وتُعَصِّد!^(٥)
وقال قتادة: بلغني أنَّ أباً بكر قال: وَدِدتُّ إِنِّي خَضْرَةٌ تَأْكِلُنِي
الدواب^(٦).

وهذا عمر بن الخطاب قرأ سورة الطور^(٧) حتى بلغ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَقْعٌ﴾ [الطور/٧]، فبكى^(٨)، واشتد بكاؤه، حتى مرض وعادوه^(٩).

(١) أخرجه أحمد في الزهد (٥٦٦).

(٢) الحِلَابُ والمِحْلِبُ: الإناء الذي يحلب فيه اللبن. النهاية (٤٢١/١).

(٣) أخرجه أحمد في الزهد (٥٦٧).

(٤) «كنت» ساقط من ل.

(٥) أخرجه أحمد في الزهد (٥٨٠).

(٦) أخرجه أحمد في الزهد (٥٨٢).

(٧) س: «سورة فيها الطور». وقد سقط «الطور» من ل.

(٨) ف، ز: «بكى».

(٩) لم أقف عليه. لكن أخرج ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (١٠٠) من طريق الشعبي قال: سمع عمر بن الخطاب رجلاً يقرأ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَقْعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ فجعل يبكي حتى اشتد بكاؤه، ثم خرّ يضطرب. فقيل له في ذلك، فقال: «دعوني فإني سمعت قسم حُقُّ من ربِّي». قلت: والشعبي لم يدرك عمر بن الخطاب. وفي الرواية نكارة، فلم يثبت عن الصحابة السقوط والصعق والغشى عند سماع القرآن، وإنما وقع هذا فيمن بعدهم بقلة وكثير في المتأخرین. وحال النبي ﷺ والصحابة أكمل وأفضل. وقد نبه على ذلكشيخ =

وقال لابنه وهو في الموت: ويحك ضع خدي على الأرض عساه أن يرحمني. ثم قال: ويل أمي^(١) إن لم يغفر لي^(٢)، ثلثاً، ثم قضى^(٣).

وكان يمر بالآية في ورده بالليل، فتخنقه^(٤)، فيبقى في البيت أيامًا^(٥) يعاد، يحسبونه مريضاً^(٦).

وكان في وجهه رضي الله عنه خطان أسودان من البكاء^(٧).

وقال له ابن عباس: مصر الله بك الأمصار، وفتح بك الفتوح، و فعل و فعل ، فقال: وددت أني أنجو، لا أجر ولا وزر^(٨).

وهذا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - كان إذا وقف على القبر يبكي

= الإسلام مراراً، انظر مثلاً: منهاج السنة (٣٥٦/٥)، مجموع الفتاوى (١١/١٢ - ١٣).

(١) ف: «ويل أبي»، ولعله تحريف.

(٢) ل: «إن لم يرحمني».

(٣) أخرجه أبو داود في الزهد (٤٦) وابن شبة في تاريخ المدينة (٣/٩١٨) من طريق جويرية عن نافع عن ابن عمر فذكر نحوه. وله طريق آخر. انظر علل الدارقطني (٩/٨ - ٩).

(٤) ف: «فتخنقه العبرة». وفي س: «تخفيه» بإهمال الحرفين الأولين.

(٥) س: «أياماً في البيت».

(٦) أخرجه أحمد في الزهد (٦٢٧) وأبو نعيم في الحلية (١/٥١). وفي سنته ضعف.

(٧) أخرجه أحمد في الزهد (٦٣٦) وأبو نعيم في الحلية (١/٥١) وغيرهما.

(٨) أخرجه أحمد في الزهد (٦٩٧) وأبو نعيم في الحلية (١/٥٢) وابن شبة في تاريخ المدينة (٣/٩١٥). وسنته صحيح.

حتى يبلّ لحيته^(١).

وقال : لو أني بين الجنة والنار ، لا أدرى إلى أيهما^(٢) يؤمر بي ،
لاخترتُ أن أكون رماداً ، قبل أن أعلم إلى أيهما أصير^(٣) .

وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبكاؤه وخوفه . وكان يشتند
خوفه من اثنين^(٤) : طول الأمل ، واتباع الهوى . قال : فأما طول الأمل
فيُسّيِّ الآخرة ، وأما اتباع الهوى فيصدّ عن الحق . ألا وإن الدنيا قد ولت
مدبرة ، والآخرة مقبلة ، ولكل واحدة منها^(٥) بنون ، فكونوا من أبناء
الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإنّ اليوم عمل ولا حساب ، وغداً
حساب ولا عمل^(٦) .

(١) أخرجه الترمذى (٢٣٠٨) وابن ماجه (٤٢٦٧) وأحمد ٦٣ / ١ - ٦٤ (٤٥٤)
والحاكم ٣٦٦ / ٤ - ٣٦٧ (٧٩٤٢) وأبو نعيم في الحلية (٦١ / ١) .

وزادوا جمِيعاً غير أبي نعيم : «فَقِيلَ لَهُ: تَذَكَّرُ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ وَلَا تَبْكِيُ، وَتَبْكِيُ
مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَسْلَامًا قَالَ: الْقَبْرُ أُولُو مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّ يَنْجَعَ مِنْهُ
فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجَعْ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَرُّ مِنْهُ . قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَسْلَامًا: «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ».

قال الترمذى : «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث هشام بن يوسف ». وقال الحاكم : «هذا حديث صحيح الإسناد لم يخرجاه» .

(٢) ل : «أيهمما». س : «أيتها». وكذا في الموضع التالي .

(٣) أخرجه أحمد في الزهد (٦٨٥) وأبو نعيم في الحلية (٦٠ / ١) .

(٤) ل ، ز : «اثنين» .

(٥) «منهما» من ز . وفي ل ، ز : «ولكل واحد» .

(٦) من قوله : «ارتحلت الدنيا مدبرة» إلى آخره أخرجه البخاري تعليقاً بصيغة الجزم
في كتاب الرقاق ، باب في الأمل وطوله (ص) . وأخرجه أحمد في الزهد
(٦٩٢) وأبو داود في الزهد (١١٣) وأبو نعيم في الحلية (٧٦ / ١) وغيرهم .
وفي مهاجر العامري ، يحتمل أنه ابن عميرة - ذكره ابن حبان في الثقات =

وهذا أبو الدرداء كان يقول : إن أشد ما أخاف على نفسي يوم القيمة
أن يقال لي : يا أبا الدرداء قد علمت ، فكيف عملت فيما علمت ؟^(١)

وكان يقول : لو تعلمن ما أنتم لاقون بعد الموت لما [١٩/أ] أكلتم
طعاماً على شهوة ، ولا شربتم شراباً على شهوة ، ولا دخلتم بيته^(٢)
تستظلّون فيه ، ولخرجتم إلى الصعيد ، تضربون صدوركم ، وت تكونون على
أنفسكم . ولو ددتْ أني شجرة تعصّد ثم تؤكّل^(٣) .

وكان عبد الله بن عباس أسفلاً عينيه مثل الشراك البالي من
الدموع^(٤) .

وكان أبو ذر يقول : ياليتني كنتُ شجرة تعصّد ، ووددتْ أني لم
أخلق^(٥) .

وُعرضت عليه النفقه فقال : عندنا عَنْزٌ^(٦) نحلبها ، وأحمرَّة ننقل
عليها ، ومحرّرٌ يخدمنا ، وفضل عباءة . وإنّي أخاف الحساب

= (٤٢٨/٥) - أو ابن شماس ، وهو ثقة . انظر الجرح والتعديل (٢٦١/٨) .

(١) أخرجه أحمد في الزهد (٧٣٠) وأبو نعيم في الحلية (٢١٣/١) .

(٢) لـ «بيتها» .

(٣) أخرجه أحمد في الزهد (٧٣٠) وأبو نعيم في الحلية (٢١٣/١) .

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد (٧٨٣) وابن أبي عاصم في الأحاديث المثنوي
(٣٨٩) وابن أبي شيبة في المصنف (٧/٣٥٥٢٢) وأبو نعيم في الحلية (٣٢٩/١) .
وسنده حسن .

(٥) أخرجه أحمد في الزهد (٧٨٧) وفي سنده انقطاع . وأخرجه أبو نعيم في الحلية
(١/١٦٤) نحوه بأطول منه ، وسنده صحيح ، إن سمع عبدالرحمن بن أبي ليلى من
أبي ذر .

(٦) سـ : «عنزة» .

فيها^(١).

وقرأ تميم الداري ليلة سورة الجاثية، فلما أتى على هذه الآية «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْتَرُهُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْعَلُهُمْ كَمَا لَدِينَ إِمَانُهُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» [الجاثية/ ٢١] جعل يرددتها ويبكي حتى أصبح^(٢).

وقال أبو عبيدة بن الجراح: وددت أنني كبس، فذبحني أهلي، وأكلوا الحمي، وحسوا مرقي^(٣).
وهذا باب يطول تتبّعه.

قال البخاري في صحيحه^(٤): «باب خوف المؤمن من أن يحيط عمله وهو لا يشعر. وقال إبراهيم التيمي: ما عرضتُ قولي على عملي إلا خشيتُ أن أكون مكذبًا^(٥). وقال ابن أبي مليكة: أدركتُ ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلُّهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد^(٦) يقول

(١) أخرجه أحمد في الزهد (٧٨٦) وأبو نعيم في الحلية (١٦٣/ ١). وفيه أبو شعبة البكري، لم أقف عليه.

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٣١) ووكيع في الزهد (١٥٠) وأبو داود في الزهد (٣٩٤) وغيرهم من طريق مسروق قال: قال لي رجل من أهل مكة: هذا مقام أخيك تميم الداري، قام ليلة حتى أصبح - أو كرب أن يصبح - بأية من القرآن يرددتها، يبكي فيركع بها ويسجد. ثم ذكر الآية. وسنده صحيح إلى مسروق.

(٣) أخرجه أحمد في الزهد (١٠٢٥) قتادة لم يدرك أبا عبيدة.

(٤) في كتاب الإيمان، باب رقم ٣٦.

(٥) أخرجه البخاري في تاريخه (٣٣٥/ ١) وأحمد في الزهد (٢٢١٥) وغيرهما.

وسنده صحيح.

(٦) ف: «من أحد».

إنه على إيمان جبريل وميكائيل^(١). ويذكر عن الحسن: ما خافه إلا مؤمن، ولا أمنه إلا منافق»^(٢).

وكان عمر بن الخطاب يقول لحذيفة: أنسدك الله، هل سُمّاني لك رسول الله ﷺ؟ يعني في المنافقين فيقول: لا، ولا أزكي بعده أحداً^(٣).

فسمعتُ شيخنا رحمه الله^(٤) يقول: ليس مراده أئمّة لا أئمّة غيرك من النفاق، بل المراد: لا أفتح على هذا الباب، فكلّ من سألهني: هل سُمّاني لك رسول الله ﷺ؟ [١٩/ب] فأزكيه.

قلت: و قريب من هذا قول النبي ﷺ للذي سأله أن يدعوه له أن يكون من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب: «سبّلك بها عكاشة»^(٥). ولم يُرد أنّ عكاشة وحده أحقّ بذلك من عدّاه من

(١) أخرجه البخاري في تاريخه (١٣٧/٥) وابن أبي حيّمة في تاريخه (٦٥١). وسنته حسن. انظر فتح الباري لابن رجب (١٧٩/١١) وتغليق التعليق (٥٢/٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في الإيمان (فتح الباري لابن رجب /١٨٠/١) والفریابی في المنافقین (٨٧). قال ابن رجب: فهذا مشهور عن الحسن، صحيح عنه.

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٢/٣) وقال: «رواہ البزار ورجاله ثقات». وقال ابن حجر: إسناده صحيح. انظر مختصر زوائد البزار (٥٩٠) وانظر تفسير الطبری (شاکر: ٤٤٣/١٤).

(٤) يعني شیخ الإسلام ابن تیمیة. وفي س: «رضی الله عنه». وفي ل، ز: «شيخنا يقول».

(٥) أخرجه البخاري في الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب (٦٥٤٢)، ومسلم في الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (٢١٦) من حديث أبي هريرة.

الصحابة. ولكن لو دعا له^(١) لقام^(٢) آخر وآخر، وانفتح الباب، وربما قام من لم يستحق أن يكون منهم. فكان الإمساك أولى، والله أعلم.

فصل

فلنرجع إلى ما كنا فيه من ذكر دواء الداء الذي إن استمرّ أفسد دنيا العبد وأخرته.

فممّا ينبغي أن يعلم أنّ الذنوب تضرّ ولا بدّ، وأنّ ضررها في القلوب كضرر السموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر. وهل في الدنيا والآخرة شرّ وداء^(٣) إلا وسببه الذنوب والمعاصي؟

فما الذي أخرج الأبوين من الجنة دار اللذة والنعيم^(٤) والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟

وما الذي أخرج إبليس من ملکوت السماء، وطرده ولعنه، ومسخ ظاهره وباطنه^(٥)، فجعل صورته^(٦) أقبح صورة وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته وأشنع؟ وبدل بالقرب بعدها، وبالرحمة لعنه، وبالجمال قبحاً، وبالجنة ناراً تلظى، وبالإيمان كفراً، وبموالاة الولي الحميد أعظم

(١) «له» ساقط من ف.

(٢) س: «لقام إليه».

(٣) «داء» لم يرد في ل، ز. وفي ز: «شرور»، ولعله تحريف ناتج من الخلط بين الكلمتين.

(٤) ز: «النعم واللذة».

(٥) س: «باطنه وظاهره».

(٦) ف: « يجعل صورته».

عداوةٍ ومشاقّةٍ، ويزجَّل التسبّيح والتقدّيس والتهليل زَجَّل الكفر والشرك^(١) والكذب والزور والفحش، ويلباس الإيمان لباسَ الكفر والفسق والعصيان. فهان على الله غَايَةُ الْهُوَانِ، وسقط من عينه غَايَةُ السقوط، وحلَّ عليه غضْبُ الرب تعاليٰ فأهواه، ومقتَهُ أَكْبَر المقت فَأَرْدَاه^(٢). فصار قوّاداً لكل فاسق و مجرم رضي لنفسه بِالقيادة، بعد تلك العبادة والسيادة^(٣). فعِيَاداً بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ مُخَالَفَةٍ^(٤) أمرك [٢٠/١]. وارتکاب نھیک .

وَمَا الَّذِي غَرَّقَ أَهْلَ الْأَرْضَ كُلَّهُمْ حَتَّىٰ عَلَى الْمَاءِ فَوْقَ رُؤُسِ الْجِبَالِ؟

وَمَا الَّذِي سَلَّطَ الرِّيحَ الْعَقِيمَ^(٥) عَلَى قَوْمٍ عَادَ حَتَّىٰ أَفْتَاهُمْ مَوْتًا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، كَأَنَّهُمْ أَعْجَازٌ نَخْلٌ خَاوِيَّةٌ، وَدَمَرَتْ مَا مَرَّتْ^(٦) عَلَيْهِ مِنْ دِيَارِهِمْ وَحَرَثَهُمْ وَزَرَعَهُمْ^(٧) وَدَوَابَّهُمْ حَتَّىٰ صَارُوا عَبْرَةً لِلْأَمْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وَمَا الَّذِي أَرْسَلَ عَلَى قَوْمٍ ثَمُودَ الصِّيَحَّةَ حَتَّىٰ قَطَعَتْ قُلُوبَهُمْ فِي أَجْوَافِهِمْ، وَمَاتُوا عَنْ آخِرِهِمْ؟

(١) ف: «الشرك والكفر».

(٢) «فَأَرْدَاه» ساقط من ف. وفي ز: «فَأَزْوَاه»، تصحيف.

(٣) ف: «السعادة».

(٤) س: «من المخالفه مخالفه».

(٥) «العقيم» من س.

(٦) س: «مادمرت»، خطأ.

(٧) ف: «حرثهم وزرعهم».

وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلامهم، ثم
قلّبها عليهم^(١)، فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعاً. ثم أتبعهم
حجارةً من السماء أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه
على أمّةٍ غيرهم. ولإخوانهم أمثالُها، وما هي من الظالمين ببعيد!

وما الذي أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل، فلما صار
فوق رؤوسهم أمطر^(٢) عليهم ناراً تلظى؟

وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر، ثم نُقلت أرواحهم إلى
جهنّم. فال أجساد للغرق، والأرواح للحرق؟

وما الذي خسف بقارون وداره وأهله^(٣)؟

وما الذي أهلك القرون من^(٤) بعد نوح بأنواع العقوبات^(٥)، ودمّرها
تدميراً؟

وما الذي أهلك قوم صاحب يس بالصيحة حتى خمدوا عن آخرهم؟

وما الذي بعث علىبني إسرائيل قوماً أولي بأس شديد، فجاسوا
خلال الديار، وقتلوا الرجال، وسبوا الذرية والنساء، وأحرقوا الديار،
ونهبوا الأموال. ثم بعثهم عليهم مرة ثانية، فأهلكوا ما قدروا عليه،

(١) «عليهم» ساقط من ز.

(٢) س: «صارت... أمطرت».

(٣) ف: «بقارون وبأهلة وماله».

(٤) «من» لم ترد في ف.

(٥) س: «العذاب»، وفي حاشيتها أشير إلى هذه النسخة.

وتَبَرُّوا مَا عَلِوْا تَتَبَيَّرُّ؟

وَمَا الَّذِي سَلَطَ عَلَيْهِمْ أَنْوَاعَ الْعَقَوبَاتِ مَرَةً بِالْقَتْلِ^(١) وَالسُّبْيِ^(٢) وَخَرَابِ الْبَلَادِ^(٣) ، وَمَرَّةً بِجُورِ الْمُلُوكِ ، وَمَرَّةً بِمَسْخَهِمْ قَرْدَةً وَخَنَازِيرَ؟ وَآخَرُ ذَلِكَ أَقْسَمُ الرَّبِّ تَبارُكُ وَتَعَالَى : «لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُوْمُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ» [الأعراف / ١٦٧].

قال الإمام أحمد^(٤): حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا صفوان بن عمرو، حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، قال: لما فتحت قبرس^(٥) فُرِّقَ بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض^(٦)، ورأيت^(٧) أبا الدرداء جالساً [٢٠/ب] وحده^(٨) يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ فقال: ويحك يا جبير، ما أهونَ الخلقَ على الله عز وجل إذا أضاعوا أمره! بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك، تركوا أمر الله، فصاروا إلى ما ترى!

(١) س: «الفتك».

(٢) ف: «السنين».

(٣) ز: « وخَرَابَ الدِّيَارِ».

(٤) في الزهد (٧٦٢). وأخرجه سعيد بن منصور في سنته (٢٦٦٠) وابن أبي الدنيا في العقوبات (٢) وأبو نعيم في الحلية (١/٢١٦ - ٢١٧) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/١٨٦) مختصرًا، من طريق خالد بن معدان وعبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه فذكره. وسنه صحيح.

(٥) ف: «قبرص».

(٦) ف: «على بعض».

(٧) ما عدا ف: «رأيت» دون واو العطف.

(٨) ف: «وحده جالساً».

وقال علي بن الجعد^(١): أَبِيَا شَعْبَةَ، عَنْ عُمَرِ بْنِ مَرْدَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْبَخْرَى يَقُولُ: أَخْبَرَنِي مِنْ سَمْعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَنْ يَهْلِكَ النَّاسُ حَتَّى يُعَذِّرُوْا مِنْ أَنفُسِهِمْ».

وفي مسنـد أـحمد^(٢) من حديث أم سلمـة قال: سـمعـت رسول الله صـلـّى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـّـمـ يـقـولـ

(١) في مسنـدـهـ (١٣٢). وأـخرـجـهـ أبوـداـودـ (٤٣٤٧) وأـحمدـ (٢٦٠/٤) (١٨٢٨٩) وـغـيرـهـماـ. وـسـنـدـهـ صـحـيـحـ.

(٢) (٢٦٥٩٦) / ٦٣٠٤. وأـخرـجـهـ الطـبـرـانـيـ فيـ الكـبـيرـ (٣٢٥/٢٣ـ ٣٢٦ـ ٧٤٧ـ)، منـ طـرـيقـ ليـثـ بـنـ أـبـيـ سـلـيمـ عنـ عـلـقـمـةـ بـنـ مـرـثـدـ عنـ الـمـعـرـورـ بـنـ سـوـيدـ عنـ أـمـ سـلـمـةـ فـذـكـرـتـهـ. ليـثـ فـيـ حـفـظـهـ ضـعـفـ.

ورواه سالم بن طلحـةـ وزـبـيدـ عنـ جـامـعـ بـنـ أـبـيـ رـاشـدـ عنـ أـمـ مـبـشـرـ عنـ أـمـ سـلـمـةـ فـذـكـرـتـهـ بـنـحـوـهـ. أـخرـجـهـ الطـبـرـانـيـ فيـ الكـبـيرـ (٣٧٧ـ ٨٩١ـ) وأـبـوـ نـعـيمـ فيـ الـحـلـيـةـ (٢١٨ـ ١٠ـ). قـلتـ: جـامـعـ لـمـ يـسـمـعـهـ مـنـ أـمـ مـبـشـرـ، بـيـنـهـمـ رـجـلـانـ. فـرـواـهـ الثـوـرـيـ عنـ جـامـعـ بـنـ أـبـيـ رـاشـدـ عنـ مـنـذـرـ الثـوـرـيـ عنـ الـحـسـنـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ عـلـيـ عنـ مـوـلـةـ لـرـسـوـلـ اللـهـ صـلـّى اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـّـمـ قـالتـ: دـخـلـتـ الـنـبـيـ صـلـّى اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـّـمـ عـلـىـ عـائـشـةـ أـوـ عـلـىـ بـعـضـ أـزـوـاجـ الـنـبـيـ صـلـّى اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـّـمـ أـنـاـ عـنـدـهـ فـذـكـرـتـ نـحـوـهـ. أـخرـجـهـ الـحاـكـمـ (٥٦٨ـ ٤ـ) (٨٥٩٤ـ).

ورواه ابن عـيـنةـ وـاـخـتـلـفـ عـلـيـهـ فـيـهـ.

ورواه الإمام أـحمدـ فيـ المـسـنـدـ (٢٩٥ـ ٦ـ ٢٦٥٢٧ـ) عنـ سـفـيـانـ عنـ جـامـعـ عنـ مـنـذـرـ عنـ حـسـنـ بـنـ مـحـمـدـ عنـ اـمـرـأـتـهـ عـنـ عـائـشـةـ نـحـوـهـ. وـرـواـهـ يـزـيدـ بـنـ هـارـونـ عنـ شـرـيكـ عنـ جـامـعـ بـنـ مـنـذـرـ عنـ الـحـسـنـ بـنـ مـحـمـدـ حـدـثـتـنـيـ اـمـرـأـةـ مـنـ الـأـنـصـارـ -ـ هـيـ حـيـةـ الـيـوـمـ، إـنـ شـئـتـ أـدـخـلـتـكـ عـلـيـهـاـ. قـلتـ: لـاـ، حـدـثـنـيـ -ـ قـالتـ: دـخـلـتـ عـلـىـ أـمـ سـلـمـةـ، فـدـخـلـتـ عـلـيـهـاـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـّى اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـّـمـ كـأـنـهـ غـضـبـانـ، فـاـسـتـرـتـ بـكـمـ درـعـيـ... فـذـكـرـتـ مـثـلـهـ.

قـلتـ: لـعـلـ هـذـاـ طـرـيقـ أـصـحـ الـطـرـقـ لـأـنـ شـرـيكـ ضـبـطـ الـإـسـنـادـ فـبـيـنـ مـاـ أـسـقطـهـ سـالـمـ بـنـ طـلـحـةـ وزـبـيدـ عنـ جـامـعـ، وـبـيـنـ أـمـ مـبـشـرـ هـذـهـ اـمـرـأـةـ صـحـابـيـةـ مـنـ الـأـنـصـارـ، وـأـنـ حـسـنـ بـنـ عـلـيـ سـمـعـ مـنـهـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ، وـأـنـهـ مـنـ مـسـنـدـ أـمـ سـلـمـةـ. وـشـرـيكـ اـخـتـلـطـ بـعـدـ الـقـضـاءـ، وـسـمـاعـ يـزـيدـ بـنـ هـارـونـ مـنـهـ قـبـلـ أـنـ يـلـيـ =

يقول: «إذا ظهرت المعاشي في أمتي عَمِّهم الله بعذابٍ من عنده». فقلت: يا رسول الله أما فيهم يومئذ أناس صالحون؟ قال: «بلى». قالت: فكيف يُصْنَع بأولئك؟ قال: «يُصِيبُهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، ثُمَّ يَسِيرُونَ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانَ».

وفي مراasil الحسن عن النبي ﷺ: «لَا تزال هذه الأمة تحت يد الله وفي كَنْفِهِ، مَا لَمْ يُمَالِيْءْ قَرَأْهَا أَمْرَاءَهَا، وَمَا لَمْ يُرَكَّ صَلْحَاؤُهَا فَجَارَهَا، وَمَا لَمْ يُهِنْ خَيَارَهَا شَرَارُهَا». فإذا هم فعلوا ذلك رفع الله يده عنهم، ثم سلط عليهم جبارتهم، فساموهم سوء العذاب، ثم ضربهم الله بالفاقة والفقير»^(١).

وفي المسند^(٢) من حديث ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ».

وفيه أيضًا^(٣) عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُوشِكَ أَنْ تَدْعُى

القضاء، وعليه فالأسناد صحيح، والله أعلم.

انظر: الكواكب النيرات (٢٥٤) وتحقيق المسند (٤٠ / ١٦١ - ١٦٢).

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٨٢١) وابن أبي الدنيا في العقوبات (٤) وأبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتنة وغوايئها (٣٣١) وسنده ضعيف إلى الحسن.

(٢) تقدم تخریجه في ص (١٢).

(٣) المسند ٢٧٨ / ٥ (٢٢٣٩٧). وأخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات (٥) والطبراني (١٤٥٢) وأبو نعيم في الحلية (١ / ١٨٢)، من طريق المبارك بن فضالة عن مرزوق الشامي عن أبي أسماء الرحيبي عن ثوبان فذكره. وسنده لا يأس به لحال المبارك ومرزوق. والمبارك صرخ بالتحديث.

ورواه صالح بن رستم أبو عبد السلام عن ثوبان فذكره. أخرجه أبو داود (٤٢٩٧) والروياني في مسنده (٦٥٤) والطبراني في مسنده الشاميين (٦٠٠) وغيرهم. وصالح بن رستم مجهول، وأيضًا لم يسمع من ثوبان، فقد حكم =

عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة على قصعتها». قلنا: يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: «أنت يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل. تُنزَع المهابة من قلوب عدوكم، ويُجعل في قلوبكم الوهن».
قالوا^(١): وما الوهن؟ قال: «حبّ الحياة، ركراحة الموت».

وفي المسند^(٢) من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «المَا عُرِجَّ بِي مرت بهم أظفار من نحاس يخْمِشون وجوههم وصدورهم. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟» قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم.

وفي جامع الترمذ^(٣) من حديث أبي هريرة [٢١/١] قال: قال رسول

البخاري على روايته عن مكحول بالانقطاع. انظر: التاريخ الكبير (٢٧٩/٤) = وتهذيب الكمال (١٣/٤٧).

ورواه عمرو بن عبيد العبشمي عن حذيفة موقوفاً. أخرجه الطيالسي في مسنده (١٠٨٥) وغيره. قلت: عمرو بن عبيد هذا شامي فيه جهالة، وذكره ابن حبان في الثقات (١٧٩/٥).

(١) ف: «قالوا يا رسول الله».

(٢) تقدم تخریجه في ص (٥٤).

(٣) برقم (٢٤٠٤). وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٥٠) وابن أبي الدنيا في العقوبات (٧) وهناد في الزهد (٨٦٠) والبغوي في شرح السنة (٣٩٤/١٤) (٤١٩٩) وغيرهم، من طريق يحيى بن عبيدة الله عن أبيه عن أبي هريرة، فذكره. قال البغوي: «هذا الحديث لا يعرف إلا من هذا الوجه، ويحيى بن عبيدة الله تكلم فيه شعبة». قلت: قال الحاكم: «روى عن أبيه عن أبي هريرة بنسخة أكثرها مناكير...». وقال ابن حجر في التقريب: «متروك، وأفحش الحاكم فرماه بالوضع». انظر: تهذيب الكمال (٣١/٤٥٠ - ٤٥٣).

قلت: وقد جاء نحو هذا الحديث من قول نوف البكري - وكان يقرأ الكتب - قال: «إنني لأجد صفة ناس من هذه الأمة في كتاب الله المنزل: قوم يجتالون الدنيا =

الله ﷺ: «يخرج في آخر الزمان قوم يختلرون الدنيا بالدين^(١)، ويلبسون للناس^(٢) مُسْوَكَ الضأن^(٣) من اللين، ألسنتهم أحلى من السكر^(٤)، وقلوبهم قلوب الذئاب. يقول الله عز وجل: أبي يغترّون؟ وعلى يجترّون؟ فبي حلفتُ، لأبعنّ على أولئك منهم^(٥) فتنة تدعُ الحليم فيهم^(٦) حيراناً^(٧)».

وذكر ابن أبي الدنيا^(٨) من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده

= بالدين، ألسنتهم...». أخرجه الطبرى في التفسير (٢/٣١٣ - ٣١٤) وسنده حسن. راجع سنن سعيد بن منصور [التفسير] [٣/٨٣٠ - ٨٣٦].

(١) أي يطلبون الدنيا بعمل الآخرة. النهاية (٩/٢) وفي ز: «يحيلون»، تصحيف.

(٢) «للناس» ساقط من ف.

(٣) المسوك: الجلود، جمع مَسْكٍ.

(٤) في نسخة الكروخي: «العسل».

(٥) «منهم» ساقط من ز.

(٦) ل: «منهم»، وكذا في تحفة الأحوذى (٧/٧).

(٧) كذا ورد «حيراناً» بالتنوين في جميع النسخ، وكذا في نسخة الكروخي من الجامع (ق/١٥٥ ب). وقال صاحب تحفة الأحوذى (٧٢/٧): «كذا في النسخ الحاضرة بالتنوين. وذكر المنذري هذا الحديث في الترغيب نقاً عن الترمذى، وفيه: (حيران) بغير التنوين، وكذلك في المشكاة، وهو الظاهر».

(٨) في العقوبات (٨). وأخرجه ابن بطة في إبطال العيل (١)، من طريق محمد بن عبد الملك الدقيقى عن يزيد بن هارون عن عبدالله بن دكين عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب فذكره.

قلت: قد اختلف فيه على يزيد بن هارون، فرواه محمد بن يحيى الأزدي عن يزيد به مرفوعاً. أخرجه ابن عدي في الكامل (٤/٢٢٨) والبيهقي في الشعب (١٧٦٤).

ورواه سعيد بن سليمان سعدويه عن عبدالله بن دكين به مرفوعاً. أخرجه البيهقي في الشعب (١٧٦٣). ورواه بشر بن الوليد عن عبدالله بن دكين به موقعاً. أخرجه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتنة وغوايتها (٤/٢٣٦) وابن عدي (٤/٢٢٨) =

قال : قال عليّ : يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه . مساجدهم يومئذ عامرة ، وهي خراب من الهدى . علماؤهم شرُّ^(١) من تحت أديم السماء . منهم خرجت الفتنة ، وفيهم تعود .

وذكر^(٢) من حديث سماك بن حرب^(٣) ، عن عبد الرحمن بن

والبيهقي في الشعب (١٧٦٤) .

=

قلت : لعل الاضطراب في رفعه ووقفه من عبدالله بن دكين الكوفي . فمع توثيق أحمد وابن معين - في رواية - له ، ضعفه جماعة ، حتى قال أبو حاتم الرازى : «منكر الحديث ، ضعيف الحديث» ، روى عن جعفر بن محمد غير حديث منكر . قلت : ويظهر أن هذا الحديث من مناكيره لاضطرابه فيه . ثم هذا الموقوف أيضاً منقطع كما قال البيهقي لأن علي بن الحسين لم يسمع من جده عليّ . وقد روى بعضه من وجه آخر عن علي عند البيهقي في الشعب (١٧٦٥) إلا أنه لا يثبت ، فقد قال البيهقي : «هذا موقوف إسناده إلى شريك مجهول» .

(١) س : «أشر» . وفي حاشيتها أشير إلى ما أثبتنا من غيرها .

(٢) في العقوبات (٩) . وأخرجه الطبرى في تفسيره (١٥ / ١٠٧) من طريق أبي الأحوص سلام بن سليم عن سماك بن حرب عن عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود عن أبيه ذكره . قلت : لم يذكر في المطبوع من تفسير الطبرى قوله (عن أبيه) .

وقد اختلف على سماك ، فرواوه بعضهم عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً بنحوه . أخرجه الحاكم ٢ / ٤٣ (٢٢٦١) وقال : «صحيح الإسناد» . ورواوه بعضهم عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً . أخرجه الطبراني (١٧٨ / ١) . قلت : عبد الرحمن في سماكه من أبيه ابن مسعود اختلاف .

وقد جاء من وجه آخر من طريق الأعمش عن أبي سفيان عن أبي عبد الرحمن عن عبدالله قال : «ما هلك أهل نبوة قط حتى ظهر فيهم الربا والزنا» . أخرجه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن وغوايتها (٣٢١) والطبراني ١٠ / ٢٠١ - ٢٠٢ (١٠٣٢٩) . وسنه صحيح ، إن صح سماع أبي عبد الرحمن السلمي من ابن مسعود . انظر جامع التحصيل (٣٤٧) .

(٣) «بن حرب» من ز .

عبدالله بن مسعود، عن أبيه قال: إذا ظهر الزنى والربا^(١) في قرية أذن الله عز وجل بھلاکها.

وفي مراضيل الحسن: «إذا أظهر الناس العلم، وضيّعوا العمل، وتحاببوا بالألسن، وتباغضوا^(٢) بالقلوب، وتقاطعوا بالأرحام = لعنهم الله عز وجل عند ذلك، فأصّمّهم، وأعمى أبصارهم»^(٣).

وفي سنن ابن ماجه^(٤) من حديث عبدالله بن عمر بن الخطاب قال: كنت عشرة رهط من المهاجرين عند رسول الله ﷺ، فأقبل علينا رسول الله ﷺ بوجهه، فقال: «يا معاشر المهاجرين، خمس خصال وأعوذ بالله أن تدركوهنّ: ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا. ولا نقص قوم المكيال^(٥) والميزان إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤنة وجور

(١) ز: «الربا والزناء».

(٢) س: «تحاربوا». وفي الحاشية أشير إلى ما ثبّتنا.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات (١٠) وهو مرسل ضعيف الإسناد.

(٤) برقم (٤٠١٩). وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٨ - ٣٣٣ / ٣٣٤) من طريق خالد بن يزيد بن عبد الرحمن عن أبيه عن عطاء عن ابن عمر فذكره، وخالد بن يزيد هذا ضعيف جدًا. انظر تهذيب الكمال (٨ / ١٩٨ - ١٩٩).

ورواه فروة بن قيس وحفص بن غيلان عن عطاء قال: كنت مع عبدالله بن عمر، فذكره، وفيه قصة. أخرجه الحاكم ٥٨٣ / ٤ (٨٦٢٣) وابن أبي الدنيا في العقوبات (١١). وقد صححه الحاكم ولم يتعقبه الذهبي. قلت: حفص بن غيلان الدمشقي وثقة غير واحد، وضعفه بعضهم. وهنا صرّح بذكر سماع عطاء من ابن عمر، وعلى بن المديني ينفيه، فالله أعلم. انظر تهذيب الكمال (٧ / ٧١ - ٧٣) وجامع التحصيل (٥٢٠).

(٥) ما عدا ف: «من المكيال».

السلطان. وما منع قوم زكاة أموالهم إلا مُنعوا القَطْرَ من السماء، فلولا البهائم لم يُمطروا. ولا خفر قوم العهد إلا سلط الله عليهم^(١) عدوهم من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم. وما لم تعمل أئمتهم بما أنزل الله في كتابه إلا جعل الله بأسهم بينهم».

وفي المسند والسنن^(٢) من حديث عمرو بن مُرّة، عن سالم بن أبي الجعد، عن أبي عبيدة، عن عبدالله^(٣) بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: [إِنَّ مَنْ كَانَ إِذَا عَمِلَ الْعَامِلَ فِيهِمْ بِالخَطِيَّةِ جَاءَهُ النَّاهِي تَعْذِيرًا]^(٤)، فإذا كان الغُدُّ جَالِسَهُ ووَاكِلَهُ وشَارِبَهُ، كأنه لم يره على خطيئة بالأمس. فلما رأى الله عز وجل ذلك منهم^(٥) ضربَ بقلوب بعضهم على بعض، ثم لعنهم على لسان نبيهم داود وعيسي بن مریم. ذلك بما عصوا، وكانوا يعتدون. والذي نفس محمد بيده، لتأمرُنَّ بالمعروف، ولتنهُونَ عن المنكر، ولتأخذُنَّ على يد السفيه، ولتأطُرُنَّه على الحق أطراً، أو ليضرِّبَنَّ الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعنتكم

(١) ز: «سلط عليهم».

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٣٧) وابن أبي الدنيا في العقوبات (١٢) والطبراني (١٠/ رقم ١٠٢٦٨، ١٠٢٦٧) من طريق عمرو بن مرة عن سالم الأفطس عن أبي عبيدة عن ابن مسعود فذكره. ورواه جماعة عن علي بن بذيمة عن أبي عبيدة عن ابن مسعود. أخرجه أحمد /١ ٣٩١ (٣٧١٣) والترمذى (٣٠٤٧). وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وابن ماجه (٤٠٠٦) وأبو داود (٤٣٣٦). والحديث في سنته انقطاع. أبو عبيدة لم يسمع من أبيه شيئاً. انظر تحقيق المسند (٦/ ٢٥١ - ٢٥٢).

(٣) ف: «عن ابن عبدالله». س، ز: «أبي عبيدة بن عبدالله». والمثبت من ل، خا.

(٤) أي ينهى شيئاً يقصّر فيه ولا يبالغ. انظر النهاية (١٩٨/٣).

(٥) ف: «منهم ذلك».

كما لعنَهم».

وذكر ابن أبي الدنيا^(١) عن إبراهيم بن عمرو الصناعي قال: أوحى الله إلى يوشع بن نون: إني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم. قال: يا رب، هؤلاء الأشرار، فما بال الآخيار؟ قال: إنهم لم يغضبوا الغضبي، وكانوا يؤكلونهم ويشاربونهم.

وذكر أبو عمر بن عبد البر عن أبي هزان^(٢) قال: بعث الله عز وجل ملكين إلى قرية أنْ: دمّراها بمن فيها. فوجدا فيها رجلاً قائماً يصلّي في مسجد^(٣)، فقالا: يا رب إِنَّ فيها عبْدَكَ فلاناً يصلّي. فقال الله عز وجل: دمّراها، ودمّراها معها^(٤)، فإنه ما تعمّر وجهه فيّ قط.

وذكر الحميدى عن سفيان بن عيينة قال: حدثني سفيان بن سعيد، عن مسعر أنَّ ملَكًا أُمِرَ أن يخسِفَ قريَّةً، فقال: يا رب إِنَّ فيها فلاناً العابد. فأوحى الله عز وجل إلىه أنْ: به فابداً، فإنه لم يتمُّرَ وجهه في ساعَةٍ قط^(٥).

(١) في العقوبات (١٣) وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٧١)، وعبدالغنى المقدسي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٤٣). وفي سنته ضعف إلى إبراهيم بن عمرو، والخبر من أخبار أهل الكتاب.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات (١٤) وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٦٩)، وابن وضاح في البدع والنهي عنها (٢٨٦)، والمقدسي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٤٢). وفي سنته ضعف إلى أبي هزان. وروي نحوه مرفوعاً من حديث جابر، ولا يصح. انظر مجمع الزوائد (٢٧٠/٧).

(٣) كذا في ل، ز والعقوبات. وفي س: «المسجد». وفي ف: «مسجده».

(٤) ما عدا ف: «معهم». وفي العقوبات أيضاً: «معها».

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات (١٦) وفي الأمر بالمعروف والنهي عن =

وذكر ابن أبي الدنيا^(١) عن وهب بن منبه قال: لما أصاب داودُ الخطيئةَ قال: يارب اغفر لي. قال: قد غفرت لك، وألزمت عارهابني إسرائيل. قال: يا رب كيف، وأنت الحكم العدل لا تظلم أحداً، أعمل أنا الخطيئة^(٢)، ويلزم عارها غيري؟ فأوحى الله إليه: إنك لـما عملت الخطيئة^(٣) لم يعجلوا عليك بالإنكار.

وذكر ابن أبي الدنيا^(٤) عن أنس بن مالك أنه دخل على عائشة هو

المنكر (٧٠). وسنته حسن إلى مسعود بن كدام.

(١) في العقوبات (١٥) وفي الرقة والبكاء (٣٨٧) وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٧٢)، والمقدسي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٧٦). (ز). والقصص والأخبار الواردة في خطيئة داود أكثرها من أكاذيب اليهود (ص). ل: «أعمل الخطيئة».

(٢) «ويلزم عارها... الخطيئة» ساقط من ز.

(٤) في العقوبات (١٧) من طريق محمد بن ناصح عن بقية بن الوليد عن يزيد بن عبدالله الجهنمي حدثني أبو العلاء عن أنس فذكره. وأخرجه نعيم بن حماد في الفتنة (٤٢٠) ومن طريقه الحاكم في المستدرك (٤/٥٦١ - ٥٦٢) (٨٥٧٥) عن بقية عن يزيد بن عبدالله الجهنمي عن أبي العالية عن أنس، فذكره بزيادة فيه. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، وتعقبه الذهبي بقوله: «بل أحسبه موضوعاً على أنس. ونعيم منكر الحديث إلى الغاية، مع أن البخاري روى عنه».

قلت: طريق ابن أبي الدنيا أشبه بالصواب، لأن نعيمًا متكلم فيه ويخشى من وهمه. والأثر كما قال الذهبي أحسبه موضوعاً على أنس، لأن بقية يدلّس عن المتروكين والمجهولين، ولم يصرح هنا بالسماع. وأيضاً يزيد بن عبدالله، قال الذهبي: لا يصح خبره، ثم ذكر أثراً عن ابن عمر. وأبوالعلاء هذا يحتمل أن يكون يزيد بن درهم، فقد وثقه الفلاس، وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال ابن حبان في الثقات: يخطئ كثيراً. ويحتمل أن يكون موسى أبو العلاء الذي يروي عنه حماد بن سلمة. قال الحسيني: لا أعرفه. ويحتمل أن يكون

ورجل آخر، فقال لها الرجل: يا أم المؤمنين حدثينا عن الزلزلة، فقلت: إذا استباحوا الزنا^(١)، وشربوا الخمر^(٢)، وضربوا بالمعاوز، غار الله عز وجل في سمائه، فقال [٢٢/أ] للأرض: «تزلزل بيهم». فإن تابوا ونزعوا، وإن هدمها عليهم. قال: يا أم المؤمنين، أعداً لهم؟ قالت: بل موعظة ورحمة للمؤمنين، ونكالاً وعداً وسخطاً^(٣) على الكافرين. فقال أنس: ما سمعت حدثياً بعد رسول الله ﷺ أنا أشدّ فرحاً مّني بهذا الحديث.

وذكر ابن أبي الدنيا^(٤) حديثاً مرسلاً أن الأرض تزلزلت على عهد رسول الله ﷺ، فوضع يده عليها، ثم قال^(٥): «اسكني فإنه لم يأن لك بعد». ثم التفت إلى أصحابه، فقال: «إن ربكم يستعتبكم فأغتبوه». ثم تزلزلت بالناس على عهد عمر بن الخطاب، فقال: أيها الناس ما كانت هذه الزلزلة إلا عن شيء أحدثتموه. والذي نفسي بيده لئن عادت لا أساكنكم فيها أبداً!

= مجھولاً. انظر: لسان الميزان ٨/٤٩٢، ٥٠٠ (٨٥٥٣، ٨٥٧٦).

(١) ف: «الربا».

(٢) س، ز: «الخمور».

(٣) ز: «سخطاً وعداً».

(٤) في العقوبات ١٨). وهو حديث مرسلاً كما قال المؤلف والسيوطى. وروي عن شهر بن حوشب مرسلاً مختصراً عند ابن أبي شيبة ٢/٢٢٢ (٨٣٣٤). قال الحافظ ابن حجر: «هذا مرسلاً ضعيف». قال ابن عبد البر: «لم يأت عن النبي ﷺ من وجه صحيح أن الزلزلة كانت في عصره، ولا صحت عنه فيها سنة، وقد كانت أول ما كانت في عهد عمر...».

انظر: التلخيص الحبير ٢/٩٤ وكشف الصلصلة ٤٤ والاستذكار ٢/٤١٨.

(٥) ف: «فقال».

وفي مناقب عمر لابن أبي الدنيا^(١) أن الأرض زُلزلت^(٢) على عهد عمر، فضرب يده عليها، وقال^(٣): مالك؟ مالك؟ أمّا إنّها لو كانت القيامة حدثت أخبارها. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيمة فليس فيها ذراع ولا شبر إلا وهو ينطق».

وذكر الإمام أحمد^(٤) عن صفية قالت: زلزلت^(٥) المدينة على عهد عمر، فقال: يا أيها الناس ما هذا؟ ما أسرع ما أحدثتم، لئن عادت لا أساكنكم فيها.

وقال كعب: إنما تُزلزل^(٦) الأرض إذا عمل فيها بالمعاصي، فترعد فرقاً من رب جلاله أن يطلع عليها^(٧).

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار: أمّا بعد، فإنّ هذا الرجف^(٨) شيء يعاتب الله عز وجل به العباد. وقد كتبت إلى الأمصار أن

(١) نقله السيوطي أيضاً في كشف الصلصلة من كتاب مناقب عمر لابن أبي الدنيا (ص). وأخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات (١٩). وسنه ضعيف جداً. فيه سعد بن طريف الإسكاف، مترونك الحديث.

(٢) ف: «زلزلت».

(٣) ف: «قال».

(٤) لم أقف عليه عند أحمد. والأثر أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٤٢١) وابن أبي شيبة ٢٢٢/٢ (٨٣٣٥) وابن أبي الدنيا في العقوبات (٢٠) والبيهقي في الكبرى (٣٤٢/٣) وغيرهم. وسنه صحيح.

(٥) ف: «زلزلت».

(٦) ف، ز: «زلزلت».

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات (٢١).

(٨) ف: «فإن الرجف». ل: «فهذا الرجف».

يخرجوا^(١) في يوم كذا وكذا، في شهر كذا وكذا، فمن كان عنده شيء فليتصدق به، فإن الله عز وجل يقول: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَرَكَ^{١٤} وَذَكَرَ أَسْمَهُ رَبِّهِ فَصَلَّى^{١٥}» [الأعلى / ١٤ - ١٥] وقولوا كما قال آدم: «رَبَّنَا ظلمَنَا أَنفُسَنَا وَإِنَّا تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَا مِنَ الْخَسِيرِينَ^{١٦}» [الأعراف / ٢٣] وقولوا كما قال نوح: «وَلَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِيرِينَ^{١٧}» [هود / ٤٧] وقولوا كما قال يونس: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» [الأنبياء / ٨٧]^(٢).

وقال الإمام أحمد^(٣): حدثنا أسود بن عامر، ثنا أبو بكر، عن

(١) كذا بالباء في ف، س، ل. ولم ينقطع في ز، فيجوز أن تقرأ: «أن تخرجو».

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات (٢٣) وسنده صحيح.

(٣) في المسند ٢/٢٨ (٤٨٢٥). وأخرجه الطبراني في الكبير ١٣/٤٣٢ (٤٣٥٨٣). قلت: عطاء لم يسمع من ابن عمر. قال ابن المديني: «رأى أبو سعيد الخدري يطوف بالبيت، ورأى عبدالله بن عمر ولم يسمع منهما...» جامع التحصليل (٥٢٠). وأيضاً يخشى من تفرد أبي بكر بن عياش عن الأعمش، فإن له غرائب عنه.

ورواه غير واحد عن إسحاق أبي عبد الرحمن عن عطاء الخراساني عن نافع عن ابن عمر فذكره وفيه زيادة. أخرجه أبو داود (٣٤٦٢) والدولابي في الكني (٦٥/٢) والطبراني في التهذيب (مسند عمر - ١٨١) وأبو نعيم في الحلية (٢٠٨/٥ - ٢٠٩) وقال: «غريب من حديث عطاء عن نافع، تفرد به حيوة عن إسحاق». قلت: تابع حيوة يحيى بن أيوب عند الطبراني.

قال المؤلف في حاشية تهذيب السنن: «وهذه إسناد حسنات، يشد أحدهما الآخر. فأما رجال الإسناد الأول فأئمة مشاهير، وإنما يخاف أن لا يكون الأعمش سمعه من عطاء، أو أن عطاء لم يسمعه من ابن عمر. والإسناد الثاني يبين أن للحديث أصلاً محفوظاً عن ابن عمر، فإن عطاء الخراساني ثقة مشهور، وحيوة كذلك. وأما إسحاق أبو عبد الرحمن فشيخ روى عنه أئمة المصريين مثل حيوة =

والليلت ويحيى بن أبوب وغیرهم».

قلت: وللحديث روايات أخرى، فرواه فضالة بن حصين عن أبوب عن نافع به، لكنها رواية منكرة واهية لا يعتبر بها. قال البخاري وأبو حاتم: مضطرب الحديث. وقال ابن عدي بعد أن ذكر له حديثاً «ما عرض على رسول الله ﷺ طيب فقط فرده» قال: «وهذا لا يرويه عن محمد بن عمرو في العطر غير فضالة، وكان عطاراً، فاتهم بهذا الحديث بهذا الإسناد خاصة لينفق العطر» وقال الساجي: «صدق فيه ضعف وعنده مناكير». انظر الكامل (٢١/٦) ولسان الميزان (٦/٣٣٠ - ٣٣١).

ورواه ليث بن أبي سليم عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء عن ابن عمر فذكره. أخرجه الطبراني ٤٣٣ / ١٣٥٨٥ والطبراني في التهذيب (١٨٠). قلت: ليث مخلط، وفي حفظه ضعف. وقد اضطرب في هذا الحديث. انظر مستند الروياني (١٤٢٢) وتهذيب الطبراني (١٨١) - والوهم فيه من جرير - والعقوبات لابن أبي الدنيا (٣١٧) والحلية لأبي نعيم (٣١٩/٣) وغيرها.

ورواه أبو جناب يحيى بن أبي حية الكلبي عن شهر بن حوشب عن ابن عمر فذكر نحوه. أخرجه أحمد (٥٠٠٧). وهذا لا يصح لأن أبو جناب ضعيف الحفظ ويدلس، وهنا لم يصرح بالتحديث. وأيضاً شهر في حفظه كلام، ولا يشبه أن يكون سمع من ابن عمر، لأنه شامي وابن عمر مدني. وما روي أنه قال سمعت ابن عمر عند أحمد فوهم، والله أعلم.

ورواه غسان بن برذين حدثني راشد أبو محمد الحمانى قال قال ابن عمر فذكره. أخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات (٢٤). قلت: في سنته انقطاع. راشد يبعد أن يكون سمع ابن عمر لأنه بصري وابن عمر مدني. وأيضاً جل رواية راشد عن التابعين. وذكر البخاري أنه رأى أنس بن مالك. انظر تهذيب الكمال (١٩/١٦ - ١٧).

والحديث صححه ابن القطان في بيان الوهم (٥/٢٩٥ - ٢٩٦)، وجود شيخ الإسلام (٢٩/٣٠) إسنادي أحمد وأبي داود، وحسنه المؤلف. وقال ابن عبدالهادي: رجال إسناده رجال الصحيح. وقال ابن حجر: «وعندي أن إسناد الحديث [طريق الأعمش] الذي صححه ابن القطان معلول». انظر التلخيص الحبير

الأعمش، [٢٢/ب] عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا ضنَّ الناس بالدينار والدرهم، وتباعوا بالعينة، واتبعوا أذنابَ البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله = أُنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ بلاءً، فلا يرفعه حتى يراجعوا دينَهُم». ورواه أبو داود بإسناد حسن.

وذكر ابن أبي الدنيا^(١) من حديث ابن عمر قال: لقد رأيْتُنا وما أحد أحقَّ بديناره ودرهماً من أخيه المسلم. ولقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إذا ضنَّ الناس بالدينار والدرهم، وتباعوا بالعينة، وتركوا الجهاد، وأخذوا أذنابَ البقر = أُنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ بلاءً، فلا يرفعه عنهم حتى يرجعوا دينَهُم».

وقال الحسن: إنَّ الفتنة والله ما هي إِلَّا عقوبة من الله عز وجل على الناس^(٢).

ونظر بعض أنبياء بني إسرائيل إلى ما يصنع بهم بُخْتُ نَصَر، فقال: بما كسبتْ أيدينا سلْطَتَ علينا من لا يعرفك ولا يرحمنا^(٣).

وقال بُخْتُ نَصَر لدانياel: ما الذي سلْطَنَيْ على قومك؟ قال: عِظَمُ خططيتك، وظلمُ قومي أنفسَهم^(٤).

= (٢١/٣) . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥ - ١٧) بمجموع طرقه.

(١) في العقوبات (٢٤) من طريق راشد أبي محمد الحمانى قال قال ابن عمر، فذكره، وتقدم الكلام عليه.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات (٢٥) وسنه صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات (٢٨) عن عبدالله بن أبي الهذيل. وذكر فيه أن القائل دانياel النبي.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات (٢٩) عن عبدالله بن أبي الهذيل أيضاً.

وذكر ابن أبي الدنيا^(١) من حديث عمّار بن ياسر وحذيفة عن النبي ﷺ: «إن الله عز وجل إذا أراد بالعباد نقمَةً أمات الأطفال، وأعْقَمَ أرحام النساء، فتنزل النقمَة، وليس فيهم مرحوم».

وذكر^(٢) عن مالك بن دينار، قال: قرأتُ في الحكمة: يقول الله عز وجل: أنا الله مالكُ الملوك، قلوبُ الملوك بيدي، فمن^(٣) أطاعني جعلتهم عليه رحمة^(٤)، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمَةً. فلا تشغلو أنفسكم بسبِّ الملوك^(٥)، ولكن توبوا إلىِّي أعطِفُهم عليكم.

ومن مراضيل الحسن: إذا أراد الله بقوم خيرًا جعل أمرهم إلى حُكمائهم^(٦)، وفيهم عند سُمحائهم. وإذا أراد بقوم شرًا جعل أمرهم إلى

(١) في العقوبات (٢٦). وأخرجه الديلمي في الفردوس ٢٤٥/١ (٩٥١) والشیرازی في الألقاب كما في كنز العمال ١٧٠/٣ (٦٠١١)، عن عبدالرحيم ابن عباد المعولی ثنا رجاء بن حرث الباهلي ثنا خازم بن جبلة بن أبي نصرة العبدی عن ضرار بن مرة عن عبدالله بن أبي الهذیل عن عمار بن ياسر وحذيفة قالا، فذکرہ.

قلت: لم أقف على عبدالرحيم ورجاء. وأما خازم بن جبلة فروى عن جماعة وروى عنه جماعة، لكن إن كان هو المذكور في لسان الميزان ٣١٣/٣ (٢٨٤٩) وأنه يروى عن خارجة بن مصعب فقد قال محمد بن مخلد الدوري: «لا يكتب حدیثه». وعليه فالحدیث لا يثبت سنده.

(٢) في العقوبات (٣٠) وفي سنده ضعف.

(٣) س: «ومن».

(٤) ل: «رحمة عليه». وفي الجملة التالية: «نقمَةٌ على نقمَة»!

(٥) «بسبِّ»: كذا ضبط بالتشقیل في ف، خب. وفي س: «بسب»، وكذا في العقوبات وحلیة الأولیاء (٤٢٨). وفي خا: «لسب».

(٦) ز: «حكماهم»، تصحیف.

سفهائهم، وفيئهم عند بخلائهم^(١).

وذكر الإمام أحمد^(٢) وغيره عن قتادة: قال موسى^(٣): يا رب أنت في السماء، ونحن في الأرض، فما علامة غضبك من رضاك؟ قال: إذا استعملتُ عليكم خياركم فهو من علامة^(٤) رضاي عنكم؟ وإذا استعملتُ [أ] عليكم شراركم فهو علامة سخطي عليكم.

وذكر ابن أبي الدنيا^(٥) عن الفضيل بن عياض قال: أوحى الله إلى بعض الأنبياء: إذا عصاني من يعرفني سلطتْ عليه من لا يعرفني.

وذكر أيضاً^(٦) من حديث ابن عمر يرفعه: «والذي نفسي بيده، لا تقوم الساعة حتى يبعث الله أمراء كذبة، ووزراء فجرة، وأعواناً خوننة، وعُرَفاء ظلمة، وقُرَاءَ فَسَقَةً». سيماهم سينا الرهبان^(٧)، وقلوبهم أثنتن من

(١) آخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات (٣١) وفي الحلم (٧٥).

(٢) في الزهد، وهو من زوائد ابنه عبدالله (١٥٨٢)، وابن أبي الدنيا في العقوبات (٣٢) وأبو نعيم في الحلية (٦/٢٩٠) وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٤٥/٦١)، وسنده ضعيف.

(٣) ف: «قال: قال موسى عليه السلام». ز: «يونس».

(٤) ف: « فهو علامة». وقد تأخر فيها ذكر الخيار على الأشرار.

(٥) في العقوبات (٣٣). وأخرجه الشجري في أماليه (٢/٢٥٦).

(٦) في العقوبات (٣٤). وأخرجه الشجري في أماليه (٢/٢٦٤)، من طريق كوثير بن حكيم عن نافع عن ابن عمر، فذكره.

قلت: فيه كوثير بن حكيم. قال الإمام أحمد: «كوثير أحاديثه بواطيل، ليس بشيء». وقال البخاري: «كوثير عن نافع منكر الحديث». وقال النسائي: «متروك الحديث». وقال ابن عدي: «... وعامة ما يرويه غير محفوظ». الكامل (٦/٧٦ - ٧٨).

(٧) ل: «الزهاد».

الجيَفِ. أهواوْهُم مخْلَفةً، فَيَتَّبِعُهُمْ فَتْنَةً غَبْرَاءً مَظْلَمَةً، فَيَتَّهَاوْكُونُ^(١) فِيهَا. وَالذِّي نَفْسُ مُحَمَّدٍ^(٢) بِيَدِهِ، لَيُنْقَضَنَّ الْإِسْلَامُ عَرْوَةً عَرْوَةً، حَتَّى لا يُقَالُ: اللَّهُ اللَّهُ. لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوْنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُسَلِّطَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ فَلَيُسُومُنَّكُمْ^(٣) سُوءَ الْعَذَابِ. ثُمَّ يَدْعُو خَيَارَكُمْ، فَلَا يَسْتَجِابُ لَهُمْ. لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوْنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لِيَعْنَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَنْ لَا يَرْحُمُ صَغِيرَكُمْ، وَلَا يَوْقِرُ كَبِيرَكُمْ».

وَفِي مَعْجمِ الطَّبرَانِيِّ وَغَيْرِهِ^(٤) مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ جَبَّاِرِ عَنْ أَبِي عَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا طَفَّقَ قَوْمٌ كِيلَّاً وَلَا بَخْسُوا مِيزَانًا إِلَّا مَنْعَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَطْرُ. وَمَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ إِلَّا ظَهَرَ فِيهِمُ الْمَوْتُ. وَمَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ إِلَّا سَلْطَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَنُونُ، وَلَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ الْقَتْلُ - يُقْتَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا - إِلَّا سَلْطَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ عَدُوَّهُمْ، وَلَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ عَمَلُ قَوْمٍ لَوْطٌ إِلَّا ظَهَرَ فِيهِمُ الْخَسْفُ. وَمَا تَرَكَ قَوْمٌ إِلَّا مَرْبُوطُوا بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهِيِّ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا لَمْ تُرْفَعْ أَعْمَالُهُمْ، وَلَمْ يُسْمَعْ

(١) «تَهْوِكٌ»: تَهْبِرُ، وَاضْطَرِبُ، وَسَقَطَ فِي هُوَّةِ الرَّدِّيِّ. وَ«يَتَّهَاوْكُونُ» أَيْ يَتَسَاقطُونَ فِيهَا وَيَضْطَربُونَ. وَلَمْ أَجِدْ «تَهْوِكٌ» فِي الْلِّسَانِ وَالتَّاجِ.

(٢) ز: «نَفْسِي».

(٣) ف، ل: «فَلَيُسُومُنَّكُمْ». وَكَذَا فِي الْعَقُوبَاتِ.

(٤) لَمْ أَقْفَ عَلَيْهِ فِي الْمَعَاجِمِ الْثَّلَاثَةِ. لَكِنْ أَخْرَجَهُ الطَّبرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ ٤٥/١٠ ١٠٩٩٢ مِنْ طَرِيقِ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَيْسَانَ حَدِيثَنِي أَبِي عَنِ الضَّحَّاكِ بْنِ مَزَاحِمِ عَنْ مَجَاهِدِ وَطَاؤِسِ عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ فَذَكَرَ نَحْوَهُ. قَلْتُ: هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ. قَالَ الْبَخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ ١٧٨/٥ فِي تَرْجِمَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَيْسَانٍ: «وَلَهُ أَبْنَانٌ [يُسَمَّى] إِسْحَاقٌ، مُنْكَرٌ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ». وَقَالَ أَبْنُ حَبَّانَ فِي الثَّقَاتِ فِي تَرْجِمَةِ عَبْدِ اللَّهِ: «يُتَّقَى حَدِيثُهُ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِهِ عَنْهُ». انْظُرْ لِسَانَ الْمِيزَانِ ٦٣/٢.

دعاوئهم».

ورواه ابن أبي الدنيا^(١) من حديث إبراهيم بن الأشعث، عن عبد الرحمن بن زيد^(٢)، عن أبيه، عن سعيد، به.

وفي المسند^(٣) وغيره من حديث عروة عن عائشة قالت: دخل على

(١) في العقوبات (٣٥). وسنده ضعيف جدًا. إبراهيم بن الأشعث لعله خادم الفضيل بن عياض. قال أبو حاتم وقد سئل عن حديث لإبراهيم بن الأشعث: «هذا حديث باطل موضوع. كنا نظن بإبراهيم بن الأشعث الخير، فقد جاء بمثل هذا». قلت: وله غير حديث منكر. ولهذا قال ابن حبان في الثقات (٦٦/٨): «يُغَرِّبُ وَيَتَفَرَّدُ وَيَخْطُئُ وَيَخَالِفُ». انظر لسان الميزان (٢٤٥/١). وزيد بن الحواري العمى البصري ضعيف على أقل الأحوال. انظر تهذيب الكمال (٥٨ - ٦٠) والتقريب (٢١٣١). وابنه عبد الرحمن بن زيد لم أقف عليه. والثابت في هذا ما رواه الحسين بن واقد عن عبدالله بن بريدة عن ابن عباس قال: «ما نقض قوم العهد قط إلا سلط الله عليهم عدوهم، ولا فشت الفاحشة في قوم إلا أخذهم الله بالموت، وما طفف قوم الميزان إلا أخذهم الله بالسنين، وما منع قوم الزكاة إلا منعهم الله القطر من السماء، وما جار قوم في حكم إلا كان البأس بينهم - أظنه قال - والقتل». آخر جه البهقي في الكبر (٣٤٦ - ٣٤٧/٣) وفي شعب الإيمان ٤٨٤ / ٦ - ٤٨٥ (٣٠٣٩). وسنده صحيح. وقد روی مرفوعاً وهو وهم. انظر علل ابن أبي حاتم ٤٢٢ / ٢ - ٤٢٣ (٢٧٧٣).

(٢) ز: «يزيد»، تحريف.

(٣) ٦/١٥٩ (٢٥٢٥٥). وأخرجه ابن ماجه (٤٠٠٤) وإسحاق في مسنده (٨٦٤) وابن أبي الدنيا في العقوبات (٣٦) وابن حبان (٢٩٠) والبزار (٣٣٠٥، ٣٣٠٤) كما في كشف الأستار) وغيرهم، من طريق عمرو بن عثمان بن هانئ عن عاصم بن عمر بن عثمان عن عروة به، فذكره. والحديث تفرد به عاصم عن عروة. وعاصم مجھول، والراوي عنه عمرو بن عثمان وفيه جهالة أيضًا. وقد انقلب اسمه في المسند (عثمان بن عمرو)، والحديث ضعفه العراقي والهيثمي. انظر مجمع الزوائد (٢٦٦/٧).

رسول الله ﷺ، وقد حفظه النفس، فعرفت في وجهه أن قد حفظه شيء، فما تكلم حتى توضأ، وخرج، فلصقت^(١) بالحجرة، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس إن الله عز وجل يقول [٢٣/ب] لكم: مُرُوا بالمعروف وانهوا عن المنكر، قبل أن تدعوني فلا أجيبكم، وستنتصرونني فلا أنصركم، وتسألونني فلا أعطيكم».

وقال العمري الزاهد^(٢): إن من غفلتك عن نفسك وإعراضك عن الله أن ترى ما يُسخط الله، فتتجاوزه، ولا تأمر فيه، ولا تنهي عنه، خوفاً من لا يملك^(٣) ضرراً ولا نفعاً.

وقال: من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مخافةً من المخلوقين نُزعَت منه الطاعة، ولو أمر ولده أو بعض مواليه لاستخفَ^(٤) بحقه^(٥).

وذكر الإمام أحمد في مسنده^(٦) من حديث قيس بن أبي حازم قال:

(١) ز: «فالتصقت».

(٢) ف: «عمران الزاهد»، خطأ. وهو أبو عبد الرحمن عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالله بن عمر بن الخطاب. روى عنه ابن عيينة وابن المبارك وغيرهما. كان قوله بالحق، أمراً بالمعروف، لا تأخذه في الله لومة لائم. توفي سنة ١٨٤هـ. انظر سير أعلام النبلاء (٣٧٣/٨).

(٣) س: «يملك لك».

(٤) ز: «لاستخفوا».

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات (٣٨) وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١٤) وأبو نعيم في الحلية (٨/٢٨٤) والمقدسي في الأمر بالمعروف (٤٩). ومسنده حسن.

(٦) ١، ٢، ٧ (٤٣٣٨). وأخرجه أبو داود (٣٥، ٣٠، ٢٩، ١٦، ١) وترمذى =

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أيها الناس إنكم تتلون هذه الآية، وإنكم تضعونها على غير مواضعها^(١): «يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَصْرِكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ» [المائدة/ ١٠٥]. وإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم، فلم يأخذوا على يديه - وفي لفظ: إذا رأوا المنكر، فلم يغيروه - أوشك أن يعمّهم الله بعقاب من عنده».

وذكر الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثیر، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أخفيت^(٢) الخطية لم تضر إلا أصحابها، وإذا ظهرت^(٣) فلم تغِّيرْ ضررت العامة»^(٤).

=
صحيح، والحديث صححه الترمذی وابن حبان والنووي وغيرهم. وقد اختلف في رفعه ووقفه، ورفعه صحيح. انظر علل الدارقطنی (٢٤٩ / ٢٥٣ - ٢٦٨، ٣٠٥٧).

(١) ف: «في غير مواضعها».

(٢) ل: «خفيت».

(٣) ز: «أظهرت ولم تغير». س: «أعلنت». وفي الحاشية: «أظهرت».

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات (٤٠) والطبراني في الأوسط (٤٧٧٠)، من طريق مروان بن سالم الغفاری عن الأوزاعی به، فذکرہ.

قلت: هذا الحديث آفته مروان بن سالم، وهو متروك متهم. قال الساجی: «کذاب يضع الحديث». وظهر مصداق ذلك هنا. فقد رواه ابن المبارك وبشر بن بکر والولید بن مسلم وعقبة وغيرهم كلهم عن الأوزاعی عن بلال بن سعد قال، فذکرہ. أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٣٥٠) والبيهقي في الشعب (٧١٩٦) وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٢٢٢) وابن عساکر في تاريخه (١٠/ ٤٩٠) وغيرهم. وسنده صحيح إلى بلال بن سعد.

وثبت عن عمر بن عبدالعزيز بنحوه عند مالک في الموطا (٢٨٣٦) ونعيم في الفتنة (٤٢١) وغيرهما.

وذكر الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب^(١) رضي الله عنه: توشك القرى أن تخرب، وهي عامرة. قيل: وكيف تخرب وهي عامرة؟ قال: إذا علا فُجَارُهَا أَبْرَارَهَا^(٢)، وساد القبيلةَ منافقُها.

وذكر الأوزاعي عن حسان بن عطية عن النبي ﷺ قال: «سيظهر شرار أمتي على خيارها حتى يستخفى المؤمن فيهم^(٣) كما يستخفى المنافق فيما بيننا اليوم»^(٤).

وذكر ابن أبي الدنيا^(٥) من حديث ابن عباس يرفعه قال: «يأتي زمان

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات (٤٤) من طريق ثور عن خالد بن معدان قال: قال عمر بن الخطاب فذكره. وهذا منقطع، خالد بن معدان لم يدرك عمر بن الخطاب.

ورواه أصرم بن صالح الأزدي عن عبدالله بن فروخ أن عمر بن الخطاب فذكره. أخرجه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتنة (٤٠٢). وهذا أيضاً منقطع، عبدالله بن فروخ لم يسمع من عمر بن الخطاب.

(٢) لـ «علا أمراؤها»، تحرير. فـ «أبرارها فجاريها».

(٣) «فيهم» ساقط من سـ.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات (٤٥) وأبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتنة (٤٠١). والحديث ضعيف، حسان بن عطية مات بعد ١٢٠. وروي من حديث جابر مرفوعاً نحوه، وهو باطل. انظر الكامل لابن عدي (١٨٩/٧).

(٥) في العقوبات (٤٦) وفي الأمر بالمعروف (٩٦، ٢٥) من طريق جعفر بن سليمان الضبي عن أشرس أبي شيبان عن عطاء الخراساني عن ابن عباس فذكره. ورواه أسد بن موسى عن أشرس عن عطاء الخراساني أن رسول الله ﷺ قال، فذكرة. أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها (٢٧٣).

قلت: طريق أسد أشبه بالصواب، لأن جعفر بن سليمان شك فقال: «أحببه عن ابن عباس». والحديث ضعيف الإسناد، أشرس فيه جهالة.

يذوب فيه قلب المؤمن، كما يذوب الملح في الماء». قيل: مِمْ^(١) ذاك يارسول الله؟ قال: «مما يرى من المنكر لا يستطيع تغييره^(٢)».

وذكر الإمام أحمد^(٣) من حديث [٤/٢٤] جرير أن النبي ﷺ قال: «ما من قوم يُعملُ فيهم بالمعاصي، هم أعز وأكثر من يعملاه، لم يغوروه^(٤)، إلا عَمِّهم الله بعِقاب».

وفي صحيح البخاري^(٥) عن أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُجاء بالرجل يوم القيمة، فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع عليه أهل النار، فيقولون: أيُّ فلان، ما شأنك؟ ألسْتَ كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر

(١) س: «بم».

(٢) في حاشية س: «خ المنكر لا يقدر على دفعه».

(٣) في المسند ٣٦٤ / ٤ (١٩٢٣٠). وأخرجه أبو داود (٤٣٣٩) وابن ماجه (٤٠٠٩) والطیلیسي (٦٩٨) والطبراني ٣٣١ / ٢ - ٣٣٢ - ٢٣٨٠ (٢٣٨٥ - ٢٣٨٠) وابن حبان (٣٠٢، ٣٠٠) وغيرهم، من طريق شعبة وإسرائيل ويونس ومعمر وأبي الأحوص، وغيرهم، كلهم عن أبي إسحاق عن عبيد الله بن جرير عن أبيه جرير، فذكره.

وخالفهم شريك فرواه عن أبي إسحاق عن المنذر بن جرير عن أبيه جرير ذكره. أخرجه أحمد (١٩١٩٢) والطبراني (٢٣٧٩).

ورواية الجماعة أشبه بالصواب. والحديث فيه عبيد الله بن جرير، ذكره ابن حبان في الثقات. وقال ابن حجر: مقبول. انظر تهذيب الكمال (١٧/١٩) والتقريب (٤٢٨٠). والحديث له شواهد عدّة ك الحديث أبي بكر المتقدم وغيره.

(٤) س: «ولم يغوروه».

(٥) تقدم تحريرجه في ص (٥٢).

وأتيه».

وذكر الإمام أحمد^(١) عن مالك بن دينار قال: كان حبر من أحبّار بني إسرائيل يغشى منزله الرجال والنساء، فيعظهم، ويدركهم بأيام الله. فرأى بعض بنيه يوماً يغمز النساء، فقال: مهلاً يا بني، مهلاً يا بني. فسقط من سريره، فانقطع نُخاعه، وأسقطت امرأته، وقتلت بنوه. فأوحى الله إلى نبيهم أن أخْبِرْ فلاناً الْحَبْرَ أني لا أخرج^(٢) من صلبك^(٣) صِدِيقاً أبداً. ما كان غضباً لي إلا أن قلت: مهلاً يا بني، مهلاً يا بني!

وذكر الإمام أحمد^(٤) من حديث عبد الله بن مسعود أنّ رسول الله ﷺ قال: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنّهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه». وأنّ رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلاً كمثل القوم نزلوا أرض فلاة، فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل ينطلق، فيجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود^(٥)، حتى جمعوا سواداً، وأججوا ناراً، وأنضجوا ما قدروا فيها.

وفي صحيح البخاري^(٦) عن أنس بن مالك قال: إنكم لتعملون أ عملاً هي أدقّ في أعينكم من الشعر^(٧)، إن كننا لنعدّها على عهد رسول

(١) في الزهد (٥٢٤). وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٣٧٢/٢).

(٢) ز: «أن لا أخرج».

(٣) ف: «من ظهرك».

(٤) سبق تحريره في ص (٧٠).

(٥) «والرجل يجيء بالعود» ساقط من لـ.

(٦) كتاب الرقاق، باب ما يتلقى من محقرات الذنوب (٦٤٩٢).

(٧) ز: «الشعرات».

الله عَزَّلَهُ مِنَ الْمُوْبِقَاتِ .

وفي الصحيحين^(١) من حديث عبدالله بن عمر أن رسول الله عَزَّلَهُ مِنَ الْمُوْبِقَاتِ قال : «عُذِّبَت امرأة في هِرَّة حَبَسَتْهَا^(٢) حتى ماتت ، فدخلت النار . لا هي أطعمتها ، ولا سقتها ، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض» .

وفي الحلية لأبي نعيم^(٣) عن حذيفة أنه قيل له : في يوم واحد تركت بنو إسرائيل دينهم؟ قال : لا ، ولكنهم كانوا إذا أمروا بشيء تركوه ، وإذا نُهوا عن شيء ركبوه ، حتى [٤/٢٤ بـ] انسلخوا من دينهم ، كما ينسلي الرجل من قميصه .

ومن هنا قال بعض السلف : المعاشي بريد الكفر ، كما أن القبلة بريد الجماع ، والغناء بريد الزنا ، والنظر بريد العشق ، والمرض بريد الموت^(٤) .

وفي الحلية أيضاً^(٥) عن ابن عباس أنه قال : يا صاحب الذنب لا

(١) سبق تخریجه في ص ٥٧.

(٢) ف : «سجنتها» .

(٣) الحلية (١/٢٧٩)، وسنده صحيح . وأخرجه البيهقي في الشعب (٦٨١٧) بسنده حسن عن حذيفة نحوه .

(٤) في المدارج (٢٥/٢) نقل المصنف عن السلف : «المعاخي بريد الكفر ، كما أن الحمى بريد الموت» . وهو من كلام أبي حفص النيسابوري (٢٦٧هـ) في طبقات الصوفية (١١٦) . والحلية (١٠/٢٤٤) .

(٥) (٣٢٤/١) من طريق جوير عن الضحاك عن ابن عباس فذكره . جوير ضعيف جداً ، والضحاك لم يسمع من ابن عباس .

تَأْمَنْ سُوءَ عَاقِبَتِهِ^(١)، وَلَمَا يَتَّبِعَ الذَّنْبَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا عَمِلَتِهِ^(٢): قَلْلُهُ حِيَائِكَ مِنْ عَلَى الْيَمِينِ وَعَلَى الشَّمَالِ، وَأَنْتَ عَلَى الذَّنْبِ، أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ. وَضَحِّكُكَ، وَأَنْتَ لَا تَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعُكَ، أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ^(٣). وَفَرِحُكَ بِالذَّنْبِ إِذَا ظَفَرْتَ بِهِ^(٤) أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ. وَحَزْنُكَ عَلَى الذَّنْبِ إِذَا فَاتَكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ. وَخَوْفُكَ مِنَ الرِّيحِ إِذَا حَرَّكَتْ سِرَّاً بَابَكَ، وَأَنْتَ عَلَى الذَّنْبِ، وَلَا يَضْطَرِبُ فَؤَادُكَ مِنْ نَظَرِ اللَّهِ إِلَيْكَ، أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ. وَيَحْكُ! هَلْ تَدْرِي مَا كَانَ ذَنْبُ أَيُوبَ، فَابْتَلَاهُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ فِي جَسْدِهِ وَذَهَابِ مَالِهِ؟ اسْتَغْاثَ بِهِ مُسْكِنَ عَلَى ظَالِمٍ يَدْرُؤُهُ عَنْهُ^(٥)، فَلَمْ يُغْشِهِ^(٦)، وَلَمْ يَنْهِ الظَّالِمَ عَنْ ظُلْمِهِ، فَابْتَلَاهُ اللَّهُ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ^(٧): حَدَثَنَا الْوَلِيدُ قَالَ: سَمِعْتُ الْأَوْزَاعِيَ يَقُولُ: سَمِعْتُ بَلَالَ بْنَ سَعْدٍ^(٨) يَقُولُ: لَا تَنْظُرْ إِلَى صَغْرِ الْخَطِيئَةِ، وَلَكِنْ انْظُرْ

(١) لـ: «لَا تَأْمَنْ عَاقِبَتِهِ».

(٢) لـ: «عَلِمْتِهِ».

(٣) «وَضَحِّكُكَ... مِنَ الذَّنْبِ» ساقِطٌ مِنْ سـ.

(٤) «بِهِ» ساقِطٌ مِنْ زـ.

(٥) «يَدْرُؤُهُ عَنْهُ» ساقِطٌ مِنْ زـ.

(٦) سـ، زـ: «فَلَمْ يَعْنِهِ».

(٧) لعله في الزهد ولم أقف عليه، وإنما هو فيه من زوائد عبدالله على الزهد (٢٢٧٦).

وآخرجه ابن المبارك في الزهد (٧١) والعقيلي في الضعفاء (٤٣١/٣) والفسوي في المعرفة والتاريخ (٤٠٦ - ٤٠٥/٢) وأبو نعيم في الحلية (٢٢٣/٥) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٠٢/١٠) والبيهقي في الشعب (٦٨٨٥) وغيرهم. وسنده صحيح.

(٨) في لـ: «سَعِيد»، خطأ. وهو بلال بن سعد بن تميم السكوني أبو عمرو =

مَنْ عَصَيْتَ^(١)؟

وقال الفضيل بن عياض: بقدر ما يصغر الذنب عندك، يعظم عند الله. وبقدر ما يعظم عندك، يصغر عند الله^(٢).

وقيل: أوحى الله تعالى إلى موسى: يا موسى إن أول من مات من خلقي إبليس، وذلك أنه عصاني، وإنما أعدّ من عصاني من الأموات^(٣).

وفي المسند وجامع الترمذى^(٤) من حديث أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ نُكِّتَ فِي قَلْبِهِ نَكْتَةً سُوْدَاءً، فَإِنَّ تَابَ، وَنَزَعَ، وَاسْتَغْفَرَ، صُقِّلَ قَلْبُهُ». وإن زاد زادت حتى تعلو قلبَه، فذلك الرّآنُ الذي ذكر الله عز وجل: «كَلَّا لَّمْ رَأَنَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ»^(٥) [المطففين/ ١٤]. قال الترمذى: هذا حديث صحيح^(٦).

وقال حذيفة: إذا أذنب العبد نُكِّتَ في قلبه نكتة سوداء حتى يصير

= الدمشقى الزاهد الوعاظ، وكانت لأبيه صحبة. انظر ترجمته في السير (٩٠/٥).

(١) س: «إلى من عصيته».

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في التوبة (٦٤) وعنه البيهقي في الشعب (٦٧٥١) وابن عساكر في تاريخه (٤٨/٤٢٦).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في التوبة (٤٢) عن مسروق بن سفيان.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٢٩٧/٢ (٧٩٥٢) والترمذى (٣٣٣٤) وابن ماجه (٤٢٤٤) وابن حبان (٩٣٠) والحاكم ٥٦٢/٢ (٣٩٠٨) وغيرهم. والحديث صححه الترمذى وابن حبان والحاكم وغيرهم.

(٥) ف: «إذا».

(٦) في نسخة الكروخي (ق/٢٢٤ ب): «حسن صحيح». وكذا في المتن المطبوع مع تحفة الأحوذى (١٧٩/٩).

قلبه كالشاة الرَّبُّداء^(١).

وقال الإمام أحمد^(٢): حدثنا [٥٢/أ] يعقوب، حدثنا أبي، عن صالح، عن ابن شهاب، حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة^(٣)، عن عبد الله بن مسعود أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أمّا بعد يا معاشر قريش، فإنكم أهل لهذا الأمر، ما لم تعصُوا الله. فإذا عصيتموه بعث عليكم من يلحاكم كما يُلْحِى هذا القسيب» - لِقَضِيبٍ فِي يَدِهِ - ثُمَّ لَحَى قَضِيبَهُ، فإذا هو أَبِيسُ يَصِيلُ^(٤).

وذكر الإمام أحمد^(٥) عن وهب أنَّ الربَّ عز وجلَّ قال في بعض ما يقول لبني إسرائيل: إني إذا أطعتُ رَضِيتُ، وإذا رضيتُ^(٦) باركتُ، وليس لبركتي نهاية. وإذا عصيْتُ غضبْتُ، وإذا غضبْتُ لعنتُ، ولعنتي

(١) أخرجه أبو داود في الزهد (٢٨٥) وأبو نعيم في الحلية (١/٢٧٣) والبيهقي في الشعب (٦٨١٠) وسنده صحيح (ز). والشاة الرباء: المقطة بحمرة وبياض أو سواد. والرباء من المعنى: السوداء المقطة بحمرة. انظر اللسان (ربد).

(٢) في المستند ٤٥٨/١ (٤٣٨٠). وأخرجه أبو يعلى ٤٣٨/٨ (٥٠٢٤) والشاشي (٨٦٩). قال الحافظ في الفتح (١١٦/١٣): «رجاله ثقات، إلا أنه من روایة عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عم أبيه: عبد الله بن مسعود، ولم يدركه...».

(٣) س: «أحمد بن يعقوب بن أبي صالح... حدثني عبد الله بن عتبة». وفيه تحرير وسقط. وفي ز: «عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أنَّ».

(٤) في النهاية (٤٦/٣): «يَصِيلُ: أي يُرْقِي وَيُبَصِّنُ»، أي يلمع. وقد ضبط في ز بالبناء للمجهول، وهو خطأ.

(٥) في الزهد (٢٨٩).

(٦) س: «قال إنَّ».

(٧) «إذا رضيت» ساقط من س.

تبلغ السابع من الولد.

وذكر أيضاً^(١) عن وكيع، حدثنا زكريا، عن عامر قال: كتبت عائشة إلى معاوية: أما بعد، فإنَّ العبد إذا عمل بمعصية الله عاد حامده من الناس ذاماً.

وذكر أبو نعيم^(٢) عن سالم بن أبي الجعد، عن أبي الدرداء قال: ليحذرُ امرؤٌ أن تلعنَه قلوبُ المؤمنين، من حيث لا يشعر. ثم قال: أتدرِي ممَّ هذا؟ قلتُ: لا. قال: إنَّ العبد يخلو بمعاصي الله^(٣)، فيُلقي الله بغضَّه في^(٤) قلوب المؤمنين، من حيث لا يشعر.

(١) في الزهد (٩١٥). ورجاله ثقات. وزكريا يدلُّس، والشعبي لم يسمع من عائشة كما قال ابن معين. فرواه عبدة وعبدالله بن معاذ عن زكريا عن عباس بن ذريح عن الشعبي عن عائشة موقوفاً. أخرجه أبو داود في الزهد (٣٣٧) والخطيب في الكفاية (٤٨٥).

ورواه ابن عيينة عن زكريا عن عباس بن ذريح عن الشعبي به مرفوعاً. أخرجه الحميدي في مستذه (٢٦٦).

والحديث جاء من طرق أخرى مرفوعة وموقوفة، وهو عند أهل الحديث النقاد موقوف على عائشة. ولهذا قال الدارقطني: «رفعه لا يثبت». وقال العقيلي: لا يصح في الباب مسنداً، وهو موقوف من قول عائشة». انظر الصنعاء الكبير ٣٤٣/٣ وحاشية الزهد لأبي داود (٢٨٤ - ٢٨٥).

(٢) في الحلية (١/٢١٥) وفي سنته انقطاع. سالم بن أبي الجعد لم يسمع من أبي الدرداء. وأخرجه أحمد في الزهد (٧٦٦) عن ابن عيينة قال: قال أبو الدرداء، فذكره مختصراً.

(٣) س: «يخلو بالمعاصي»، وأشار في الحاشية إلى ما في غيرها.

(٤) «في» ساقطة من ز.

وذكر عبدالله بن أحمد في كتاب الزهد لأبيه^(١) عن محمد بن سيرين: أنه لما ركبه الدين اغتم لذلك، فقال: إني لا أعرف هذا الغم بذنب أصبتُه منذ أربعين سنة!

وها هنا نكتة دقيقة يغلط فيها الناس في أمر الذنب، وهي أنهم لا يرون تأثيره في الحال، وقد يتآخر تأثيره فينسى^(٢)، ويظن العبد أنه لا يغبر^(٣) بعد ذلك، وأنَّ الأمر كما قال القائل:

إذا لم يغبِ حائطٌ في وقوعه فليس له بعد الوقوع غبار^(٤)
وسبحان الله! ماذا^(٥) أهلقت هذه البلية^(٦) من الخلق! وكم أزالت
من نعمة! وكم جلبت من نومة!

وما أكثر المغترِّين بها من العلماء، فضلاً عن الجهال! ولم يعلم^(٧)
المغترِّ أنَّ الذنب ينقض، ولو بعد حين؛ كما ينقض السُّم، وكما ينقض
الجرح المندلل على الغش والدَّغل.

(١) لم أقف عليه في المطبوع، وهو ناقص. والأثر أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢٧١/٢) وابن عساكر في تاريخه (٢٢٦/٥٣)، وهو ثابت عنه. وانظر ذم الهوى (١٧٠).

(٢) «فينسى» ساقط من ز. وفي ف: «فينسى فيظن».

(٣) «لا يغبر»: لا يشير الغبار، يعني لا يرى أثر الذنب بعد ذلك. وفي ف: «لا يغير» بالياء، ولعله تصحيف، فإنَّ عبارة المؤلف ناظرة إلى البيت الآتي.

(٤) س: «بوقوعه».

(٥) س: «فإذا»، تحريف. ف: «ما»، ل: «ما هذا».

(٦) ل، ز: «النكتة»، تصحيف. انظر الصوات المرسلة (٤٤٥).

(٧) ز: «ولو يعلم».

وقد ذكر الإمام أحمد^(١) عن أبي الدرداء : اعبدوا الله كأنكم ترونـه ، وعُدُوا أنفسـكم في الموتـى ، واعلـموـا أـن قـليـلاً يـغـنيـكـم خـيرـ من كـثـيرـ يـلـهـيـكـم^(٢) . واعـلـموـا أـن البرـ [٢٥/ب] لا يـبـلـيـ ، وـأـنـ الإـثـمـ لا يـنـسـيـ .

ونظر بعض العـبـادـ إـلـىـ صـبـيـ ، فـتأـمـلـ مـحـاسـنـهـ ، فـأـتـيـ فـيـ مـنـامـهـ ، وـقـيلـ لـهـ : لـتـجـدـنـ غـبـبـاـ بـعـدـ أـرـبعـينـ سـنـةـ^(٣) .

هـذـاـ ، معـ أـنـ لـلـذـنـبـ نـفـدـاـ مـعـجـلـاـ لـاـ يـتأـخـرـ عـنـهـ . قالـ سـلـيـمـانـ التـيـمـيـ : إـنـ الرـجـلـ لـيـصـبـ الـذـنـبـ فـيـ السـرـ ، فـيـصـبـ وـعـلـيـهـ مـذـلـتـهـ^(٤) .

وقـالـ يـحـيـيـ بـنـ مـعـاذـ الرـازـيـ^(٥) : عـجـبـ مـنـ ذـيـ عـقـلـ يـقـولـ فـيـ

(١) في الزهد (٧١٦). وأخرجه وكيع في الزهد (١٣) وهناد في الزهد (٥٠٨) وأبو نعيم في الحلية (٢١١/١-٢١٢) وغيرهم. ورجاله ثقات، لكن في سنته انقطاع. وله طرق عن أبي الدرداء. انظر الزهد لأبي داود (٢٤٠).

(٢) ز: «يطغيكم».

(٣) وهي حكاية أبي عبدالله أحمد بن يحيى الجلاء من أكابر مشايخ الشام (١٠٦هـ)، وقد ذكر في الحكاية أنه نسي القرآن. انظر تاريخ دمشق (٦/٨٤).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في التوبة (١٩٥) وأبو نعيم في الحلية (٣١/٣) والبيهقي في الشعب (٦٨٣٩) وسنده صحيح (ز). وسليمان بن طرخان التيمي تابعي من خيار أهل البصرة وكان من العباد المجتهدين. انظر ترجمته في السير (٦/١٩٥). وقد نسب المصنف هذا القول في روضة المحبين (٥٨٦) إلى ابنه المعتمر. هذا، وقد وردت بعد هذه العبارة في خب زيادة نصها: «وقال ذو النون: من خان الله في السر هتك ستره في العلانية». ولعلها كانت حاشية لبعض القراء أقحمها ناسخ في المتن. ثم هذا من كلام يحيى بن معاذ الراري في صفة الصفوة (٢٥٦/٢). وقد أثبتت هذه الزيادة في ط المدني وأبي السمح ومحمد فائد وغيرهم ولكن بعد قول يحيى الراري! (ص).

(٥) من كبار الزهاد، توفي في نيسابور سنة ٢٥٨. طبقات الصوفية (١٠٧) والسير (١٥/١٣).

دعائه: اللهم لا تُشِّمْتُ بي الأعداء، ثم هو يُشِّمْتُ بنفسه كُلَّ عدو له!
فيل: وكيف ذلك؟ قال: يعصي الله فُيُشِّمْتُ به في القيامة كُلَّ عدو^(١).

فصل

وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة والمضرّة^(٢) بالقلب والبدن
والدنيا^(٣) والآخرة ما لا يعلمه إلا الله^(٤).

فمنها: حرمان العلم، فإنَّ العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية
تطفيء ذلك النور.

ولمَّا جلس الشافعي بين يدي مالك وقرأ عليه^(٥) أعجبه ما رأى من
وفور فطنته، وتوقد ذكائه، وكمال فهمه؛ فقال: إني أرى الله قد ألقى
على قلبك نوراً، فلا تطفئه بظلمة المعصية^(٦).

وقال الشافعي^(٧):

شکوتُ إلی وکیع سوَّه حفظی فارشدَنی إلی ترك المعاشي
وقال اعلم بآئَ العلم فضلُ وفضلُ الله لا يؤتاه عاصٍ^(٨)

(١) لم أقف عليه.

(٢) فـ: «المذمومة والمغرة». سـ: «المذمومة المضرة».

(٣) فـ: «في الدنيا».

(٤) وقد ذكر المؤلف جملة من آثار المعاشي في طريق الهجرتين (٥٩١).

(٥) «عليه» ساقط من سـ.

(٦) تاريخ مدينة دمشق (٢٨٦/٥١). وسيأتي مرة أخرى في ص (١٨٨).

(٧) سـ: «وقال الشاعر».

(٨) سـ: «لا يؤتى ل العاص». وانظر ديوان الشافعي (٧٢).

ومنها: حرمان الرزق. وفي المسند: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُه». وقد تقدّم^(١).

وكما أَنَّ تقوى الله مَجْلِبةً للرزق، فترك التقوى مَجْلِبةً للفقر. فما استُجْلِبَ رِزْقُ الله بمثل ترك المعا�ي.

ومنها: وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله، لا يوازنها ولا يقارنها^(٢) لذلة أصلًا. ولو اجتمعت له لذات الدنيا بأسرها لم تفِ بتلك الوحشة. وهذا أمر لا يحسّ به إلا من في قلبه حياة. و«ما لجرح بميتٍ إِيلَامٌ»^(٣).

فلو لم يترك الذنوب إلا حذرًا من وقوع تلك الوحشة، لكان العاقل حرًياً بتركها.

وشكا رجل إلى بعض العارفين وحشة يجدها في نفسه فقال له^(٤):

إذا كنتَ قد أوحشتَك الذنوبُ فدعها إذا شئتَ واستأنسِ

(١) في ص (١٣ ، ١٠٣).

(٢) كذا في ل، خا. وفي ف: «لا يوازيها ولا يقاربها». وفي ز: «لا يوازنها ولا يقاربها». والفعل الثاني في س بالباء والنون معًا.

(٣) عجز بيت لأبي الطيب في ديوانه (٢٤٥) وصدره: من يهُنْ يسْهُلُ الْهُوَانُ عَلَيْهِ

(٤) ف: «قال له». ز: «وقال له».

(٥) أنسده المصنف في المدارج (٤٠٦/٢) أيضًا، وسيأتي مرة أخرى في ص (١٨٣). وهو يشبه قول القاضي أبي بكر الأرجاني، وقد يكون روایة مغيرة منه:

أساتَ فأصبحتَ مستوحشاً فأحسِنْ متى شئتَ واستأنسِ

انظر: ديوانه (٨١٦)، وخریدة القصر - قسم فارس (٢٨١/٣)، وصدره في =

وليس على القلب أمرٌ من وحشة الذنب على الذنب، فالله المستعان^(١).

ومنها: الوحشة التي تحصل له بينه وبين الناس، ولا سيما أهل الخير منهم، فإنه يجد وحشةً بينه وبينهم؛ وكلما قويت تلك الوحشة بعدها منهم ومن مجالستهم، [٢٦/١] وحرّم بركة الانتفاع بهم، وقرب من حزب الشيطان بقدر ما بعده من حزب الرحمن. وتقوى هذه الوحشة حتى تستحكم، فتقع بينه وبين امرأته ولده وأقاربه، وبينه وبين نفسه، فتراه مستوحشاً من نفسه!

وقال بعض السلف: إني لأعصي الله، فأرى ذلك في خلق دابتني وأمرأتي^(٢).

ومنها: تعسّير أموره عليه. فلا يتوجه لأمر إلا يجده مغلقاً دونه، أو متعرضاً عليه. وهذا كما أنّ من اتقى الله جعل له من أمره يسراً، فمن عطل التقوى جعل له من أمره عسراً.

ويا الله العجب! كيف يجد العبد أبوابَ الخير والمصالح مسدودةً عنه، وطرقها معسّرةً عليه، وهو لا يعلم من أين أتى؟

ومنها: ظلمة يجدها في قلبه حقيقةً، يحسّ بها كما يحس بظلمة

= المتنخل (٥٥٧/٢) .

أمستوحشْ أنت ممّا صنعتْ

(١) ف: «والله المستعان».

(٢) من كلام فضيل بن عياض. ولفظه في الحلية (٨/١٠٩): «... فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي».

الليل البهيم إذا ادّلهمَ، فتصير ظلمةً المعصية لقلبه كالظلمة الحسية لبصره. فإنّ الطاعة نور، والمعصية ظلمة، وكلّما قويت الظلمة ازدادت حيرته، حتّى يقع في البدع والضلالات والأمور المهلكة، وهو لا يشعر، كأعمى خرج في ظلمة الليل يمشي وحده. وتقوى هذه الظلمة حتّى تظهر في العين، ثم تقوى حتّى تعلو الوجه وتصير سواداً فيه^(١) يراه كلّ أحد.

قال عبد الله بن عباس^(٢): إنّ للحسنة ضياءً في الوجه، ونوراً في القلب، وسعةً في الرزق، وقوّةً في البدن، ومحبةً في قلوب الخلق. وإنّ للسيئة سواداً في الوجه، وظلمةً في القلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضّةً في قلوب الخلق^(٣).

(١) ز: «في الوجه».

(٢) قارن بما نقله المصنف عن ابن عباس وأنس في روضة المحبين (٥٨٦).

(٣) لم أقف عليه. وقد ورد نحوه عن الحسن البصري ومالك بن دينار وإبراهيم بن أدهم وأنس بن مالك مرفوعاً.

فاما الحسن، فأخرج قوله ابن أبي الدنيا في التوبة (١٩٣، ١٩٧) والبيهقي في الشعب (٦٨٢٦) وغيرهما بلفظ «إن الرجل ليعمل الحسنة فتكون نوراً في قلبه، وقوّة في بدنـه. وإن الرجل ليعمل السيئة ف تكون ظلمة في قلبه، ووهنا في بدنـه». هذا لفظ ابن أبي الدنيا، وسنه صحيح.

واما مالك بن دينار، فأخرج كلامه أحمد في الزهد (١٨٧٦) بلفظ «إن الله تبارك وتعالى عقوبات في القلوب والأبدان، وضنكًا في المعيشة، وسخطًا في الرزق، ووهنا في العبادة».

واما إبراهيم بن أدهم فقال: «إن للذنوب ضعفاً في القوة، وظلمةً في القلب وإن للحسنات قوّة في البدن ونوراً في القلب». أخرجه البيهقي في الشعب (٦٨٢٧).

واما حديث أنس بن مالك، فذكره ابن أبي حاتم في العلل (١٩٠٩) وقال: «هذا حديث منكر، وأبو سفيان مجاهول».

ومنها : أنّ المعاشي توهن القلب والبدن .

أما وهنها للقلب ، فأمر ظاهر بل لا تزال توهنه حتى تزيل حياته بالكلية .

وأما وهنها للبدن ، فإنّ المؤمن قوته من قلبه^(١) ، وكلّما قوي قلبه قوي بدنـه . وأما الفاجر^(٢) ، فإنه وإن كان قويّ البدن ، فهو أضعف شيء عند الحاجة ، فتخونه قوته أحوج ما يكون إلى نفسه . وتأمّل قوة أبدان فارس والروم ، كيف خانتهم أحوج ما كانوا إليها^(٣) ؟ وقهرهم أهل الإيمان بقوّة أبدانهم وقلوبهم ؟

ومنها : حرمان الطاعة . فلو لم يكن للذنب عقوبة إلا أنه^(٤) يصدّ عن طاعة تكون بدأه ، ويقطع طريق طاعة أخرى ، فينقطع عليه^(٥) طريق ثالثة ، ثم رابعة ، وهلمّ جراً . فينقطع عليه^(٦) بالذنب طاعات كثيرة ، كلّ واحدة منها^(٧) خير له من الدنيا وما عليها . وهذا كرجل أكل أكلة أو جبت له مرضة [٢٦/ب] طويلة منعه من عدة أكلات أطيب منها ، فالله المستعان^(٨) .

(١) ز : «في قلبه» .

(٢) ز : «العجز» ، تحريف .

(٣) ز : «إليهم» ، خطأ .

(٤) ز : «أن» .

(٥) س ، ز : «فتنقطع عليه» . وزاد بعده في ف : «بالذنب» .

(٦) ز : «عنه» .

(٧) س ، ز : «كل واحد» . و«منها» ساقط من ل .

(٨) ف ، ز : «والله المستعان» .

ومنها: أن المعاشي تقصير العمر^(١)، وتحقق بركته، ولابد؛ فإن البر كما يزيد في العمر، فالفجور^(٢) يقصر العمر.

وقد اختلف^(٣) الناس في هذا الموضوع. فقالت طائفة: نقصان عمر العاصي هو ذهاب بركة عمره ومحققها عليه. وهذا حق، وهو بعض تأثير المعاشي.

وقالت طائفة: بل تقصصه^(٤) حقيقة، كما ينقص الرزق. فجعل الله سبحانه للبركة في الرزق أسباباً تكثّر وتزيد، وللبركة في العمر أسباباً تكثّر وتزيد^(٥).

قالوا: ولا يمتنع زيادة العمر بأسباب، كما ينقص بأسباب. والأرزاق^(٦) والأجال، والسعادة والشقاوة، والصحة والمرض، والغنى والفقير، وإن كانت بقضاء ربّ عز وجل، فهو يقضي ما يشاء بأسبابٍ جعلها موجبةً لمسبّاتها مقتضيةً لها.

وقالت طائفة أخرى: تأثير المعاشي في محق العمر إنما هو بأن

(١) «العمر» ساقط من س.

(٢) في ز: «إن البر... والفجور» بالواو مكان الفاء، وهو خطأ.

(٣) ف: «وقد تكلم».

(٤) «بل» ساقطة من ف. وفيما عدا ل: «ينقصه».

(٥) «للبركة... وتزيد» ساقط من ف.

(٦) ل: «فالأرزاق».

حقيقة الحياة هي حياة القلب، وللهذا^(١) جعل الله سبحانه الكافر ميتاً غير حيّ، كما قال تعالى: «أَمَوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٌ» [النحل / ٢١]، فالحياة في الحقيقة حياة القلب، وعمر الإنسان مدة حياته، فليس عمره إلا أوقات حياته بالله، فتلك ساعات عمره. فالبرّ والتقوى والطاعة تزيد في هذه الأوقات التي هي حقيقة عمره، ولا عمر له سواها.

وبالجملة، فالعبد إذا أعرض عن الله، واستغله بالمعاصي، ضاعت عليه أيام حياته الحقيقة التي يجد غبّ إضاعتها يوم يقول: «يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاةٍ ﴿٢﴾» [الفجر / ٢٤]. فلا يخلو إما أن يكون له^(٢) مع ذلك تطلع إلى مصالحه الدنيوية والأخروية، أو لا. فإن لم يكن له تطلع إلى ذلك^(٣)، فقد ضاع عليه عمره كله، وذهبت حياته باطلًا. وإن كان له تطلع إلى ذلك^(٤) طالت عليه الطريق بسبب العوائق، وتعسرت عليه أسباب الخير، بحسب اشتغاله بأعدادها، وذلك نقصان حقيقي من عمره.

وسرّ المسألة أنّ عمر الإنسان مدة حياته، ولا حياة له إلا بإقباله على ربّه^(٥)، والتنعم بحبه وذكره، وإيثار مرضاته.

(١) ز: «حياة القلوب ولقد».

(٢) «له» ساقط من لـ.

(٣) فـ: «مع ذلك إلى ذلك».

(٤) «فقد ضاع... إلى ذلك» ساقط من سـ.

(٥) سـ: «بالإقبال...». فـ: «بإقباله عليه»، وصححه بعضهم في الحاشية.

فصل

ومنها: أن المعاشي تزرع أمثالها ويولد^(١) بعضها بعضاً حتى يعزّ^(٢) على العبد مفارقتها والخروج منها، كما قال بعض السلف: إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها، وإن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها^(٣). فالعبد إذا عمل [١/٢٧] حسنة قالت أخرى إلى جانبها: اعملني أيضاً، فإذا عملها قالت الثانية كذلك، وهلم جرّاً، فتضاعف الربح^(٤)، وتزايدت الحسنات. وكذلك جانب^(٥) السيئات أيضاً، حتى تصير الطاعات والمعاقيب هيئات راسخة وصفات لازمة وملكات ثابتة. فلو عطل المحسن الطاعة لضاقت عليه نفسه، وضاقت عليه الأرض بما راحت، وأحسّ من نفسه بأنه كالحوت إذا فارق الماء، حتى يعاودها، فتسكن نفسه، وتقرّ عينه.

ولو عطل المجرم المعصية وأقبل على الطاعة لضاقت عليه نفسه، وضاق صدره، وأعيتْ عليه مذاهبه، حتى يعاودها. حتى إنَّ كثيراً من الفساق لي الواقع^(٦) المعصية من غير لذة يجدها، ولا داعية إليها، إلا لما

(١) ل، ز: «تولد».

(٢) ف: «يعسر».

(٣) ذكره المؤلف في طريق الهجرتين (٤٨٦)، وضمنه كلامه في المدارج (١٨٤/١)، والفوائد (٣٥). ونسبة شيخ الإسلام إلى سعيد بن جبير. مجموع الفتاوى (١١/١٠)، وانظر (١٥/٢٤٦)، (١٨/١٧٧).

(٤) ف: «الزرع».

(٥) ز: «كانت».

(٦) ف: «وحتى إنَّ... ي الواقع».

يجد من الألم بمفارقتها؛ كما صرّح بذلك شيخ القوم الحسن بن هانىء حيث يقول:

وكأسٍ شربتُ على لذةٍ وأخرى تداوينَ منها بها^(١)
وقال آخر^(٢):

فَكَانَتْ دَوَائِي وَهِيَ دَائِي بَعِينِهِ كَمَا يَتَدَاوِي شَارِبُ الْخَمْرِ بِالْخَمْرِ^(٣)
وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَعْانِي الطَّاعَةِ، وَيَأْلِفُهَا، وَيَحْبَبُهَا، وَيُؤْثِرُهَا حَتَّى يَرْسُلَ
الله سُبْحَانَهُ بِرَحْمَتِهِ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةَ تَؤْزُّهُ إِلَيْهَا^(٤) أَزَّاً، وَتَحْرِضُهُ عَلَيْهَا،
وَتَزْعُجُهُ عَنْ فَرَاسَهُ وَمَجْلِسِهِ إِلَيْهَا^(٥). وَلَا يَزَالُ يَأْلِفُ الْمُعَاصِيِّ،
وَيَحْبَبُهَا، وَيُؤْثِرُهَا^(٦)، حَتَّى يَرْسُلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الشَّيَاطِينَ فَتَؤْزُّهُ إِلَيْهَا أَزَّاً.

فَالْأُولُى جَنَدُ الطَّاعَةِ بِالْمَدْدِ، فَصَارُوا مِنْ أَكْبَرِ أَعْوَانِهِ. وَهَذَا

(١) ف: «فَكَأسٌ»، س: «وَكَأسًا». وكذا نسبه المؤلف هنا إلى أبي نواس، ونحوه في زاد المعاد: «قال شيخ الفسوق» (٤/٢٠٩). والبيت للأعشى في ديوانه (٢٢٣). أما بيت أبي نواس الذي في معناه فهو:
دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءٌ وَدَاوِنِي بِالَّتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ
انظر ديوانه (٦).

(٢) ف: «الآخر».

(٣) س، ز: «وَكَانَتْ». ز: «وَهُوَ دَائِي». والشطر الثاني من بيت مشهور ينسب إلى المجنون (ديوانه: ١٢٢) وإلى قيس بن ذريع (شعره: ٩٥)، صدره:
تَدَاوِيَتُ مِنْ لَيْلَى بِلَيْلَى عَنِ الْهُوَى
وَلَعَلَّ قَائِلَ الْبَيْتِ الَّذِي نَقَلَهُ الْمُؤْلِفُ ضَمِّنَ الشَّطَرِ الثَّانِيِّ.

(٤) «إِلَيْهَا» ساقط من ز.

(٥) «وَتَحْرِضُهُ... إِلَيْهَا» ساقط من ف.

(٦) «وَيُؤْثِرُهَا» ساقط من ف.

قوى جند المعصية بالمدد، فكانوا^(١) أعوانا عليه.

فصل

ومنها - وهو من أخوتها على العبد - أنها تضعف القلب عن إرادته^(٢)، فتقوى إرادة المعصية، وتضعف إرادة التوبة شيئاً فشيئاً إلى أن تنسلخ من قلبه إرادة التوبة بالكلية، فلو مات نصفه لما تاب إلى الله. فيأتي من الاستغفار وتوبة الكذابين باللسان بشيء كثير، وقلبه معقود بالمعصية، مُصرّ عليها، عازم على مواقعتها متى أمكنه^(٣).

وهذا من أعظم الأمراض وأقربها إلى الهلاك.

فصل^(٤)

ومنها: أنه ينسلخ^(٥) من القلب استقباحها، فتصير^(٦) له عادة، فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له، ولا كلامهم فيه.

وهذا عند أرباب الفسوق هو غاية التهتك وتمام اللذة، [٢٧/ب] حتى يفتخر أحدهم بالمعصية، ويحدث بها من لم يعلم أنه عملها، فيقول: يا فلان عملت كذا وكذا!

(١) ل: «وكانوا».

(٢) «فصل... إرادته» لم يرد في ف. قوله: «فكانوا أعوانا عليه» موصول بقوله: «فتقوى إرادة المعصية».

(٣) ف: «أمكنه».

(٤) كلمة «فصل» لم ترد في ز.

(٥) ل: «أن تنسلخ».

(٦) ما عدا ف: «فيصير».

وهذا الضرب من الناس لا يُعافون، وتسد عليهم طريق التوبة، وتغلق^(١) عنهم أبوابها في الغالب، كما قال النبي ﷺ: «كُلُّ أُمَّةٍ مُعَاوِيٌّ إِلَّا مُجَاهِرٌ». وإنَّ من الإِجْهَارِ أَنْ يَسْتَرَ اللَّهُ عَلَى الْعَبْدِ، ثُمَّ يُصْبِحُ يُفْضَحَ نَفْسَهُ، وَيَقُولُ: يَا فَلَانُ عَمِلْتُ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا، فِيهِتَكْ نَفْسَهُ، وَقَدْ بَاتَ يَسْتَرُهُ رَبُّهُ»^(٢).

ومنها: أنَّ كُلَّ مُعْصِيَةٍ مِنَ الْمُعَاصِي فَهِيَ مِيراثٌ عَنْ أُمَّةٍ مِنَ الْأَمَمِ الَّتِي أَهْلَكَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. فاللُّوطِيَّةُ: مِيراثٌ عَنْ قَوْمٍ لَوْطًا. وَأَخْذُ الْحَقِّ بِالْزَائِدِ، وَدَفْعُهُ بِالنَّاقْصِ: مِيراثٌ عَنْ قَوْمٍ شَعِيبٍ. وَالْعُلوُّ فِي الْأَرْضِ وَالْفَسَادِ: مِيراثٌ عَنْ فَرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ^(٤). وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّجْبِيرُ: مِيراثٌ عَنْ قَوْمٍ هُودٍ. فالعاصي لَا يُسْتَأْنِفُ بَعْضَ هَذِهِ الْأَمَمِ، وَهُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ.

وقد روى عبد الله بن أحمد في كتاب الزهد^(٥) لأبيه عن مالك بن دينار قال: أوحى الله إلى نبيٍّ من الأنبياء بنبي إسرائيل أنْ قل لقومك: لا تدخلوا مداخل أعدائي، ولا تلبسو ملابس أعدائي، ولا تركبوا مراكب أعدائي، ولا تطعموا مطاعم أعدائي؛ ف تكونوا أعدائي، كما هم أعدائي.

(١) س: «يَسْدَ...». ز: «يَسْدَ... وَيَغْلُقُ».

(٢) ز: «فَيُصْبِحُ».

(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه (٦٠٦٩)؛ ومسلم في الزهد، باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه (٢٩٩٠).

(٤) ما عدا س: «قَوْمٌ فَرْعَوْنٌ».

(٥) لم أقف عليه، والذي فيه برقم ٥٢٣ من قول عقبيل بن مدرك السلمي. وأخرجه ابن أبي الدنيا في الأمر بالمعروف (٧٣) وأبو نعيم في الحلية (٣٧١/٢) من قول مالك بن دينار.

أعدائي^(١).

وفي مسنند أَحْمَد^(٢) من حديث عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: «بُعِثْتُ بِالسِّيفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ حَتَّى يُبَعَّدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رَزْقِي تَحْتَ ظَلَّ رَمْحِي، وَجُعِلَ الذَّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي. وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ».

(١) «كما هم أعدائي» ساقط من س. والأفعال في غيرها مسندة إلى الغائبين: «لا يدخلوا»، «ولا يلبسو» وهكذا.

(٢) ٩٢، ٥٠ / ٥٦٦٧، ٥١١٥). وأخرجه أبو داود (٤٠٣١) مقتضياً على ذكر التشبيه فقط، وابن أبي شيبة (١٩٣٩٤) وعبد بن حميد (المتتبّع - ٨٤٦) والطبراني في مسنند الشاميين (٢١٦) وغيرهم، من طريق عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن عطية عن أبي المنيب عن ابن عمر، فذكره. وهذا الحديث تفرد به عبد الرحمن بن ثابت، وفي حفظه ضعف وقال الإمام أحمد: أحاديثه مناكير. تهذيب الكمال (١٧/١٤ - ١٨). فهل يتحمل تفرد بهذا الحديث؟ وقد ذكره البخاري في صحيحه، معلقاً بصيغة التمريض، في الجهاد، باب ما قيل في الرماح (٣/٦٧).

وقد روی عن الأوزاعي عن حسان عن أبي المنيب عن ابن عمر فذكره. والصواب فيه: عن الأوزاعي عن سعيد بن جبلة عن طاووس مرسلأ. أخرجه ابن أبي شيبة (١٩٤٣٠) وغيره.

وقد روی عن جماعة من الصحابة، ولا يثبت منها شيء. والحديث صحيحة جماعة، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية والذهبي والعرافي وابن حجر وغيرهم.

راجع: تحقيق المسنند (٩/١٢٣ - ١٢٦) وحاشية ذم الكلام للهروي (٢/٣٩٢ - ٣٩٤) والإرواء (٥/١٠٩ - ١١١) والفوسية المحمدية لابن القيم (٨٠ - ٨١).

فصل

ومنها: أن المعصية سبب لهوانِ العبد على ربه، وسقوطه من عينه.

قال الحسن البصري: هانوا عليه فعصوه، ولو عزّوا عليه

لَعَصَمْهُمْ^(١).

وإذا هان العبد على الله لم يكرمه أحد، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكَرِّمٍ﴾ [الحج/١٨]. وإن عظمهم الناس في الظاهر ل حاجتهم إليهم أو خوفاً^(٢) من شرّهم، فهم في قلوبهم أحقر شيء وأهونه.

ومنها: أن العبد لا يزال يرتكب^(٣) الذنب، حتى يهون عليه، ويصغر في قلبه. وذلك علامة ال�لاك، فإن الذنب كلّما صغر [١/٢٨] في عين العبد عظم عند الله.

وقد ذكر البخاري في صحيحه^(٤) عن ابن مسعود^(٥) قال: إن المؤمن يرى ذنبه كأنه^(٦) في أصل جبل يخاف أن يقع عليه. وإن الفاجر يرى ذنبه كذباب وقع على أنفه، فقال به هكذا، فطار.

(١) لم أقف عليه. وقد ورد عن أبي سليمان الداراني قال: «إنما هانوا عليه فتركهم ومعاصيه، ولو كرموا عليه لمنعهم عنها». أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/٢٦١) والبيهقي في الشعب (٦٨٣٦) وابن عساكر في تاريخه (٣٤/١٥١).

(٢) س: «خوفهم».

(٣) ف: «يركب».

(٤) في كتاب الدعوات، باب التوبة (٦٣٠٨).

(٥) ل: «عبدالله بن مسعود».

(٦) «كأنه» ساقط من ف.

فصل

ومنها: أنّ غيره من الناس والدوابّ يعود عليه شؤم ذنبه، فيحترق هو وغيره بشؤم الذنوب والظلم^(١).

قال أبو هريرة: إنّ الحباري لَتَمُوتُ فِي وَكْرِهَا مِنْ ظُلْمِ الظَّالِمِ^(٢).

وقال مجاهد^(٣): إنّ الْبَهَائِمَ تَلْعَنُ عَصَمَةَ بْنِي آدَمَ إِذَا اشْتَدَتِ السَّنَةُ، وأمسك^(٤) المطر؛ وتقول: هذا بشؤم معصية ابن آدم^(٥).

(١) فـ: «الظلم والذنوب».

(٢) أخرجه الطبرى في تفسيره (١٤/١٢٦) والبيهقي في الشعب (٧٠٧٥) من طريق محمد بن جابر وعمر بن جابر الحتفيين كلامهما عن يحيى بن أبي كثیر عن أبي سلمة عن أبي هريرة أنه سمع رجلاً يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه. فقال أبو هريرة: بل والله... فذكره. محتمل للتحسين، فإنّ محمد بن جابر ضعيف الحفظ، وأخوه عمر لم يوثقه غير ابن حبان.

وأيضاً رواه عكرمة بن عمّار عن يحيى بن أبي كثیر، قال: قال رجل عند أبي هريرة، فذكره. أخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات (٢٦٩). ورواه ضمرة بن ربعة عن الشيباني قال: سمع أبو هريرة رجلاً يقول: كل شاة معلقة برجلها، فقال أبو هريرة: كلا والله، وذكره. أخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات (٢٧٢) وسنته منقطع.

(٣) «مجاهد» ساقط من س.

(٤) سـ: «أمسكت».

(٥) فـ: «بني آدم». أخرجه ابن وهب في تفسيره من الجامع ١٤ - ١٣ / ٢٤ (٢٤) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٤٦، ١٤٤٨) من طريق ابن أبي نجيح فذكره. وأخرجه الثوري في تفسيره (٥٣ - ٥٤) وابن أبي حاتم (١٤٤٧) والطبرى (٢/٥٤ - ٥٥) وابن أبي الدنيا في العقوبات (٢٧١) وأبو نعيم في الحلية (٣/٢٨٦ - ٢٨٧) وغيرهم، من طريق منصور بن المعتمر عن مجاهد قال:

وقال عكرمة: دواب الأرض وهوامها حتى الخنافس والعقارب يقولون: مِنْعَنَا الْقَطْرَ بِذُنُوبِ بْنِي آدَمَ^(١).

فلا يكفيه عقاب ذنبه، حتى يبوء بلعنة^(٢) من لا ذنب له.

فصل

ومنها: أن المعصية تورث الذل، ولا بد؛ فإن العز كل العز^(٣) في طاعة الله تعالى. قال تعالى: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلَلَّهُ الْعِزَّةُ جِبِيلًا» [فاطر/١٠] أي: فليطلبها بطاعة الله، فإنه لا يجدها إلا في طاعته.

وكان من دعاء بعض السلف: اللهم أعزني بطاعتكم، ولا تذرني بمعصيتك^(٤).

قال الحسن البصري: إنهم، وإن طقطقت بهم البغاء، وهملجت بهم البراذين^(٥)، إن ذلة المعصية لا يفارق قلوبهم^(٦). أبى الله إلا أن

= «العقارب والخنافس والدواب يقولون: حبس عنا المطر بذنب بني آدم». وهو صحيح عن مجاهد.

(١) أخرجه الطبراني (٥٥/٢) بسنده لا بأس به.

(٢) س، ل: «حتى يلعنه».

(٣) «كل العز» ساقط من ز.

(٤) من دعاء جعفر الصادق. انظر الحلية (٣٢٨/٣)، وفيه: «ولا تخزني». وانظر طريق الهجرتين (٣٩/ب).

(٥) الهملة: حسن سير الدابة في سرعة وبخترة. والبراذين من الخيل: ما كان من غير نتاج العرب. انظر اللسان (هملة، برذن).

(٦) س: «رقابهم».

يُذَلَّ مِنْ عَصَاهُ^(١).

وقال عبد الله بن المبارك^(٢):

رأيُ الذنوب تميت القلوب
وقد يورث الذل إدمانُها
وترك الذنوب حياة القلوب
وخير لنفسك عصيانُها
وهل أفسد الدين إلا الملوك
وأحبارُ سوء ورهبانيَّها^(٣)

فصل

ومنها: أن المعاصي تفسد العقل. فإن للعقل نوراً، والمعصية تطفئ نور العقل، ولابد؛ وإذا طفى نوره ضعف ونقص.

وقال بعض السلف: ما عصى الله أحد حتى يغيب عقله^(٤).

وهذا ظاهر، فإنه لو حضره عقله^(٥) لحجزه عن المعصية، وهو في قبضة الرب تعالى وتحت قهره، وهو^(٦) مطلع عليه، وفي داره وعلى بساطه، وملائكته شهود عليه ناظرون إليه، وواعظ القرآن ينهاه، وواعظ

(١) نقله المصنف في إغاثة اللهفان (٩٢١، ١٠٦)، وروضة المعجين (٢٠١). ونقله أبو نعيم في الحلية (١٧٧/٢) بلفظ قريب منه. وانظر العقد (٢٠٢/٣).

(٢) ف: «وقال ابن المبارك».

(٣) بهجة المجالس (٣/٣٣٤). وانظر زاد المعاد (٤/٢٠٣) والمدارج (٣/٢٦٤).

(٤) أخرجه ابن حبان في الثقات (٧/٦٥٨) بسنده عن أبي العالية قال: «ما عصى الله عبد إلا من جهالة». وجاء هذا المعنى عن مجاهد وغيره. وقال المناوي في فيض القدير (١/٨٦): «ولهذا قال حكيم... فذكره.

(٥) ل: «حضر عقله».

(٦) ز: «وتحت قدرته هو».

الإيمان ينهاه، وواعظ الموت ينهاه^(١)، وواعظ النار ينهاه، والذى [٢٨/ب] يفوته بالمعصية من خير الدنيا والآخرة أضعافُ أضعاف ما يحصل له من السرور واللذة بها، فهل يُقدم على الاستهانة بذلك كله والاستخفاف به ذو عقل سليم؟

فصل

ومنها: أنَّ الذنوب إذا تكاثرت طُبعَ على قلب صاحبها، فكان من الغافلين؛ كما قال بعض السلف في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بِلَّ رَأَنَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين/ ١٤] قال: هو الذنب بعد الذنب^(٢).

وقال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى يعمي القلب^(٣).

وقال غيره: لما كثرت ذنوبهم ومعاصيهم أحاطت بقلوبهم^(٤).

وأصل هذا أنَّ القلب يصدأ من المعصية، فإن^(٥) زادت غالب

(١) «وواعظ الموت ينهاه» ساقط من س.

(٢) في المدارج (٣/٢٢٣): «قال ابن عباس وغيره: هو الذنب بعد الذنب يغطي القلب حتى يصير كالرآن عليه» (ص). أخرجه البيهقي في الشعب (٦٨١٢) عن إبراهيم بن أدهم (ز).

(٣) تفسير الطبرى (٢٤/٢٠١). وذكر المصنف نحوه في شفاء العليل (٩٤) عن مجاهد (ص). أخرجه ابن أبي الدنيا في التوبة (١٩٦) قال الحسن: «تدرون ما الإرارة؟ الذنب بعد الذنب حتى يموت القلب». وأخرج في العقوبات (٧٠) عن محمد بن واسع: «الذنب على الذنب يميت القلب» (ز).

(٤) نسبة المؤلف في شفاء العليل (٩٤) إلى الفراء، وهو في معاني القرآن له (٣/٢٤٦).

(٥) ف: «فإذا».

الصدأ^(١) حتى يصير رانا^(٢)، ثم يغلب حتى يصير طبعاً وقفلًا وختماً، فيصير القلب في غشاوة وغلاف. فإن حصل له ذلك بعد الهدى وال بصيرة انتكس فصار^(٣) أعلى أسله، فحيثئذ يتولاه عدوه، ويسوقه حيث أراد^(٤).

فصل^(٥)

ومنها: أنّ الذنوب تدخل العبد تحت لعنة رسول الله ﷺ. فإنه لعن على معاصٍ، وغيرُها أكبرُ منها، فهي أولى بدخول فاعلها تحت اللعنة.

فلعن الواشمة والمستوشمة، والواصلة والموصلة^(٦)، والنامضة والمتنمصة، والواشرة والمستوشرة.

ولعن آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه.

ولعن المحلل والمحلل له.

ولعن السارق.

ولعن شارب الخمر، وساقبها، وعاصرها، ومعتصرها، وبائعها، ومشتريها، وأكل ثمنها، وحامليها، والمحمولة إليه.

(١) ل: «زاد عليه الصدأ».

(٢) ف: «رينا».

(٣) ف: «وصار».

(٤) وانظر: الباب الخامس عشر من شفاء العليل (١٥٠ - ١٨٣) «في الطبع والختم والقفل...».

(٥) كلمة «فصل» ساقطة من ز.

(٦) س: «الموصلة»، تحريف.

ولعن من غير منار الأرض، وهي أعلامها وحدودها.

ولعن من لعن والديه.

ولعن من اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحَ^(١) غَرْضًا يَرْمِيه بالسهام.

ولعن المختَشِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالْمُتَرَجَّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ.

ولعن من ذبْح لغير الله.

ولعن من أَحَدَثَ حَدَثًا أو آوى مُحَدِّثًا.

ولعن المصوّرين.

ولعن من عَمِلَ عَمَلًا قوم لوط.

ولعن من سبّ أَبَاهُ^(٢) وَمَنْ سبَّ أَمَّهُ.

ولعن من كَمَّهُ^(٣) أَعْمَى عَنِ الظَّرِيقِ.

ولعن من أتى بهيمة.

ولعن من وسم دابة في وجهها.

ولعن من ضَارَّ بِمُسْلِمٍ أَوْ مَكْرَ بِهِ.

ولعن زوارات القبور، والمتخذين عليها المساجد [١٩/أ] والسرُّج.

(١) ز: «روح».

(٢) «من سب أباه و» ساقط من ز.

(٣) في س: «أكمه». وفي حاشيتها أشير إلى هذه النسخة، وضبط بتشديد الميم.
والمعنى: أضل. وفي ز: «كره»، خطأ.

ولعن من أفسد امرأة على زوجها، أو مملوكاً على سيده .

ولعن من أتى امرأة في دبرها .

وأخبر أنَّ من باتت مهاجرةً لفراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح .

ولعن من انتسب إلى غير أبيه .

وأخبر أنَّ من أشار إلى أخيه بحديدة فإنَّ الملائكة تلعنه .

ولعن من سبَّ أصحابه .

وقد لعن اللهُ من أفسد في الأرض ، وقطع رحمه^(١) ، وأذاه وأذى رسوله ﷺ^(٢) .

ولعن من كتم ما أنزل الله سبحانه من البينات والهدى^(٣) .

ولعن الذين يرمون المحسنات الغافلات المؤمنات بالفاحشة^(٤) .

ولعن من جعل سبيل الكافر أهدي من سبيل المؤمن^(٥) .

(١) قال تعالى : « فَهَلْ عَسِيْتُمْ إِنْ تَوَلَّتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعْنُهُمُ اللَّهُ ۝ » [محمد / ٢٢ - ٢٣] .

(٢) قال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعْنُهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ۝ » [الأحزاب / ٥٧] .

(٣) قال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَكُمْ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَأْكُلُونَهُمُ اللَّهُ وَيَأْكُلُونَهُمُ اللَّهُعُونَ ۝ » [البقرة / ١٥٩] .

(٤) قال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْسَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ » [النور / ٢٣] .

(٥) س، ل : « المسلم ». قال تعالى : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَفْوَى نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ =

ولعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لِبْسَ الْمَرْأَة^(١) ، والمرأة تلبس لِبْسَ الرَّجُل^(٢) .

ولعن الراشي ، والمرتشي ، والرائش ، وهو الواسطة في الرشوة.

ولعن على أشياء آخر غير هذه^(٣) .

فلو لم يكن في فعل ذلك إلا رضا فاعله بأن يكون ممن يلعنه الله ورسوله وملائكته ، لكان في ذلك ما يدعو إلى تركه .

فصل^(٤)

ومنها : حرمان دعوة رسول الله ﷺ ودعوة الملائكة . فإن الله سبحانه أمر نبيه أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات ، وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسْتَحْوِنُ بِمُحَمَّدٍ رَّبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسَيْعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقَهْمَ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝ رَبَّنَا وَآذِنْهُمْ جَنَّتٍ عَدِّنَ الَّتِي وَعَدَتْهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ أَبَابِهِمْ وَأَزَّرَهُمْ وَذَرَرَتْهُمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَرِيرُ الْحَكِيمُ ۝ وَقَهْمُ الْسَّيِّئَاتِ﴾^(٥) [غافر / ٧ - ٩].

يُؤْمِنُونَ بِالْجِبِتِ وَالظَّغْوَتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَنُولَاءَ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعْنُهُمُ اللَّهُ ۝ [النساء / ٥١] .

(١) فـ : «لبس المرأة» ، وكذلك فيما بعد : «لبس الرجل» .

(٢) انظر تلك الأحاديث وغيرها في كتاب «مرويات اللعن في السنة المطهرة» للشيخ باسم بن فيصل الجوابرة .

(٣) «فصل» ساقط من ز .

(٤) انفرد س بزيادة ﴿وَمَنْ تَقَ الْسَّيِّئَاتِ يَوْمَيْذِي فَقَدْ رَحْمَتُمْ﴾ [غافر / ٩] .

فهذا دعاء الملائكة للمؤمنين التائبين، المتبعين لكتابه وسنة رسوله، الذين لا سبيل لهم^(١) غيرهما^(٢). فلا يطمع غير هؤلاء^(٣) بإجابة هذه الدعوة إذ لم يتصرف بصفات المدعول له بها. والله المستعان^(٤).

فصل

ومن عقوبات المعاشي: ما رواه البخاري في صحيحه^(٥) من حديث سمرة بن جندب قال: كان النبي ﷺ [٢٩/ب] ممّا يُكثّرُ أن يقول لأصحابه: هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا؟ فيقصّ عليه من شاء الله أن يقصّ. وإنّه قال لنا ذات غداة: «إنه أتاني الليلة آتیان، وإنّهما ابتعثاني، وإنّهما قالا لي: انطلق، وإنّي انطلقت معهما. وإنّا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه، فيثليغ^(٦) رأسه، فيتدحرجه^(٧) الحجر هاهنا، فيتبع الحجر، فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى يصحّ رأسه كما كان. ثم يعود عليه، فيفعل به مثلّ ما فعل المرّة الأولى»^(٨). قال: «قلت لهما: سبحان الله! ما هذان؟ قالا لي: انطلق انطلق».

فانطلقنا، فأتينا على رجل مستلقٍ لِقفاه، وإذا آخر قائمٍ عليه

(١) س، ز: «له». وفي حاشية س: «ظ لهم».

(٢) ل: «غيرها».

(٣) «فلا يطمع غير هؤلاء» ساقط من ل.

(٤) ز: «وبالله المستعان».

(٥) في كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح (٧٠٤٧).

(٦) أي يشدّه ويكسره.

(٧) أي يتدرّج.

(٨) س: «فعل به...». ف: «فعل في الأولى».

بَكَلْوَبٍ^(١) من حديد، وإذا هو يأتي أحد شِقَّي وجهه، فَيُشَرِّشُ شِدْقَه^(٢) إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينيه إلى قفاه. ثم يتحول إلى الجانب الآخر، فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول. فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصبح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه، فيفعل مثل مافعل^(٣) في المرة الأولى». قال: «قلتُ سبحان الله! ما هذان^(٤)? فقالا لي: انطلق انطلق».

فانطلقنا، فأتينا على مثل التّنور، وإذا^(٥) فيه لغط وأصوات». قال: «فاطلعنا فيه، فإذا فيه رجال ونساء عُراة، وإذا هم يأتيهم لهبٌ من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضُوضواً^(٦)». فقال: «قلتُ ما هؤلاء^(٧)? قال: «قالا لي: انطلق انطلق».

قال: «فانطلقنا، فأتينا على نهر أحمر مثل الدم، فإذا^(٨) في النهر رجلٌ سايخٌ يسبح، وإذا على شطّ النهر رجلٌ قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابع يسبح ما يسبح، ثم يأتي ذلك^(٩) الذي قد جمع عنده الحجارة^(١٠)، فيفغر له فاه، فيلقيمه حجرًا، فينطلق، فيسبح، ثم

(١) الكلوب: حديدة معوجة الرأس.

(٢) الشدق: جانب الفم. وشرشة الشيء: تقطيعه وتشقيقه.

(٣) ز: «فيفعل به...». «مثل مافعل» ساقط من ل.

(٤) ف: «ماهذا».

(٥) ف: «إذا».

(٦) ضوضى القوم: صاحوا واختلطت أصواتهم.

(٧) ز: «من هؤلاء».

(٨) ز: «إذا».

(٩) ف: «إلى ذلك».

(١٠) «كثيرة... الحجارة» ساقط من ز.

يرجع إليه. كلّما رجع إليه فغر له فاه، فألقمه حجرًا^(١) قلت لهما^(٢): ما هذان؟ قالا لي: انطلق انطلق.

فانطلقنا، فأتينا على رجل كريه المرأة^(٣)، كأكره^(٤) ما أنت راء رجلاً مرأى، وإذا هو عنده نار يحشّها^(٥) ويسعى حولها». قال: «قلت لهم: ما هذا؟ قالا لي: انطلق انطلق.

فانطلقنا، فأتينا على روضة مُعتمدة^(٦) فيها من كل نور الربع، وإذا بين ظهراني الروضة^(٧) رجل طويل لا أكاد أرى رأسه [١/٣٠] طولاً في السماء، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتمهم^(٨) قط». قال: «قلت: ما هذا؟ وما هؤلاء^(٩)؟» قال: «قالا لي: انطلق انطلق.

فانطلقنا، فأتينا إلى دوحة عظيمة لم أر دوحة قط^(١٠) أعظم منها ولا أحسن^(١١)!» قال: «قالا لي: ارق فيها، فارتقينا فيها إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة». قال: «أتينا باب المدينة، فاستفتحنا، ففتح لنا،

(١) «فينطلق فيسبع... حجرًا» ساقط من ف.

(٢) «لهمما» ساقط من ف.

(٣) المرأة والمرأى: المنظر.

(٤) س، ز: «أو كأكره».

(٥) ف: «عند نار...». ويحشّها: يوقدها.

(٦) من اعتم النبت إذا التفت وطال. وانظر: فتح الباري (٤٤٣/١٢).

(٧) ف: «ظهر الروضة» ز: «ظهري الربع الروضة»!

(٨) ز: «ما رأيتمهم».

(٩) لم ترد واو العطف في س. وفي ل: «قلت: ما هؤلاء».

(١٠) ف: «قط دوحة».

(١١) س: «وأحسن».

فدخلناها، فتلقانا رجالاً شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء، وشطر منهم كأبغض ما أنت راء». قال: «قالا لهم: اذهبوا، فقعوا في ذلك النهر». قال: «وإذا نهر معرض يجري كأن ماءه المحض^(١) في البياض. فذهبوا، فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا، وقد ذهب ذلك السوء عنهم». قال: «قالا لي: هذه جنة عدن، وهذا منزلك».

قال: «فسما بصري صعدا، فإذا قصر^(٢) مثل الربابة البيضاء»^(٣). قال: «قالا لي: هذا^(٤) منزلك». قال: «قلت لهما: بارك الله فيكما، فذراني فأدخله. قالا: أما الآن فلا، وأنت داخله».

قال: «قلت لهما: فإني رأيتُ منذ الليلة عجباً، فما هذا الذي رأيت؟» قال: «قالا^(٥): أما إننا سنخبرك:

أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يبلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن، فيرفضه؛ وينام عن الصلاة المكتوبة.

واما الرجل الذي أتيت عليه يُشرِّشُ شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه؛ فإنه الرجل يغدو من بيته، فيكذب الكذبةَ تبلغُ الآفاق.

واما الرجال والنساء العرابة الذين هم في مثل بناء التئور، فإنهم الزناة والزواني.

(١) اللبن الخالص بلا رغوة أو شوب ماء.

(٢) «قصر» ساقط من س.

(٣) الربابة: السحابة.

(٤) ل: «هذا».

(٥) ز: «قالا لي».

وأما الرجل الذي أتىت^(١) عليه يسبح في النهر، ويُلْقَم الحجارة،
فإنَّه آكل الربا .

واما الرجلُ الْكَرِيهُ الْمَرَآةُ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يُحْشِّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا ، فَإِنَّهُ
مَالِكُ خَازِنٌ جَهَنَّمَ^(٢) .

واما الرجل الطويل الذي^(٣) في الروضة، فإنَّه إبراهيم . وأما الولدان
الذين حوله، فكُلُّ مولودٍ مات على الفطرة» - وفي رواية البرقاني : «وُلِدَ
على الفطرة» - فقال بعض المسلمين : يا رسول الله ، وأولاد المشركين؟
قال رسول الله ﷺ: «أولاد المشركين .

واما القوم الذين كانوا شطراً منهم حسنٌ، وشطراً منهم قبيحٌ، فإنَّهم
قوم خلطوا عملاً صالحًا [٣٠/ب] وآخر سيئاً، تجاوز الله عنهم^(٤) .

فصل

ومن آثار الذنوب والمعاصي : أنها تُحدِث في الأرض أنواعاً^(٥) من
الفساد في المياه، والهواء، والزروع^(٦) ، والثمار، والمساكن .

قال تعالى : ﴿ ظَاهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْتَى النَّاسِ
لِيُذَيَّقُهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم / ٤١] .

(١) ف: «مررت».

(٢) ز: «خازن النار».

(٣) «الذي» ساقط من ف.

(٤) ز: «سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم يتجاوز عنهم»!

(٥) ز: «أموراً».

(٦) ل: «الزرع».

قال مجاهد^(١): إذا ولّى الظالم سعى بالظلم والفساد، فيحبس الله بذلك القطر، فيهلك الحرج والنسل، والله لا يحبّ الفساد. ثم قرأ: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ الآية، ثم قال: أما والله ما هو بحركم هذا، ولكن كل قرية على ماء جارٍ فهو بحر.

وقال عكرمة: ظهر الفساد في البر والبحر، أما إنّي لا أقول: بحركم هذا، ولكن كل قرية على ماء^(٢).

وقال قتادة: أما البر فأهل العمود، وأما البحر فأهل القرى والريف^(٣).

قلت: وقد^(٤) سمي الله تعالى الماء العذب^(٥) بحراً، فقال: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فَرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاجٌ ﴾^(٦) [الفرقان/٥٣]. وليس في العالم بحر حلو واقف، وإنما هي^(٧) الأنهر الجارية، والبحر

(١) في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّ سَكَنَ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهَلِّكَ الْحَرَثَ وَالنَّسْلَ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ [البقرة/٢٠٥]. انظر تفسير الطبرى (٣/٥٨٣)، (١٨/٥١٠). (ص) وسنته صحيح (ز).

(٢) تفسير الطبرى (١٨/٥١٠). (ص). وسنته صحيح (ز).

(٣) تفسير الطبرى (١٨/٥١١). (ص). وأشارجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/٨٦، (٤٢٨٤)، وسنته صحيح (ز).

(٤) س: «قلت قد».

(٥) ف: «لنا العذب». وزاد بعضهم في الحاشية: «الماء». ولعل «لنا» تحريف «الماء».

(٦) وقع في غير س بعد «فرات»: «سائغ شرابه»، لاشتباه بين هذه الآية وبين الآية (١٢) من سورة فاطر.

(٧) ف، ز: «واقفاً». ثم تحرف «حلو» في ز إلى «خلق»، كما تحرّف «إنما هي» =

المالح هو الساكن، فسمى^(١) القرى التي على المياه الجارية باسم تلك المياه.

وقال ابن زيد: «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ» [الروم / ٤١] قال: الذنوب^(٢).

قلت: أراد أن الذنوب^(٣) سبب الفساد الذي ظهر. وإن أراد أن الفساد الذي ظهر هو الذنوب نفسها، فيكون قوله^(٤) «لِيُذِيقُهُمْ» لام العاقبة والتعليل.

وعلى الأول، فالمراد بالفساد النقصُ والشُّرُّ والأَلَامُ التي يُحدثها الله في الأرض عند معاصي العباد، فكُلُّما أَحدثُوا ذنباً أَحدثُ لهم عقوبةً، كما قال بعض السلف: كُلُّما أَحدثتم ذنباً أَحدث الله لكم من سلطانه عقوبة^(٥).

والظاهر - والله أعلم - أن «الفساد» المراد به الذنوبُ وموجباتها^(٦). ويدل عليه قوله: «لِيُذِيقُهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا» [الروم / ٤١]. فهذا حالنا، وإنما أذاقنا الشيءَ اليسيرَ من أعمالنا، فلو^(٧) أذاقنا كلَّ أعمالنا لما

= في ف إلى «دائماً بين».

(١) ل: «فتسمى». ز: «فيسمي».

(٢) تفسير الطبرى (١٨/٥١١). (ص). وسنده صحيح (ز).

(٣) س: «الذنب».

(٤) في ط: «فيكون اللام في قوله»، وهو وجه الكلام، ولكن النسخ كلها اتفقت على ما أثبتنا.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات (٥٠) عن مالك بن دينار عن الحجاج، وفيه: «من سلطانكم».

(٦) ف: «وهو حياتها»، تحريف طريف.

(٧) ف: «ولو».

ترك^(١) على ظهرها من دابة.

ومن تأثير معاصي الله في الأرض: ما يحلّ بها من الخسف، والزلزال، ومحقِّ بركتها^(٢). وقد مرّ رسول الله ﷺ على ديار ثمود، فمنعهم من دخول ديارهم، ومن شرب مياههم^(٣)، ومن الاستقاء من آبارهم^(٤)، حتى أمر أن يعلَف^(٥) العجينُ الذي عُجِنَ [١/٣١] بمائهِم^(٦) للنواضح^(٧)، لتأثير شؤم المعصية في الماء.

وكذلك شؤم تأثير الذنوب في نقص الشمار وما ترمى^(٨) به من الآفات. وقد ذكر الإمام أحمد في مسنده^(٩) في ضمن حديث قال: وُجدَت في خزائن بني أمية حنطة، الحبة بقدر نواة التمر^(١٠). وهي في

(١) ل: «ما ترك».

(٢) ز: «ويتحقق بركتها».

(٣) ف: «مائتهم».

(٤) ف: «آبارهم».

(٥) س: «أن لا يعلَف»، خطأ.

(٦) س: «بمياههم».

(٧) يعني: الإبل. والحديث أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: «فَإِنَّ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَلَطَّهُ» (٣٣٧٩)؛ ومسلم في الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم... (٢٩٨١) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

(٨) س: «ترى». ز: «مما يرمى».

(٩) ٢٩٦/٢ (٧٩٤٩). وأخرجه العباس الدوري في تاريخه عن ابن معين ١٩١/٤

(١٠) (٣٨٩٧) بمثلك إلا أنه قال: «بطاعة الله» بدل «بالعدل». وسنته صحيح إلى أبي قحافة.

(١٠) س: «الثمرة».

صُرّة مكتوبٍ عليها: هذا كان ينبت في زمان العدل^(١).

وكثر من هذه الآفات أحدثها الله سبحانه بما أحدث العباد من الذنوب. وأخبرني جماعة من شيوخ الصحراء أنهم كانوا يعهدون الشمار أكبر مما هي الآن، وكثير من هذه الآفات التي تصيبها^(٢) لم يكونوا يعرفونها، وإنما^(٣) حديث من قرب.

وأما تأثير الذنوب^(٤) في الصور والخلق، فقد روى الترمذى في جامعه^(٥) عنه عليه السلام أنه قال: «خلق الله آدم، وطوله في السماء ستون^(٦) ذراعاً، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن».

ولمّا يظهر^(٧) اللَّهُ سبحانه الأرض من الظلمة والفسحة والخوة^(٨)،

(١) ل: «زمان العدل». ز: «عليها: نبت في زمان العدل». ولفظ المسند: «ووجد في زمان زياد أو ابن زياد صرة فيها حبٌّ أمثال النوى، عليه مكتوب: هذا نبت في زمان كان يُعمل فيه بالعدل».

(٢) ل: «لم تصبها»، خطأ.

(٣) ل: «فإنما».

(٤) «لم يكونوا... الذنوب» ساقط من ف.

(٥) كذا وقع هنا، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين، وإليهما عزاه المؤلف في زاد المعاد (٤٢٢/٢)، والمنار المنيف (٦٦). انظر صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذراته (٣٣٢٦)؛ وصحيح مسلم، كتاب الجنة، باب يدخل الجنة أقوام... (٢٨٤١).

(٦) ف: «وكان طوله... ستين».

(٧) كذا في جميع النسخ. ولمّا الحينية مختصة بالفعل الماضي. وجاء نحوه في نونية المؤلف (٤٤٢، ١٢٠١، ٤٤٢، ٣٠٨١). وفي ط: «إذا أراد الله أن يظهر»، ولعله إصلاح للنص.

(٨) س: «الخونة والفسحة».

ويُخرجُ عبداً من عباده من أهل بيته^(١) ﷺ، فيملأ الأرض قسطاً^(٢) كما ملئت جوراً^(٣)، ويقتل المسيحُ اليهودَ والنصارى، ويقيم الدين الذي بعث الله به رسوله^(٤) = تُخرجُ الأرض^(٥) بركتها، وتعود كما كانت، حتى إن العصابة من الناس ليأكلون الرمانة، ويستظلون بقحفها^(٦)، ويكون العنقود من العنبر وفَرْ بغير^(٧)، وإن اللقحة^(٨) الواحدة لتكتفي الفئام^(٩) من الناس^(١٠). وهذا لأنّ الأرض لما ظهرت من المعا�ي ظهرت^(١١) فيها آثار البركة من الله تعالى التي محققتها الذنوب والكفر.

ولا ريب أنّ العقوبات التي أنزلها الله في الأرض بقيت آثارها ساريةً في الأرض تطلب ما يشاكلها من الذنوب التي هي آثار تلك الجرائم التي عذبت بها الأمم. فهذه الآثار في الأرض^(١٢) من آثار تلك العقوبات،

(١) ز: «نبيه محمد».

(٢) س: «عدلاً».

(٣) كما ثبت في الأحاديث الواردة في المهدي عليه السلام. وانظر تفصيل القول فيها في المنار المنيف للمؤلف (١٤٨ - ١٥٣).

(٤) س: «رسوله محمداً ﷺ». ل: «بعث به رسوله».

(٥) ل: «وتخرج الأرض» بالواو، ولعله خطأ فإنّ «تخرج» هنا جواب لمَا.

(٦) يعني قشرها، تشبيهاً بقحف الرأس، وهو الذي فوق الدماغ. وقيل هو ما انفلق من ججمنته وانفصل. النهاية (١٧/٤).

(٧) الوقر: الحمل.

(٨) وهي الناقة القريبة العهد بالتاج. النهاية (٤/٢٦٢).

(٩) ما عدا ف: «تكفي الفئام». والفئام: الجماعة الكثيرة. النهاية (٣/٤٠٦).

(١٠) كما ثبت في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه. أخرجه مسلم في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال (٢٩٣٧).

(١١) س: «ظهر».

(١٢) «تطلب... الأرض» ساقط من ز.

كما أنّ هذه المعاصي من آثار تلك الجرائم. فتناسبت حكمه الله^(١) وحكمه الكوني أولاًً وأخراً، وكان العظيم من العقوبة للعظيم من الجنائية، والأخف للأخف. وهكذا يحكم سبحانه بين خلقه في دار البرزخ ودار الجزاء.

وتتأمل مقارنة الشيطان [٣١/ب] ومحلّه وداره، فإنّه لما قارن^(٢) العبد واستولى عليه، نزعَت البركةُ من عمره، وعمله، وقوله، ورزقه. ولما أثّرت طاعته في الأرض ما أثّرت نزعَت البركةُ من كلّ محلّ ظهرت فيه طاعته. وكذلك مسكنه لما كان الجحيم لم يكن هناك شيء من الرّوح والرّحمة والبركة.

فصل

ومن عقوبات الذنوب : أنها تطفئ من القلب نار الغيرة التي هي لحياته وصلاحه كالحرارة الغريزية لحياة جميع البدن . فالغيرة حرارته وناره التي تخرج ما فيه من الخبث والصفات المذمومة ، كما يخرج الكير^(٣) خبث الذهب والفضة وال الحديد . وأشرف الناس وأعلاهم همةً أشدّهم غيرةً على نفسه ، وخاصته ، وعموم الناس .

ولهذا كان النبي ﷺ أغيرَ الخلق على الأمة ، والله سبحانه أشدّ غيرةً منه ، كما ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال : «أتعجبون من غيرة سعد؟ لأنّا أغيرُ منه ، والله أغيرُ مني»^(٤) .

(١) ف : «كلمة الله» ، تحريف.

(٢) ز : «قارب».

(٣) س : «أشرفهم» ، تحريف.

(٤) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه . أخرجه البخاري في الحدود ، باب =

وفي الصحيح أيضاً عنه أنه قال في خطبة الكسوف: «يا أمةَ محمد،
ما أحدٌ أغيرَ من الله أن يزنيَ عبُدُه، أو تزنيَ أمته»^(١).

وفي الصحيح أيضاً عنه أنه^(٢) قال: «لا أحدٌ أغيرَ من الله، من أجل
ذلك حرام الفواحش ما ظهر منها وما بطن. ولا أحدٌ أحبت إليه العذرُ من
الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين. ولا أحدٌ أحبت إليه
المدحُ من الله، من أجل ذلك أثني على نفسه»^(٣).

فجمع في هذا الحديث بين الغيرة التي أصلُها كراهةُ القبائح
وبغضُّها^(٤)، ومحبةِ العذرِ الذي يوجب كمال العدل والرحمة
والإحسان. وأنه سبحانه مع شدةِ غيرته يحبّ أن يعتذر إليه عبُده، ويقبل
عذرَ من اعتذر إليه، وأنه لا يؤاخذ عباده بارتكاب ما يغافر من ارتكابه
حتى يُعذرَ إليهم. ولأجل ذلك أرسل رسله، وأنزل كتبه بإذاراً وإنذاراً.

وهذا غاية المجد والإحسان، ونهاية الكمال، فإنَّ كثيراً ممن تشتدّ
غیرته من المخلوقين تحمله شدةُ الغيرة على سرعة الإيقاع^(٥) والعقوبة

= من رأى مع امرأته رجلاً فقتله (٦٨٤٦)؛ ومسلم في كتاب اللعان (١٤٩٩)
وسعده هو سعد بن عبادة رضي الله عنه.

(١) من حديث عائشة رضي الله عنها. أخرجه البخاري في الكسوف، باب الصدقة
في الكسوف (١٠٤٤)؛ ومسلم في الكسوف، باب صلاة الكسوف (٩٠١).

(٢) «أنه» لم يرد في ف.

(٣) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه. أخرجه البخاري في التفسير، باب
﴿وَلَا تَقْرِبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا كَانَ﴾ (٤٦٣٤)؛ ومسلم في التوبية، باب غيرة
الله تعالى (٢٧٦٠).

(٤) ف: «القبائح بغضًا».

(٥) ف: «شدة الإيقاع».

من غير إعذار منه، ومن غير قبولي لعذر من اعتذر إليه؛ بل يكون له في نفس الأمر عذرٌ، ولا تَدْعُه شدّةُ الغيرة أن يقبل عذرَه. وكثير [١/٣٢] ممن يقبل المعاذير يحمله على قبولها قلّةً الغيرة حتى يتَوَسَّعُ في طرق المعاذير، ويرى^(١) عذرًا ما ليس بعذر، حتى يعذر كثير منهم بالقدر.

وكلٌّ منهما غيرٌ ممدوح على الإطلاق. وقد صحّ عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّهَا اللَّهُ، وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُهَا اللَّهُ». فالتالي يبغضها^(٢) الغيرةُ في غير ريبة^(٣). وذكر الحديث^(٤). وإنما الممدوح اقتران الغيرة

(١) ف: «ويرى في طرق المعاذير».

(٢) ل: «يبغضها الله».

(٣) س: «من غير ريبة».

(٤) أخرجه أحمد ١٥٤/٤ (١٧٣٩٨) وعبدالرازق في الجامع ٤٠٩/١٠ - ٤١٠ (١٩٥٢٢) والطبراني ٣٤٠/١٧ (٩٣٩) وابن خزيمة (٢٤٧٨) وغيرهم، من طريق معمر عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن عبدالله بن زيد الأزرق عن عقبة بن عامر فذكره.

ورواه هشام الدستوائي عن يحيى قال: حُدِثْتُ أَنَّ أَبَا سَلَامَ قَالَ حَدَثَنِي عبد الله بن زيد أَنَّ عَقبَةَ بْنَ عامِرَ قَالَ، فَذَكَرَهُ أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ ٣٤١/١٧ (٩٤٠).

ورواه أبان العطار والأوزاعي وحجاج الصواف وحرب بن شداد كلهم عن يحيى بن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم التميمي عن ابن جابر بن عتيك عن أبيه فذكره. أخرجه أحمد (٢٢٧٤٧، ٢٣٧٤٨، ٢٣٧٥٢) والطبراني ١٨٩/٢ - ١٩٠ (١٧٧٣ - ١٧٧٧) وابن حبان (٢٩٥) وغيرهم.

ورواه شيبان واختلف عنه، فرواه عبد الله بن موسى عن شيبان مثل رواية الجماعة. أخرجه الطبراني ١٩٠/٢ (١٧٧٧). ورواه وكيع عن شيبان عن يحيى فجعله من مسند أبي هريرة. أخرجه ابن ماجه (١٩٩٦).

وطريق الجماعة هو أرجحها مع أن فيه ابن جابر بن عتيك وهو إما =

بالعذر، فيغار في محل الغيرة، ويعذر في موضع العذر. ومن كان هكذا فهو الممدوح حقاً.

ولما جمع سبحانه صفات الكمال كلها كان أحق بالمدح من كل أحد، ولا يبلغ أحد أن يمدحه كما ينبغي له، بل هو كما مدح نفسه وأثنى على نفسه.

فالغuyor قد وافق ربّه سبحانه في صفة من صفاته، ومن وافق^(١) الله في صفة من صفاته قادته تلك الصفة إليه بزمامه^(٢)، وأدخلته على ربّه، وأدنته منه، وقربته من رحمته، وصيّرته محبوبًا له. فإنه سبحانه رحيم يحبّ الرحماء، كريم يحبّ الكرماء، علیم يحبّ العلماء، قوي يحبّ المؤمن القوي، وهو أحب إليه من المؤمن الضعيف؛^(٣) حبيبي يحبّ أهل الحياة^(٤)، جميل يحبّ الجمال، وترحبّ الورت^(٥).

عبدالرحمن، وهو مجھول؛ أو أبو سفيان كما جزم به ابن حبان وفيه جهالة.
والحديث صحّحه ابن حبان والحاكم وابن حجر وغيرهم، وفيه نظر. انظر
حاشية الأسماء والصفات للبيهقي (٤٦٧ - ٤٦٩/٢).

(١) «ربّه... وافق» ساقط من ل.

(٢) ز : «بزمامه إليه». ل : «إليه تلك الصفة بزمامه».

(٣) كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب الإيمان بالقدر (٢٦٦٤).

(٤) في حديث يعلى بن أمية أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله تعالى حبيبي ستير، يحبّ الحياة والستر». أخرجه أحمد (٤/٢٢٤) وأبوداود (١٢/٤٠١) والنسائي (٤٠٤).
وانظر تحقيق المسند (٢٩/٤٨٣ - ٤٨٤).

(٥) كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في
الدعوات، باب الله مائة اسم غير واحدة (٦٤١٠)؛ ومسلم في الذكر والدعا، باب في
أسماء الله تعالى (٢٦٧٧).

ولو لم يكن في الذنوب والمعاصي إلا أنها توجب لصاحبها ضد هذه الصفات، وتمنعه من الاتصاف بها، لكتفى بها عقوبةً. فإن الخطرة تنقلب وسوسهً، واللوسوسة تصير إرادةً، والإرادة تقوى فتصير عزيمة، ثم تصير فعلاً، ثم تصير صفة لازمة وهيئة ثابتة راسخة، وحينئذ يتذرع الخروج منها كما يتذرع عليه^(١) الخروج من صفاته القائمة به^(٢).

ومقصود أنه كلما اشتدت ملابسته الذنوب^(٣) أخرجت من القلب الغيرة على نفسه وأهله وعموم الناس، وقد تضعف في القلب جدًا حتى لا يستقبح بعد ذلك القبيح، لا من نفسه ولا من غيره. وإذا وصل إلى هذا الحد فقد دخل في باب الهلاك.

وكثير من هؤلاء لا يقتصر على عدم الاستقباح، بل يحسن الفواحش والظلم لغيره، ويزينه له، ويدعوه إليه، ويحثه عليه، ويسعى له في تحصيله. ولهذا كان الديوث أخبث خلق الله، والجنة حرام عليه^(٤). وكذلك محلل الظلم والبغى لغيره، ومزينه له. فانظر [٣٢/ب] ما الذي حملت عليه قلة الغيرة!

وهذا يدلّك على أنّ أصل الدين الغيرة، ومن لا غيرة له لا دين له. فالغيرة تُحمي القلب، فتحمّي له الجوارح، فتدفع السوء والفواحش.

(١) «عليه» من ل، ز.

(٢) «به» ساقط من س.

(٣) ما عدا ل: «ملابسة الذنوب».

(٤) كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيمة: العاق بوالديه، والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال، والديوث...». أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦١٨٠) وصححه ابن حبان والحاكم والذهبي. انظر تحقيق المسند ٣٢٢/١٠ (ص).

وعدم الغيرة يميت^(١) القلب ، فتموت الجوارح ، فلا يبقى عندها دفع البتة .

ومثل الغيرة في القلب كمثل^(٢) القوة التي تدفع المرض وتقاومه ، فإذا ذهبت القوة وجد الداء المحل قابلاً ، ولم يجد دافعاً ، فتمكّن ، فكان الهلاك . ومثلها مثل صياصي الجاموس^(٣) التي يدفع^(٤) بها عن نفسه وولده ، فإذا كسرت طمع فيه عدوه .

فصل

ومن عقوباتها : ذهاب الحياة الذي هو مادة الحياة للقلب ، وهو أصل كل خير ، وذهابه ذهاب الخير أجمعه .

وفي الصحيح عنه عليه السلام أنه قال : «الحياة خير كله»^(٥) .

وقال : «إِنَّ مَا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَىٰ : إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِي^(٦) فَاصْنَعْ مَا شَئْتَ !»^(٧) .

وفيه تفسيران :

أحدهما : أنه على التهديد والوعيد ، والمعنى : من لم يستح فإنه

(١) ماعدا س : «تميت» ، وهو تصحيف ، ولا يصح هنا أن يرجع الضمير إلى الغيرة .

(٢) س ، ف : «مثل» .

(٣) يعني : قرونـه .

(٤) ف : «الذي يدفع» .

(٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه . أخرجه مسلم في الإيمان ، باب بيان عدد شعب الإيمان . . . (٣٧) .

(٦) ل : «لم تستح» ، وكلاهما وارد .

(٧) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء (٣٤٨٤ ، ٣٤٨٣) من حديث أبي مسعود رضي الله عنه .

يصنع ما شاء^(١) من القبائح، إذ الحامل على تركها الحياة، فإذا لم يكن هناك حياء يزعمه^(٢) من القبائح، فإنه يواعدها. وهذا تفسير أبي عبيد^(٣).

والثاني: أن الفعل إذا لم تستحب^(٤) منه من الله فافعله، وإنما الذي^(٥) ينبغي تركه ما يستحب منه من الله^(٦). وهذا تفسير الإمام أحمد في رواية ابن هانئ^(٧).

فعلى الأول يكون تهديداً، كقوله: ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُم﴾ [فصلت / ٤٠]، وعلى الثاني يكون إذناً وإباحةً.

فإن قيل: فهل من سبيل إلى حمله على المعنيين؟

قلت: لا، ولا على قول من يحمل المشترك على جميع معانيه، لما بين الإباحة والتهديد من المنافة، ولكن اعتبار أحد المعنيين يوجب اعتبار الآخر.

والمقصود أن الذنوب تُضعف الحياة من العبد حتى ربما انسلاخ منه بالكلية، حتى إنه ربما لا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله ولا باطلاعهم عليه، بل كثير منهم يخبر عن حاله^(٨) وقبع^(٩) ما يفعله، والحامل له

(١) ف، ل: «شاء».

(٢) أي يكفيه. وفي ف: «يزعجه».

(٣) غريب الحديث (٢ / ٣٣٠).

(٤) س، ل: «لم يستحب».

(٥) «الذي» ساقط من ز.

(٦) «فافعله... من الله» ساقط من ل.

(٧) س: «التفسير للإمام أحمد رواية...». ولم أجده في المطبوع من مسائل ابن هانئ.

(٨) «ولا باطلاعهم... حاله» ساقط من ف.

(٩) ما عدافت: «قبع».

على ذلك انسلاخه من الحياة. وإذا وصل العبد إلى هذه الحال^(١) لم يبق في صلاحه^(٢) مطعم، كما قيل^(٣) :

وإذا رأى إبليس طلعة وجهه حيَا ، وقال : فديتْ مَنْ لَا يفلح^(٤)
والحياة مشتقّ من الحياة، والغيث يسمّى^(٥) «حيَا» بالقصر لأنّ به
حياة الأرض [١/٣٣] والنبات والدواب، وكذلك^(٦) بالحياة حياة الدنيا
والآخرة، فمن لا حياة فيه ميّت في الدنيا شقيّ في الآخرة.

وبين الذنوب وبين قلة الحياة وعدم الغيرة تلازم من الطرفين، وكلّ
منهما يستدعي الآخر، ويطلبه حثيثاً. ومن استحيا من الله عند معصيته
استحيا الله من عقوبته يوم يلقاه، ومن لم يستتحّي من معصيته لم يستحّي
من عقوبته^(٧).

فصل

ومن عقوبات الذنوب: أنها تُضعف في القلب تعظيمَ الرَّبِّ جل
جلاله، وتُضعف وقاره في قلب العبد، ولا بدّ، شاء أم أبي. ولو تمكّن
وقارُ الله وعظمته في قلب العبد لما تجرأ على معااصيه.

(١) س: «الحالة».

(٢) ل: «إصلاحه».

(٣) «كما قيل» انفردت به ف. والبيت للبحترى في ديوانه (٤٨٢/١).

(٤) «لا يفلح» كذا ورد في جميع النسخ، والصواب في الرواية: «لم يفلح» لأنّ
روي الأبيات مكسور.

(٥) ف: «سمّي».

(٦) زيد في ط هنا «سميت»، وهو خطأ أدى إليه تصحيف «بالحياة» إلى «بالحياة».

(٧) س: «ومن لم يستحى الله تعالى...». ل: «... لم يستحى الله من عقوبته».

وربما اغترَ المغترَ وقال : إنما يحملني على المعاشي حسنُ الرجاء
وطعمي في عفوه ، لا ضعف عظمته في قلبي .

وهذا من مغالطة النفس ، فإنَّ عظمةَ الله وجلالَه في قلب العبد وتعظيمَ
حرماته تحول بينه وبين الذنوب . فالمتجرئون^(١) على معاصيه ما قدروه^(٢)
حقَّ قدره ، وكيف يقدره حقَّ قدره أو يعظِّمه ويكتبه ويرجو وقاره ويُجلِّه
من يهون عليه أمرُه ونهيُه ؟ هذا من محل المحال^(٣) ، وأبين الباطل !

وكفى بال العاصي عقوبةً أن يضمحلَّ من قلبه تعظيمُ الله جل جلاله ،
وتعظيمُ حرماته ؛ ويهونَ عليه حقَّه . ومن بعض عقوبة هذا : أن يرفع الله
عز وجل مهابته من قلوبِ الخلق ، ويهون عليهم ، ويستخفون به ؛ كما
هان عليه أمره ، واستخفَّ به . فعلى قدر محبة العبد لله^(٤) يحبه الناس .
وعلى قدر خوفه من الله يخافه الناس^(٥) ، وعلى قدر تعظيمه لله^(٦)
وحرماته يعظِّم الناس^(٧) حرماته .

وكيف ينتهك عبدٌ حرماتِ الله ، ويطمع أن لا ينتهك الناسُ حرماته ؟
أم كيف يهون عليه حقُّ الله ، ولا يهونه الله على الناس ؟ أم كيف يستخفَّ

(١) ف : «والمتجرئون» .

(٢) ف : «ما قدروا الله» .

(٣) الميم في «المحال» زائدة ، فصياغة «أ محل» منه مبنية على التوهم وقد وردت في
غير مثل . انظر مجمع الأمثال (٣٥٧ - ٣٥٩) . وقد تكرر «أ محل المحال» في
كتب المؤلف ، انظر مثلاً زاد المعاد (٢٢٧٢، ٢٠٧، ٣٦/١)، (١٩٢/٢) .

(٤) ف : «الله» .

(٥) س ، ل : «الخلق» . ل ، ز : تخافه .

(٦) ف : «تعظيمه الله» .

(٧) ف ، ز : «تعظم» .

بمعاصي الله، ولا يستخفّ به الخلق؟

وقد أشار سبحانه إلى هذا^(١) في كتابه عند ذكر عقوبات الذنوب، وأنه أركس أربابها بما كسبوا، وغطى على قلوبهم، وطبع^(٢) عليها بذنوبهم، وأنه نسيهم كما نسوه، وأهانهم كما أهانوا دينه، وضيّعهم كما [٣٣/ب] ضيّعوا أمره.

ولهذا قال تعالى في آية سجود المخلوقات له : ﴿ وَمَنْ يُرِهِنَ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ﴾ [الحج / ١٨] ، فإنهم^(٣) لما هان عليهم السجود له ، واستخفوا به ، ولم يفعلوه ، أهانهم ، فلم يكن لهم من مُكْرِمٍ بعد أن أهانهم . ومن ذا يكِرم من أهانه الله ، أو يهين من أكرم الله^(٤)؟

فصل

ومن عقوباتها : أنها تستدعي نسيان الله لعبدة ، وتركه ، وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه . وهناك ال�لاك الذي لا يرجى^(٥) معه نجا .

قال تعالى : ﴿ يَتَأَبَّلُهَا الَّذِينَ إِذَا مَأْمُنُوا أَنْقَلُوا اللَّهَ وَلَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدِيرٍ وَأَنْقَلُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ [الحشر / ١٨ - ١٩] .

فأمر^(٦) بتقواه ، ونهى أن يتشبه عباده المؤمنون بمن نسيه بترك

(١) «إلى هذا» ساقط من ز .

(٢) ف : «طبع» .

(٣) ز : « فإنه ». وفي س : «كأنهم » ، تحريف .

(٤) ف : «أكرم الله » .

(٥) س : « لا ترجى » .

(٦) ف : « فأمر الله » .

تقواه، وأخبر أنه عاقب من ترك التقوى بأن أنساه نفسه، أي أنساه مصالحها، وما ينجيها من عذابه، وما يوجب له الحياة الأبدية وكمال لذتها^(١) وسرورها ونعمتها، فأنساه ذلك كلّه جزاءً لما نسيه من عظمته وخوفه والقيام بأمره. فترى العاصي مهملاً لمصالح نفسه، مضيئاً لها، قد أغفل الله قلبه عن ذكره، واتبع هواه، وكان أمره فرطاً. قد انفرطت عليه مصالح دنياه وآخرته، وقد فرط في سعادته الأبدية، واستبدل بها أدنى ما يكون من لذة إنما هي سحابة صيف^(٢) أو خيال طيف!

أَحَلَامُ نُوْمٍ أَوْ كَظَلَّ زَائِلٍ إِنَّ الْلَّبِيبَ بِمِثْلِهَا لَا يُخْدَعُ^(٣)

وأعظم العقوبات نسيانُ العبد لنفسه، وإهماله لها، وإضاعته^(٤) حظّها ونصيبيها من الله، وبيعها ذلك بالغبن والهوان وأبخس الشمن. فضيئ من لا غنى له عنه، ولا عوض له منه، واستبدل به من عنه كلّ الغنى، ومنه كلّ العوض.

مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِذَا ضَيَّعَتْهُ عَوْضٌ^(٥) وَمَا مِنْ اللَّهِ إِنْ ضَيَّعَتْهُ عَوْضٌ^(٦)

(١) ز: «كماله بها»، تحرير.

(٢) ز: «سحابة من صيف».

(٣) أنشأه المؤلف في عدة الصابرين (٣٥٦)، ومفتاح دار السعادة (٤٦٢/١) أيضاً. وهو من أبيات لعمران بن حطّان في خزانة الأدب (٣٦١/٥). وانظر شعر الخوارج (١٥٥).

(٤) ز: «إضاعة».

(٥) أنشأه المؤلف في زاد المعاد (٤/١٩٢) ومفتاح دار السعادة (٣٥/٣). وسيأتي مرة أخرى في ص(٤٦٥). وهو بدون عزو في طبقات الشافعية (٨/٢٢٨)، وفيه: «في كل شيء... وليس في الله». وفي س حاشية لبعض القراء نصها: =

فَاللَّهُ سَبَحَانَهُ يَعْوَضُ عَنْ كُلِّ مَا سَوَاهُ^(١)، وَلَا يَعْوَضُ مِنْهُ شَيْءٌ.
وَيَغْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يَغْنِي عَنْهُ شَيْءٍ. وَيَمْنَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ^(٢)، وَلَا
يَمْنَعُ مِنْهُ شَيْءٍ. وَيَجْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يَجْبَرُ مِنْهُ شَيْءٍ^(٣). فَكَيْفَ
يَسْتَغْنِي الْعَبْدُ عَنْ طَاعَةِ مَنْ هَذَا شَأْنُهُ [١٠/٣٤] طَرْفَةً عَيْنَ؟

وَكَيْفَ يَنْسَى ذَكْرُهُ وَيَضْيَعُ أَمْرَهُ حَتَّى يُنْسَيَ نَفْسَهُ، فِي خِسْرَهَا،
وَيَظْلِمُهَا أَعْظَمُ الظُّلُمِ؟ فَمَا ظَلَمَ الْعَبْدُ رَبَّهُ، وَلَكِنْ ظَلَمَ^(٤) نَفْسَهُ. وَمَا
ظَلَمَهُ رَبُّهُ، وَلَكِنْ هُوَ الَّذِي ظَلَمَ نَفْسَهُ!

فصل

وَمِنْ عَقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تُخْرِجُ الْعَبْدَ مِنْ دَائِرَةِ الْإِحْسَانِ، وَتَمْنَعُهُ ثَوَابَ
الْمُحْسِنِينَ. فَإِنَّ الْإِحْسَانَ إِذَا باشَرَ الْقَلْبَ مِنْعَهُ مِنَ الْمُعَاصِي^(٥)، فَإِنَّ مِنَ
عَبْدِ اللَّهِ كَأَنَّهُ يَرَاهُ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ إِلَّا لِاستِيلَاءِ ذَكْرِهِ وَمَحْبَبِهِ وَخَوْفِهِ وَرَجَائِهِ
عَلَى قَلْبِهِ، بِحِيثُ يَصِيرُ كَأَنَّهُ يُشَاهِدُهُ، وَذَلِكَ يَحْوِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِرَادَةِ
الْمُعَاصِيَ، فَضْلًا عَنْ مَوَاقِعِهَا. فَإِذَا خَرَجَ مِنْ دَائِرَةِ الْإِحْسَانِ فَاتَّهُ صَحْبَةُ
رُفَقَتِهِ^(٦) الْخَاصَّةِ، وَعِيشُهُمُ الْهَنْيَاءُ، وَنَعِيمُهُمُ التَّامُ.

= = =
لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا فَارَقَتْهُ عَوْضٌ وَلَيْسَ اللَّهُ إِنْ فَارَقَتْهُ عَوْضٌ

(١) س: «كُلِّ شَيْءٍ سَوَاهُ».

(٢) «وَلَا يَغْنِي... كُلِّ شَيْءٍ» ساقطٌ مِنْ ل.

(٣) «وَيَجْبَرُ... شَيْءٍ» مُقْدَمٌ فِي فَعَلَى «وَيَمْنَعُ... شَيْءٍ».

(٤) فِي س: «يَظْلِمُ» هَنَا وَفِي الْجَمْلَةِ السَّابِقَةِ.

(٥) س: «عَنِ الْمُعَاصِي».

(٦) كَذَا فِي النُّسُخِ كُلُّهَا دُونَ ضَبْطٍ. وَ«الرُّفَقَ» جَمْعُ الرَّفِيقَةِ كَالرَّفَاقِ. وَفِي ط: «رُفَقَتِهِ»
وَأَخْشَى أَنْ يَكُونَ الصَّوَابُ: «فَاتَّهُ رُفَقَةُ الْخَاصَّةِ» أَيْ صَحْبَتْهُمْ، وَتَكُونُ كَلْمَةُ
«صَحْبَةُ» مَقْحَمَةً، كَمَا قَالَ بَعْدَ قَلِيلٍ: «فَاتَّهُ رُفَقَةُ الْمُؤْمِنِينَ». وَ«فَاتَّهُ» ساقطٌ مِنْ ل.

فإن أراد الله به خيراً أقره في دائرة عموم المؤمنين، فإن عصاه بالمعاصي التي تخرجه من دائرة الإيمان، كما قال النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يتنهب نهبة ذات شرف يرفع إليه فيها الناس^(١) أبصارهم حين ينتهباها وهو مؤمن». فإياكم إياكم، والتوبة معروضة بعده^(٢) = خرج^(٣) من دائرة الإيمان، وفاته رفقه المؤمنين وحسن دفاع الله عنهم^(٤)، فإن الله يدفع عن الذين آمنوا، وفاته^(٥) كلُّ حير رتبه الله في كتابه على الإيمان، وهو نحو مائة خصلة، كلُّ خصلة منها خيرٌ من الدنيا وما فيها:

فمنها: الأجر العظيم: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٦﴾

[النساء / ١٤٦].

ومنها: الدفع عنهم شرور الدنيا والآخرة^(٦). ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٧) [الحج / ٣٨].

(١) ز: «الناس إليه فيها».

(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في المظالم، باب النهي بغير إذن صاحبه (٢٤٧٥)، ومسلم في الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي... (٥٧) واللفظ له.

(٣) «خرج» جواب «فإن عصاه بالمعاصي». وفي ف: «فإن خرج»، وهو خطأ. وقارن بالمطبوعة.

(٤) ف: «عنه».

(٥) ف: «فاته»، وهو جواب «فإن خرج» كما جاء فيها، ولكن إن صح هذا بقي «فإن عصاه» دون جواب.

(٦) «شروع الدنيا والآخرة» لم يرد في س. وأخشى أن تكون زيادة من غير المؤلف.

(٧) هذه قراءة ابن كثير وأبي عمرو من السبع، وقرأ غيرهما: «يدافع». انظر الإقناع (٧٠٦).

ومنها: استغفار حملة العرش لهم^(١). ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُمْ يُسَيِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [غافر/٧].

ومنها: موالة الله لهم، ولا يذل من^(٢) والاه الله. ﴿اللَّهُ وَلِئِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة/٢٥٧].

ومنها: أمره ملائكته بتشبيتهم^(٣). ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَثِّبُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الأنفال/١٢].

ومنها: أن لهم الدرجات^(٤) عند ربهم، والمغفرة، والرزق الكريم^(٥).

ومنها: العزة. ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَرَسُولُهُ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المافقون/٨].

ومنها: معية الله لأهل الإيمان. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال/١٩].

ومنها: [٣٤/ب] الرفعة في الدنيا والآخرة. ﴿يَرَفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة/١١].

ومنها: إعطاؤهم كفلين من رحمته، وإعطاؤهم نوراً يمشون به، ومغفرة ذنبهم^(٦).

(١) ف: «الملائكة وحملة العرش». و«لهم» ساقطة من س.

(٢) ف: «ولابد» مع ضبط «من» بكسر الميم، وهو تحريف.

(٣) ز: «بتشبيتها».

(٤) ف: «درجات».

(٥) كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَفَّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَيْرِيمٌ﴾ [الأنفال/٤].

(٦) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقْوُا اللَّهَ وَأَمْنُوا بِرَسُولِهِ، يُؤْتَكُمْ كِفَلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيَجْعَلُ

ومنها: الود الذي يجعله سبحانه لهم^(١)، وهو أنه يحبهم ويحبّهم إلى ملائكته وأنبيائه وعباده الصالحين.

ومنها: أمانهم من الخوف يوم يستدّ الخوف. ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢) [الأنعام / ٤٨].

ومنها: أنهم المنعم عليهم الذين أمرنا أن نسألهم أن يهدينا إلى صراطهم في كل يوم وليلة سبع عشرة مرّة.

ومنها: أن القرآن إنما هو هدى لهم وشفاء. ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي مَا ذَادَنِهِمْ وَقُرْءَانٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمَّا أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ كِمِنْ مَكَانٍ بَعِيلٍ﴾^(٣) [فصلت / ٤٤].

والمقصود أن الإيمان سبب جالب لكل خير، وكل خير في الدنيا والآخرة فسببه الإيمان^(٤)، وكل شر في الدنيا والآخرة فسببه عدم الإيمان. فكيف يهون على العبد أن يرتكب شيئاً يخرجه من دائرة الإيمان ويحول بينه وبينه؟ ولكن لا يخرج من دائرة عموم المسلمين، فإن استمر على الذنوب وأصر عليها خيف عليه أن يربّى على قلبه، فيخرجه عن الإسلام بالكلية. ومن هنا اشتدّ خوف السلف، كما قال بعضهم: أنت تخافون الذنوب، وأنا أخاف الكفر^(٥)!

= لَكُمْ نُورٌ تَمْشُونَ بِهِ، وَيَقْرَبُنَّ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧﴾ [الحديد / ٢٨].

(١) قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ اللَّهُمَّ أَلَّرَجَنْ وُدَّا»^(٦) [مريم / ٩٦].

(٢) في جميع النسخ: «فمن آمن وعمل صالحاً فلا خوف...»، وهو سهو.

(٣) «وكلّ خير... الإيمان» ساقط من ز.

(٤) ذكر نحوه مكي في قوت القلوب (١/ ٤٦٢ طبعة الحلبي ١٣٨١ هـ) عن =

فصل

ومن عقوباتها: أنها تُضعف سير القلب إلى الله والدار الآخرة، أو تعوقه، أو توقفه وتقطعه عن السير، فلا تدعه يخطو إلى الله خطوةً. هذا إن لم ترده عن وجهته إلى ورائه! فالذنب يحجب الواصل، ويقطع السائر، وينكس الطالب. والقلب إنما يسير إلى الله بقوته، فإذا مرض بالذنوب ضعفت تلك القوة التي تسيره. فإن زالت بالكلية انقطع عن الله انقطاعاً يُعد تداركُه، والله المستعان.

فالذنب إما أن يميت القلب، أو يُمرضه مرضًا مخوفاً، أو يضعف^(١) قوته، ولا بدّ، حتى ينتهي ضعفه إلى الأشياء الثمانية التي استعاد منها النبي ﷺ. وهي: [١/٣٥] الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلّع الدين وغلبة الرجال^(٢).

وكل اثنين منها قرينان: فالهم والحزن قرينان، فإن المكرره الوارد على القلب إن كان من أمر مستقبل يتوقعه أحدث الهم، وإن كان من أمر ماضٍ قد وقع أحدث الحزن.

المسيح عليه السلام أنه قال: «يا معشر الحواريين أنتم تخافون المعاصي وأنا أخاف الكفر»، وذكر عن سهل التستري أنه قال: «المريد يخاف أن يبتلي بالمعاصي، والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر». وانظر طريق الهجرتين (٩٣).

(١) ل: «ويضعف».

(٢) ز: «بها»، خطأ.

(٣) أخرجه البخاري في الدعوات، باب الاستعاذه من الجبن والكسل (٦٣٦٩) وغيره من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. وانظر صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعا (٢٧٠٦).

والعجز والكسل قرينان، فإن تخلّفَ العبد عن أسباب الخير والصلاح
إن كان لعدم قدرته فهو العجز، وإن كان لعدم إرادته فهو الكسل.

والجبن والبخل قرينان، فإن عدم النفع منه إن كان ببدنه فهو
الجبن، وإن كان بماله فهو البخل.

ووصل الدين وقهر الرجال قرينان، فإن استعلاء الغير عليه إن كان
بحقّ فهو من ضلّع الدين، وإن كان بباطل فهو قهر الرجال^(١).

والمقصود أنّ الذنوب من أقوى الأسباب الجالبة لهذه الثمانية، كما
أنها من أقوى الأسباب الجالبة لجهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء
القضاء، وشماتة الأعداء^(٢)؛ ومن أقوى الأسباب الجالبة لزوال نعم الله
وتحوّل عافيته، وفجاءة نقمته، وجميع سخطه^(٣).

فصل

ومن عقوبات الذنوب أنها تُزيل النّعُم وتحلّ النّقْم. فما زالت عن
العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلّت به نعمة إلا بذنب؛ كما قال علي بن أبي
طالب رضي الله عنه: ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رُفعَ بلاء إلا بتوبة^(٤).

(١) وانظر شرح الحديث في طريق الهجرتين (٨٦)، ومفتاح دار السعادة (١/٣٧٥)،
وبدائع الفوائد (٧١٤).

(٢) جاء التعوذ منها في حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في
الدعوات، باب التعوذ من جهد البلاء (٦٣٤٧)؛ ومسلم في الذكر والدعاء،
باب في التعوذ من سوء القضاء... (٢٧٠٧).

(٣) وجاء التعوذ منها في حديث ابن عمر رضي الله عنهما. أخرجه مسلم في الذكر
والدعاء، باب أكثر أهل الجنة الفقراء... (٢٧٣٩).

(٤) كذا نقله المصنف في طريق الهجرتين أيضاً عن علي بن أبي طالب رضي الله =

وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَبَّكُمْ مِنْ مُّصِيْكَةٍ فِيمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ وَيَعْقُواْنَ كَثِيرٌ ﴾ [الشورى / ٣٠].

وقال تعالى^(١): ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يُكِنْ مُغَيْرًا نَفْعَمَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأనفال / ٥٣].

فأخبر تعالى^(٢) أنه لا يغير نعمه التي أنعم^(٣) بها على أحد حتى يكون هو الذي يغيّر ما بنفسه، فيغيّر طاعة الله بمعصيته، وشكّره بکفره، وأسباب رضاه بأسباب سخطه. فإذا غيّر غير^(٤) عليه جزاء وفاقاً، وما ربك بظلام للعبد. فإنّ غير المعصية بالطاعة غير الله عليه العقوبة بالعافية، والذلّ بالعز.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ بِهِ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٰٓ ﴾ [الرعد / ١١].

وفي بعض^(٥) [٣٥/ب] الآثار الإلهية عن الرب تبارك وتعالى أنه قال: وعزّتي وجلالي، لا يكون عبد من عبادي^(٦) على ما أحّبّ، ثم ينتقل عنه

عنه. ولكن شيخ الإسلام نسبه في مجموع الفتاوى (١٦٣/٨) إلى عمر بن عبد العزيز رحمة الله (ص). وقد ورد من دعاء العباس بن عبدالمطلب في الاستسقاء بلفظ «اللهم إلهي لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة...». أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٣٥٩/٢٦) بسند ضعيف جداً (ز).

(١) من أول الآية إلى هنا ساقط من س.

(٢) ف: «الله تعالى».

(٣) ف: «نعم».

(٤) «غيّر» ساقط من ز.

(٥) «بعض» ساقط من ف.

(٦) ز: «عبادي».

إلى ما أَكْرَه^(١)، إِلَّا انتقلتُ لِهِ مَا يُحِبُّ إِلَى مَا يُكْرِه^(٢). ولا يكون عبد من عَبْدِي على ما أَكْرَه، ثُمَّ يَنْتَقِلُ عَنْهُ إِلَى مَا أَحِبَّ، إِلَّا انتقلتُ لِهِ مَا يُكْرِه إِلَى مَا يُحِبُّ^(٣).

وقد أحسن^(٤) القائل:

إذا كنتَ في نعمةٍ فارعّها
وخطّها بطاعةٍ ربُّ العبادِ
ولإيتاكَ والظلمَ مهما استطعتَ
وسافِرْ بقلبكَ بينَ الورى
فتلكَ مساكنُهمَ بعدهمَ
وما كانَ شيءٌ عليهمَ أضرَّ
فكם تركوا مِنْ جنانِ ومنْ
صلُوا بالجحيمِ وفاتِ النعيمِ
(٧)
فظلمُ العبادِ شدیدُ الوَحْمَ
لِتُبصِّرَ آثارَ منْ قدْ ظَلَمَ
شهودُّ عليهمَ ولا تُتَهَّمْ
منْ الظلمِ، وهو الذي قدْ قَصَمَ
قصورٍ وأخْرِي عليهمَ أَطْمَ
(٦)
فَكَانَ الَّذِي نَالَهُمْ كَالْحَلْمُ
(٧)

(١) ف: «أكرهه»، وكذا فيما يأتي.

(۲) ف: «پکرہہ».

(٣) لم أقف عليه.

ف: «وقد قال».

(٥) س: «فَإِنَّ الذُّنُوبَ».

(٦) ز: «أجري عليهم أصم».

(٧) البيت الأول أنشده المصنف في طريق الهجرتين (١٣٤، ٥٨٩)، وبدائع الفوائد (٧١٢). وقد نقل ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٤/٧٠) بسنده أنّ عمر بن عبد العزيز كان يتمثل بهذا البيت وتاليه، وروايته فيه:

فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ النَّقْمٍ وَلَا تَحْقِرُنَّ صَغِيرَ الذُّنُوبِ

فصل

ومن عقوباتها: ما يلقيه الله سبحانه من الرعب والخوف في قلب العاصي، فلا تراه إلا خائفاً مروعًا.

فإن الطاعة حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين من عقوبة الدنيا والآخرة، ومن خرج عنه أحاطت به المخاوف من كل جانب. فمن أطاع الله انقلبت المخاوف في حقه أماناً، ومن عصاه انقلبت ماء منه^(١) مخاوف. فلا تجد العاصي إلا وقلبه كأنه بين جناحي طائر، إن حرّكت الريح الباب قال: جاء الطلب، وإن سمع وقع قدماً خاف أن يكون نذيرًا بالعطب. يحسب كل صيحة عليه، وكل مكروره قاصدًا^(٢) إليه. فمن خاف الله آمنه من كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء.

بذا قضى الله بين الناس مذ خلقوه أن المخاوف والإجرام في قرنه

فصل^(٣)

ومن عقوباتها: أنها تُوقع الوحشة العظيمة في القلب، [١/٣٦] فيجد المذنب نفسه مستوحشاً، قد وقعت الوحشة بينه وبين ربه، وبينه وبين الخلق، وبينه وبين نفسه. وكلما كثرت الذنوب اشتدت الوحشة. وأمر

= وانظر أيضاً تاريخ دمشق (٥١/١٠٣). وهو مع أبيات أخرى في الديوان المنسوب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه (١٣٨).

(١) ف: «المؤمن».

(٢) ما عدا س: «قاصد». وسقط «وكل» من ف.

(٣) في ط لا يوجد «فصل» هنا.

العيش عيشُ المستو حشين الخائفين ، وأطيبُ العيش عيشُ المستأنسين .
فلو نظر^(١) العاقل ، ووازن بين لذة المعصية وما تُوقِّعه^(٢) من الخوف والوحشة ، لَعِلَم سوءَ حاله وعظيمَ غَبْنَه ، إذ باع أنس الطاعة وأمنها وحلاوتها بوحشة المعصية وما توجبه من الخوف .

فإن كنتَ قد أوحشتَك الذنوبُ فدَعْها إذا شئتَ واستأنس^(٣)
وسرَّ المسألة أنَّ الطاعة تُوجب القربَ من الربّ، وكلَّما^(٤) اشتَدَّ
القرب قويَّ الأنس؛ والمعصية توجب البعدَ من الربّ، وكلَّما ازدادَ البعد
قويتَ الوحشة . ولهذا يجد العبد وحشةً بينه وبين عدوه للبعد الذي
يبينهما، وإن كان ملابسًا له قريباً منه؛ ويجد أنساً وقريباً^(٥) بينه وبين من
يحبّ، وإن كان بعيداً عنه .

والوحشة سببها الحجاب ، وكلَّما غلظ الحجاب زادت الوحشة^(٦).
فالغفلة توجب الوحشة ، وأشدُّ منها وحشةُ المعصية ، وأشدُّ منها وحشةُ
الشرك والكفر . ولا تجد أحداً يلبس شيئاً من ذلك إلا ويعلوه من
الوحشة بحسب ما لابسه منه ، فتعلو الوحشة وجهه وقلبه ،
فيستو حش^(٧) ، ويُستو حشُّ منه .

(١) ز : «فَكْر» .

(٢) ف : «تَوْقِع» .

(٣) سبق في ص (١٣٣) .

(٤) ف : «فَكَلَّمَا» .

(٥) ل : «قَرِيبًا وَأَنْسًا» .

(٦) «والوحشة سببها... الوحشة» ساقط من ز .

(٧) «فيستو حش» ساقط من س .

فصل

ومن عقوباتها: أنها تصرفُ القلبَ عن صحته واستقامته إلى مرضه وانحرافه، فلا يزال مريضاً معلولاً، لا ينتفع بالأغذية التي بها حياته وصلاحه. فإن تأثير الذنوب في القلوب كتأثير الأمراض في الأبدان، بل الذنوب أمراض القلوب وأدواؤها^(١)، ولا دواء لها إلا تركها.

وقد أجمع السائرون إلى الله أنّ القلوب لا تعطى مُناها حتى تصل إلى مولاهَا^(٢)، ولا تصل إلى مولاهَا حتى تكون صحيحة سليمة، ولا تكون صحيحة سليمة حتى ينقلب داؤها فيصير نفس دوائهما. ولا يصحّ لها^(٣) ذلك إلا بمخالفة هواها، فهوها^(٤) مرضها، وشفاؤها مخالفته، فإن استحکم المرض قتل أو كاد.

وكما أنّ من نهى نفسه عن الهوى كانت الجنة مأواه، فكذا يكون قلبه في هذه الدار في جنة عاجلة لا يشبه نعيمَ أهلها نعيمُ البتة، بل التفاوت [٣٦/ب] الذي بين النعيمين كالتفاوت الذي بين نعيم الدنيا والآخرة. وهذا أمر لا يصدق به إلا من باشر قلبه هذا وهذا.

ولا تحسب أنّ قوله تعالى: «إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَارَ لَفِي جَحَّمٍ ﴿١٤﴾» [الانفطار / ١٤ - ١٣] مقصور على نعيم الآخرة وجحيمها فقط، بل في دورهم الثلاثة هم كذلك، أعني: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار

(١) س، ز: «دواها». ل: «دواها»، وهو تحريف ما أثبتنا من ف.

(٢) «وقد أجمع... مولاهَا» ساقط من س.

(٣) «لها» ساقط من س. وفي ل: «لا يصلح لها».

(٤) س، ل: «وهواها».

القرار؟ فهؤلاء في نعيم، وهؤلاء في جحيم. وهل النعيم إلا نعيم القلب؟ وهل العذاب إلا عذاب القلب؟

وأي عذاب أشد من الخوف، والهم، والحزن، وضيق الصدر، وإعراضه عن الله والدار الآخرة، وتعلقه بغير الله، وانقطاعه عن الله، بكل وادٍ منه شعبة؟ وكل شيء^(١) تعلق به وأحبّه من دون الله فإنه يسومه سوء العذاب.

فكل من أحب شيئاً^(٢) غير الله عذب به^(٣) ثلاث مرات في هذه الدار: فهو يعذب به قبل حصوله حتى يحصل. فإذا حصل عذب به حال حصوله بالخوف من سلبه وفواته، والتنغيص والتنكيد عليه، وأنواع المعارضات. فإذا سُلِّبه اشتد عذابه عليه^(٤). فهذه ثلاثة أنواع من العذاب في هذه الدار.

وأما في البرزخ، فعذاب يقارنه ألم الفراق الذي لا يرجو^(٥) عودة، وألم فوات ما فاته من النعيم العظيم باشتغاله بضده، وألم الحجاب عن الله، وألم الحسرة التي تقطع الأكباد. فالهم والغم والحسرة والحزن تعمل في نفوسهم نظير ما تعمل الهوا والديدان في أجسادهم، بل عملها في النفوس دائم مستمر حتى يردها الله إلى أجسادها، فحينئذ ينتقل العذاب إلى نوع هو أدهى وأمر.

(١) ف: «وكل من».

(٢) ف: «فكل شيء» بإسقاط «من أحب»، وهو خطأ.

(٣) «فإنه يسومه... عذب به» ساقط من ز.

(٤) ف: «عليه عذابه».

(٥) ل: «لا يرجى».

فأين هذا من نعيم من يرقص قلبه طرباً وفرحاً، وأنسًا بربه، واشتياقاً إليه، وارتياحاً بحبه، وطمأنينةً بذكره، حتى يقول بعضهم في حال نزعه: واطرباه!^(١)

ويقول الآخر: إن كان أهل الجنة في مثل هذه الحال^(٢)، إنهم لفي عيش طيب^(٣)!

ويقول الآخر: مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا لذيد العيش فيها، وما ذاقوا أطيب ما فيها!^(٤)

ويقول الآخر^(٥): لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه [١/٣٧]

(١) جاء نحوه عن بلال بن سعد. قال حين حضرته الوفاة: غداً نلقى الأحبة، محمداً وحزبه فتقول امرأته: واوبلاه! ويقول: وافرحاه! أخرجه ابن أبي الدنيا في المحتضرين (٢٩٤).

(٢) ف، ل: «هذا الحال».

(٣) ذكره المؤلف في المدارج (٤٥٤/١)، (٦٧/٢)، (٢٥٩/٣) وإغاثة اللهفان (٩٣٢)، والوابل الصيب (١١١)، والمفتاح (١٨٤/١)، والروضة (٢٧١)، ورسالته إلى أحد إخوانه (٣٤). ونقل ابن الجوزي نحوه عن أبي سليمان المغربي في صفة الصفوة (٣٦٩/٢).

(٤) ذكره المؤلف في المدارج (٤٥٤/١)، وإغاثة اللهفان (٩٣٢)، والوابل الصيب (١١٠)، والروضة (٢٧١)، ورسالته المذكورة (٣٤). ونقله أبو نعيم عن ابن المبارك في الحلية (١٧٧/٨)، وفيه تكلمة: «قيل له: وما أطيب ما فيها؟ قال: المعرفة بالله عز وجل». وفي المدارج وغيره زيادة (ص). وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٣٥٨/٢) وابن عساكر في تاريخه (٤٢١/٥٦، ٤٢٧، ٤٢٩) عن مالك بن دينار (ز).

(٥) ف: «آخر». وهو إبراهيم بن أدهم، في الحلية (٤٢٩/٧). وانظر المفتاح (١٨٣/١)، والوابل الصيب (١١٠) وإغاثة اللهفان (٩٣٢). (ص). وأخرجه =

لجالدونا عليه بالسيوف .

ويقول الآخر: إن في الدنيا جنة، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة^(١).

فيما من باع حظه الغالي بأبخس الثمن، وغبن كلَّ الغبن في هذا العقد، وهو يرى أنه قد غبن، إذا لم يكن لك خبرة بقيمة السلع فسلِّ المقومين!

فيما عجبًا من بضاعة معك، اللهُ مشتريها، وثمنها جنةُ المأوى، والسفيرُ الذي جرى على يده^(٢) عقدُ التباعي وضمِّنَ الثمنَ عن المشتري هو الرسول ، وقد بعثَها بغایة الھوان!

إذا كان هذا فعل عبدٍ بنفسه فمَنْ ذا له من بعد ذلك يكرِّم^(٣) ﴿وَمَنْ يُھِنَ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج / ١٨].

فصل

ومن عقوباتها: أنها تعمي بصيرة القلب^(٤)، وتطمس نوره، وتسلّ طرق العلم^(٥)، وتحجب مواد الهدایة.

= ابن عساکر في تاريخه (٦/٣٠٣، ٣٦٦). (ز).

(١) نسبة المصنف في المدارج (١/٥٣٦). والواجل الصيب (١٠٩) إلى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وقد سمع بذلك منه.

(٢) ف: «يديه».

(٣) ف: «مكرم». وبعده في ز: «يقول الله تعالى».

(٤) س: «بصر القلب».

(٥) ز: «طريق العلم».

وقد قال مالك للشافعي^(١) لما اجتمع به ورأى تلك المخالفات^(٢):
إنِّي أَرَى اللَّهَ قَدْ أَلْقَى عَلَى قُلُوبِكُمْ نُورًا، فَلَا تُطْفِئُهُ بِظُلْمَةِ الْمُعْصِيَةِ^(٣).

ولا يزال هذا النور يضعف ويضمحلّ ، وظلمات المعصية يقوى ، حتى يصير القلب في مثل الليل البهيم . فكم من مَهْلِكٍ يسقط فيه ، وهو لا يصره^(٤) ، كأعمى خرج بالليل في طريق ذات مهالك ومعاطب . فيا عزّة السلامـة ، ويـا سرعة العـطـب !

ثم تقوى تلك الظلمـات ، وتفيض من القلب إلى الجوارح ، فيغشـى الوجهـ منها سوادـ^(٥) بحسب قوتها وتزايدـها . فإذا كان عند الموت ظهرـت في البرـزـخ ، فامتلاـ القبرـ ظـلـمةـ ، كما قال النبي ﷺ: «إـنـ هـذـهـ الـقـبـورـ مـمـتـلـئـةـ عـلـىـ أـهـلـهـاـ ظـلـمـةـ وـإـنـ اللـهـ مـنـوـرـهـ بـصـلـاتـيـ عـلـيـهـمـ»^(٦).

إـذاـ كـانـ يـوـمـ الـمـعـادـ وـحـسـرـ الـأـجـسـادـ عـلـتـ الـوـجـوهـ عـلـوـاـ ظـاهـرـاـ يـرـاهـ كـلـ أـحـدـ ، حتـىـ يـصـيرـ الـوـجـهـ أـسـوـدـ مـثـلـ الـحـمـمـةـ . فـيـالـهـاـ عـقـوبـةـ^(٧) لـاـ تـواـزنـ لـذـاتـ الـدـنـيـاـ بـأـجـمـعـهـاـ مـنـ أـولـهـاـ إـلـىـ آخـرـهـاـ ! فـكـيفـ بـقـسـطـ الـعـبـدـ الـمـنـغـصـ الـمـنـكـدـ الـمـتـعـبـ فـيـ زـمـنـ إـنـماـ هـوـ سـاعـةـ مـنـ حـلـمـ ! فـالـلـهـ الـمـسـتعـانـ .

(١) سـ: «رـحـمـةـ اللـهـ عـلـيـهـمـ».

(٢) فـ: «الـمـحـافـلـ» ، تـحـرـيفـ . وـفـيهـ بـعـدـ ذـلـكـ : «إـنـ أـرـىـ عـلـىـ قـلـبـكـ نـوـرـاـ».

(٣) سـبـقـ فـيـ صـ (١٣٣).

(٤) سـ: «لـاـ يـصـرـ».

(٥) زـ: «فـتـغـشـيـ الـوـجـوهـ مـنـهـاـ سـوـادـاـ».

(٦) مـنـ حـدـيـثـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ . أـخـرـجـهـ مـسـلـمـ فـيـ الـجـنـائـزـ ، بـابـ الصـلـاةـ عـلـىـ الـقـبـرـ (٩٥٦).

(٧) سـ: «مـنـ عـقـوبـةـ».

فصل

ومن عقوباتها: أنها تصغر النفس، وتقمعها، وتدسيها^(١)، وتحقرها، حتى تصير [٣٧/ب] أصغر شيء وأحقره^(٢)، كما أن الطاعة تنمّيها وتزكيها وتكبرها.

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّنَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّنَا ۝﴾ [الشمس/٩ - ١٠]. والمعنى قد أفلح من كبرها وأعلاها بطاعة الله وأظهرها. وقد خسر من أخفاها وحقرها وصغرها بمعصية الله.

وأصل التدسيمة الإخفاء. ومنه قوله تعالى: ﴿يَدُسُّهُ فِي الْتُّرَابِ﴾ [النحل/٥٩]. فالعاصي^(٣) يدس نفسه في المعصية، ويختفي مكانها، ويتواري^(٤) من الخلق من سوء ما يأتي به، قد انقمع عند نفسه، وانقمع عند الله، وانقمع عند الخلق.

فالطاعة والبر تكبر النفس، وتعزّها، وتعلّيها، حتى تصير أشرف شيء، وأكبره، وأزكاه، وأعلاه؛ ومع ذلك فهي أذلّ شيء وأحقره وأصغره لله تعالى. وبهذا الذل حصل لها هذا العزّ والشرف^(٥) والنحو. فما صغر النفوس مثل معصية الله، وما كبرها وشرفها ورفعها مثل طاعة الله.

(١) ز: «تدسها».

(٢) ز: «أصغر وأحقر شيء».

(٣) ز: «وال العاصي».

(٤) ف، ز: «يتوارى» دون واو العطف.

(٥) ز: «الشرف والعزّ».

فصل

ومن عقوباتها: أن العاصي دائمًا في أسر شيطانه، وسجن شهواته، وقيود هواه؛ فهو أسير مسجون مقيد. ولا أسير أسوأ حالاً من أسير أسيره أعدى عدو له، ولا سجن أضيق من سجن الهوى، ولا قيد أصعب من قيد الشهوة. فكيف يسير إلى الله والدار الآخرة قلب مأسور مسجون مقيد؟ وكيف يخطو خطوة واحدة؟

وإذا تقيد القلب طرقة الآفات من كل جانب بحسب قيوده. ومثل القلب مثل الطائر، وكلما علا بعد عن الآفات، وكلما نزل احتوشه الآفات^(١).

وفي الحديث: «الشيطان ذئب الإنسان»^(٢).

(١) احتوشه: أحاطت به.

(٢) أخرجه أحمد ٢٣٣/٥ (٢٢٠٢٩) والطبراني ١٦٤/٢٠ (٣٤٤، ٣٤٥) والشاشي في مسنده (١٣٨٧) وأبو نعيم في الحلية (٢/٢٤٧) وغيرهم، من طريق قتادة حدثنا العلاء بن زياد عن معاذ أن النبي ﷺ قال: «إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية. فلياكم والشعوب، وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد». وفيه انقطاع، العلاء بن زياد لم يدرك معاذ بن جبل. انظر جامع التحصيل (٦٠١).

ورواه شهر بن حوشب عن معاذ فذكره. أخرجه عبد بن حميد في مسنده (الم منتخب - ١١٤) وهذا منقطع، شهر لم يدرك معاذًا. وأيضاً فيه أبان بن أبي عياش، متروك الحديث.

ورواه عطية عن حزام عن معاذ فذكره موقوفاً. أخرجه البيهقي في الشعب (٢٦٠٠).

وجاء من حديث عمر بن الخطاب عند ابن عساكر (٦٧/٢٣١ - ٢٣٦) =

وكما أن الشاة التي لا حافظ لها وهي بين الذئاب سريعة العطب، فكذا العبد إذا لم يكن عليه حافظ من الله^(١)، فذئبه مفترسه، ولا بد. وإنما يكون عليه حافظ من الله^(٢) بالتقوى، فهي وقاية وجنة حصينة بينه وبين ذئبه، كما هي وقاية بينه وبين عقوبة الدنيا والآخرة. وكلما كانت الشاة أقرب من الراعي كانت أسلم من الذئب، وكلما بعدت عن الراعي كانت أقرب إلى الهلاك. [١/٣٨] فأحتمى ما تكون الشاة إذا قربت من الراعي، وإنما يأخذ الذئب القاصي^(٣) من الغنم، وهي أبعدهن من الراعي^(٤).

وأصل هذا كله أن القلب كلما كان أبعد من الله كانت الآفات إليه^(٥) أسرع، وكلما قرب من الله بعده عنه الآفات.

والبعد من الله مراتب بعضها أشد من بعض. فالغفلة تبعد العبد^(٦)

وغيره، ولا يصح.
=
وأصل معناه شواهد. منها عن أبي الدرداء مرفوعاً: «ما من ثلاثة نفر في قرية ولا بد لاتقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية» أخرجه أحمد (٢١٧١٠) وابن خزيمة (١٤٨٦) وابن حبان (٢١٠١) وغيرهم. وسنده لا بأس به. والحديث صحيحه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم. انظر تحقيق المسند (٤٢/٣٦).

(١) ف: «لم يكن عليه من الله وقاية وجنة».

(٢) «فذئبه... من الله» ساقط من ز.

(٣) ف: «القاصية».

(٤) س، ف: «أبعد من الراعي».

(٥) «إليه» ساقط من ز.

(٦) ف: «القلب».

عن الله، وبعد المعصية أعظم^(١) من بعد الغفلة، وبعد البدعة أعظم من بعد المعصية، وبعد النفاق والشرك أعظم من ذلك كله.

فصل

ومن عقوباتها: سقوط الجاه والكرامة عند الله وعند خلقه. فإن أكرم الخلق عند الله أتقاهم، وأقربهم منه منزلةً أطوعهم له، وعلى قدر طاعة العبد له تكون منزلته عنده. فإذا عصاه وخالف أمره سقط من عينه، فأسقطه من قلوب عباده. وإذا لم يبق له جاه عند الخلق وهان عليهم عاملوه على حسب ذلك، فعاش بينهم أسوأ عيش خامل الذكر، ساقط القدر، زري الحال^(٢)، لا حرمة له، فلا فرح^(٣) له ولا سرور. فإن خمول الذكر وسقوط القدر والجاه^(٤) معه كل غم وهم^(٥) وحزن، ولا سرور معه^(٦) ولا فرح. وأين هذا الألم من لذة المعصية، لو لا سكر الشهوة؟

ومن أعظم نعم الله على العبد أن يرفع له بين العالمين ذكره ويعلي قدره. ولهذا خصّ الأنبياء ورسله من ذلك بما ليس لغيرهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَلِسَحْقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَئِمَّةِ وَالْأَبْصَرِ إِنَّا أَخَضَّتُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الَّذِّارِ﴾ [ص/ ٤٥ - ٤٦]. أي خصصناهم

(١) ز: «أبعد».

(٢) ل: «ردِي الحال».

(٣) ف: «ولا فرح».

(٤) «فإن خمول... الجاه» ساقط من ف.

(٥) «وهم» ساقط من ز.

(٦) ف: «مع ذلك».

بخصوصية، وهو الذكر الجميل الذي يُذكرون به في هذه الدار^(١). وهو لسان الصدق الذي سأله إبراهيم الخليل حيث قال: «وَاجْعَلْ لِسَانَ صِدْقِي فِي الْآخِرَةِ» [الشعراء / ٨٤]. وقال سبحانه عنه وعن بنيه: «وَهَبْنَا لَهُم مِّنْ رَّحْمَنِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقِ عَلِيَّاً» [مريم / ٥٠]. وقال لنبيه عليه السلام: «وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ» [الشرح / ٤].

فأتبع الرسل لهم نصيب من ذلك بحسب ميراثهم من طاعتهم ومتابعتهم. وكل من خالفهم فاته من ذلك بحسب مخالفتهم ومعصيتهم.

فصل

[٣٨/ب] ومن عقوباتها: أنها تسلب صاحبها أسماء المدح والشرف، وتكتسوه أسماء الذم والصغار. فتسلبه اسم المؤمن، والبر، والمحسن، والمتقي، والمطيع، والمنيب، والولي، والورع، والمصلح، والعابد، والخائف، والأواب، والطيب، والمرضى^(٢)، ونحوها.

(١) فسر المؤلف هذه الآية في طريق الهجرتين (١٠٢)، فقال: «يُخْبَرُ فِيهَا سُبْحَانَهُ عَمَّا أَخْلَصَ لَهُ أَنْبِيَاءَهُ وَرَسُلَهُ مِنْ اخْتِصَاصِهِمُ بِالْآخِرَةِ، وَفِيهَا قُولَانٌ: أَحَدُهُمَا أَنَّ الْمَعْنَى: نَزَعْنَا مِنْ قُلُوبِهِمْ حُبَ الدُّنْيَا وَذِكْرَهَا وَإِيَّارَهَا وَالْعَمَلُ بِهَا. وَالْقُولُ الثَّانِي: إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِأَفْضَلِ مَا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَأَخْتَصَصْنَاهُمْ بِهِ عَنِ الْعَالَمَيْنِ». وَفَسَرَ شِيخُ الْإِسْلَامِ «ذَكْرِي الدَّارِ» بِتَذْكِرَةِ مَا وَعَدُوا بِهِ مِنِ التَّوَابِ وَالْعَقَابِ (مَجْمُوعُ الْفَتاوَىٰ ١٩٣/١٦) وَهُوَ قُولٌ ثَالِثٌ يَدْخُلُ فِي الْقُولِ الْأَوَّلِ كَمَا قَالَ الطَّبَرِيُّ (التَّفْسِيرُ ١١٩/٢٠). أَمَّا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُؤْلِفُ هُنَا فَلَمْ يُشَرِّ إِلَيْهِ الطَّبَرِيُّ فِيمَا نَقَلَهُ عَنِ السَّلْفِ. وَانظُرْهُ فِي الْمُحرَرِ الْوَجِيزِ (٥٠٩/٤)، وَالْكَشَافِ (٩٩/٤).

(٢) ز: «الْرَّضِيُّ»، وَفِي س: «الْمَرْضَا».

وتكتسبه اسم الفاجر، والعاصي، والمخالف، والمسيء، والفسد، والخبيث، والمسخوط، والزاني، والسارق، والقاتل، والكاذب، والخائن، واللوطي، والغادر، وقاطع الرحم^(١)، وأمثالها.

فهذه أسماء الفسق و﴿يَئِسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات/١١] التي توجب^(٢) غضب الديان، ودخول النيران، وعيش الخزي والهوان. وتلك أسماء توجب رضى الرحمن، ودخول الجنان، وتوجب شرف المسمى بها على سائر نوع الإنسان.

فلو لم يكن في عقوبة المعصية إلا استحقاق تلك الأسماء وموجّباتها لكان في العقل ناً عنها. ولو لم يكن في ثواب الطاعة إلا الفوز بتلك الأسماء وموجّباتها لكان في العقل آمِّرً بها. ولكن لا مانع لما أعطى الله^(٣)، ولا معطي لما منع، ولا مقرب لمن باعد، ولا مبعد لمن قرب ﴿وَمَن يُهِنَ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الحج/١٨].

فصل

ومن عقوباتها: أنها تؤثّر بالخاصّية في نقصان العقل. فلا تجد عاقلين أحدهما مطيع لله، والآخر عاص، إلا وعقل المطيع منهمما أوف وأكمل، وفكرة أصحّ، ورأيه أسدّ، والصواب قرينه.

ولهذا تجد خطاب القرآن إنّما هو مع أولي العقول والألباب،

(١) ف، ز: «قاطع الرحم والغادر».

(٢) ف، ز: «الذّي يوجّب» يعني: الفسق.

(٣) لفظ الجلالة انفردت به س.

ك قوله : ﴿ وَأَنَّقُونِي يَأْتُونِي أَلَاَلَبِبٌ ﴾ [البقرة / ١٩٧] ، قوله : ﴿ فَأَنَّقُوا اللَّهَ يَأْتُونِي أَلَاَلَبِبٌ الَّذِينَ أَمْنَوْا ﴾ [الطلاق / ١٠] ، قوله : ﴿ وَمَا يَدْكُرُ إِلَّا أُنْلَوْا أَلَاَلَبِبٌ ﴾ [البقرة / ٢٦٩] . ونظائر ذلك^(١) كثيرة .

وكيف يكون عاقلاً وافر العقل من يعصي من هو في قبضته وفي داره ، وهو يعلم أنه يراه ويشاهده ، فيعصيه ، وهو بعينه غير متواز عنـه ، ويستعين بنعمـه على مسـاخـطـه ، ويـسـتـدـعـي كلـوقـتـ غـضـبـهـ عـلـيـهـ ، ولـعـتـهـ لهـ ، وإـبعـادـهـ منـ قـرـبـهـ ، وـطـرـدـهـ عنـ بـابـهـ ، وإـعـراضـهـ عنـهـ ، وـخـذـلـانـهـ لـهـ ، والتـخلـيـةـ [١/٣٩] بينـهـ وـبـيـنـ نـفـسـهـ وـعـدـوـهـ ، وـسـقـوـطـهـ منـ عـيـنـهـ ، وـحرـمانـهـ رـوحـ رـضـاهـ وـحـبـهـ ، وـقـرـةـ العـيـنـ بـقـرـبـهـ ، وـالفـوزـ بـجـوارـهـ ، وـالـنـظـرـ إـلـىـ وـجـهـهـ فيـ زـمـرـةـ أولـيـائـهـ ، إـلـىـ أـضـعـافـ أـضـعـافـ ذـلـكـ مـنـ كـرـامـةـ^(٢) أـهـلـ الطـاعـةـ ، وأـضـعـافـ أـضـعـافـ ذـلـكـ مـنـ عـقـوبـةـ أـهـلـ المـعـصـيـةـ ؟

فـأـيـ عـقـلـ لـمـنـ آـثـرـ لـذـةـ سـاعـةـ أوـ يـوـمـ أوـ دـهـرـ ، ثـمـ تـنـقـضـيـ كـأـنـهـ حـلـمـ لـمـ يـكـنـ ، عـلـىـ هـذـاـ النـعـيمـ الـمـقـيمـ وـالـفـوزـ الـعـظـيمـ ، بـلـ هـوـ سـعـادـةـ الدـنـيـاـ وـالـآـخـرـةـ ؟ـ وـلـوـلاـ العـقـلـ الـذـيـ تـقـومـ بـهـ عـلـيـهـ الـحـجـةـ لـكـانـ بـمـنـزـلـةـ الـمـجـانـينـ ، بـلـ قـدـ يـكـونـ^(٣) الـمـجـانـينـ أـحـسـنـ حـالـاـ مـنـهـ وـأـسـلـمـ عـاقـبـةـ .ـ فـهـذـاـ مـنـ هـذـاـ الـوـجـهـ .

وـأـمـاـ تـأـثـيرـهـ فـيـ نـقـصـانـ الـعـقـلـ الـمـعـيشـيـ ، فـلـوـلاـ الاـشـتـراكـ فـيـ هـذـاـ الـنـقـصـانـ لـظـهـرـ لـمـطـيعـنـاـ نـقـصـانـ عـقـلـ عـاصـيـنـاـ ، وـلـكـنـ الـجـائـحةـ عـامـةـ ، وـالـجـنـونـ فـنـونـ !

(١) فـ :ـ «ـ نـظـائـرـهـ »ـ .

(٢) فـ :ـ «ـ إـكـرامـهـ »ـ .

(٣) «ـ قـدـ »ـ سـاقـطـةـ مـنـ سـ .

ويا عجباً لو صحت العقول لعلمت أنّ طريق^(١) تحصيل اللذة والفرحة والسرور وطيب العيش إنما هو في رضى مَن النعيمُ كُلُّهُ في رضاه، والألمُ والعذابُ كُلُّهُ في سخطه وغضبه. ففي رضاه قرّة العيون، وسرور النفوس وحياة القلوب، ولذة الأرواح، وطيب الحياة، ولذة العيش، وأطيب النعيم؛ مما لو وزن منه مثقال ذرة بنعيم الدنيا لم يف به، بل إذا حصل للقلب من ذلك أيسر نصيب لم يرض بالدنيا وما فيها عوضاً منه. ومع هذا^(٢) فهو يتنعم بنصيبيه من الدنيا أعظم من تنعم المترفين فيها، ولا يشوب تنعمه بذلك الحظّ اليسير ما يشوب تنعم المترفين من الهموم والغموم والأحزان والمعارضات، بل قد حصل على النعيمين، وهو يتضرر نعيمين آخرين أعظم منهما. وما يحصل له في خلال ذلك^(٣) من الآلام، فالأمر كما قال الله سبحانه: «إِن تَكُونُوا تَائِمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأَلَّمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ» [النساء / ١٠٤].

فلا إله إلا الله، ما أنقص عقلَ من باع الدرَّ بالبعر، والمسك بالرجيع، ومرافقَةَ الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بمرافقَةِ الذين غضب الله عليهم، ولعنهم، وأعد لهم جهنّم وساعات مصيرًا!

فصل

ومن أعظم عقوباتها: [٣٩/ب] أنها توجب القطيعة بين العبد وبين ربِّه تبارك وتعالى، وإذا وقعت القطيعة انقطعت عنه أسباب الخير،

(١) «طريق» ساقط من ف.

(٢) «ومع هذا» ساقط من ل.

(٣) ف: «في ذلك».

وأتصلت به أسباب الشرّ. فأيّ فلاح وأيّ رجاء وأيّ عيش لمن انقطعت عنه أسباب الخير، وقطع ما بينه^(١) وبين وليه ومولاه الذي لا غنى له عنه طرفة عين، ولا بدّ له منه^(٢)، ولا عوض له عنه؛ واتصلت به أسباب الشر، ووصل ما بينه وبين أعدى عدو له، فتولاه عدوه، وتخلّى عنه وليه؟ فلا تعلم نفس ما في هذا الانقطاع والاتصال من أنواع الآلام وأنواع العذاب!

قال بعض السلف :رأيت العبد ملقي بين الله سبحانه و بين الشيطان ، فإن أعرض الله عنه^(٣) تولا الشيطان ، وإن تولا الله لم يقدر عليه الشيطان^(٤).

وقد قال تعالى : «وَإِذْ قُنَا لِلْمَلِئَكَةِ أَسْجَدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَخِذُونَهُ وَذِرِّيَّتَهُ أَوْلِيَّكُمْ مِنْ دُونِكُمْ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ يُنَشِّسُ لِلظَّالِمِينَ بَدْلًا» [الكهف / ٥٠].

(١) ف : «قطع بيته».

(٢) بعده في س زيادة : «ولا بدل له منه».

(٣) ز : «أعرض عنه الله».

(٤) أخرجه الإمام أحمد في الزهد (١٣٥٣) عن مطرف بن عبد الله بن الشحير، ولفظه : «وجدت هذا الإنسان ملقى بين الله عز وجل وبين الشيطان، فإن يعلم الله في قلبه خيراً يجده إليه، وإن لا يعلم فيه خيراً وكله إلى نفسه، ومن وكله إلى نفسه فقد هلك». وبهذا اللفظ نقله عنه المؤلف في المدارج (٢٧٩/٣). (ص) وسنده حسن. وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٢٩٨)، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (٢٠١/٢) وابن عساكر في تاريخه (٣٠٨/٥٨) بنحوه، وسنده صحيح. وأخرجه ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان (٢٥) من طريق آخر عن مطرف بنحوه (ز).

يقول سبحانه لعباده: أنا أكرمت^(١) أباكم، ورفعت قدره، وفضّلته على غيره، فأمرت ملائكتي كلّهم أن يسجدوا له تكريماً^(٢) وتشريفاً؛ فأطاعوني، وأبى عدوّي وعدوّه، فعصى أمري، وخرج عن طاعتي. فكيف يحسن بكم بعد هذا أن تتخذوه^(٣) وذريته أولياء من دوني، فتطيعونه في معصيتي، وتوالونه في خلاف مرضاتي، وهم^(٤) أعدى عدو لكم؟ فواللهم عدوّي، وقد أمرتكم بمعاداته.

ومن والى أعداء الملك كان هو وأعداؤه عنده سواء، فإن المحبة والطاعة لا تتم إلا بمعاداة أعداء المطاع وموالاة أوليائه. وأماماً أن توالى أعداء الملك ثم تدعى أنك موالي له، فهذا محال. هذا لو لم يكن^(٥) عدو الملك عدواً لكم، فكيف إذا كان عدواً لكم^(٦) على الحقيقة، والعداوة التي بينكم وبينه أعظم من العداوة التي بين الشاة والذئب؟ فكيف يليق بالعادل أن يوالى عدوه وعدوّ وليه ومولاه الذي لا مولى له سواء؟

ونبه [٤٠/أ] سبحانه على قبح هذه الموالاة بقوله: «وَهُمْ لَكُمْ عَدُوُّ» [الكهف/٥٠]، كما نبه على قبحها بقوله: «فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ» [الكهف/٥٠]. فتبين أن عداوته لربه وعداوته لنا، كلّ منهما سبب يدعو إلى معاداته، فما هذه الموالاة؟ وما هذا الاستبدال؟ بئس للظالمين بدلًا!

(١) ل: «إني أكرمت». س: «كرمت».

(٢) ف: «تكريماً له».

(٣) ما عدا ف: «تتخذونه».

(٤) كذا في جميع النسخ، يعني إبليس وذريته.

(٥) ف: «إذا لم يكن».

(٦) ز: «عدوكم».

ويشبه أن يكون تحت هذا الخطاب نوعٌ من العتاب لطيفٌ عجيبٌ، وهو أني عاديت إبليس إذ لم يسجد لأبيكم آدم مع ملائكتي، فكانت^(١) معاداته لأجلكم، ثم كان عاقبة هذه المعاداة أن عقدتم بينكم وبينه عقد المصالحة!

فصل

ومن عقوباتها: أنها تمحق بركة العمر، وبركة الرزق، وبركة العلم، وبركة العمل، وبركة الطاعة. وبالجملة، تمحق برقة الدين والدنيا. فلا تجد أقلَّ برقةً في عمره ودينه ودنياه ممن عصى الله. وما مُحققت البركة من الأرض إلا بمعاصي الخلق. قال تعالى: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ مَا مَأْتُوا وَأَثْقَلُوا لِفَتَحَنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» [الأعراف/٩٦]. وقال تعالى: «وَأَلَّوْ أَسْتَقْمُوا عَلَى الْطَّرِيقَةِ لِأَسْقَيْنَاهُمْ مَّا أَهْدَى» [الجن/١٦] وإنَّ العبد ليحرِّم الرزق بالذنب يصيبه^(٢).

وفي الحديث: «إنَّ روح القدس نفت في رُوعي أَنَّه»^(٤) لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتّقوا الله وأجِملوا في الطلب، فإنه لا يُنال ما عند الله إلا بطاعته^(٥)^(٦). و«إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الرَّوْحَ وَالْفَرَحَ فِي الرَّضَا

(١) س: «وكانت».

(٢) انفرد س بزيادة «لتفتنهم فيه»، وهي جزء من الآية ١٧.

(٣) كما ورد في الحديث بهذا اللفظ، وقد سبق تخريرجه في ص (١٠٣).

(٤) ز: «أن».

(٥) س: «بالطاعة» ز: «بمعصية إلا بطاعته».

(٦) أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث (٢٨٣/٣). ومن طريقه البغوي في شرح السنة (٤١١/ رقم ٤١١). والقضاعي في مسند الشهاب (١١٥١) من طريق زيد اليامي عن أخبره عن عبدالله بن مسعود فذكره. وقد وقع فيه اختلاف، =

واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط»^(١).

وقد تقدم الأثر^(٢) الذي ذكره أحمد في كتاب الزهد: «أنا الله، إذا رضيتك باركتُ، وليس لبركتي منتهي. وإذا غضبتُ لعنتُ، ولعنتي

= والطريق المثبت أصحها. انظر: علل الدارقطني (٢٧٣/٥) وشعب الإيمان (٩٨٩١). وعليه فالحديث ضعيف الإسناد للإيهام في قوله (عنمن أخبره).

وقد جاء من حديث حذيفة بنحوه من طريق قدامة عن أبيه زائدة بن قدامة عن عاصم عن زر بن حبيش عن حذيفة. أخرجه البزار في مسنده (٢٩١٤) قال الهيثمي في المجمع (٤/٧١): «وفيه قدامة بن زائدة بن قدامة ولم أجد من ترجمة».

قلت: روی عن أبيه، وروی عنه ابنته وجماعة. انظر الثقات لابن حبان (٢٥٨/٨) ونواذر الأصول (٩٠/أ).

وورد معناه من حديث جابر، رواه الوليد بن مسلم وحجاج بن محمد وعبدالمجيد بن أبي رواه ومحمد بن بكر، كلهم عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر رفعه: «يا أيها الناس إن أحكم لكم لن يموت حتى يستكمل رزقه، ولا تستبطئوا الرزق، واتقوا الله، وأجملوا في الطلب، وخذلوا ما حل، وذرلوا ما حُرم». أخرجه ابن ماجه (٢١٤٤) والقضاعي في مسنده (١١٥٢) وابن الجارود (٥٥٦) والحاكم (٢١٣٥) وغيرهم.

ورواه عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن محمد بن المنكدر عن جابر فذكره. أخرجه ابن حبان (٣٢٣٩) والحاكم (٤٢ - ٤٥) (٢١٣٤).

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الرضا عن الله بقضاءه (٩٤). ومن طريقه البهقي في الشعب (٢٠٥) وابن عساكر في تاريخه (٦٧٥/٣٣)، من طريق أبي هارون المدني عن ابن مسعود، فذكره موقوفاً. ورجاله ثقات، لكن فيه انقطاع، أبو هارون لم يدرك ابن مسعود.

وقد روی هذا مرفوعاً من حديث ابن مسعود وأبي سعيد الخدري، ولا يصح. راجع شعب الإيمان للبهقي (٢٠٣، ٢٠٤).

(٢) في ص (٣٠).

تدرك^(١) السابع من الولد».

وليس سعة الرزق والعمل^(٢) بكثرة، ولا طول العمر بكثرة الشهور والأعوم، ولكن سعة الرزق وال عمر بالبركة فيه.

وقد تقدم^(٣) أن عمر العبد هو مدة حياته، ولا حياة لمن أعرض عن الله، واشتغل بغيره. بل حياة البهائم خير من حياته، فإن حياة الإنسان بحياة قلبه وروحه، ولا حياة لقلبه إلا بمعرفة فاطره، ومحبته، وعبادته^(٤) وحده، والإناية إليه، والطمأنينة بذكره، والأنس بقربه. [٤٠/ب] ومن فقد هذه الحياة فقد^(٥) فقد الخير كله، ولو تعوّض عنها بما تعوّض. فما في الدنيا^(٦) بل ليست الدنيا بأجمعها عوضاً عن هذه الحياة! فمن كل شيء يفوت العبد عوضاً، وإذا فاته الله لم يعوّض عنه شيء البتة.

وكيف يعوّض الفقير بالذات عن الغني بالذات، والعاجز بالذات عن القادر بالذات، والميت عن الحي الذي لا يموت، والمخلوق عن الخالق، ومن لا وجود له ولا شيء له من ذاته البتة عمن غناه وحياته وكماله ووجوده ورحمته من لوازم ذاته؟ وكيف يعوّض من لا يملك مثقال ذرة عمن له ملك السموات والأرض؟

(١) ل: «بلغ».

(٢) «والعمل» لم يرد في ف.

(٣) في ص (١٣٧).

(٤) «عبادته» لم يرد في س.

(٥) لم يرد «فقد» في ف.

(٦) ف، ل: «تعوض مما في الدنيا».

وإنما كانت معصية الله سبباً لمحق بركة^(١) الرزق والأجل، لأنَّ الشيطان موكل بها وب أصحابها، فسلطاؤه عليهم، وحوالته على هذا الديوان، وأهله أصحابه^(٢)؛ وكلُّ شيء يتصل به الشيطان ويقارنه^(٣)، فبركته ممحوقة. ولهذا شرع ذكرُ اسم الله تعالى عند الأكل والشرب واللبس والركوب والجماع، لما في مقارنة اسم الله من البركة. وذكرُ اسمه يطرد الشيطان، فتحصل البركة، ولا معارض لها.

وكلَّ شيء لا يكون لله، فبركته متزوعة، فإنَّ الربَّ هو الذي تبارك^(٤) وحده، والبركة كلُّها منه، وكلَّ ما نُسب إليه مبارك. فكلامه^(٥) مبارك، ورسوله مبارك، وعبده المؤمن النافع لخلقه مبارك، وبيته الحرام مبارك^(٦)، وكنانته من أرضه - وهي الشام^(٧) - أرض البركة، وصفها بالبركة في ست آيات من كتابه^(٨). فلا

(١) «بركة» ساقط من ف.

(٢) يعني: وأهل هذا الديوان أصحاب الشيطان. وفي س، ف: «وأهله وأصحابه».

(٣) ز: «يقاربه».

(٤) ما عدا س: «يبارك»، وأثبتنا ما فيها لما يأتي: «فلا متبارك إلا هو وحده». وانظر بدائع الفوائد (٦٨٢).

(٥) س: « وكلامه».

(٦) «رسوله...» إلى هنا ساقط من س.

(٧) ف: «أرض الشام». يشير إلى ما روي: «الشام كنانتي، فمن أرادها بسوء رميته بسهم منها». قال الألباني: «لا أصل له في المرفوع، ولعله من الإسرائيليات...». انظر السلسلة الضعيفة (١/٧٠).

(٨) وكذا قال في بدائع الفوائد (١٣٣٥): «وصف الشام بالبركة في ست آيات». ولكن قال فيه أيضاً (٦٨٢): «وما حول المسجد الأقصى مبارك، وأرض الشام = وصفها بالبركة في أربعة مواضع من كتابه أو خمسة». وهذا هو الصواب. فهي =

متبارك^(١) إلا هو وحده، ولا مبارك إلا ما نسب إليه، أعني: إلى محبته وألوهيته ورضاه، وإلا فالكون كله منسوب إلى ربوبيته وخلقه. وكل ما باعده من نفسه من الأعيان والأقوال والأعمال فلا بركة فيه ولا خير فيه، وكل ما كان قريباً منه^(٢) من ذلك ففيه من البركة على حسب قربه منه.

و ضد البركة اللعنة. فأرض لعنها الله، أو شخص لعن^(٣) أو عمل لعن^(٤) = أبعد شيء من الخير والبركة. وكل ما اتصل بذلك، وارتبط به، وكان منه بسبيل، فلا بركة فيه البتة. وقد لعن عدوه إبليس، [١/٤١] وجعله أبعد خلقه منه، فكل ما كان من جهته فله من لعنة الله بقدر قربه منه واتصاله به.

فمن هنا كان للمعاصي أعظم تأثير في محق بركة العمر والرزق^(٤) والعلم والعمل. فكل وقت^(٥) عصيت الله فيه، أو مال عصي الله به، أو بدن، أو جاء، أو علم، أو عمل، فهو على صاحبه، ليس له. فليس عمره وماليه وقوته وجاهه وعلمه وعمله إلا ما أطاع الله به.

ولهذا من الناس من يعيش في هذه الدار مائة سنة أو نحوها، ويكون عمره لا يبلغ عشر سنين أو نحوها؛ كما أنّ منهم من يملك القناطير

= أربعة مواضع: الأعراف (١٣٧)، والأنبياء (٨١، ٧١)، وسيا (١٨). فإذا أضفنا إليها آية الإسراء كانت خمسة.

(١) ل: «مبارك».

(٢) «منه» ساقط من ف.

(٣) ل: «لعن الله»، وهكذا بعده: «أو عمل لعن الله».

(٤) ف: «الرُّزْقُ وَالْعُمَرُ».

(٥) ف: «وَكُلُّ وَقْتٍ».

المقنزرة من الذهب والفضة، ويكون ماله في الحقيقة لا يبلغ ألف درهم أو نحوها. وهكذا الجاه والعلم.

وفي الترمذى^(١) عنه ﷺ: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله عز وجل وما والاه، وعالم أو متعلم».

وفي أثر آخر: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ما كان لله»^(٢).

فهذا هو الذي فيه البركة خاصة. والله المستعان^(٣).

(١) برقم (٢٣٢٢). وأخرجه ابن ماجه (٤١١٢) والعقيلي في الضعفاء (٣٢٦/٢) والبيهقي في الشعب (١٧٠٨) وغيرهم، من طريق عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن عطاء بن قرة عن عبدالله بن ضمرة السلوبي عن أبي هريرة مرفوعاً. قال الترمذى: «هذا حديث حسن غريب».

ورواه يحيى بن اليمان عن ابن ثوبان عن أبيه عن عبدالله بن ضمرة عن كعب قوله. أخرجه الدارمي (٣٣١) وغيره. قال الدارقطني: وهو وهم. وقد اضطرب فيه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان على أوجه، وعد العقيلي هذا الحديث وغيره من منكرياته، ثم قال: «ولا يتبعه إلا من هو دونه أو مثله». راجع علل الدارقطني (٥/٨٩) و(١١/٤٤ - ٤٥).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/١٥٧) والخليلي في الإرشاد (٢/٧١١) والرافعي في أخبار قزوين (٢/٢٧٤) و(٣/١٤١) و(٤/١٣٥) وغيرهم، من طريق عبدالله بن الجراح القهستاني عن أبي عامر عبد الملك بن عمرو العقدي عن الثوري عن ابن المنكدر عن جابر مرفوعاً.

ورواه يحيى القطان عن الثوري عن محمد بن المنكدر عن النبي ﷺ مرسلأ. أخرجه أحمد في الزهد (١٥٤) وأبو داود في المراسيل (٥٠٢). وهذا هو الصواب أنه مرسل كما رجح ذلك أبو حاتم الرazi والدارقطني وابن الجوزي.

(٣) بعده في ز: «وعليه التكلاّن».

فصل

ومن عقوباتها: أنها تجعل صاحبها من السُّفَلَة بعد أن كان مُهِيَّاً لأن يكون من العُلَيَّة. فإنَّ الله خلق خلقه قسمين: عِلْيَة وسِفَلَة، وجعل عَلَيْيْنَ مستقرَّ العُلَيَّة، وأسفل سَافَلِينَ مستقرَّ السُّفَلَة. وجعل أَهْل طاعته الْأَعْلَى في الدُّنْيَا وَالْآخِرَة، وأَهْل مَعْصِيَتِهِ الْأَسْفَلِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة^(١); كما جعل أَهْل طاعته أَكْرَمَ خلقه عليه، وأَهْل مَعْصِيَتِهِ أَهْونَ خلقه عليه^(٢)، وجعل العَزَّة لَهُؤُلَاء^(٣)، وَالذَّلَّة وَالصَّغَار لَهُؤُلَاء. كما في مسنَد أَحْمَد مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ^(٤) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «جُعِلَ الذَّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي».

فَكُلُّمَا^(٥) عَمِلَ الْعَبْدُ مَعْصِيَةً نُزِلَ إِلَى أَسْفَل درجة، وَلَا يَزَالُ فِي نُزُولٍ حَتَّى يَكُونَ مِنَ الْأَسْفَلِينَ. وَكُلُّمَا عَمِلَ طَاعَةً^(٦) ارْتَفَعَ بِهَا دَرْجَة، وَلَا يَزَالُ فِي ارْتَفَاعٍ حَتَّى يَكُونَ مِنَ الْأَعْلَى. وَقَدْ يَجْتَمِعُ لِلْعَبْدِ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ الصَّعُودُ مِنْ وَجْهٍ، وَالنُّزُولُ مِنْ وَجْهٍ؛ وَأَيْمَانًا كَانَ أَغْلَبُ عَلَيْهِ كَانَ مِنْ أَهْلِهِ. فَلَيْسَ مِنْ صَعْدَ مائَةِ دَرْجَةٍ وَنُزُلَ دَرْجَةٍ وَاحِدَةٍ كَمَنْ كَانَ [٤١/ب] بِالْعَكْسِ.

(١) «وَأَهْل مَعْصِيَتِهِ... الْآخِرَة» ساقطٌ مِنْ ل.

(٢) «عَلَيْهِ» ساقطٌ مِنْ ف. وَفِي ز: «عَلَيْهِمْ»، خطأ.

(٣) ف: «لَهُؤُلَاءِ الْعَزَّة».

(٤) فِي جَمِيعِ النَّسْخِ: «عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ»، وَقَدْ تَقْدَمَ عَلَى الصَّوَابِ - كَمَا أَثْبَتَنَا - فِي ص (١٤٣).

(٥) س: «وَكُلُّمَا».

(٦) ف: «بَطَاعَة».

ولكن يعرض هنا للنفوس غلط عظيم، وهو أنَّ العبد قد ينزل نزولاً بعيداً أبعدَ ممَا^(١) بين المشرق والمغرب وممَا^(٢) بين السماء والأرض، فلا يفي صعوْدُه ألفَ درجة بهذا النزول الواحد، كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلْمَةِ الْوَاحِدَةِ، لَا يَلْقَى لَهَا بِالْأَلْأَ، يَهُوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ ممَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»^(٣). فأيُّ صعود يوازي^(٤) هذه النزلة؟.

والنزول أمر لازم للإنسان، ولكن من الناس من يكون نزوله إلى غفلة، فهذا متى^(٥) استيقظ من غفلته عاد إلى درجته، أو إلى أرفع منها بحسب يقظته.

ومنهم من يكون نزوله إلى مباح لا ينوي به الاستعاة^(٦) على الطاعة. فهذا متى رجع إلى الطاعة^(٧) فقد يعود إلى درجته، وقد لا يصل إليها، وقد يرتفع عنها. فإنَّه قد يعود أعلى همةً مما كان^(٨)، وقد يكون أضعف همةً، وقد تعود همته كما كانت.

(١) ز : «أبعدما».

(٢) ف ، ز : «وما».

(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في الرفاق، باب حفظ اللسان (٦٤٧٧)؛ ومسلم في الزهد، باب حفظ اللسان (٢٩٨٨).

(٤) ف ، س : «يوازن».

(٥) س : «هذا متى». ز : «فهذا إذا».

(٦) ف : «إلا الاستعاة».

(٧) «فهذا... الطاعة» ساقط من ف.

(٨) ف : «يعود على همة أقوى مما كان».

ومنهم من يكون نزوله إلى معصية: إما صغيرة أو كبيرة^(١)، فهذا يحتاج في عوده إلى درجته إلى توبة نصوح وإنابة صادقة.

وأختلف الناس: هل يعود بعد التوبة^(٢) إلى درجته التي كان فيها، بناءً على أن التوبة تمحو أثر الذنب، وتجعل وجوده كعدمه، فكأنه لم يكن؛ أو لا يعود بناءً على أن التوبة تأثيرها في^(٣) إسقاط العقوبة، وأما الدرجة التي فاتته فإنّه لا يصل إليها^(٤)؟

قالوا^(٥): وتقرير ذلك أنه كان مستعداً باشتغاله بالطاعة في الزمن الذي عصى فيه لصعود آخر، وارتفاعه^(٦) بجملة أعماله السالفة بمترلة كسب الرجل كل يوم بجملة ماله الذي يملكه، وكلما تضاعف المال تضاعف الربح. فقد راح عليه في زمن المعصية ارتفاع وربح بجملة أعماله، فإذا^(٧) استأنف العمل صعوداً من نزول، وكان قبل ذلك صاعداً من صعود^(٨)، وبينهما بون عظيم.

قالوا: ومثل ذلك رجلان مرتقيان في سلمين لا نهاية لهما، وهما سواء، فنزل أحدهما إلى أسفل ولو درجة واحدة، ثم استأنف الصعود،

(١) ف: «كبيرة أو صغيرة».

(٢) ف: «بالتوبة». ووقع «بعد التوبة» في ز بعد «فيها».

(٣) س: «على».

(٤) قد أفضى المؤلف الكلام في هذه المسألة في طريق الهجرتين (٥٤٥ - ٥٠٦). وانظر المدارج (٢٩١/١ - ٢٩٤).

(٥) «قالوا» لم يرد في س.

(٦) ما عدا س: «وارتقاء».

(٧) ز: «واستأنف».

(٨) ما عدا س: «من علو».

فإنَّ الذي لم ينزل يعلو عليه، ولا بدَّ.

و حكم شيخ الإسلام ابن تيمية بين الطائفتين [٤٢/١] حكماً مقبولاً ف قال : التحقيق أنَّ من التائبين من يعود إلى أرفع من درجته ، ومنهم من يعود إلى مثل درجته^(١) ، ومنهم من لا يصل إلى درجته^(٢) .

قلت : وهذا بحسب قوة التوبة وكمالها ، وما أحدها المعصية للعبد من الذل والخضوع والإذابة ، والحدر والخوف من الله ، والبكاء من خشيتها ؛ فقد تقوى هذه الأمور حتى يعود التائب إلى أرفع من درجته ، ويصير بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة . فهذا قد تكون الخطيئة في حقه رحمةً ، فإنَّها نفت عنه داء العجب ، وخلصته من ثقته^(٣) بنفسه وأعماله ، ووضعت خدَّ ضراعته وذلة وانكساره على عتبة باب سيده ومولاه ، وعرفته قدره ، وأشهدَتْه فقره وضرورته إلى حفظ سيده له ، وإلى عفوه عنه ومغفرته له ؛ وأخرجَتْ من قلبه صولة الطاعة ، وكسرتْ أنفه من^(٤) أن يشمُّ بها ، أو يتکبر بها ، أو يرى نفسه بها خيراً من غيره ؛ وأوقفته بين يدي ربه موقفَ الخطائين المذنبين ناكسَ الرأسَ بين يدي ربِّه ، مستحيياً^(٥) منه ، خائفاً وجلاً ، محترقاً لطاعته ، مستعظاماً لمعصيته ، قد عرف^(٦) نفسه بالنقص والذم ، وربَّه منفرداً بالكمال والحمد والوفاء ، كما قيل :

(١) في س : «إلى درجته» ، وتأخرت هذه الجملة فيها على تاليتها .

(٢) انظر منهاج السنة (٤٣٤/٢) . وقد نقل المصنف كلام شيخه في طريق الهجرتين

(٥٣٤) والمدارج (٢٩٢/١) أيضاً .

(٣) س : «ثقة» .

(٤) «من» لم ترد في ف ، ز .

(٥) س : «وقد عرف» .

استأثرَ اللَّهُ بِالْوَفَاءِ وَبِالْمَلَامَةِ الرَّجُلاً^(١)

فَأَيْ نِعْمَةٍ وَصَلَتْ مِنَ اللَّهِ إِلَيْهِ اسْتَكْثَرَهَا عَلَى نَفْسِهِ، وَرَأَى نَفْسَهُ
دُونَهَا، وَلَمْ يَرَهَا أَهْلًا لَهَا. وَأَيْ نِقْمَةٍ أَوْ بُلْيَةٍ وَصَلَتْ إِلَيْهِ رَأَى نَفْسَهُ أَهْلًا
لِمَا هُوَ أَكْبَرُ^(٢) مِنْهَا، وَرَأَى مُولَاهُ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ، إِذَا لَمْ يَعْاقِبْهُ عَلَى قَدْرِ
جُرْمِهِ وَلَا شَطْرِهِ وَلَا أَدْنَى جُزْءِهِ. فَإِنَّ مَا يَسْتَحْقُهُ مِنَ الْعِقْوَبَةِ لَا تَحْمِلُهُ
الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ، فَضْلًا عَنْ هَذَا الْعَبْدِ الْمُضْعِفِ الْعَاجِزِ.

فَإِنَّ الذَّنْبَ وَإِنْ صَغْرَهُ، فَإِنَّ مَقَابِلَةَ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا شَيْءٌ أَعْظَمُ مِنْهُ،
الْكَبِيرُ الَّذِي لَا شَيْءٌ أَكْبَرُ مِنْهُ، الْكَرِيمُ الَّذِي لَا أَجْلَى مِنْهُ وَلَا أَجْمَلَ،
الْمَنْعِمُ بِجُمِيعِ أَصْنَافِ النِّعَمِ دَقِيقُهَا وَجَلِيلُهَا = مِنْ أَقْبَعِ الْأَمْوَارِ وَأَفْطَعُهَا
وَأَشْنَعُهَا. فَإِنَّ مَقَابِلَةَ الْعَظِيمَاءِ وَالْأَجْلَاءِ وَسَادَاتِ النَّاسِ بِمِثْلِ ذَلِكِ^(٣)
يَسْتَقْبِحُهُ كُلُّ أَحَدٍ مُؤْمِنٌ وَكَافِرٌ. وَأَرْذَلُ النَّاسِ وَأَسْقَطُهُمْ مَرْوِعَةً مَنْ قَابَلَهُمْ
بِالرَّذَائِلِ، فَكِيفَ بِعَظِيمِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَلِكِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ [٤٢/ب]، وَإِلَهِ أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^(٤)؟

وَلَوْلَا أَنَّ رَحْمَتَهُ غَلَبَتْ غَضَبَهُ، وَمَغْفِرَتَهُ سَبَقَتْ عِقَوبَتَهُ، وَإِلَّا^(٥)

(١) من قصيدة منسوبة إلى الأعشى في ديوانه (٢٨٣). والرواية المشهورة: «بِالْوَفَاءِ
وَبِالْعَدْلِ». وقد أنسده المؤلف في أكثر من موضع. انظر طريق الهجرتين (١١)
وشفاء العليل (١٣٢) والمدارج (١٩٥/١).

(٢) ل، ز: «أَكْثَر».

(٣) «وَأَشْنَعُهَا... بِمِثْلِهِ» ساقط من ف. وفيها: «وَذَلِكُ». .

(٤) «وَمَلِكِ السَّمَوَاتِ...» إلى هنا ساقط من ف.

(٥) «وَإِلَّا» وقعت هنا في غير موقعها، ولا يستقيم المعنى إلا بحذفها. وقد تكرر
استعمال «وَإِلَّا» على هذا الوجه في كلام المؤلف وشیخه، ولعله كان أسلوبًا
دارجًا في زمانهما. انظر مثلاً طريق الهجرتين (٤٤)، وشفاء العليل (١١٩) =

لتدكك الأرض بمن قابله بما لا تليق مقابلته به. ولو لا حلمه ومغفرته^(١) لزالت^(٢) السموات والأرض من معاصي العباد. قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَرْوُلَا وَلَئِنْ زَانَا إِنْ أَنْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّمَا كَانَ حَلِيمًا عَفُورًا ﴾ [فاطر / ٤١].

فتأمل ختم هذه الآية باسمين من أسمائه، وهما: الحليم الغفور^(٣)، كيف تجد تحت ذلك أنه لو لا حلمه عن الجنة ومغفرته للعصاة لما استقرت السموات والأرض.

وقد أخبر سبحانه عن بعض كفر عباده أنه: ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْفَطَرُنَّ مِنْهُ وَتَنْشَقُ الْأَرْضُ وَتَخَرُّ الْجِبَالُ هَذَا ﴾ [مريم / ٩٠].

وقد أخرج الله سبحانه والأبوين^(٤) من الجنة بذنب واحد ارتكباه، وخالفا فيه نهيء^(٥). ولعن إبليس، وطرده، وأخرجه من ملکوت السماء^(٦) بذنب^(٧) ارتكبه، وخالف فيه^(٨) أمره. ونحن - معاشر الحمقى - كما قيل:

= ومجموع الفتاوى (١١/٢٧). وجامع المسائل (٩٢/١، ١٧١).

(١) ز: «رحمته».

(٢) ف: «الزلزلة».

(٣) ل: «أسمائه الحليم والغفور».

(٤) س: «نقل الله سبحانه آدم وحواء».

(٥) ز: «نهيه فيه». وفي س: «واحد بالغفلة عن مخالفته نهيء»، وهو من جنائية قاريء محاكتابة النسخة وكتب مكانها: «بالغفلة عن مخالفته».

(٦) ز: «السموات». وهنا أيضاً كتب قاريء س مكان «ملکوت»: «مشاركة أهل».

(٧) ز: «بذنب واحد».

(٨) «نهيه ولعن... فيه» ساقط من ف.

نصلُ الذنوبَ إلى الذنوب ونرتجمي دَرَكَ الْجَنَانِ لَدِي النَّعِيمِ الْخَالِدِ^(١)

ولقد علمنا أخرَجَ الأَبْوَيْنِ مِنْ ملکوتها الأَعْلَى بِذَنبٍ وَاحِدٍ^(٢)

والملخص أن العبد قد يكون بعد التوبة خيراً مما كان قبل الخطيئة وأرفع درجةً . وقد تُضعف الخطيئة همتَه ، وتُوهن عزمه ، وتُمرض قلبه ، فلا يقوى دواء التوبة على إعادته إلى الصحة الأولى ، فلا يعود إلى درجته . وقد يزول المرض بحيث تعود الصحة كما كانت ، ويعود إلى مثل عمله ، فيعود إلى درجته .

هذا كله^(٣) إذا كان نزوله إلى معصية . فإن^(٤) كان نزوله إلى أمر

(١) الدَّرَكُ: اللَّحَاقُ، وهو اسم من الإدراك (المصباح المنير). وقد غيرها بعضهم في ف إلى «درج» لتوهمه أنها مفرد الأدراك، وهي منازل في النار. والدَّرَكُ إلى أسفل، والدرج إلى فوق. (النهاية ٢/١١٤).

(٢) في ف، لـ: «ولقد علمنا أنه قد أخرج...»، وهو مخل بالوزن. وكذا كان في ز، فطمس بعضهم: «أنه قد». وفي س تحريف وتغيير، وفي حاشيتها: «ظ ولقد علمنا أخرج»، وهو الصواب . والبيتان لمحمود الوراق في عيون الأخبار (٢/٣٧٤)، والكامل (٥١٤)، والعقد (٣/١٧٩) وغيرها . وفيها جميماً: «تصل وترتجي». وعجز البيت الأول: «درك الجنان بها وفوز العابد». وفي بهجة المجالس (٢/٣٢٨): «فوز الجنان ونيل أجر العابد».

أما «لَدِي النَّعِيمِ الْخَالِدِ» الذي ورد هنا، فهو جزء من بيت آخر لأبي إسحاق الصابيء في بitemة الدهر (٢٥٩/٢) وقد أنسده المؤلف في طريق الهجرتين (٢٩٨). أما البيت الثاني فروايته في المصادر كلها:

ونسيتَ أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ آدَمَ
مِنْهَا إِلَى الدُّنْيَا بِذَنبٍ وَاحِدٍ
انظر ديوانه المجموع (٧٨).

(٣) «كله» ساقط من ز.

(٤) ز: «إذا».

يُقدح في أصل إيمانه مثل الشكوك والريب والنفاق، فذاك نزول لا يُرجى لصاحبها صعودٌ إلا بتجدد إسلامه من رأسٍ^(١).

فصل

ومن عقوباتها: أنها تُجرّىء على العبد من لم يكن يجترىء عليه من أصناف المخلوقات. فيجترىء عليه الشياطين بالأذى^(٢)، والإغواء، والوسوسة، والتخييف، والتحزين، وإنسائه ما مصلحته في ذكره، ومضرّته في نسيانه؛ فتجترىء^(٣) عليه الشياطين حتى تؤزه إلى معصية الله أرزاً.

ويجترىء عليه شياطين [٤٣/١] الإنسان بما تقدر عليه من أذاه في غيبته وحضوره. ويجترىء عليه أهله وخدمه وأولاده^(٤) وجيرانه، حتى الحيوان البهيم! قال بعض السلف: إنّي لأعصي الله، فأعرف ذلك في خلق امرأتي وداتي^(٥). وكذلك يجترىء عليه أولياء الأمر بالعقوبة التي إن عدلوا فيها أقاموا عليه حدود الله^(٦). وكذلك تجترىء عليه نفسه، فتتأسد عليه، وتستصعب عليه^(٧)، فلو أرادها لخير لم تطاوعه، ولم تنقذ له. وتسوقه إلى ما فيه هلاكه، شاء أم أبي.

(١) س: «من الرأس».

(٢) س: «بالإيذاء».

(٣) س: «ويجترىء». ف: «فنجرّى».

(٤) «أولاده» ساقط من ف.

(٥) من كلام الفضيل بن عياض، وقد سبق في ص (١٣٤).

(٦) س: «عليه الحدود»، وفي حاشيتها: «خ حدود الله تعالى».

(٧) ل: «فتتأسد عليه العبادة» كذا!

وذلك لأنّ^(١) الطاعة حصنُ الربَّ تبارك وتعالى الذي من دخله كان من الآمنين، فإذا فارق الحصن اجترأ عليه قطاعُ الطريق وغيرهم، وعلى حسب اجترائه على معاishi الله يكون اجتراءً هذه الآفات والنفوس عليه. وليس له^(٢) شيء يردد عنه، فإنَّ ذكر الله، وطاعته، والصدقة، وإرشاد الجاهل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر = وقايةٌ ترد عن العبد، بمنزلة القوة التي ترد المرض وتقاومه، فإذا سقطت القوة غالب واردُ المرض، فكان^(٣) الهلاك.

فلا بد للعبد من شيء يردد عنه، فإنَّ موجب السيئات والحسنات يتدافع^(٤)، ويكون الحكم للغالب كما تقدم. وكلما قوي جانب الحسنات كان الرد أقوى، فإنَّ الله يدافع^(٥) عن الذين آمنوا، والإيمان قول وعمل، فبحسب قوة الإيمان يكون الدفع. والله المستعان.

فصل

ومن عقوباتها: أنها تخون العبد أحوج ما يكون إلى نفسه. فإنَّ كلَّ أحد يحتاج^(٦) إلى معرفة^(٧) ما ينفعه وما يضره في معاشه ومعاده، وأعلم الناس بأعرافهم^(٨) بذلك على التفصيل، وأقواهم وأكياسهم من قوي على

- (١) ف: «وذلك كما أنّ».
- (٢) لم يرد «له» في س.
- (٣) س: «وكان».
- (٤) ز: «تتدافع».
- (٥) ف: «يدفع».
- (٦) ف: «يحتاج».
- (٧) س: «معرفته».
- (٨) ل: «وأعرافهم».

نفسه وإرادته^(١)، فاستعملها^(٢) فيما ينفعه، وكفّها عما يضرّه.

وفي ذلك تفاوت^(٣) معارفُ الناس وهممُهم ومنازلُهم. فأعرّفهم من كان عارفاً بأسباب السعادة والشقاوة، وأرشدُهم من آثر هذه على هذه، كما أن أسفهُم من عكسَ الأمْرِ.

والمعاصي تخون العبد أحوج ما كان إلى نفسه في تحصيل هذا العلم وإثمار الحظ الأشرف العالي الدائم على الحظ الخسيس الأدنى المنقطع، فتحجّبه الذنوبُ عن كمال هذا العلم [٤٣/ب]، وعن الاشتغال بما هو أولى به وأنفع له في الدارين.

فإذا^(٤) وقع في مكروه، واحتاج إلى التخلص منه، خانه قلبه ونفسه وجوارحه، وكان بمنزلة رجل معه سيف قد غشّيه الجَرَب^(٥)، ولزم قِرَابَه^(٦) بحيث لا ينجذب مع صاحبه إذا جذبه، فعرض له عدوٌ يريد قتله، فوضع يده على قائم سيفه، واجتهد ليخرجه، فلم يخرج معه، فدهمه العدوُّ، وظفر به.

(١) ل: «إرادته لها».

(٢) ز: «واستعملها».

(٣) ف: «تفاوت».

(٤) ف: «وإذا».

(٥) الجَرَب: الصدأ يركب السيف. (اللسان. جرب) عن ابن الأعرابي: سيف أُجرب، إذا كثف الصدأ عليه حتى يحرّر، فلا ينقطع عنه إلا بالمسحل. (الأساس - جرب). والمسحل: المبرد.

ولعل كلمة الجَرَب أشكلت، فاستبدلت بها في ط المدني وعبدالظاهر وغيرهما: «الصدأ»، كما حذفوا «ويجرب» الآتية بعد أسطر.

(٦) قِرَاب السيف: غمده.

كذلك القلب يصدأ بالذنوب ويجرب، ويصير مُثخناً بالمرض، فإذا احتاج إلى محاربة العدو به^(١) لم يجد معه^(٢) شيئاً. والعبد إنما يحارب ويصاول^(٣) ويقدم بقلبه، والجوارح تَبَعُ للقلب، فإذا لم يكن عند ملِكها قوة يدفع بها، فما الظن بها!

وكذلك النفس، فإنها تختبئ بالشهوات والمعاصي، وتضعف، أعني النفس المطمئنة، وإن كانت الأمارة تقوى وتنأسد. وكلّما قويت هذه ضعفت تلك، فيبقى الحكم والتصرّف للأمارة. وربما ماتت نفسه المطمئنة موتاً لا يرجى معه حياة، فهذا ميت في الدنيا، ميت في البرزخ، غير حيٍ في الآخرة حياة ينتفع بها، بل حياته حياة يدرك بها الألم فقط.

والمقصود أنّ العبد إذا وقع في شدة أو كربة أو بلية خانه قلبه ولسانه وجوارحه عما هو أدنى من ذلك^(٤)، فلا ينجذب قلبه للتوكل على الله والإذابة إليه، والجمعية عليه، والتضرع والتذلل والانكسار بين يديه. ولا يطأوه لسانه لذكره، وإن ذكره بلسانه لم يجمع بين قلبه ولسانه، فينحبس القلب على اللسان بحيث يؤثر^(٥) الذكر، ولا ينحبس القلب واللسان^(٦) على المذكور، بل إن ذكر أو دعا ذكر بقلب لا ساء غافل. ولو أراد من جوارحه أن تعينه بطاعة تدفع عنه لم تنقد له، ولم تطاوه.

(١) «به» ساقط من ل.

(٢) ما عدا س: «معه منه».

(٣) س: «يحارب يقاتل» كما دون واو العطف.

(٤) «له» ساقط من ز.

(٥) زاد بعضهم قبل «يؤثر» في ف: «لا».

(٦) في ل: «القلب على اللسان»، خطأ.

وهذا كله أثر الذنوب والمعاصي، كمن له جند^(١) يدفعون عنه الأعداء، فأهمل جنده، وضيّعهم، وأضعفهم، وقطع أخبارهم، ثم أراد منهم عند هجوم العدو عليه أن يستفرغوا وسعهم في الدفع عنه بغير قوة!

هذا، وئمَ أمرًا أخوَفُ من ذلك وأدھى منه وأمَرَ، وهو أن^(٢) يخونه قلبه ولسانه عند الاحتضار والانتقال إلى الله تعالى، [٤٤/١] فربما تعذر عليه النطق بالشهادة، كما شاهد^(٣) الناسُ كثيرًا من المحتضرين أصابهم ذلك، حتى قيل لبعضهم: قل: لا إله إلا الله، فقال: آه! آه! لا أستطيع أن أقولها!

وقيل لآخر: قل: لا إله إلا الله فقال: شاه، رُخ^(٤)، غلبتك. ثم قضى.

وقيل لآخر: قل: لا إله إلا الله، فقال:
يا ربَّ قائلةِ يومًا وقد تعبتْ كيفَ الطريقُ إلى حمّامِ منجَابٍ^(٥)
ثم قضى^(٦).

(١) س: «كمن ليس له جند»، خطأ.

(٢) س: «أنه».

(٣) ز: «شهد».

(٤) الشاه والرُّخ من قطع الشطرنج.

(٥) س: «أين الطريق»، وفي الحاشية أشير إلى هذه النسخة. و«حمّام منجَاب» بالبصرة منسوب إلى منجَاب بن راشد الضبي. قاله ابن قتيبة في المعارف (٦١٤)، وكذا في معجم البلدان (٢٩٩/٢). وقال الثعالبي في ثمار القلوب (٣١٨) إنَّ الحمام المذكور كان لامرأة اسمها منجَاب!

(٦) كتاب المحتضرين (١٧٨)، التعازي والمراثي (٢٥٢). وانظر محاضرات الأدباء =

وقيل لآخر: قل: لا إله إلا الله، فجعل يهدي بالغناه ويقول:
تانا^(١) تتنا، حتى قضى^(٢).

وقيل لآخر ذلك فقال: وما يفعني ما تقول، ولم أدع معصية إلا
ركبتها، ثم قضى، ولم يقلها.

وقيل لآخر ذلك، فقال: وما يغنى عنّي، وما أعرف^(٣) أني صليت
للله صلاةً، ولم يقلها^(٤).

وقيل لآخر ذلك، فقال: هو كافر بما يقول، قضى^(٥).

وقيل لآخر ذلك، فقال: كلما أردت أن أقولها فلساني^(٦) يمسك
عنها.

وأخبرني من حضر بعض الشحاذين^(٧) عند موته، فجعل يقول: الله
فلس^(٨)، الله فلس، حتى قضى.

= (٥٠٢/٢)، ومعجم البلدان. وسيأتي البيت مع قصة في ص (٣٨٩).

(١) ز: «تنا».

(٢) «حتى قضى» ساقط من ف.

(٣) س: «عني ما أعلم».

(٤) زاد في ز: «وقضى».

(٥) ز: «ولم يقلها وقضى». وهذه الفقرة ساقطة من ل.

(٦) س: «لساني». وفي غيرها: «ولسانی»، ولعل الصواب ما أثبتت، وكثيراً ما
تلبس الواو بالفاء في خط المصنف.

(٧) س: «الشحاذين». والشحاث. لغة في الشحاذ. انظر الأساس (شحث).

(٨) س: «ولس»! وجاءت الجملة: «للله فلس» في ف مرة واحدة.

وأخبرني بعض التجار عن قرابة له أنه احتضر، وهو عنده، فجعلوا يلقنونه: لا إله إلا الله، وهو يقول: هذه القطعة رخيصة، هذه مشترى جيد، هذه كذا، حتى قضى.

وبسبحان الله^(١)! كم شاهد الناس من هذا عبراً! والذي يخفى عليهم من أحوال المحتضرين أعظم وأعظم.

وإذا كان العبد في حال حضور ذهنه وقوته وكمال إدراكه قد تمكّن منه الشيطان، واستعمله فيما يريده من معاichi الله^(٢)، وقد أغفل قلبه عن الله^(٣)، وعطل لسانه عن ذكره، وجوارحه عن طاعته؛ فكيف الظن به عند سقوط قواه، واشتغال قلبه ونفسه بما هو فيه من ألم التزع^(٤)، وجمع الشيطان له كلّ قوته وهمته، وحشده^(٥) عليه بجميع ما يقدر عليه، لينال منه فرصته، فإن ذلك آخر العمل، فأقوى ما يكون عليه شيطانه ذلك الوقت، وأضعف ما يكون هو في تلك الحال^(٦)? فمن تُرى يسلّم على ذلك؟

فهناك «يَتَبَتَّأَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الْثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضْلِلُ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعُلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ» [٢٧] [إبراهيم / ٢٧].

(١) ف: «سبحان الله».

(٢) س: «من المعاichi معاichi الله تعالى».

(٣) «عن الله» لم يرد في ف.

(٤) ل، ز: «التزع».

(٥) كذا في جميع النسخ. وفي غير طبعة: «وحشد عليه»، وفي بعضها: «وقد جمع الشيطان... وحشد عليه». ولعل ذلك تصرّف من الناشرين لخطئهم في قراءة النص.

(٦) ف: «الحالة».

فكيف يوفق [٤٤/ب] لحسن الخاتمة من أغفل الله سبحانه عن ذكره، واتبع هواه، وكان أمره فُرطًا؟ فبعيدٌ من قلب بعيدٍ من الله تعالى، غافل عنه، متبعٌ^(١) لهواه، أسيرٌ لشهوته^(٢)؛ ولسان^(٣) يابس من ذكره، وجوارح^(٤) معطلةٌ من طاعته مشتغلةٌ بمعصيته = أن توفق^(٥) للخاتمة بالحسنى.

ولقد قطع خوفُ الخاتمة ظهورَ المتقين، وكأنَّ المسيئين الظالمين قد أخذوا توقيعاً بالأمان!^(٦) «أَمْ لَكُمْ أَيْمَنٌ عَلَيْنَا بِلِلْعَهْدِ إِنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ سَلَّهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ» [القلم / ٣٩ - ٤٠].

<p>يا آمنا معْ قبيح الفعل منه أهلْ^(٧) أatak توقيعُ أمنِ أنت تملُّكه^(٨)</p>	<p>جمعتَ شيئاً آمناً واتّباعَ هوَي والمحسنون على دَرْبِ المخاوفِ قد</p>
<p>هذا وإداحهما في المرءِ تُهْلِكُهُ^(٩) ساروا وذلك دربُ لستَ تَسلُّكُهُ</p>	<p>فرَّطْتَ في الزرع وقتَ البذرِ من سَفَهِ هذا وأعجَبُ شيءٍ منك زهدُك في</p>

(١) فـ: «متبع».

(٢) فـ: «الشهوته».

(٣) سـ: «ولسانه».

(٤) سـ: «وجوارحه».

(٥) لـ، زـ: «يوفق». ولم يضبط في سـ.

(٦) سـ، لـ: «بالآيمان».

(٧) لـ: «قبيح الفعل».

(٨) زـ: «أمن».

(٩) لـ: «سوف تدركه». وفي البيت التالي فيها: «سوف تتركه».

مِنِ السفِيْهِ إِذَا بَالَّهُ أَنْتَ أَمْ إِلَّا مَغْبُونُ فِي الْبَيْعِ عَبْنًا سُوفَ يُدْرِكَهُ^(١)

فصل

ومن عقوباتها: أنها تعمي القلب، فإن لم تعمِّه أضعفَ بصيرتها، ولابد. وقد تقدم بيان أنها تضعفه، ولا بد. فإذا عمى القلب وضعف فاته من معرفة الهدى، وقوته على تنفيذه في نفسه وفي غيره، بحسب ضعف بصيرته وقوته.

فإن الكمال الإنساني مداره على أصلين: معرفة الحق من الباطل، وإيثاره عليه. وما تفاوتت منازل الخلق عند الله في الدنيا والآخرة إلا بقدر تفاوت منازلهم في هذين الأمرين. وهم اللذان^(٢) أثني الله سبحانه على أنبيائه بهما^(٣) في قوله: ﴿وَأَذْكُرْ عِبَدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَئِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص/٤٥]. فالآيدي: القوى في تنفيذ الحق، والأبصار: البصائر في الدين. فوصفهم بكمال إدراك الحق، وكمال تنفيذه^(٤).

وانقسم الناس في هذا المقام أربعة أقسام: فهؤلاء أشرف أقسام الخلق وأكرمهم على الله.

[٤/٤] القسم الثاني: عكس هؤلاء، لا بصيرة في الدين، ولا قوة على تنفيذ الحق. وهم أكثر هذا الخلق الذين رؤيتهم قد ذي العيون، وحمى

(١) لعل الآيات للمؤلف رحمه الله.

(٢) لـ «الذين». زـ: «وهم الذين»، خطأ.

(٣) لـ «بهم»، خطأ.

(٤) وانظر إعلام الموقعين (٨٩/١)، والفروسية (١٢٠)، ومجموع الفتاوى (٩٣/٤).

الأرواح، وسقم القلوب، يضيقون الديار، ويُغلون الأسعار، ولا يستفاد
بصحتهم إلا العار والشمار!

القسم الثالث: من له بصيرة بالحقّ ومعرفة به، لكنه ضعيف لا قوة
له على تنفيذه ولا الدعوة إليه. وهذا حال المؤمن الضعيف، والمؤمن
القويّ خير وأحب إلى الله منه^(١).

القسم الرابع: من له قوة وهمة وعزيمة، لكنه ضعيف البصيرة في
الدين، لا يكاد يميز بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، بل يحسب كلّ
سوداء تمرة، وكلّ بيضاء شحمة؛ يحسب الورم شحماً، والدواء النافع
سُمّاً.

وليس في هؤلاء من يصلح للإمامنة في الدين، ولا هو موضعًا^(٢) لها
سوى القسم الأول. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا
صَبَرُوا وَكَانُوا يَعَلَّمُونَا يُوقِنُونَ﴾ [٢٤] [السجدة]. فأخبر سبحانه أنه
بالصبر واليقين نالوا الإمامة في الدين.

وهؤلاء هم الذين استثناهم الله سبحانه من جملة الخاسرين، وأقسام
بالعصر - الذي هو زمن سعي الخاسرين والرابحين - على أنّ من عداهم
 فهو من الخاسرين، فقال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۚ إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي خُسْرٍ ۚ إِلَّا
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّابِرِ ۚ﴾ [العصر /
١ - ٣]. فلم يكتف منهم بمعرفة الحقّ والصبر عليه، حتى يوصي بعضهم

(١) كما ورد في الحديث، وقد تقدم تخرجه في ص (١٦٦).

(٢) غيرها بعضهم في ف إلى «موضع».

(٣) وقع في النسخ - ماعدا س - في الآية: «وجعلناهم».

بعضًا به، ويرشده إليه، ويحضنه عليه.

وإذا كان من عدا هؤلاء خاسراً، فمعلوم أنَّ المعاشي والذنوب تعمي بصيرة القلب فلا يدرك الحق كما ينبغي، وتُضيِّعُ قوَّته وعزيمته فلا يصبر عليه. بل قد توارد^(١) على القلب حتى ينعكس إدراكه، كما ينعكس سيره، فيدرك الباطل حقًا، والحق باطلًا، والمعرفة منكراً، والمنكر معرفة. فينتكس في سيره، ويرجع عن سفره إلى الله والدار الآخرة، إلى سفره إلى^(٢) مستقر النفوس المُبْطَلَة التي رضيت بالحياة الدنيا، وأطمأنت بها، وغفلت عن الله وآياته، وتركت الاستعداد للقاء.

[٤٥/ب] ولو لم يكن في عقوبة الذنوب إلا هذه العقوبة وحدها ل كانت كافية داعية إلى تركها والبعد منها، والله المستعان.

وهذا كما أنَّ الطاعة تُنور القلب، وتجلوه^(٣) وتصقله، وتقويه وتبثته، حتى يصير كالمرأة المجلوَّة في جلائهما^(٤) وصفائهما ويمتلئ^(٥) نورًا؛ فإذا دنا الشيطان منه أصابه من نوره ما يصيب مُسْتَرِقِي السَّمْع^(٦) من الشهب الثوّاقب. فالشيطان يفرق من هذا القلب أشدَّ من فرق الذئب من الأسد، حتى إنَّ صاحبه ليصرَّعُ الشيطان، فيخِرُّ صريعاً، فيجتمع عليه الشياطين، فيقول بعضهم لبعض: ما شأنه؟ فيقال: أصابه إنسى، وبه

(١) ما عدال: «يتوارد».

(٢) «والدار الآخرة... إلى» ساقط من لـ.

(٣) «وتجلوه» ساقط من لـ.

(٤) ز: «كالمرأة المصقولَة في صلابتها».

(٥) ما عداف: «فيملئ».

(٦) ف: «مسترق السمع». سـ: «من مسترق السمع».

نظرة من الإنس !

فِيَا نَظَرَةً مِنْ قَلْبِ حُرٍّ مُنَوَّرٍ يِكَادُ لَهَا الشَّيْطَانُ بِالنُّورِ يَحْرَقُ
أَفِيسْتُويْ هَذَا الْقَلْبُ، وَقَلْبُ مَظْلَمَةٍ^(١) أَرْجَاؤُهُ، مُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُ، قَدْ
اتَّخَذَهُ الشَّيْطَانُ وَطَنَهُ، وَأَعْدَهُ مَسْكَنَهُ. إِذَا تَصْبَحَ بَطْلَعُتُهُ حَيَاةً، وَقَالَ:
فَدِيْتُ مَنْ لَا يَفْلُحُ فِي دُنْيَا وَلَا فِي أَخْرَاهُ^(٢)!

قرینُك في الدنيا وفي الحشر بعدها
فأنت قرينٌ لي بكلّ مكانٍ
فإنْ كنتَ في دار الشقاء فإنّني
وأنت جميعاً في شقاً وهوان

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفَيَّضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾
 وَأَهْمَمُ لَصُدُودِهِمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَخْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَقَّ إِذَا جَاءَنَا فَالْيَدِيَّةَ
 بَيْنِ وَيْنَكَ بَعْدَ الْمَسْرِقَيْنِ فِي نَسَقِ الْقَرِينِ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنْفَعَ كُمْ الْيَوْمَ إِذَا ظَلَمْتُمْ أَنْكُمْ
 فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ [الرَّحْمَن / ٣٦ - ٣٩].

فأخبر سبحانه أنَّ من عشا عن ذكره - وهو كتابه الذي أنزله^(٣) على رسوله - فأعرض عنه، وعميَ عنه، وعشَّت بصيرُه عن فهمه وتدبرِه ومعرفةِ مراد الله منه = قيض الله له شيطاناً عقوبةً له بإعراضه عن كتابه. فهو قرينه الذي لا يفارقُه في الإقامة ولا في المسير، ومولاه وعشيه الذي هو بئس المولى وبئس العشير.

(١) س، ل: «مظلوم».

(٢) عبارة المؤلف ناظرة إلى قول البحترى، وقد سبق في ص (١٧٠):
وإذا رأى إبليس طلعة وجهه حيَا وقال: فديتُ من لم يفلح

(٣) لـ: «أنزل».

رضيَّعي لِبَانِ ثَدِيَ أُمٌّ تَقَاسِمَا بِأَسْحَمِ دَاجِ عَوْضٌ لَا نَتَرَقَّقُ^(١)

ثم أخبر سبحانه أنَّ الشيطان [٤٦/١] يصدُّ قرينه ووليه عن سبيله الموصل إليه وإلى جنته، ويحسب هذا الضالُّ المضادُّ أنه على طريق هدى، حتى إذا جاء القرینان يوم القيمة يقول أحدهما للأخر: يا ليت بيني وبينك بعدَ المشرقين، فبئس القرین كنْتَ لي في الدنيا! أضلَّلتَني عن الهدى بعد إذ جاءني، وصَدَّدتَني عن الحق، وأغويَّتَني حتى هلكت، وبئس القرین أنتَ لي^(٢) اليوم!

ولمَّا كان المصابُ إذا شاركه غيرُه في مصيبيه حصل بالتأسي نوع تخفيفٍ وتسليةٍ = أخبر سبحانه أنَّ هذا غير موجود وغير حاصل في حقِّ المشتركين في العذاب، وأنَّ القرین لا يجد راحَةً ولا أدنى فرحة^(٣) بعدَ العذاب، وإنْ كانت المصائب في الدنيا إذا عمَّت صارت مسألةً كما قالت الخنساء في أخيها صخر:

فلولا كثرةُ الباكين حولي على إخوانهم لقتلتُ نفسي
وما يكون مثل أخي ولكن أعزِّي النفسَ عنه بالتأسي^(٤)
فمنع الله سبحانه هذا القدر من الراحة عن أهل النار فقال: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ إِلَيْهِمْ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف/٣٩].

(١) للأعشى في ديوانه (٢٧٥).

(٢) «لي» ساقط من ف.

(٣) س، ف: «فرج».

(٤) ديوان الخنساء (٣٢٦) وقد زيد في بعض الطبعات بيت ثالث لم يرد في النسخ التي بين أيدينا.

فصل

ومن عقوباتها: أنها مدد من الإنسان يُمد به عدوه عليه، وجيشٌ
يقويه به^(١) على حربه.

وذلك أن الله سبحانه ابتلى هذا الإنسان بعده لا يفارقه طرفةَ عين.
يُنام، ولا ينام عنه^(٢). ويغفل، ولا يغفل عنه. يراه هو وقبيله من حيث
لا يراه. يبذل جهده في معاداته في كل حال، ولا يدع أمراً يكيمه به يقدر
على إيصاله إليه إلا أوصله، ويستعين عليه ببني أبيه^(٣) من شياطين الجنّ
وغيرهم من شياطين الإنس. قد نصب^(٤) له الجبائل، وبغاء الغوايـل،
ومدّ حوله الأشرار، ونصب له الفخاخ والشباك، وقال لأعوانه: دونكم
عدوكم وعدو أبيكم، لا يفوتـنكم، ولا يكن حظـه الجنة وحظـكم النار،
ونصـيـبه الرحمة ونصـيـبـكم اللعنة! وقد علمـتـمـ أنـ ما جـرـى^(٥) عـلـيـكمـ وعلـيـكمـ
منـ الخـزـيـ والـلـعـنـ والإـبعـادـ منـ رـحـمـةـ اللهـ فـبـسـيـبـهـ وـمـنـ أـجـلـهـ. فـابـذـلـواـ
جهـدـكـمـ أـنـ يـكـوـنـواـ شـرـكـاءـناـ^(٦) فـيـ هـذـهـ الـبـلـيـةـ، إـذـ قـدـ فـاتـنـاـ شـرـكـةـ^[٤٦/ـبـ]
صـالـحـيـهـمـ فـيـ الجـنـةـ. وـقـدـ أـعـلـمـنـاـ سـبـحـانـهـ بـذـلـكـ كـلـهـ مـنـ عـدـوـنـاـ، وـأـمـرـنـاـ أـنـ
نـأـخـذـ لـهـ أـهـبـتـهـ، وـنـعـدـ لـهـ عـدـتـهـ.

ولما علم سبحانه أن آدم وبنيه قد بُلُوا بهذا العدو، وأنه قد سُلّطَ

(١) «به» ساقط من ز.

(٢) ز: «طرفة عين وصاحب لainam عنه».

(٣) ف: «بني جنسه وبنيه».

(٤) ف: «فقد نصب».

(٥) ف: «وعلمتم ما قد جرى».

(٦) ز: «أن تكونوا شركاء».

عليهم، أمدّهم بعساكر وجند^(١) يلقونه بها، وأمدّ عدوهم أيضاً بجند وعساكر^(٢) يلقاهم بها، وأقام سوق الجهاد في هذه الدار في مدة العمر التي هي بالإضافة إلى الآخرة كنفس واحد من أنفاسها، واشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون، وأخبر أن ذلك وعد مؤكّد عليه في أشرف كتبه، وهي التوراة والإنجيل والقرآن. ثم أخبر أنه^(٣) لا أوفى بعهده منه سبحانه، ثم أمرهم أن يستبشروا بهذه الصفقة التي من أراد أن يعرف قدرها فلينظر إلى المشتري من هو؟ وإلى الثمن المبذول في هذه السلعة، وإلى من جرى على يديه هذا العقد. فأي فوز أعظم من هذا؟ وأي تجارة أربع منه؟^(٤)

ثم أكد سبحانه معهم هذا الأمر بقوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدْلُكُمْ عَلَىٰ
بِخَرَقٍ تُحِكُّمُ مِنْ عَذَابٍ أَلَمْ ١٧﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَبِمَهْدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ يَأْمُولُكُمْ وَأَنْفَسِكُمْ
ذَلِكُنَّ خَيْرُ الْكُفَّارِ إِنْ كُنْتُمْ تَنْكِلُونَ ١٨﴾ يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّتِنَّ تَجْرِي مِنْ تَحْنِهَا الْأَنْهَارُ
وَسَكِّنَ طَيْبَةً فِي جَنَّتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ١٩﴾ وَآخَرَى تُشْبِهُنَّهَا نَصْرٌ مِنْ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ
وَيَسِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ٢٠﴾ [الصف / ١٠ - ١٣].

ولم يسلط سبحانه هذا العدو على عبده المؤمن الذي هو أحبّ أنواع

(١) ز: «وجنود».

(٢) ز: «بعساكر وجند».

(٣) ف: «وأخبر أنه». وسقطت «أنه» من ز.

(٤) قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ أَشَرَّى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفَسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ يَأْتِ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْدِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًا فِي التَّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنُ وَمَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَأَسْتَبِشُرُوا بِيَتَعَمَّدُ الَّذِي يَأْتِيْعُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٢١﴾ [التوبة / ١١١].

المخلوقات إليه إلا لأنَّ الجهاد^(١) أحبُّ شيءٍ إليه، وأهله أرفعُ الخلق
 عنده درجاتٍ، وأقربُهم إليه وسيلةً. فعقد سبحانه لواء هذا الحرب^(٢)
 لخلاصة مخلوقاته، وهو القلب الذي هو محلٌّ معرفته، ومحبّته،
 وعبوديته، والإخلاص له، والتوكِّل عليه، والإناية إليه. فولاه أمرَ هذا
 الحرب، وأيَّدَه بجندٍ من الملائكة لا يفارقونه، معقبات^(٣) من بين يديه
 ومن خلفه، يعقبُ بعضُهم بعضاً، كلما ذهبَ بَدَلَ جاءَ بَدَلٌ آخر، يثبتونه،
 ويأمرونَه بالخير، ويحضّونَه عليه، ويعدُّونَه بكرامة الله، ويصبرونَه،
 ويقولونَ: إنما هو صبرٌ ساعة، وقد استرحتَ [٤٧/١]. راحة الأبد.

ثم أمدَّه سبحانه بجندٍ آخر من وحيه وكلامه، فأرسل إليه رسوله،
 وأنزلَ إليه كتابه، فازداد قوَّةً إلى قوته، ومددًا إلى مدده^(٤)، وعدَّةً إلى
 عدَّته.

وأمدَّه^(٥) مع ذلك بالعقل وزيراً له ومدبِّراً، وبالمعرفَة مشيرةً عليه
 ناصحةً له، وبالإيمان مثبتاً له ومؤيداً وناصرًا^(٦)، وباليقين كاشفاً له
 عن حقيقة الأمر. حتى كأنه يعاين^(٧) ما وعد الله به^(٨) أولياءَه وحزبه

(١) ف: «أنَّ الجهاد».

(٢) كذا في النسخ هنا وفيما يأتي، وال الحرب مؤنثة، وقد تذكّر. انظر: القاموس (حرب).

(٣) ف: «الله معقبات».

(٤) انفردَت ز هنا بزيادة: «وأعواناً إلى أعوانه».

(٥) ف: «وأيده».

(٦) ز: «ناصرًا ومؤيدًا».

(٧) أشار في حاشية س إلى أن في نسخة: «معاين».

(٨) لم يرد «به» في س.

على جهاد أعدائه. فالعقل يدبر أمر جيشه، والمعرفة تضع^(١) له أمرَ الحرب وأسبابها في مواضعها^(٢) اللاقعة بها، والإيمان يثبته ويقوّيه ويصبره، واليقين يُقدم به ويحمل به الحملات الصادقة.

ثم أمد سبحانه القائم بهذا الحرب^(٣) بالقوى الظاهرة والباطنة، فجعل العين طليعته، والأذن صاحب خبره، واللسان ترجماته، واليدين والرجلين أعوانه، وأقام ملائكته وحملة عرشه يستغفرون له ويسألون له أن يقيمه السّيئات ويدخله الجنات.

وتولى سبحانه الدفع والدفاع عنه بنفسه، وقال: هؤلاء حزبي، وحزب الله هم المفلحون^(٤). وهؤلاء جندي ﴿وَإِنْ جُنَاحَنَا لَهُمُ الْغَلَبُونَ﴾ [الصفات/ ١٧٣] وعلم عباده كيفية هذا الحرب والجهاد، فجمعها لهم في أربع كلمات، فقال: ﴿يَتَأْيِهَا أَلْيَارٌ إِنَّمَنِا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَأَتَّقُوا اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران/ ٢٠٠].

ولا يتم أمر هذا الجهاد^(٥) إلا بهذه الأمور الأربع فلا يتم له^(٦) الصبر إلا بمحاباة العدو، وهي موافقته^(٧) ومنازلته، فإذا صابر عدوه

(١) ل، ز: «تصنع».

(٢) س، ز: «أسبابها مواضعها». ل: «ومواضعها».

(٣) ز: «الأمر».

(٤) قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة/ ٢٢].

(٥) ف: «أمر الجهاد».

(٦) لم ترد «له» في س.

(٧) في ل، ز: «موافقته»، وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا من خا، خب. يقال: وافقه موافقة ووقفاً: وقف معه في حرب أو خصومة. وتوافق الفريقان في القتال. (اللسان - وقف). وفي ف: «موافقته» ورسمها في س يشبه «مرافقته»، =

احتاج إلى أمر آخر وهو المراقبة، وهي لزوم ثغر القلب وحراسته لئلا يدخل منه العدو، ولزوم ثغر العين والأذن واللسان والبطن واليد والرجل. فهذه الثغور منها يدخل^(١) العدو، فيجوس خلالَ الديار، ويُفْسِد ما قدر^(٢) عليه، فالمرابطة لزوم هذه الثغور. ولا يُخلِّي مكانها، فيصادف العدوُّ الثغرَ خالياً، فيدخل منه.

فهؤلاء أصحابُ رسول الله ﷺ خيرُ الخلق بعد التبيين والمرسلين، وأعظمهم حمايةً وحراسةً من الشيطان، وقد أخلوا المكان الذي أمروا بлизومه يوم أحد، فدخل منه العدوُّ، فكان ما كان.

وجماع [٤٧/ب] هذه الثلاثة^(٣) وعمودها الذي تقوم به هو تقوى الله، فلا ينفع الصبر ولا المصابرة ولا المراقبة إلا بالتقوى، ولا تقوم التقوى إلا على ساق الصبر.

فانظر الآن فيك إلى اللقاء الجيшиين واصطفاف العسكريين، وكيف تُدال مرةً، ويدال^(٤) عليك أخرى؟

أقبل ملِكُ الكفر بجنوده وعساكره، فوجد القلبَ في حصنِه جالساً على كرسي مملكته^(٥)، أمرُه نافذٌ في أعوانه، وجندُه قد حفوا به،

= ولم ينقط فيها إلا حرف القاف. وفي ط: « مقاومته »، وكذا في مطبوعة عدة الصابرين (٤٥).

(١) ف: « يدخل منها ».

(٢) ف: « يقدر ». .

(٣) ز: « البليه »، تصحيف.

(٤) « العسكريين . . . يدال » ساقط من س.

(٥) ف: « على كرسيه كرسي مملكته ».

يقاتلون عنه، ويدافعون عن حوزته، فلم يمكنه الهجوم عليه إلا بمخامرة بعض أمرائه وجنده عليه. فسأل عن أخصّ الجند به وأقربهم منه منزلة، فقيل له: هي النفس، فقال لأعوانه: ادخلوا عليها من مرادها وانظروا موقع محبتها وما هو محبوبها، فَعِدُوهَا بِهِ، وَمَتُّوهَا إِيَّاهُ، وَانْقَشُوا صورةَ المحبوب فيها في يقظتها ومنامها، فإذا اطمأنْتُ إِلَيْهِ وسكتْ عنده فاطرحا عليها كلاليب الشهوة وخطاطيفها، ثم جُرُّوها بها إِلَيْكُمْ.

إِذَا خامرتْ عَلَى الْقَلْبِ، وَصَارَتْ مَعَكُمْ عَلَيْهِ، مَلَكْتُمْ ثَغَرَ الْعَيْنِ
وَالْأَذْنِ وَاللِّسَانِ وَالفَمِ وَالْيَدِ وَالرِّجْلِ، فَرَابطُوا عَلَى هَذِهِ الثَّغُورِ كُلَّ
الْمَرَابِطَةِ. فَمَتَّ^(١) دَخَلْتُمْ مِنْهَا إِلَى الْقَلْبِ فَهُوَ قَتِيلٌ أَوْ أَسِيرٌ أَوْ جَرِحٌ مُثْخَنٌ
بِالْجَرَاحَاتِ. وَلَا تُخْلُوا هَذِهِ الثَّغُورَ، وَلَا تَمْكِنُوا سَرِيَّةً تَدْخُلَ مِنْهَا إِلَى
الْقَلْبِ، فَتُخْرِجُوكُمْ مِنْهَا. وَإِنْ غُلِبْتُمْ فَاجْتَهَدُوا فِي إِضْعَافِ السَّرِيَّةِ وَوَهَنِّهَا
حَتَّى لَا تَصُلَّ إِلَى الْقَلْبِ، وَإِنْ وَصَلْتُ إِلَيْهِ ضَعِيفًا لَا تَغْنِي عَنْهِ شَيْئًا.

إِذَا اسْتَوْلَيْتُمْ عَلَى هَذِهِ الثَّغُورِ فَامْنَعُوا ثَغَرَ الْعَيْنِ أَنْ يَكُونَ نَظْرُهُ
اعْتِبَارًا، بَلْ اجْعَلُوهُ نَظْرَهُ تَفْرِجًا وَاسْتَحْسَانًا وَتَلَهِيَّا. فَإِنْ اسْتَرَقَ نَظَرَةً عَبْرَةً
فَأَفْسِدُوهَا عَلَيْهِ بِنَظَرِ الْغَفْلَةِ وَالْاسْتِحْسَانِ وَالْشَّهُوَةِ^(٢)، فَإِنَّهُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ،
وَأَعْلَقُ بِنَفْسِهِ، وَأَخْفَى عَلَيْهِ. وَدُونَكُمْ ثَغَرَ الْعَيْنِ، فَإِنَّ^(٣) مِنْهُ تَنَالُونَ
بَغْيَتُكُمْ، فَإِنَّي مَا أَفْسَدْتُ بَنِي آدَمَ بِشَيْءٍ مُمْلِكَةَ النَّظَرِ، فَإِنَّي أَبْذَرْتُ بِهِ فِي
الْقَلْبِ بَذْرَ الشَّهُوَةِ، ثُمَّ أَسْقَيْتُهُ بِمَاءِ الْأَمْنِيَّةِ، ثُمَّ لَا أَزَالُ أَعِدُّهُ وَأَمْنِيَّهُ حَتَّى

(١) ف: «إِذَا».

(٢) «وَتَلَهِيَّا... الْاسْتِحْسَان» سقط من ف لانتقال النظر، فطمس بعض من قرأها الألف واللام من «الشهوة» وضبطها بتنوين الفتحة لتكون معطوفة على «تلهيا».

(٣) ل، ز: «فَإِنَّهُ».

أقوى عزيمته، وأقوده [٤٨/١] بزمام الشهوة إلى الانخلاع من العصمة.

فلا تهملوا أمر هذا الشر، وأفسدوه بحسب استطاعتكم، وهوّنوا عليه أمره، وقولوا له: ما مقدار نظرِ تدعوك إلى تسبيح الخالق، والتأمل لبديع صنعته وحسن هذه الصورة التي إنما خلقت ليستدل بها الناظرُ عليه؟ وما خلق الله لك العينين سدى، وما خلق^(١) هذه الصورة ليحجبها عن النظر!

وإن ظفرتم به قليل العلم فاسد العقل، فقولوا: هذه الصورة مظهر^(٢) من مظاهر الحق ومجلَّ من مجاليه، فادعواه إلى القول بالاتحاد، فإن لم يقبل فالقول بالحلول العام أو الخاص^(٣). ولا تقنعوا منه بدون ذلك، فإنه يصير به من إخوان النصارى، فمُروه حينئذ بالعفة والصيانة والعبادة والزهد في الدنيا، واصطادوا عليه الجهال. فهذا من أقرب خلفائي^(٤) وأكبر جندي، بل أنا من جنده وأعوانه!

فصل^(٥)

ثم امنعوا ثغر الأذن أن يدخل منه^(٦) ما يفسد عليكم الأمر، فاجتهدوا

(١) س: «خلق الله».

(٢) ف: «هذه مظهر».

(٣) الاتحاد: وحدة الوجود، وهو القول بأنَّ الحق عين الخلق. والحلول العام: القول بأنَّ الله حال بذاته في كل مكان. والحلول الخاص كقول النسطورية من النصارى في المسيح بأن اللاهوت حل في الناسوت. انظر مجموع الفتاوى (١٧١ - ١٧٢). وشرح النونية لمحمد خليل هراس (٦٨ - ٥٩/٢).

(٤) ف، ل: «خلفائي».

(٥) كلمة «فصل» ساقطة من ز.

(٦) س: «عليه». ز: «عليكم ما يفسد الأمر».

أن لا تُدخلوا^(١) منه إلا الباطل^(٢)، فإنه خفيف على النفس تستحليه و تستملحه ، و تختيروا^(٣) له أعزب الألفاظ وأسحرها للأباب ، و امزجهو بما تهوى النفوس مزجا . وألقوا الكلمة ، فإن رأيت من إصغاءً إليها فز جوه بآخواتها . وكـلما صادفتـ منـه استحسـانـ شيء فالـهـجـوالـهـ^(٤) بـذـكـرهـ .

إِيَّاكُمْ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ هَذَا التَّغْرِيْرِ شَيْءًا مِنْ كَلَامِ اللهِ أَوْ كَلَامِ رَسُولِهِ^(٥) أَوْ كَلَامِ النَّصَّاَحَاءِ! إِنَّ غُلَبَتْكُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَدَخَلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءًا^(٦)، فَحُولُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ فَهْمِهِ وَتَدْبِرِهِ، وَالْتَّفَكُّرُ فِيهِ^(٧)، وَالْعُظَّةُ بِهِ، إِمَّا بِإِدْخَالِ ضَدِّهِ عَلَيْهِ، إِمَّا بِتَهْوِيلِ ذَلِكَ وَتَعْظِيمِهِ، وَأَنَّ هَذَا أَمْرٌ قَدْ حَيَّلَ بَيْنَ النُّفُوسِ وَبَيْنَهُ، فَلَا سَبِيلٌ لَهَا إِلَيْهِ، وَهُوَ حَمْلٌ ثَقِيلٌ عَلَيْهَا لَا تَسْتَقِلُّ بِهِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ؛ إِمَّا بِإِرْخَاصِهِ عَلَى النُّفُوسِ وَأَنَّ الْإِشْتِغَالَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَهْمَّ^(٨) بِمَا هُوَ أَعْلَى^(٩) عِنْ النَّاسِ، وَأَعْزَّ عَلَيْهِمْ، وَأَغْرَبَ عِنْهُمْ، وَزَبُونَهُ الْقَابِلُونَ^(١٠) لَهُ أَكْثَرُ. وَأَمَّا الْحَقُّ^(١١) فَهُوَ مَهْجُورٌ،

- (١) ز: «يدخل». .

(٢) ف: «بالباطل». .

(٣) س: «وتحرروا». .

(٤) «له» ساقط من ف. .

(٥) س: «وكلام رسوله». وسقط «كلام الله أو» من ل.

(٦) س: «شيء من ذلك». .

(٧) ف: «تفكره والتدبر فيه». ز: «تدبره وتفكيره فيه».

(٨) «أهم» كذا في جميع النسخ! وقد حذفها الناشرون.

(٩) ز: «أغلى» بالمعجمة.

(١٠) س: «القائلون»، خطأ. ووضع بعضهم في ف علامة الهمزة مع وجود نقطة اليماء! وفي ز: «زيونهم». وكلمة «الزبون» مفردة، واستعملت هنا للجمع.

(١١) س: «الخلق»، خطأ.

وَقَابِلَهُ^(١) [٤٨/ب] مَعْرَضٌ نَفْسَهُ لِلْعِدَاوَةِ، وَالرَّاجِحُ بَيْنَ النَّاسِ أُولَى بِالْإِيَّاثَارِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ فَيُدْخِلُونَ الْبَاطِلَ عَلَيْهِ^(٢) فِي كُلِّ قَالِبٍ يَقْبِلُهُ وَيَخِفَّ عَلَيْهِ، وَيُخْرِجُونَ لِهِ الْحَقَّ فِي كُلِّ قَالِبٍ يَكْرِهُ وَيَثْقِلُ عَلَيْهِ.

وَإِذَا شِئْتَ أَنْ تَعْرِفَ ذَلِكَ فَانْظُرْ إِلَى إِخْوَانِهِمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ، كَيْفَ يُخْرِجُونَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فِي قَالِبٍ كَثْرَةِ الْفَضُولِ، وَتَتَّبِعُ عَثَرَاتِ النَّاسِ، وَالتَّعْرِضُ مِنَ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يَطِيقُ^(٣)، وَإِلَقاءِ الْفَتْنَ بَيْنَ النَّاسِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ وَيُخْرِجُونَ اتِّبَاعَ السَّنَّةِ، وَوَصْفَ الرَّبِّ تَعَالَى بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَوَصْفَهُ بِهِ رَسُولُهُ، فِي قَالِبِ التَّشْبِيهِ وَالتَّجَسِيمِ وَالتَّكْيِيفِ.

وَيُسَمُّونَ عَلَوَّ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَاسْتَوَاءَهُ عَلَى عَرْشِهِ، وَمُبَاينَتِهِ لِمَخْلُوقَاتِهِ «تَحِيزًا»، وَيُسَمُّونَ نَزْوَلَهُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا^(٤) وَقُولَهُ: «مَنْ يَسْأَلِنِي فَأُعْطِيهِ»^(٥) تَحْرِيْكًا وَانتِقاً، وَيُسَمُّونَ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنَ الْيَدِ وَالْوَجْهِ أَعْضَاءً وَجَوَارِحَ، وَيُسَمُّونَ مَا يَقُولُ بِهِ مِنْ أَفْعَالِهِ «حَوَادِثُ»، وَمَا يَقُولُ بِهِ مِنْ صَفَاتِهِ^(٦) «أَعْرَاضًا». ثُمَّ يَتَوَصَّلُونَ إِلَى نَفْيِ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ بَنْفِي هَذِهِ الْأَمْرَ، وَيُؤْهِمُونَ الْأَغْمَارَ وَضَعْفَاءَ الْبَصَائرَ أَنَّ إِثْبَاتَ الصَّفَاتِ

(١) س، ز: «قَائِلَهُ». ل: «صَاحِبَهُ».

(٢) ف: «عَلَيْهِ الْبَاطِلُ».

(٣) «لِمَا لَا يَطِيقُ» ساقِطٌ مِنْ ز.

(٤) س: «السَّمَاءُ الدُّنْيَا».

(٥) يُشَيرُ إِلَى حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ فِي التَّهْجِيدِ، بَابُ الدُّعَاءِ وَالصَّلَاةِ مِنْ آخِرِ اللَّيلِ (١١٤٥)، وَمُسْلِمٌ فِي صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي الدُّعَاءِ... (٧٥٨).

(٦) ز: «مِنْ خِيفَتِهِ»، تَحْرِيفٌ.

التي نطق بها كتابُ الله وسنةُ رسوله يستلزم هذه الأمور، ويُخرجون هذا التعطيل في قالب التزية والتعظيم.

وأكثر الناس ضعفاءُ العقول يقبلون الشيء بلفظ ، ويردونه بعينه بلفظ آخر^(١) ! قال تعالى : « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً شَيْطَانَ أَلِإِنْسَ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ رُّحْرَقَ الْقَوْلِ غَرْوَرًا » [الأنعام / ١١٢]. فسمّاه « زخرفاً » وهو باطل^(٢) ، لأنّ صاحبه يزخرفه ويزينه ما استطاع ، ويُلقِيه إلى سمع المغورو ، فيغترُّ به .

ومقصود أنّ الشيطان قد لزم ثغر الأذن^(٣) ، يُدخل فيها ما يضرّ العبد ولا ينفعه ، ويمنع أن يدخل إليها ما ينفعه ، وإن دخل بغير اختياره أفسده عليه^(٤) .

فصل^(٥)

ثم يقول : قوموا على ثغر اللسان ، فإنّه الثغر الأعظم ، [٤٩/١] وهو قبالة الملك^(٦) ؛ فأحرزوا عليه من الكلام ما يضرّه ولا ينفعه ، وامنعوا أن يجري عليه شيء مما ينفعه من ذكر الله تعالى ، واستغفاره ، وتلاوة كتابه ، ونصيحة عباده ، أو التكلّم بالعلم النافع .

(١) « ويردونه بعينه بلفظ » سقط من ف لانتقال النظر .

(٢) س : « الباطل » .

(٣) س : « الآذان » .

(٤) ما عدا ف : « أفسد عليه » .

(٥) كلمة « فصل » غير موجودة في ز .

(٦) قبالة الشيء : تجاهه ، وما استقبلك منه .

ويكون لكم في هذا التغر أمران^(١) عظيمان لا تباليون بأيهمما ظفرتم:
أحدهما: التكلم بالباطل، فإن المتكلم بالباطل أخ من إخوانكم،
ومن أكبر جنديكم وأعوانكم.

والثاني^(٢): السكوت عن الحق، فإن الساكت عن الحق أخ لكم
آخر، كما أن الأول أخ لكم ناطق، وربما كان الأخ الثاني أفع
إخوانكم لكم. أما سمعتم قول الناصح: المتكلّم بالباطل شيطان ناطق،
والساكت عن الحق شيطان آخر^(٣).

فالرباط الرباط على هذا التغر أن يتكلّم بحقّ، أو يمسك عن
باطل^(٤). وزينوا له التكلّم بالباطل بكلّ طريق. وخوفوه من التكلم
بالحق بكلّ طريق.

واعلموا يابنيَّ أنَّ ثغر اللسان هو الذي أهلكُ منه بني آدم، وأكْبُّهم
منه^(٥) على مناخرهم في النار، فكم لي من قتيل وأسير وجريح أخذته من
هذا التغر!

وأوصيكم^(٦) بوصيَّة، فاحفظوها: لينطق أحدكم على لسان أخيه من
الإنس بالكلمة، ويكون الآخر على لسان السامع، فينطقي باستحسانها

(١) س، ل: «أثران».

(٢) س: «الثاني» دون واو العطف.

(٣) نحوه في إعلام الموقعين (٢/١٧٧). ونقل القشيري من كلام شيخه أبي علي
الدقاق: «من سكت عن الحق فهو شيطان آخر». الرسالة (١٢٠).

(٤) س: «الباطل».

(٥) لم يرد «منه» في س. وفي ف: «فيه»، ولعله تحرير.

(٦) ز: «أوصيتكم».

وتعظيمها والتعجب منها، ويطلب من أخيه إعادتها.

وكونوا أعوانا على الإنس بكل طريق، ودخلوا عليهم من كل باب، واقعدوا لهم كل مرصد^(١). أما سمعتم قسمى الذى أقسمت به لربهم حيث قلت: «فِيمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَا تَنْهَاهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ شَمَائِيلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ١٧» [الأعراف/ ١٦-١٧].

أوما^(٢) تروني قد قعدتُ لابن آدم بطرقه كلها، فلا يفوتنى من طريق إلا قعدتُ له بطريق غيره^(٣) حتى أصيـب^(٤) منه حاجتي أو بعضها. وقد حذّرـهم ذلك رسولـهم^(٥)، فقال لهم: «إـن الشـيطـان قد قـعد لـابـن آـدـم بطـرقـه^(٦) كـلـها، فـقـعـد لـه بطـريقـ الإـسـلام، فـقـالـ: أـتـسـلـمـ وـتـذـرـ دـيـنـكـ وـدـيـنـ آـبـائـكـ؟ فـخـالـفـهـ، وـأـسـلـمـ. فـقـعـد [٤٩/ب] لـه بطـريقـ الـهـجـرـةـ، فـقـالـ: أـتـهـاجـرـ وـتـذـرـ أـرـضـكـ وـسـمـاءـكـ؟ فـخـالـفـهـ، وـهـاجـرـ. فـقـعـد لـه بطـريقـ الـجـهـادـ، فـقـالـ: تـجـاهـدـ، فـتـقـتـلـ، فـيـقـسـمـ المـالـ^(٧)، وـتـنـكـحـ الزـوـجـةـ!^(٨).

(١) فـ: «فـي كـلـ مـرـصـدـ».

(٢) سـ: «أـمـاـ».

(٣) فـ: «إـلا أـتـيـهـ من طـرـيقـ آخرـ».

(٤) سـ: «أـصـبـتـ»، ولعلـه تصـحـيفـ.

(٥) بـعـدـهـ فـيـ سـ: «الـلـهـمـ صـلـ عـلـىـ مـحـمـدـ رـسـولـكـ وـبـارـكـ عـلـيـ وـسـلـمـ وـعـلـىـ آـلـهـ وـصـحـبـهـ». وـفـيـ زـ: «رسـولـهـ».

(٦) سـ: «بـأـطـرـقـهـ».

(٧) زـ: «ويـقـسـمـ المـالـ».

(٨) أـخـرـجـهـ النـسـائـيـ (٣١٣٤) وـأـحـمـدـ ٤٨٣/٣ ١٥٩٥٨ (٤٥٩٣) وـابـنـ حـبـانـ (٤٥٩٣) وـابـنـ = أـبـيـ عـاصـمـ فـيـ الـجـهـادـ (١٣) وـالـبـخارـيـ فـيـ تـارـيـخـهـ (٤/١٨٧ - ١٨٨) وـغـيـرـهـ،

فهكذا^(١) فاقعدوا لهم بكل طرق الخير^(٢). فإذا أراد أحدهم أن يتصدق فاقعدوا له على طريق الصدقة، وقولوا له في نفسه: أتُخرج المال، فتبقى مثل هذا السائل، وتصير بمنزلته أنت وهو سواء؟ أو ما سمعتم ما ألقيت على لسان رجل سأله آخر^(٣) أن يتصدق عليه، وقال: هي أموالنا، إنْ أعطيناكموها صرنا مثلكم.

واقعدوا له^(٤) بطريق الحجّ، فقولوا: طريقه مخوفة مشقة، يتعرض سالكها لتلف النفس والمال.

وهكذا فاقعدوا له على سائر طرق الخير بالتنفير منها وذكر صعوبتها وآفاتها.

ثم اقعدوا على طرق المعاصي، فحسّنوها في أعين بنى آدم^(٥)، وزينوها في قلوبهم، واجعلوا أكبر^(٦) أعونكم على ذلك النساء، فمن

من طريق موسى بن المسيب أخبرني سالم بن أبي الجعد عن سبرة بن أبي فاكه ذكره. وقد وقع فيه اختلاف في تعيين اسم الصحابي. والطريق المثبت هو الصواب. والحديث صححه ابن حبان، وصحح إسناده العراقي، وحسن إسناده ابن حجر. انظر الإصابة (٦٤/٣) وتحقيق الجهاد لابن أبي عاصم (١٥١ - ١٥٠).

(١) ز: «فكذا». ف: «وهكذا».

(٢) ما عدال: «طريق الخير».

(٣) ف: «سأله سائل».

(٤) ف: «لهم».

(٥) ف: «عين بنى آدم».

(٦) ف: «أكثر».

أبوابهن فادخلوا عليهم، فنعم العون^(١) هنّ لكم!
ثم الزموا ثغر اليدين والرجلين فامنعواها أن تبطش بما يضرّكم أو
تمشي فيه.

واعلموا أنّ أكبر عَونَكُم^(٢) على لزوم هذه الثغور مصالحة النفس
الأمّارة. فأعینوها واستعينوا بها، وأمِدُّوها^(٣) واستمدّوا منها. وكونوا
معها على حرب النفس المطمئنة، فاجتهدوا في كسرها وإبطال
قوتها^(٤)، ولا سبيل إلى ذلك إلا بقطع موادّها عنها. فإذا^(٥) انقطعت
موادّها، وقويت موادّ النفس الأمّارة، وأطاعت^(٦) لكم أعوانها،
فاستنزلوا القلب من حصنه، واعزلوه عن مملكته، وولوا مكانه النفس.
فإنه لا تأمر إلا بما تهؤنه وتحبّونه ولا تجيشكم^(٧) بما تكرهونه البتة، مع
أنّها لا تخالفكم في شيء تشيرون به عليها، بل إذا أشرتم عليها بشيء
بادرت إلى فعله.

فإن أحسستم من القلب منازعةً إلى مملكته، وأردتم الأمان من
ذلك^(٨)، فاعقدوا بينه وبين النفس عقد النكاح، فزيّنوها، وحملوها،

(١) ز: «القوما» كذا!

(٢) س: «أعوانكم»، وفي حاشيتها أشير إلى هذه النسخة. وفي ز: «أكثراً» مكان
«أكبر»، تصحيف.

(٣) ف: «أمِدُّوها».

(٤) س: «موادّها»، ولعله تحريف.

(٥) ف: « وإن»، وسقط ما بعدها إلى «أطاعت».

(٦) س، ل: «انتطاعت».

(٧) ز: «ولا تحتكم»، تصحيف.

(٨) ف: «منازعة إلى تملكه الامن ذلك»، تحريف.

وأرُوها إِيَاهُ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ عَرْوَسٌ تَوْجَدُ، وَقُولُوا لَهُ: ذُقْ طَعَمَ هَذَا
الْوَصَالُ وَالتَّمَتُّعُ بِهَذِهِ الْعَرْوَسِ، كَمَا ذَقْتَ [١/٥٠] طَعَمَ الْحَرْبِ، وَبَاشَرَتَ
مَرَارَةَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ. ثُمَّ وَازِنْ بَيْنَ لَذَّةِ هَذِهِ الْمَسَالِمَةِ^(١) وَمَرَارَةِ تَلْكَ
الْمُحَارَبَةِ، فَدُعِيَ الْحَرْبَ تَضَعُ أَوْزَارَهَا، فَلَيْسَ بِيَوْمٍ وَيَنْقَضِيُّ، وَإِنَّمَا هُوَ
حَرْبٌ مَتَّصِلٌ بِالْمَوْتِ، وَقَوَافِكَ تَضَعُفُ عَنْ حِرَابِ دَائِمٍ^(٢).

وَاسْتَعِينُوا يَا بَنِيَّ بِجَنْدِينَ عَظِيمِينَ لَنْ تُغْلِبُوهَا مَعَهُمَا:

أَحَدُهُمَا: جَنْدُ الْغَفْلَةِ، فَأَغْفِلُوا قُلُوبَ بَنِي آدَمَ عَنِ اللَّهِ وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ
بِكُلِّ طَرِيقٍ، فَلَيْسَ لَكُمْ شَيْءٌ أَبْلَغُ فِي تَحْصِيلِ غَرْضِكُمْ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ
الْقَلْبَ إِذَا غَفَلَ عَنِ اللَّهِ تَمَكَّنَتْ مِنْهُ وَمِنْ أَعْوَانِهِ^(٣).

وَالثَّانِي: جَنْدُ الشَّهَوَاتِ فَزَيَّنُوهَا فِي قُلُوبِهِمْ، وَحَسَّنُوهَا فِي أَعْيُنِهِمْ.

وَصَوَّلُوا عَلَيْهِمْ بِهَذِينِ الْعَسْكَرِينَ، فَلَيْسَ لَكُمْ فِي بَنِي آدَمَ أَبْلَغُ
مِنْهُمَا. وَاسْتَعِينُوا عَلَى الْغَفْلَةِ بِالشَّهَوَاتِ، وَعَلَى الشَّهَوَاتِ بِالْغَفْلَةِ.
وَاقْرَنُوا بَيْنَ الْغَافِلَيْنِ، ثُمَّ اسْتَعِينُوا بِهِمَا عَلَى الدَّاَكِرِ، وَلَا يَغْلِبُ وَاحِدٌ
خَمْسَةً، فَإِنَّمَا مَعَ الْغَافِلَيْنِ شَيْطَانَيْنِ، صَارُوا أَرْبَعَةً، وَشَيْطَانُ الدَّاَكِرِ
مَعْهُمْ.

وَإِذَا رَأَيْتُمْ جَمَاعَةً مَجَمِعِينَ عَلَى مَا يَضْرِبُكُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْ مِذَاكِرَةِ^(٤)
أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَدِينِهِ، وَلَمْ تَقْدِرُوا عَلَى تَفْرِيقِهِمْ، فَاسْتَعِينُوا عَلَيْهِمْ بِبَنِي

(١) ف: «الْمَسَلَةُ»، تَحْرِيفٌ.

(٢) ف، ل: «حَرْبٌ دَائِمٌ».

(٣) ف: «إِغْوَانِهِ».

(٤) س، ل: «وَمِذَاكِرَةً».

جنسهم من الإنس البطلين، فقرّبوا لهم منهم، وشوشوا عليهم بهم.

وبالجملة فأعدوا للأمور أقرانها، وادخلوا على كلّ واحد منبني آدم من باب إرادته وشهوته، فساعدوه عليها، وكونوا عوناً له^(١) على تحصيلها. وإذا كان الله قد أمرهم أن يصبروا لكم، ويصابروكم، ويرابطوا عليكم التغور؛ فاصبروا أنتم، وصابروا، ورابطوا عليهم التغور، وانتهزوا فرصكم فيهم عند الشهوة والغضب، فلا تصطادون^(٢)بني آدم في أعظم من هذين الموطنين!

واعلموا أنّ منهم من يكون سلطان الشهوة عليه أغلب، وسلطان غضبه ضعيف مقهور، فخذلوا عليه طريق الشهوة، ودعوا طريق الغضب. ومنهم من يكون سلطان^(٣) الغضب عليه أغلب، فلا تخلوا طريق الشهوة عليه، ولا تعطّلوا ثغرها^(٤)، فإنّ من لم يملك نفسه عند الغضب فإنه بالحرى أن لا يملكها^(٥) عند الشهوة. فزوجوا بين غضبه وشهوته، وامزجو أحدهما بالأخر، وادعوه إلى الشهوة [٥٠/ب] من باب الغضب، وإلى الغضب من طريق الشهوة.

واعلموا أنه ليس لكم في بني آدم سلاح أبلغ من هذين السلاحين. وإنما أخرجت أبويهم من الجنة بالشهوة، وإنما أقيمت العداوة بين

(١) ل: «له عوناً له». س: «لها أعواناً»، وفي حاشيتها أشير إلى أن في نسخة: «وكونوا أعواناً له».

(٢) ز: «فلا تصطادوا».

(٣) غيرها بعضهم في ف إلى «شيطان».

(٤) ف: «طريق الشهوة قلبه، ولا تعطّلوا بغيرها»، وهي محرفة.

(٥) ف: «لا يملك نفسه».

أولادهم بالغضب. فبه قطعتُ أرحامَهُمْ، وسفكتُ دماءَهُمْ، وبه قتلَ أحدُ أبْنَي آدمَ أخاه.

واعلموا أنَّ الغضب جمرةٌ في قلب ابن آدم، والشهوة نارٌ تثور من قلبه، وإنما تُطفأ النارُ بالماء والصلوة والذكر والتكبير^(١)، فإياكم أن تتمكنوا ابنَ آدم عند غضبه وشهوته من قربان الوضوء والصلوة، فإنَّ ذلك يطفئ عنهم نارَ الغضب والشهوة. وقد أمرهم نبيُّهم بذلك، فقال: «إنَّ الغضبَ جمرةٌ في قلب ابن آدم. أما رأيتم من احمرار عينيه وانتفاخه؟ فمن أحسنَ بذلك فليتوضاً»^(٢). وقال لهم: «إنما تُطفأ النارُ بالماء»^(٣).

(١) يشير إلى حديث عبد الله بن عمرو عند العقيلي في الضعفاء (٢٩٦/٢) وابن عدي في الكامل (١٥١/٤) وابن السنى في عمل اليوم والليلة (٢٩٥ - ٢٩٨) وغيرهم، من طرق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده فذكه. ولا يثبت منها شيء، كلها واهية. وقد أشار المؤلف وشيخه إلى ضعفه بقولهما «روي...». انظر مجموع الفتاوى (٢٢٩/٢٤) والوايل الصيب (٣٥٩).

(٢) أخرجه الترمذى (٢١٩١) وابن ماجه (٤٠٠٠) وأحمد (١٩/٣) (١١١٤٣) والحاكم (٥٥١/٤) (٨٥٤٣) وغيرهم، من طريق علي بن زيد بن جدعان عن أبي نصرة عن أبي سعيد الخدري فذكه مطولاً. قال الحاكم: «هذا حديث تفرد بهذه السياقة علي بن زيد بن جدعان القرشي عن أبي نصرة، والشیخان رضي الله عنهما لم يتحجا بعلي بن زيد». وقال الذهبي معقباً: «ابن جدعان صالح الحديث».

قلت: ابن جدعان إلى الضعف أقرب، وخاصة إذا تفرد بهذا السياق الطويل.

وقد جاء عن الحسن البصري وزيد بن أسلم عن النبي ﷺ مرسلاً أو معضلاً. أخرجه عبدالرزاق (١٨٨/١١) (٢٠٢٨٩، ٢٠٢٨٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٨٤) وأحمد (٤٢٦/٤) والبخاري في تاريخه (٨/٧) =

وقد أوصاهم الله أن يستعينوا عليكم بالصبر والصلوة، فحولوا بينهم وبين ذلك، وأسسوهم إياه، واستعينوا عليهم بالشهوة والغضب. وأبلغ أسلحتكم فيهم وأنكها: الغفلة، واتباع الهوى. وأعظم أسلحتهم فيكم وأمنع حصونهم: ذكر الله، ومخالفة الهوى. فإذا رأيتم الرجل مخالفًا لهواه، فاهرروا من ظله^(١)، ولا تدنووا منه.

والمقصود أن الذنوب والمعاصي سلاحٌ ومددٌ يمده بها العبد أعداءه، ويعينهم بها على نفسه، فيقاتلونه بسلاحه، ويكون معهم على نفسه. وهذا غاية الجهل، و

ما يبلغ الأعداء من جاهلٍ ما يبلغ الجاهلُ من نفسه^(٢)
ومن العجائب أن العبد يسعى بجهده^(٣) في هوان نفسه، وهو يزعم

=
والطبراني ١٦٧ / ٤٤٣) وابن حبان في المجرورين (٢٥ / ٢)، من طريق أبي وائل القاسى عن عروة بن محمد بن عطية عن أبيه عن جده مرفوعاً: «إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضاً».

وهذا الإسناد ضعيف، محمد بن عطية مجهول. والحديث عده ابن حبان من منكرات أبي وائل القاسى فقال: «يروي عن عروة بن محمد بن عطية وعبدالرحمن بن يزيد الصنعاني العجائب التي كأنها معمولة. لا يجوز الاحتجاج به».

(١) ل: «فاهرروا منه».

(٢) ل، ز: «بلغ الأعداء». والبيت لصالح بن عبد القدوس في التمثيل والمحاصرة (٧٧)، والحماسة البصرية (٨٧٤). وقد أنسده المؤلف في طريق الهرجرين (١٣٤)، والمدارج (١٩٢ / ١) وبداع الفوائد (١١٨٨) والمفتاح (٣٨ / ٣).

(٣) س: «بنفسه».

أنه لها مكرم . ويجهد في حرمانها أعلى حظوظها وأشرفها ، وهو يزعم أنه يسعى في حظّها . ويبذل جهده في تحريرها وتصغيرها وتدسيتها ، وهو يزعم أنه^(١) يُعليها ويرفعها ويكبرها !

وكان بعض السلف يقول في خطبته : ألا رُبّ مهين ل نفسه وهو يزعم أنه لها مكرم ، ومُذل ل نفسه وهو يزعم أنه لها مُعز ، ومصغر ل نفسه وهو يزعم أنه لها مكبّر ، ومضيق ل نفسه وهو يزعم أنه^(٢) مراء لحقّها . وكفى بالمرء جهلاً أن يكون مع عدوه على نفسه ، يبلغ منها بفعله^(٣) [١/٥١] مالا يبلغه عدوه^(٤) . والله المستعان .

فصل

ومن عقوباتها : أنها تنسي العبد نفسه ، فإذا نسي نفسه أهملها وأفسدها وأهلكها .

فإن قيل : كيف ينسى العبد نفسه^(٥) ؟ وإذا نسي نفسه ، فأيّ شيء يذكر ؟ وما معنى نسيانه نفسه ؟

قيل : نعم ، ينسى نفسه أعظم نسيان . قال تعالى^(٦) : « وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَهُمْ أَنفُسُهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » [الحشر / ١٩].

(١) « يسعى في حظّها ... أنه » ساقط من ف .

(٢) « لها مُعز ... أنه » ساقط من ف .

(٣) ل : « بفله » ، تصحيف .

(٤) لم أقف عليه . وقد وردت الجملة الأولى من قول أبي الدرداء عند البيهقي في الزهد الكبير (٣٤٤) . وفي سنته ضعف .

(٥) « فإذا نسي ... نفسه » ساقط من س .

(٦) ز : « قال الله العظيم » .

فَلَمَّا نَسُوا رَبَّهُمْ سَبَحَانَهُ نَسِيْهِمْ وَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ كَمَا قَالَ : ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيْهِمْ﴾ [التوبه/ ٦٧] ، فَعَاقِبَ سَبَحَانَهُ مِنْ نِسِيْهِ عَقَوْبَتِينَ : إِحْدَاهُمَا : أَنَّهُ سَبَحَانَهُ نَسِيْهِ . وَالثَّانِيَةُ : أَنَّهُ أَنْسَاهُ نَفْسَهُ .

وَنَسِيَّانُهُ سَبَحَانَهُ لِلْعَبْدِ : إِهْمَالُهُ ، وَتَرْكُهُ ، وَتَخْلِيَّهُ عَنْهُ^(١) ، وَإِضَاعَتُهُ ؛
فَالْهَلاَكُ أَدْنَى إِلَيْهِ مِنَ الْيَدِ لِلْفَمِ !

وَأَمَّا إِنْسَاوَهُ نَفْسَهُ فَهُوَ : إِنْسَاوَهُ لِحَظْوَظَهَا الْعَالِيَّةِ وَأَسْبَابِ سَعادَتِهَا
وَفَلَاحَهَا وَصَلَاحَهَا وَمَا تَكْمِلُ بِهِ ، يُنْسِيْهِ ذَلِكَ^(٢) جَمِيعَهُ ، فَلَا يُخْطِرُهُ
بِبَالِهِ ، وَلَا يَجْعَلُهُ عَلَى ذَكْرِهِ ، وَلَا يَصْرُفُ إِلَيْهِ هَمَّتَهُ فَيُرْغَبُ فِيهِ ، فَإِنَّهُ لَا
يَمْرُّ بِبَالِهِ حَتَّى يَقْصِدَهُ وَيُؤْثِرُهُ .

وَأَيْضًا فِيْنِسِيْهِ عِيُوبَ نَفْسِهِ وَنَقْصَهَا وَآفَاتِهَا ، فَلَا يُخْطِرُ بِبَالِهِ إِذَا تَهَا
وَإِصْلَاحَهَا^(٣) .

وَأَيْضًا يُنْسِيْهِ أَمْرَاضِ نَفْسِهِ وَقُلُوبِهِ وَآلَامَهَا ، فَلَا يُخْطِرُ بِقُلُوبِهِ مَدَاوَاتُهَا ،
وَلَا السُّعْيُ فِي إِزَالَةِ عَلَلِهَا وَأَمْرَاضِهَا الَّتِي تَؤُولُ بِهِ إِلَى الْفَسَادِ وَالْهَلاَكِ .
فَهُوَ مَرِيضٌ مُشْخَنٌ بِالْمَرِيضِ ، وَمَرْضُهُ مُتَرَامٌ بِهِ إِلَى التَّلْفِ ، وَلَا يَشْعُرُ
بِمَرْضِهِ ، وَلَا يُخْطِرُ بِبَالِهِ مَدَاوَاتِهِ . وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعَقَوْبَةِ الْعَامَةِ^(٤)
وَالخَاصَّةِ .

فَأَيُّ عَقَوْبَةٍ أَعْظَمُ مِنْ عَقَوْبَةِ مَنْ أَهْمَلَ نَفْسَهُ ، وَضَيَّعَهَا ، وَنَسِيَ

(١) فَ : «تَخْلِيَّتِهِ عَنْهُ» .

(٢) زَ : «بِهِ نَفْسَهُ لَأَنَّ ذَلِكَ» ، تَحْرِيفٌ .

(٣) «إِصْلَاحَهَا» سَاقِطٌ مِنْ فَ .

(٤) سَ : «لِلْعَامَةِ» .

مصالحها، ودواءها، وأسباب سعادتها وفلاحها وصلاحها
وحياتها الأبدية في النعيم المقيم؟

ومن تأمل هذا الموضع تبيّن له أن أكثر هذا الخلق قد نسوا أنفسهم
حقيقةً، وأضياعوا حظّها من الله، وباعوها رخيصةً بثمن بخس
بيع الغبن. وإنما يظهر لهم هذا^(١) عند الموت، ويظهر كلّ الظهور يوم
الغباوة، يوم يظهر للعبد أنه غُبَنَ في العقد الذي عقده لنفسه في هذه
الدار، والتجارة التي اتجر فيها^(٢) لمعاده، فإنّ كلّ أحد يتجر^(٣) في هذه
الدنيا [٥١/ب] لآخرته^(٤).

فالخاسرون الذين يعتقدون أنهم أهل الربح والكسب اشتروا الحياة
الدنيا وحظّهم فيها ولذاتهم بالأخرة وحظّهم فيها، فأذهبوا طيباتهم في
حياتهم الدنيا، واستمتعوا بها، ورضوا بها، واطمأنوا إليها. وكان
سعيهم لتحصيلها، فباعوا، واشتروا، واتجروا. وباعوا آجلاً بعاجل،
ونسيئهً بفقد، وغائبًا بناجزٍ؛ وقالوا: هذا هو الحزم. ويقول أحدهم:

خذْ ما تراه ودَعْ شيئاً سمعتَ به^(٥)

وكيف أبيع حاضرًا نقدًا مشاهدًا في هذه الدار بغاية نسيئة في دار

(١) ز: «غداً».

(٢) ف: «لنفسه في هذه التجارة التي اتجرها».

(٣) ف: «متجر».

(٤) ل: «الأخرة»، وسقط منها: «والتجارة التي... الدنيا».

(٥) للمنتبي في ديوانه (٤٩٠) وعجز البيت:

في طلعة الشمس ما يغنىك عن زحلٍ

أخرى غير هذه^(١)؟ وينضم إلى ذلك ضعف الإيمان، وقوه داعي الشهوة، ومحبة العاجلة، والتشبه ببني الجنس.

فأكثر الخلق في هذه التجارة الخاسرة التي قال الله سبحانه في أهلها: «أَولَئِكَ الَّذِينَ أَشْرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخرةِ فَلَا يُخَفَّ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُتَصَرَّفُونَ» [آل عمران/٨٦]. وقال فيهم: «فَمَا رَبَحَتْ يَخْرُثُونَ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ» [آل عمران/١٦]. فإذا كان يوم التغابن ظهر لهم الغبن في هذه التجارة، فتقطع^(٢) عليها النفوس حسرات.

وأما الرباحون، فإنهم باعوا فانيًا بباقي، وخشيسًا ب النفيس، وحقيرًا بعظيم؛ وقالوا: ما مقدار هذه الدنيا من أولها إلى آخرها حتى نبيع حظنا^(٣) من الله والدار الآخرة بها؟ فكيف بما ينال العبد منها^(٤) في هذا الزمان القصير الذي هو في الحقيقة كغفوة حلم، لا نسبة له إلى دار البقاء البة؟

قال تعالى: «وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَانَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ الْنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بِيَنْهَمْ» [يونس/٤٥].

وقال تعالى: «يَسْعَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلَهَا» [٤٢] فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذَكْرِهَا ^{إِلَى}
رِبِّكَ مُنْهَمَّهَا ^{إِنَّمَا} أَنْتَ مُنْذُرٌ مَّنْ يَخْشَى هَا ^{كَانُوكُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا عَشِيشَةً أَوْ}

ضُعْنَاهَا» [النازعات/٤٢ - ٤٦].

(١) ز: «غيرها».

(٢) كذا في ز. وفي ف: «فتقطع»، ولم ينقط في غيرهما.

(٣) ز: «تبعد حظاً».

(٤) س: «بها».

وقال تعالى: ﴿كَانُوكُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَنْ يَلْبِسُوكُمْ إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾ [الأحقاف / ٣٥].

وقال تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لِيَشْتَمُ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سَيِّنَاتِنَّ ﴿١١٧﴾ قَالُوا لِيَشْتَمُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَأَلَ الْعَادِينَ ﴿١١٨﴾ قَالُوا إِنْ لِيَشْتَمُ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٩﴾﴾ [المؤمنون / ١١٢ - ١١٤].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنَفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَ زِدَادٍ ﴿١٠٢﴾ زُرْقَانَ ﴿١٠٣﴾ يَتَحَفَّظُونَ يَتَنَاهُمْ إِنْ لِيَشْتَمُ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَالُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لِيَشْتَمُ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [طه / ١٠٢ - ١٠٤].

فهذا حقيقة هذه الدنيا عند موافاة القيمة^(١). فلما علموا قلة ليثيم فيها، وأنّ لهم داراً غير هذه الدار، هي دار الحيوان ودار البقاء = رأوا من أعظم الغبن بيع دار البقاء بدار الفناء، فاتّجروا بتجارة الأكياس، ولم يغترّوا بتجارة السفهاء من الناس، ظهر لهم يوم التغابن ربح تجارتهم ومقدار ما اشتروه. وكلُّ أحد^(٢) في هذه الدنيا^(٣) بائعٌ مشترٌ متّجّرٌ، وكلُّ الناس يغدو، فبائعٌ نفسه فموبّقها، أو مبتاعها فمعتّقها^(٤).

﴿إِنَّ اللَّهَ أَشَرَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ يَأْتِيَهُمْ لَهُمُ الْجَنَاحُ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَقًا فِي الْأَثْوَرِ﴾

(١) ز: «يوم القيمة».

(٢) س: «كل واحد».

(٣) «الدنيا» ساقط من ز.

(٤) في حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل الناس يغدو، فبائع نفسه، فمعتّقها أو موبّقها». أخرجه مسلم في الطهارة، باب فضل الوضوء (٢٢٣).

وَالْأَنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبِشُوا بِيَعْكُمُ الَّذِي
بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١﴾ [التوبه / ١١١].

فهذا أول نقد من ثمن هذه التجارة، فتاجروا أيها المفلسون^(١)! ويما
من لا يقدر على هذا الثمن، هاهنا ثمن آخر، فإن كنت من أهل هذه
التجارة فأعطي هذا الثمن:

﴿الَّذِيَابُونَ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّتِيقُونَ الْرَّكِيعُونَ
السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ
لِحَدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ [التوبه / ١١٢].

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا هَلْ أَدْلَكُمْ عَلَى تِحْرِفٍ شُجِّيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٣﴾ لَوْمَتُمُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ
وَجَهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ يَأْمُرُوكُمْ وَأَنْفِسُكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾
[الصف / ١٠ - ١١].

ومقصود أنّ الذنب تُنسى العبد حظه من هذه^(٢) التجارة الرابحة،
وتشغله بالتجارة الخاسرة، وكفى بذلك عقوبةً. والله المستعان.

فصل

ومن عقوباتها: أنها تُزيل النعم الحاضرة، وتقطع^(٣) النعم الواقلة،
فتُزيل الحاصل، وتمتنع الواصل^(٤). فإنّ نعم الله ما حفظ موجودها بمثل
طاعته، ولا استجلب مفقودها بمثل طاعته، فإنّ ما عنده لا يُتال إلا

(١) «فتاجروا» لم يرد في س. وفي ز: «فتاجربها المفلسون»، تحرير.

(٢) ف: «العبد نفسه في هذه».

(٣) س: «وتمنع».

(٤) ف: «وتقطع الواصل»، وفي حاشيتها أشير إلى هذه النسخة.

بطاعته .

وقد جعل الله سبحانه لكل شيء سبباً وآفةً : سبباً يجلبه ، وآفة تبطله .
فجعل أسباب نعمه الجالبة لها طاعته ، وأفاتها المانعة منها^(١) معصيته .
إذا أراد حفظ نعمته على عبده ألهمه رعايتها بطاعته فيها ، وإذا أراد
زوالها عنه خذلَه حتى عصاه بها .

ومن [٥٢/ب] العجب علمُ العبدِ بذلك مشاهدةً في نفسه وغيره ،
وسماعاً لما غاب عنه من أخبار من أزيلت نعمُ الله عنهم بمعاصيه ، وهو
مقيم على معصية الله ، كأنه مستثنى من هذه الجملة ، أو مخصوص من
هذا العموم ، وكأن هذا أمر جاري على الناس لا عليه^(٢) ، وواصل إلى
الخلق لا إليه !

فأيّ جهل أبلغ من هذا؟ وأي ظلم للنفس فوق هذا؟
فالحكم لله العلي الكبير .

فصل

ومن عقوباتها: أنها تباعد عن العبد ولديه ، وأنفعَ الخلقِ له ،
 وأنصحهم له ، ومن سعادته في قربه منه ، وهو الملك الموكِلُ به . وتُدْنِي
منه عدوه ، وأغشَّ الخلق له وأعظمهم ضرراً له ، وهو الشيطان . فإنَّ
العبد إذا عصى الله تباعد منه الملك بقدر تلك المعصية ، حتى إنَّه يتبعده
عنه بالكذبة الواحدة مسافة بعيدة .

(١) «المانعة منها» ساقط من ف.

(٢) س، ز: «إلا عليه» وكذلك فيما بعد: «إلا إليه».

وفي بعض الآثار: «إذا كذب العبد تباعد منه الملك ميلاً من نتن ريحه»^(١). فإذا كان هذا تباعد الملك منه من كذبة واحدة، فماذا يكون مقدارُ بعده منه مما هو أكبر من ذلك وأفحش منه؟

وقال بعض السلف: إذا ركب الذكر الذكر عجت الأرض إلى الله، وهربت الملائكة إلى ربها، وشكّت إليه عظيم ما رأى^(٢).

وقال بعض السلف: إذا أصبح العبد ابتدره الملك والشيطان، فإن^(٣) ذكر الله وكبّره وحمده وهلله طرد الملك الشيطان وتولاه، وإن افتح بغير ذلك ذهب الملك عنه^(٤)، وتولاه الشيطان^(٥).

ولا يزال الملك يقرب من العبد حتى يصير الحكم والغلبة والطاعة

(١) أخرجه الترمذى (١٩٧٢) والطبراني في الصغير (٨٥٣) وابن أبي الدنيا في الصمت (٤٧٧) وابن حبان في المجرحين (١٣٧/٢) وابن عدي في الكامل (٥/٢٨٣) وغيرهم، من طريق عبد الرحيم بن هارون عن عبدالعزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر فذكره مرفوعاً. والحديث منكر لا يثبت لفترا عبد الرحيم بن هارون به عن عبدالعزيز. وعبد الرحيم قال فيه أبو حاتم: «مجهول لا أعرفه». وقال الدارقطنى: «متروك الحديث يكذب». وقال ابن عدي: «لم أر للمتقدمين فيه كلاماً. وإنما ذكرته لأحاديث رواها مناكير عن قوم ثقات».

(٢) ز: «عظم مرأة». ونسب المؤلف أوله في روضة المجيبين (٥٠٥) إلى عباس الدوري. ثم نقل نصاً أطول مما هنا فيه (٥١٤) عن «بعض العلماء» (ص). أخرجه الآجري في ذم اللواط (٢) عن عباس الدوري قال: «بلغني أن الأرض تعج من ذكر على ذكر». وذكره الذهبي في الكبائر (٧٠) بمعناه (ز).

(٣) س: «فإذا».

(٤) «عنه» ساقط من ز.

(٥) «وتولاه وإن... الشيطان» ساقط من س (ص) لم أقف على الأثر (ز).

له . فـتـولـاـهـ الـمـلـائـكـةـ فـيـ حـيـاتـهـ ، وـعـنـدـ موـتـهـ ، وـعـنـدـ بـعـثـهـ ، كـمـاـ قـالـ تـعـالـىـ :
 ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ أَسْتَقْبَلُوا مَوْتَانَّا عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَابْشِرُوا بِالْجُنَاحَةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [٣١ - ٣٠] نَحْنُ أَقْلِيلٌ مِّنْكُمْ فِي الْحَيَاةِ الَّذِيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ [فصلت / ٣١ - ٣٠].

وإذا تولاه الملك تولاه أنصح الخلق^(١) وأنفعهم وأبرهم، فثبتته، وعلمه، وقوى جنانه، وأيده . قال تعالى : ﴿ إِذْ يُوحَى رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثِبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الأفال / ١٢] . ويقول له الملك عند الموت : لا تخف ، ولا تحزن ، وأبشر بالذي يسرك^(٢) . وثبته بالقول الثابت أحوج ما يكون إليه في الحياة الدنيا ، وعند الموت ، وفي القبر عند المسائلة .

فليس أحد أنفع للعبد من صحبة الملك له ، وهو [أ / ٥٣] وليه في يقظته ومنامه ، وحياته ، وعند موته ، وفي قبره ؛ ومؤسسه^(٣) في وحشه ، وصاحب في خلوته ، ومحدثه في سره . يحارب عنه عدوه ، ويدافعه عنه ، ويعينه عليه ، ويعيده بالخير ، ويبشره به ، ويحثه على التصديق بالحق ، كما جاء في الأثر^(٤) الذي يروى مرفوعاً وموقوفاً :

«إِنَّ لِلْمَلَكِ بِقْلَبِ ابْنِ آدَمَ لَمَّاَ، وَلِلشَّيْطَانِ لَمَّاَ . فَلَمَّاَ الْمَلَكُ إِيَّاعُ الدُّنْيَا وَتَصْدِيقُ الْوَعْدِ، وَلَمَّاَ الشَّيْطَانُ إِيَّاعُ الْمُشْرِكِ وَتَكْذِيبُ الْحَقِّ»^(٥) .

(١) ل : «أنصح الخلق له».

(٢) زاد في ز : «ويثبتك». وانظر ما سبق من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه في ص (٥٨).

(٣) ف : «وفي قبره يؤنسه».

(٤) ف ، ل : «كما في الأثر».

(٥) أخرجه الترمذى (٢٩٨٨) وابن حبان (٩٩٧) والطبرى (٨٨ / ٣) وابن أبي حاتم =

وإذا اشتد قربُ الملك من العبد تكلّم على لسانه، وألقى على لسانه القول السديد. وإذا بعَدَ منه، وقرُبَ منه الشيطان، تكلّم على لسانه، وألقى عليه^(١) قول الزور والفحش، حتى ترى^(٢) الرجل يتكلّم على لسانه الملكُ، والرجل يتكلّم على لسانه الشيطانُ.

وفي الحديث: «إن السكينة تنطق على لسان عمر»^(٣).

= في تفسيره (٢٨١٠) والبزار (٢٠٢٧) وغيرهم، من طريق أبي الأحوص عن عطاء بن السائب عن مرة الهمданى عن ابن مسعود عن النبي ﷺ فذكره. وقد خولف أبو الأحوص في رفعه. فرواه حماد بن سلمة وحماد بن زيد وابن علية ومسعر وعمرو وجرير كلهم عن عطاء بن مرة عن ابن مسعود موقوفاً. أخرجه أحمد في الزهد (٨٥٣) والطبرى (٨٩، ٨٨/٣) والطبراني (٨٥٣٢) / ٩٠١.

ورواه أبو إياس البجلي وعبدالله بن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود موقوفاً. أخرجه أحمد في الزهد (٨٥٢) والطبرى (٨٩/٣) وأبو داود في الزهد (١٧٤). وسنه صحيح.

ورجح أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان الموقف. انظر علل ابن أبي حاتم (٢٤٤ - ٢٤٥).

(١) س: «ألقى على لسانه».

(٢) ف، ز: «يرى».

(٣) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة، وعبدالله في زوائد الفضائل (٣١٠، ٣٢٣، ٦٠١، ٤٧٠، ٧١١، ٦٣٤) وابن عساكر في تاريخه (٤٤/١٠٨) وابن الجعد في مسنده (٢٤٠٣) وغيرهم، من طريق الشعبي عن علي فذكره. وفي طرقه اختلاف في سنته ومتنه. وأيضاً رأى الشعبي علياً ولم يسمع منه إلا حرفاً وليس هذا مما سمعه. انظر علل الدارقطني (٤/١٣٦).

ورواه الوليد بن العizar عن عمرو بن ميمون عن علي قال: «ماكنا ننكر ونحن متوافرون - أصحاب رسول الله ﷺ - أن السكينة تنطق على لسان عمر». أخرجه الفسوسي في المعرفة والتاريخ (١/٢٤٦) وأبو نعيم في الحلية (٤/١٥٢) =

وكان أحدهم يسمع الكلمة الصالحة من الرجل، فيقول: ما ألقاها على لسانك إلا الملك^(١). ويسمع ضدّها، فيقول: ما ألقاها على لسانك إلا الشيطان. فالملك يُلقي في القلب الحقّ، ويُلقيه على اللسان. والشيطان يُلقي الباطل في القلب، ويُجريه على اللسان.

فمن عقوبة المعاشي أنها تُبعد من العبد وليه الذي سعادته في قربه ومجاورته ومواليته، وتُدنى منه عدوه الذي هلاكه وشقاوته^(٢) وفساده في قربه ومواليته، حتى إنَّ الملك لينافح عن العبد ويردّ عنه إذا سفه عليه السفية وسبيه، كما اختصم بين يدي النبي ﷺ رجلان، فجعل أحدهما يسب الآخر وهو ساكت، فتكلّم بكلمة يردد بها على صاحبه، فقام النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله لما رددتُ عليه بعض قوله قمت. فقال: «كان الملك ينافح عنك، فلما رددتَ عليه جاء الشيطان، فلم أكن لأجلس»^(٣).

= وابن عساكر (٤٤/١١٠) وغيرهم. قال أبو نعيم: «هذا حديث غريب من حديث عمرو والوليد، لم نكتب إلا من هذا الوجه». قال الهيثمي في المجمع (٩/٦٧): «... وإننا نسأله حسن».

ورواه عاصم عن زر بن حبيش عن علي مثله. أخرجه معمر في جامعه (١١/٢٢٢) وأحمد في فضائل الصحابة (٥٢٢). وفيه اختلاف. انظر علل الدارقطني (٣/١٢٤ - ١٢٢). والأثر ثابت عن علي رضي الله عنه.

(١) س: «ملك».

(٢) ف: «شقاوته وهلاكه».

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٩٦) والبخاري في تاريخه (٢/١٠٢) وذكره الدارقطني في العلل (٨/١٥٣) والبيهقي في الشعب (٦٤٤٢)، من طريق الليث بن سعد وعبدالحميد بن جعفر كلامهما عن سعيد المقبري عن بشير بن المحرر عن سعيد بن المسيب أنه قال فذكر نحوه مرسلاً.

ورواه محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ =

وإذا دعا العبد المسلم لأخيه بظاهر الغيب أمن الملك على دعائه،
وقال: لك بمثله^(١). وإذا فرغ من قراءة الفاتحة أمنت الملائكة على
دعائه^(٢).

وإذا أذنب العبد المؤمن بالموحد المتبع لسبيله وسنة رسوله استغفر
له حملة العرش ومن حوله^(٣).
وإذا نام على وضوء بات في شعاره ملك^(٤).

فذكر نحوه مطولاً. أخرجه أبو داود (٤٨٩٧) وأحمد ٤٣٦ / ٢ (٩٦٢٤) =
والبيهقي في السنن (٢٣٦ / ١٠) وغيرهم. قال البخاري: «والأول أصح» يعني
المرسل. وكذا صوبه الدارقطني.
والحديث فيه بشير بن المحرر فيه جهالة.

(١) كما في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. أخرجه مسلم في الذكر والدعاء،
باب فضل الدعاء لل المسلمين بظاهر الغيب (٢٧٣٢).

(٢) كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في الأذان، باب جهر
الإمام بالتأمين (٧٨٠)؛ ومسلم في الصلاة، باب التسميع والتحميد والتؤمن
(٤١٠). وقد سقط من س «وقال: لك بمثله... دعائه» لانتقال النظر.

(٣) قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَيِّحُونَ بِهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَأَعْفِرَ لِلَّذِينَ تَابُوا وَأَتَبَعُوا سَيِّلَكَ وَقَهْمَمَ عَذَابَ الْمُجْرِمِ﴾ [غافر: ٧].

(٤) يشير إلى الحديث الذي أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٠٥١) وابن المبارك
في المسند (٦٤) وفي الزهد (١٢٤٤) وابن عدي (٣١٧ / ٢) والبيهقي في
الشعب (٢٥٢٦) وغيرهم، من طريق ابن المبارك عن الحسن بن ذكوان عن
سليمان الأحول عن عطاء عن ابن عمر. هكذا رواه حبان المروزي وأبو عاصم
أحمد بن جواس الحنفي كلاهما عن ابن المبارك به، وخالفهما الحسن بن
عيسى والحسين المروزي وسويد بن نصر كلهم عن ابن المبارك، فجعلوه من
مسند أبي هريرة.

ورواه عاصم بن علي عن إسماعيل بن عياش عن العباس بن عتبة عن عطاء =

فَمَلْكُ الْمُؤْمِنِ يَرَدُّ عَنْهُ وَيَحَارِبُ وَيَدَافِعُ، وَيَعْلَمُهُ، وَيُثْبِتُهُ، [٥٣/ب]

وَيُشَجِّعُهُ. فَلَا يَلِيقُ بِهِ أَنْ يُسِيءَ جَوَارَهُ، وَيَبَالغُ فِي أَذَاهُ وَطَرَدِهِ عَنْهُ

وَإِبَاعِدِهِ، فَإِنَّهُ ضَيْفُهُ وَجَارُهُ. وَإِذَا كَانَ إِكْرَامُ الضَّيْفِ مِنَ الْأَدْمَيْنِ

وَالْإِحْسَانُ إِلَى الْجَارِ مِنْ لَزْوَمِ الْإِيمَانِ وَمُوجَبَاتِهِ، فَمَا الظُّنْنُ^(١) بِإِكْرَامِ

أَكْرَمِ الْأَضْيَافِ وَخَيْرِ الْجِيرَانِ وَأَبْرَرِهِمْ؟

وَإِذَا آذَى الْعَبْدُ الْمَلَكَ بِأَنْوَاعِ الْمَعَاصِيِّ وَالظُّلْمِ وَالْفَوَاحِشِ دَعَا عَلَيْهِ

رَبُّهُ وَقَالَ: لَا جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا^(٢)، كَمَا يَدْعُونَ لَهُ إِذَا أَكْرَمَهُ بِالطَّاعَةِ

وَالْإِحْسَانِ.

قال بعض الصحابة: «إِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لَا يَفَارِقُكُمْ، فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ

وَأَكْرِمُوهُمْ»^(٣). وَلَا أَلَمَ مَمْنَ لَا يَسْتَحِيَّ مِنَ الْكَرِيمِ الْعَظِيمِ الْقَدِيرِ، وَلَا

عن ابن عمر فذكر نحوه. أخرجه العقيلي في الضعفاء (٣٦٣/٣) والطبراني في =
الأوسط (٥٠٨٧) لكن جعله «عن ابن عباس».

قلت: الاضطراب لعله من الحسن بن ذكوان، وعطاء لم يسمع من ابن
عمر.

وأما الطريق الثاني فلا يصح. قال العقيلي: لا يصح حديثه، ثم ساق له هذا
الحديث. وجود إسناد ابن عباس المنذري وابن حجر، انظر الترغيب
(٢٣١/١) والفتح (١٠٩/١١).

وال الحديث ضعفه العقيلي بقوله: «وقد روي هذا (يعني حديث ابن عباس)
بعغير هذا الإسناد، بإسناد لين أيضًا».

(١) ز: «فَمَا ظُنْنَ».

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أقف عليه موقوفاً على الصحابة، وإنما ورد مرفوعاً من حديث عبد الله بن
عمر أخرجه الترمذى (٢٨٠٠) من طريق يحيى بن يعلى أبي محيا عن ليث بن
أبي سليم عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً: «إِيَاكُمْ وَالْتَّعَرَى، إِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لَا

يُجلّه، ولا يوقّره. وقد نبه سبحانه على هذا المعنى بقوله: ﴿وَلَئِنْ عَلِيَّكُمْ لَحَفِظِينَ كِرَاماً كَثِيرِينَ ﴾ [الأنفال/ ١٠ - ١١] أي: استحبوا هؤلاء^(١) الحافظين الكرام، وأكرمواهم، وأجلوهم أن يروا منكم ما تستحبوا^(٢) أن يراكم عليه من هو مثلكم.

والملائكة تتأذى مما يتآذى منه بنو آدم^(٣). فإذا كان ابن آدم يتآذى من يفجر ويعصي بين يديه، وإن كان قد يعمل مثل عمله، فما الظن بأذى الملائكة الكرام الكاتبين؟ والله المستعان.

يفارقكم إلا عند الغائط وحين يفضي الرجل إلى أهله، فاستحبواهم وأكرمواهم». قال الترمذى: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

ورواه الحسن بن أبي جعفر البصري عن ليث عن محمد بن عمرو عن أبيه عن زيد بن ثابت فذكره بنحوه. أخرجه البيهقي في الشعب (٧٣٤٥).

قلت: الحسن بن أبي جعفر ضعيف الحديث. والحديث مداره على ليث بن أبي سليم، وفي حفظه كلام. والحديث ضعفه الترمذى والبيهقى وعبدالحق الإشبيلي ووافقه ابن القطان. انظر بيان الوهم والإيمان (١٢٧٩).

وروى نحوه من حديث أبي هريرة، وهو ضعيف جداً. انظر شعب الإيمان (٧٣٤٤).

(١) زاد بعضهم «من» في ف: «من هؤلاء». واستحبته، واستحببت منه كلاهما صحيح.

(٢) كذا في جميع النسخ، والوجه: «تستحبون».

(٣) كما في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. أخرجه مسلم في المساجد، باب نهي من أكل ثوماً... (٥٦٤).

فصل

ومن عقوباتها: أنها تستجلب مواد هلاك العبد في دنياه وآخرته.

فإن الذنوب هي أمراض متى استحكمت قتلت، ولا بد. وكما أنّ البدن لا يكون صحيحاً إلا ب الغذاء يحفظ قوته، واستفراغٌ يستفرغ المواد الفاسدة والأخلاط الرديئة التي متى غلبت عليه أفسدته، وحميةٌ يمتنع بها من تناول ما يؤذيه ويخشى ضرره؛ فكذلك القلب لا تتم حياؤه إلا ب الغذاء من الإيمان والأعمال الصالحة يحفظ قوته، واستفراغ بالتنوبة النصوح يستفرغ^(١) المواد الفاسدة والأخلاط الرديئة منه، وحميةٌ تُوجب له حفظ الصحة وتجنب ما يضادها، وهي عبارة عن ترك استعمال ما يضاد الصحة. والتقوى اسم متناول^(٢) لهذه الأمور الثلاثة، فما فات منها فات من التقوى بقدرها.

وإذا تبين هذا فالذنوب مضادة لهذه الأمور الثلاثة، فإنها تستجلب المواد المؤذية، وتُوجب التخليط المضاد للحمية، وتمتنع الاستفراغ بالتنوبة النصوح.

فانظر إلى بدن عليل قد تراكمت عليه الأخلال الرديئة^(٣) ومواد [٥٤/١] المرض، وهو لا يستفرغها ولا يحتمي لها، كيف تكون صحته وبقاوئه؟ ولقد أحسن^(٤) القائل:

(١) ف: «استفراغ». ز: «يستخرج».

(٢) ل: «مشارك»، تحرير.

(٣) «الرديئة» ساقط من ز.

(٤) ف: «وقد أحسن».

جسمك بالحِمْيَة حُصْنَتَه مُخَافَةً مِن الْأَمْ طاري
وكان أولى بك أن تتحمي من المعاصي خشية النار^(١)
فمن حفظ القوة بامتثال الأوامر، واستعمل الحِمْيَة باجتناب
النواهي، واستفرغ التخليل بالتبوية النصوح = لم يدع للخير مطلبًا، ولا
من الشر مهربًا. والله المستعان.

فصل

فإن لم ترُعْكَ^(٢) هذه العقوبات، ولم تجد^(٣) لها تأثيراً في قلبك، فأحضره^(٤) العقوبات الشرعية التي شرعها الله ورسوله على الجرائم، كما قطع اليد في سرقة ثلاثة دراهم، وقطع اليد والرجل في قطع الطريق على معصوم المال والنفس. وشقَّ الجلد بالسوط على كلمة قذفِ محسن، أو قطرة خمرٍ يدخلها جوفه. وقتل بالحجارة أشنع قتلة في إيلاج الحشفة في فرج حرام، وخفق هذه العقوبة عمن لم يتم عليه نعمة الإحسان بمائة جلدة ونفي سنة عن وطنه وبليده إلى بلاد الغربة. وفرق بين رأس العبد وبدنـه إذاً وقع على ذاتِ رحيمٍ محـرم منه^(٥)، أو تركَ الصلاة المفروضة، أو تكلم بكلمة كفر. وأمر بقتل من وطـئ ذكرـاً مثلـه

(١) لـمحمود الوراق . ورواية البيت الأول في محاضرات الأدباء (٤٠٧/٢):
عمرُك قد أفيته تحتمي فيه من البارد والحار
وانظر ديوانه (٨٧).

(٢) راعه: أفرعه. ويحتمل: «لم يَزْعُك»، من وزعه: كفه وزجره.

(٣) ز: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ»، فَأَسْقَطْتُ: «لَمْ تَرْعَكْ... وَلَمْ».

(٤) ز: «فأحضر». .

(٥) «منه» ساقط من ل. وفي ز: «رحم ذات محرم».

وقتل المفعول به. وأمر بقتل من أتى بهيمةً وقتل البهيمة معه. وعزم على تحريق بيوت المتخلفين عن الصلاة في الجماعة. وغير ذلك من العقوبات التي رتبها على الجرائم، وجعلها بحكمته على حسب الدواعي إلى تلك الجرائم^(١)، وحسب الوازع عنها.

فما كان الوازع عنه طبيعياً^(٢) وليس في الطياع داعٍ إليه اكتفى فيه بالتحريم مع التعزير ولم يرتب عليه حدّاً كأكل الرجيع، وشرب الدم، وأكل الميتة. وما كان في الطياع داعٍ إليه رتب عليه من العقوبة بقدر مفسدته وبقدر داعي الطياع إليه^(٣).

ولهذا لما كان داعي الطياع إلى الرُّذْنِي من أقوى الدواعي كانت عقوبته العظمى أشنعَ القتلات^(٤) وأعظمَها، وعقوبته السهلة أعلى أنواع الجَلْد مع زيادة التغريب. ولما كان اللواط فيه الأمران كان حدّه القتل بكل حال. ولما كان داعي السرقة قويًا، ومفسدتها كذلك، قطع فيها^(٥) اليد.

وتتأمل حكمته في إفساد العضو الذي باشرَ به الجنائية، كما أفسد على [٥٤/ب] قاطع الطريق يده ورجله اللتين هما آلة قطعه، ولم يُفسد على القاذف لسانه الذي جنى به، إذ مفسدة قطعه تزيد على مفسدة الجنائية ولا تبلغها، فاكتفى من ذلك بإيلام جميع بدنه بالجلد.

(١) «وجعلها... الجرائم» ساقط من ز.

(٢) «طبعياً» ساقط من س. وفي ز: «طبعياً».

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣٤/١٩٨).

(٤) ف: «من أشنع القتلات».

(٥) ف: «فيه».

فإن قيل: فهلاً أفسد على الزاني فرجه الذي باشر به المعصية؟
قيل^(١): لوجه:

أحداها: أن مفسدة ذلك تزيد على مفسدة الجنابة، إذ فيه قطع النسل
وتعريفه للهلاك.

الثاني: أن الفرج عضو مستور لا يحصل بقطعه مقصود الحد من
الردع والزجر لأمثاله من الجنابة، بخلاف قطع اليد.

الثالث: أنه إذا قطع يده أبقي له يداً أخرى تُعَوِّض عنها، بخلاف
الفرج.

الرابع: أن لذة الزنى عمّت جميع البدن، فكان الأحسن أن تعم
العقوبة جميع البدن، وذلك أولى من تخصيصها ببضعة منه.

فعقوبات الشارع جاءت على أتم الوجوه، وأوفقتها للعقل، وأقوّتها
بالمصلحة.

ومقصود أن الذنب إما أن تترتب^(٢) عليها العقوبات الشرعية أو
القدرية^(٣)، أو يجمعهما الله للعبد، وقد يرفعهما^(٤) عمن تاب وأحسن.

فصل

وعقوبات الذنب نوعان: شرعية وقدرية. فإذا أقيمت الشرعية^(٥)

(١) زيد في بعض الطبعات بعد «قيل»: «لا»، وهو مفسد للسياق.

(٢) ف: «ترتب».

(٣) ف، ل: «والقدرية».

(٤) ف، ل: «يجمعها... يرفعها».

(٥) ز: «فالشرعية إذا أقيمت».

رفَعَتْ العقوباتِ القدريةَ أو خفَفتها. ولا يكاد الربُّ تعاليٰ يجمع على عبده^(١) بين العقوبتين، إلا إذا لم تفِ إحداهما برفع موجَب الذنب ولم تكفِ في زوال دائه^(٢).

وإذا عطلت العقوبات الشرعية استحالـت قدرية، وربما كانت أشد من الشرعية، وربما كانت دونها، ولكنـها تعمّ، والشرعية تخصّ، فإنـ الـ رب تبارك وتعالـى لا يعاقـب شرعاً إلا من باشرـ الجناـية أو تسبـبـ إليهاـ. وأما العقوبة الـ قدرـية فإنـها تـقـعـ عـامـةـ وـخـاصـةـ، فإنـ المـعـصـيـةـ إـذـاـ خـفـيـتـ لـمـ تـضـرـ إـلاـ صـاحـبـهـ، وإـذـاـ أـعـلـنـتـ ضـرـتـ الخـاصـةـ وـالـعـامـةـ. وإـذـاـ رـأـيـ النـاسـ المـنـكـرـ فـاشـتـرـكـواـ فـيـ تـرـكـ إـنـكـارـهـ أوـشـكـ أنـ يـعـمـهـمـ اللهـ بـعـقـابـهـ.

وقد تقدم أن العقوبة الشرعية شرعاً الله سبحانه على قدر مفسدة الذنب وتقاضي الطبع له^(٣)، وجعلها سبحانه ثلاثة أنواع: القتل، والقطع، والجلد. [١/٥٥] وجعل القتل بإذاء الكفر وما يليه ويقرب منه، وهو الزنا واللواء، فإن هذا يفسد الأديان، وهذا يفسد الأنساب ونوع الإنسان.

قال الإمام أحمد: لا أعلم بعد القتل ذنباً أعظم من الزنى^(٤)، واحتج بحديث عبد الله بن مسعود أنه قال: يا رسول الله أي الذنب أعظم^(٥)? قال: «أن تجعل الله نِدًا وهو خَلَقَك» قال: قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعَمَ معك». قال: قلت: ثم أي؟ قال: «أن تُزْانِيَ

(١) فـ: «العـد».

(۲) «ذاته» : ف، ز .

(٣) ف: «لها».

(٤) نقله المؤلف في روضة المحسن (٤٩٧) أيضاً.

(٥) «من الزئب... أعظم» ساقط من س.

بحليلة جارك . فأنزل الله سبحانه تصديقها : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهَا أَخْرَى وَلَا يَقْتُلُونَ أَنفُسَ أَلَّا حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ الآية .
[الفرقان / ٦٨] ^(١) .

والنبي ﷺ ذكر من كل نوع أعلاه ، ليطابق جوابه سؤال السائل ، فإنه سأله عن أعظم الذنب ، فأجابه بما تضمن ذكر أعظم أنواعها ، وما هو أعظم كل نوع .

فأعظم أنواع الشرك : أن يجعل العبد الله نِدًا .

وأعظم أنواع القتل : أن يقتل ولده خشية أن يشاركه في طعامه وشرابه .

وأعظم أنواع الزنى : أن يزني بحليلة جاره ، فإن مفسدة الزنى تتضاعف بتضاعف ما انتهكه من الحق .

فالزنى ^(٢) بالمرأة التي لها زوج أعظم إثماً وعقوبةً من التي لا زوج لها ، إذ فيه انتهاك حرمة الزوج ، وإفساد فراشه ، وتعليق نسب عليه لم يكن منه ، وغير ذلك من أنواع أذاه . فهو أعظم إثماً وجرماً من الزنى بغير ذات البعل .

فإن كان زوجها جاراً له انصاف إلى ذلك ^(٣) سوء الجوار وأذى

(١) أخرجه البخاري في التفسير . باب قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٤٧٧) وغيره ؛ ومسلم في الإيمان ، باب كون الشرك أقبح الذنوب (٨٦) .

(٢) ز : « والزنى » .

(٣) ز : « ذلك إلى » .

جاره^(١) بأعلى أنواع الأذى ، وذلك من أعظم البوائق . وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه »^(٢) . ولا بائقة أعظم من الزنى بامرأته ، فالزنى بمائة امرأة لا زوج لها أيسر عند الله من الزنى بامرأة الجار .

فإنْ كَانَ الْجَارُ أَخَا لَهُ أَوْ قَرِيبًا مِنْ أَقْارِبِهِ انضَمَ إِلَى ذَلِكَ قَطْيَعَةُ الرَّحْمِ ، فَيَتضَاعِفُ^(٣) الإِثْمُ .

فإنْ كَانَ الْجَارُ غَائِبًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ كَالصَّلَاةِ وَطَلَبِ الْعِلْمِ وَالْجَهَادِ تضاعَفَ الإِثْمُ ، حَتَّى إِنَّ الْزَانِي بِامْرَأَةِ الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيُقَالُ^(٤) : خُذْ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شَاءَ . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « فَمَا ظَنَّكُمْ؟ »^(٥) أَيْ مَا ظَنَّكُمْ أَنَّ^(٦) يَتَرَكُ لَهُ مِنْ حَسَنَاتِ؟ [٥٥/ب] قَدْ حُكِّمَ فِي أَنْ يَأْخُذَ مِنْهَا مَا شَاءَ ، عَلَى شَدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَى حَسَنَةٍ وَاحِدَةٍ ، حِيثُ لَا يَتَرَكُ

(١) زاد في ف بعد «جاره»: «بالزنى».

(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه مسلم في الإيمان، باب بيان تحريم إيداء الجار (٤٦). والبوائق جمع بائقة، وهي الغائلة والداهية والفتوك. (شرح النووي ٣٧٧/٢).

(٣) س: «فيضاعف». ز: «فتضاعف».

(٤) ز: «ويقال له».

(٥) من حديث بريدة رضي الله عنه ونصه: قال رسول الله ﷺ: «حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاطهم، وما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في أهله، فيخونه فيهم، إلا وقف له يوم القيمة، فيأخذ من عمله ماشاء، فما ظنككم؟». أخرجه مسلم في الإمارة، باب حرمة نساء المجاهدين (١٨٩٧).

(٦) ل: «أي ظنكم أنه». وفي ز أيضاً: «أنه».

الأب لابنه ولا الصديق لصديقه حَقًا يُجْبِلَهُ^(١) عليه.

فإن اتفق أن تكون المرأة رحمةً منه انضاف إلى ذلك قطيعة رحمها.
فإن اتفق أن يكون الزاني محسناً كان الإثم أعظم، فإنْ كان شيخاً كان
أعظم إثماً^(٢)، وهو أحد الثلاثة الذين لا يكلّمهم الله يوم القيمة، ولا
يُرَكِّبُهُمْ، ولهم عذاب أليم^(٣).

فإن اقتنى بذلك أن يكون في شهر حرام، أو بلد حرام، أو وقت
معظم عند الله كأوقات الصلاة وأوقات الإجابة = تضاعف الإثم.

وعلى هذا فاعتبر مفاسد الذنوب، وتضاعف درجاتها في الإثم
والعقوبة. والله المستعان.

فصل

وجعل سبحانه القطع بإزاء إفساد الأموال الذي لا يمكن الاحتراز
منه، فإن السارق لا يمكن الاحتراز منه، لأنَّه يأخذ المال في اختفاء،
وينقُبُ الدُّورَ، ويتسوَّرُ من غير الأبواب، فهو كالستور أو الحية^(٤) التي
تدخل عليك من حيث لا تعلم. فلم ترتفع مفسدة سرقته إلى القتل، ولا
تندفع بالجلد، فأحسن ما دُفِعْتَ به مفسدته إبانة العضو الذي يتسلط به
على الجناية.

(١) «له» ساقط من ز.

(٢) ز: «كان الإثم أعظم».

(٣) كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه مسلم في الإيمان، باب بيان
غلوظ تحريم إسبال الإزار... (١٠٧).

(٤) ف: «الحية أو الستور».

وجعل الجلد بإزاء إفساد العقول^(١) وتمزيق الأعراض بالقذف.

فدارت عقوباته - سبحانه - الشرعية على هذه الأنواع الثلاثة، كما دارت الكفارات على ثلاثة أنواع: العتق وهو أعلاها، والإطعام، والصيام.

ثم إنَّه سبحانه جعل الذنوب ثلاثة أقسام:

قسمًا^(٢) فيه الحد، فهذا لم يشرع فيه كفارة، اكتفاء بالحد.

وقسمًا لم يرتب عليه حدًا، فشرع فيه الكفارات كالوطء في نهار رمضان، والوطء في الإحرام، والظهار، وقتل الخطأ، والحنث في اليمين، وغير ذلك.

وقسمًا لم يرتب عليه حدًا ولا كفارة، وهو نوعان:

أحدهما: ما كان الوازع عنه طبيعياً كأكل العذرة، وشرب البول والدم.

والثاني: ما كانت مفسدته أدنى من مفسدة ما رتب عليه الحد كالنظر، والقبة، واللمس، والمحادثة، وسرقة فلس، ونحو ذلك.

وشرع الكفارات [٥٦/١] في ثلاثة أنواع:

أحدها: ما كان^(٣) مباح الأصل ثم عرض تحريمها، فباشره في الحال التي عرض فيها التحريم، كالوطء في الإحرام والصيام^(٤) وطرد الوطء

(١) س: «الجلد بإفساد العقول». ل: «إزاء فساد العقول».

(٢) ف: «قسم».

(٣) س: «ما يكون».

(٤) س: «وفي الصيام».

في الحيض والنفاس، بخلاف الوطء في الدبر، ولهذا كان إلحاقي بعض الفقهاء له بالوطء في الحيض^(١) لا يصحّ، فإنه لا يباح^(٢) في وقت دون وقت، فهو بمنزلة التلوّط وشرب المسكر.

النوع الثاني: ما عقده الله من نذر، أو بالله من يمين، أو حرمته الله ثم أراد حلّه؛ فشرع الله سبحانه حلّه بالكافارة، وسماتها تحلة. وليس هذه الكفاراة ماحيّة لهتك حرمة الاسم^(٣) بالحثّ كما ظنه بعض الفقهاء، فإنّ الحثّ قد يكون واجباً، وقد يكون مستحبّاً^(٤)، وقد يكون مباحاً؛ وإنما الكفاراة حلّ لما عقده.

النوع الثالث: ما تكون^(٥) فيه جابرةً لما فات، ككفارة قتل الخطأ^(٦) وإن لم يكن هناك إثم، وكفاراة قتل الصيد خطأً، فإن ذلك من باب الجوابر. والنوع الأول من باب الزواجر، والنوع الوسط من باب التحلاة لما منعه العقد.

ولا يجتمع الحدّ والتعزير في معصية، بل إن كان فيها حدّاً اكتُفيَ به، وإنما اكتفى بالتعزير. ولا يجتمع الحدّ والكافارة في معصية، بل كلّ معصية فيها حدّ^(٧) فلا كفاراة فيها، وما فيه كفاراة فلا حدّ فيه.

(١) «في الحيض» ساقط من ز.

(٢) ز: «لا يباح له».

(٣) س: «الإثم»، تحريف.

(٤) «وقد يكون مستحبّاً» ساقط من ف.

(٥) يعني الكفاراة. وفي س، ف، ز: «يكون»، ولم ينقط في ل.

(٦) س: «فات الكفاراة»، خطأ. ف: «القتل الخطأ». وبعدة في س: «ولم يكن».

(٧) ف: «في معصية، مما فيها حدّ».

وهل يجتمع التعزير والكفارة في المعصية التي لاحد فيها؟ فيه وجهان. وهذا كاللوطء في الإحرام والصيام، ووطء الحائض، إذا أوجبنا فيه الكفارة. فقيل: يجب التعزير لما انتهك من الحرمة برکوب الجنابة. وقيل: لا تعزير في ذلك اكتفاء بالكفارة، لأنها^(١) جابرة وماحية.

فصل

وأما العقوبات القدرية فهي نوعان: نوع على القلوب والآنفوس، نوع على الأبدان والأموال.

والتي على القلوب^(٢) نوعان:

أحدهما: آلام وجودية يُضرب بها القلب.

والثاني: قطع المواد التي بها حياته وصلاحه عنه. وإذا قطعت^(٣) عنه حصل له أضدادها.

وعقوبة القلوب أشد العقوبتين، وهي أصل عقوبة الأبدان. وهذه العقوبة تقوى وتتراءد حتى تسري من القلب إلى البدن، كما يسري الم البدن إلى القلب. فإذا [٥٦/ب] فارقت النفس البدن صار الحكم متعلقاً بها، فظهرت عقوبة القلب حينئذ، وصارت عيانية^(٤) ظاهرة، وهي المسماة بعذاب القبر. ونسبة إلى البرزخ كنسبة عذاب الأبدان إلى هذه الدار.

(١) ل: «ولأنها».

(٢) ف: «على القلب».

(٣) ل: «إذا...». ف: «إذا انقطعت».

(٤) ف، ز: «عنایته». ل: «غاییه». وكلاهما تصحیف.

فصل

والتي على الأبدان أيضاً نوعان: نوع في الدنيا. ونوع في الأخرى. وشدةٌ لها ودوامها بحسب مفاسد ما رتبت عليه في الشدة والخفة.

فليس في الدنيا والآخرة^(١) شرّ أصلاً إلا الذنوب وعقوباتها، فالشر^(٢) اسم لذلك كله. وأصله من شرّ النفس وسيئات الأعمال، وهم الأصلان اللذان كان النبي ﷺ يستعيد منهما في خطبته بقوله: «ونعود بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا»^(٣). وسيئات الأعمال من شرور النفس، فعاد الشر كلّه إلى شرّ النفس، فإنّ سيئات الأعمال من فروعه وثمراته.

وقد اختلف في معنى قوله: «ومن سيئات أعمالنا»، هل معناه:

(١) «والآخرة» ساقط من س.

(٢) ز: «والشر».

(٣) أخرجه الترمذى (١١٠٥) وأحمد ١/٣٩٣ (٣٧٢١)، ١/٤٣٢ (٤١٦) وابن ماجه (١٨٩٢) والنسائى (١١٦٤) وأبو داود (٢١١٨) وأبو الشيخ في ذكر رواية الأقران (٥٢، ٥١) وغيرهم، من طريق الأعمش ويونس بن أبي إسحاق وشعبة وإسرائيل كلهم عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبدالله بن مسعود مرفوعاً في خطبة الحاجة.

ورواه شعبة والثوري وغيرهما عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن أبيه عبدالله بن مسعود. أخرجه أحمد (٤١١٥، ٣٧٢٠) وغيره.

قال الترمذى بعد ذكر الطريقين: «وكلا الحديثين صحيح، لأن إسرائيل جمعهما فقال: عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص وأبي عبيدة عن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ».

وثبت هذا أيضاً من حديث ابن عباس في قصة قوم ضماد. أخرجه الطبراني ٣٠٤ (٨١٤٨). وأصله عند مسلم (٨٦٨).

السيئ من أعمالنا، فيكون من باب إضافة النوع إلى جنسه ويكون بمعنى «من»؟ وقيل: معناه: من عقوباتها التي تسوء، فيكون التقدير: ومن عقوبات أعمالنا التي تسوءنا^(١).

ويرجح هذا القول أن الاستعاذه تكون قد تضمنت جميع الشر، فإن شرور الأنفس تستلزم الأعمال السيئة، وهي تستلزم العقوبات السيئة فنبه بشرور الأنفس على ما تقتضيه من قبح الأعمال، واكتفى بذكرها منه إذ هي أصله. ثم ذكر غاية الشر ومتناهه، وهو السيئات التي تسوء العبد من عمله من العقوبات والآلام. فتضمنت هذه الاستعاذه أصل الشر، وفروعه، وغايتها، ومقتضاها^(٢).

ومن دعاء الملائكة للمؤمنين قولهم: ﴿وَقِيمُمُ الْسَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِيَ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحْمَتُمُ﴾ [غافر/٩]. فهذا يتضمن طلب وقايتهم^(٣) من سيئات الأعمال وعقوباتها التي تسوء صاحبها، فإنه سبحانه متى وقادهم العمل السيئ وقادهم جزاءه السيئ، وإن كان قوله^(٤): ﴿وَمَنْ تَقِي السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحْمَتُمُ﴾ أظهر في عقوبات الأعمال المطلوب وقايتها يومئذ.

فإن قيل: فقد سأله سبحانه أن يقيهم عذاب الجحيم، وهذا هو وقاية [١/٥٧] العقوبات السيئة، فدل على أن المراد بالسيئات التي سألوا وقايتها: الأعمال السيئة، ويكون الذي سأله الملائكة نظير ما استعاد منه

(١) ز: «تسوء».

(٢) وانظر بدائع الفوائد (٧١٦)، وطريق الهجرتين (٢٠٠)، وإغاثة اللهفان (١٥١).

(٣) ز: «يتضمن وقايتها».

(٤) ف: « وإن قوله».

النبي ﷺ. ولا يرد على هذا قوله (يومئذ) فإن المطلوب وقاية شرور سيئات الأعمال ذلك اليوم، وهي سيئات في أنفسها.

قيل: وقاية السيئات نوعان: أحدهما: وقاية فعلها بالتوفيق فلا تصدر منه. والثاني: وقاية جزائها بالمغفرة فلا يعاقب عليها. فقد تضمنت^(١) الآية سؤال الأمرين، والظرف تقيد للجملة الشرطية لا للجملة الطلبية^(٢).

وتتأمل ما تضمنه هذا الخبر عن الملائكة من مدحهم بالإيمان والعمل الصالح والإحسان إلى المؤمنين بالاستغفار لهم. وقدّموا بين يدي استغفارهم توسّلهم إلى الله سبحانه بسعة علمه وسعة رحمته^(٣).

فسعة علمه تتضمن علمه بذنبهم وأسبابها، وضعفهم عن العصمة، واستيلاء عدوهم وأنفسهم وهوامر وطبعهم، وما زين لهم من الدنيا وزيتها؛ وعلمه بهم إذ أنشأهم من الأرض وإذ هم أجنة في بطون أمهاتهم، وعلمه السابق بأنه^(٤) لابد أن يعصوه، وأنه يحب العفو والمغفرة، وغير ذلك من سعة علمه الذي لا يحيط به أحد سواه.

وسعة رحمته تتضمن أنه لا يهلك عليه أحد من المؤمنين به^(٥) أهل توحيده ومحبته، فإنه واسع الرحمة، لا يخرج عن دائرة رحمته إلا

(١) ز: «تضمنت». س، ل: «تضمنت» دون «فقد».

(٢) ف: «يقيد الجملة الشرطية لا الجملة الطلبية».

(٣) وذلك قوله تعالى: ﴿أَلَّاَنِينَ يَجْلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوَّلَهُ يُسْتَحْوَنَ بِمَحْمَدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَسَتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ إِمَّا تَرَأَسْتَأَنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَقْيٍ وَرَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر / ٧].

(٤) ف: «بأنهم».

(٥) «به» لم يرد في ف.

الأشقياء، ولا أشقي ممن لم تسعه رحمته التي^(١) وسعت كلَّ شيء.

ثم سأله^(٢) أن يغفر للتابين الذين اتبعوا سبيله - وهو صراطه الموصى إليه الذي هو معرفته ومحبته وطاعته - فتابوا مما يكره، واتبعوا السبيل التي يحبها.

ثم سأله أن يقيهم عذاب الجحيم، وأن يدخلهم والمؤمنين من أصولهم وفروعهم وأزواجهم جناتٍ عدن التي وعدهم بها. وهو سبحانه وإن كان لا يخلف الميعاد فإنه وعدهم بها^(٣) بأسباب من جملتها: دعاء ملائكته لهم بأن يدخلهم إليها برحمته، فدخلوها^(٤) برحمته التي منها أن وفقهم لأعمالها، وأقام ملائكته يدعون لهم بدخولها.

ثم أخبر سبحانه عن ملائكته أنّهم [٥٧/ب] قالوا عقيب هذه الدعوة: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي مصدر ذلك وسببه وغايته صادر عن كمال قدرتك وكمال علمك. فالعزّة كمال القدرة، والحكمة كمال العلم. وبهاتين الصفتين يقضي سبحانه ما يشاء^(٥)، ويأمر وينهى، ويثيب ويعاقب. فهاتان الصفتان مصدر الخلق والأمر.

والمقصود: أن عقوبات السيئات تتنوع إلى: عقوباتٍ شرعية.

(١) «رحمته التي» ساقط من ز. ومكانها في س: «رحمت».

(٢) قال تعالى: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقَهْمَ عَذَابَ الْجَحَنَّمِ رَبَّنَا وَادْخِلْهُمْ جَنَّتَ عَدِنَ أَلَّيْ وَعَدَنَهُمْ وَمَنْ مَكَلَّحَ مِنْ إِيمَانِهِمْ وَأَنْوَجَهُمْ وَدَرَّتَهُمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [غافر / ٨ - ٧].

(٣) «بها» ساقط من س.

(٤) ف: «إياها يدخلونها». ز: «يدخلهم لها فدخلوها».

(٥) س، ف: «شاء».

وعقوباتٍ قدريةٍ. وهي إما في القلب، وإما في البدن، وإما فيهما.
وعقوباتٍ في دار البرزخ^(١) بعد الموت. وعقوباتٍ يوم حشر الأجساد.

فالذنب لا يخلو من عقوبة البة، ولكن لجهل العبد لا يشعر بما هو^(٢) فيه من العقوبة، لأنَّه بمنزلة السكران والمخدَّر والنائم الذي لا يشعر بالألم، فإذا استيقظ وصحا أحسَّ بالمؤلم. فترتُّب العقوبات على الذنوب^(٣) كترتيب الإحراق على النار، والكسر على الانكسار^(٤)، والإغراق على الماء، وفساد البدن على السموم، والأمراض على الأسباب الجالبة لها.

وقد تقارن المضرة للذنب، وقد تتأخر عنه إما يسيرًا وإما مدة^(٥)، كما يتأخر المرض عن سببه أو يقارنه. وكثيرًا ما يقع الغلط للعبد في هذا المقام، ويذنب الذنب فلا يرى أثره عقيبه، ولا يدرِّي أنه يعمل عمله على التدريج شيئاً فشيئاً، كما تعمل السموم والأشياء الضارة حذو القذمة بالقذمة. فإنْ تدارك العبد بالأدوية والاستفراغ والحمية وإنَّ^(٦) فهو صائر إلى الهلاك. هذا إذا كان ذنباً واحداً لم يتداركه بما يزيل أثره، فكيف بالذنب على الذنب كلَّ يوم^(٧) وكلَّ ساعة؟ فالله المستعان.

(١) ف: «عقوبات دار البرزخ».

(٢) «هو» ساقط من ف.

(٣) «على» ساقط من س.

(٤) كذا في جميع النسخ، ومقتضى السياق: «والانكسار على الكسر».

(٥) س: «أو مدة». ونحوه في ل، ز مع تحريف.

(٦) «إنَّ» ساقط من س.

(٧) س: «بالذنب على كل يوم»، فأسقط الكلمة «الذنب» الثانية.

فصل

فاستحضر بعض العقوبات التي رتبها الله سبحانه على الذنوب، وجوز وصول بعضها إليك، واجعل ذلك^(١) داعيًّا للنفس إلى هجرانها. وأنا أسوق لك منها طرفاً يكفي العاقل مع التصديق ببعضه.

فمنها: الختم على القلوب والأسماع، والغشاوة على الأ بصار، والإफال على القلوب، وجعل الأكنة عليها، والرين عليها والطبع، وتقليل الأفئدة والأ بصار، والحيلولة بين المرء وقلبه، وإغفال القلب عن ذكر الرب، وإنسأء [١٥٨/١] الإنسان نفسه، وترك إرادة الله تطهير القلب، وجعل الصدر ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء، وصرف القلوب عن الحق، وزياقتها مرضًا على مرضها، وإركاسها ونكسها بحيث تبقى منكوبة؛ كما ذكر الإمام أحمد^(٢) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال: القلوب أربعة: قلبُ أَجَرْدُ فِيهِ سَرَاجٌ يُرِهِرُ، فذلك قلب المؤمن. وقلبُ أَغْلَفُ، فذلك قلب الكافر. وقلبُ منكوس، فذلك

(١) «ذلك» ساقط من ز.

(٢) لم أقف عليه عند أحمد، ولعله في الزهد له فالطبع ناقص. والأثر أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٤٣٩) والطبراني (٤٠٦/١) وابن أبي شيبة (٣٧٣٨٤، ٣٠٣٩٥) والخطابي في الغريب (٣٣١/٢) وأبو نعيم في الحلية (٢٧٦)، من طريق الأعمش وأبان بن تغلب وقيس بن الربيع وعمرو بن قيس الملائي كلهم عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن حذيفة فذكره موقوفاً. خالفهم ليث بن أبي سليم عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن أبي سعيد عن النبي ﷺ فذكره مطولاً. أخرجه أحمد في المسند ١٧/٣ (١١١٢٩)، وليث مخلط، والأثر مع وقه في سنته انقطاع، فأبا البختري: سعيد بن فiroز، لم يدرك حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما.

قلب المنافق. وقلبٌ تُمْدَه مادتان: مادة إيمان ومادة نفاق، وهو لما
غَلَبَ عليه منها^(١).

ومنها: التشيط عن الطاعة والإقعاد عنها.

ومنها: جعل القلب أصم لا يسمع الحق، أبكم لا ينطق به، أعمى
لا يراه؛ فيصير النسبة بين القلب وبين الحق الذي لا ينفعه غيره كالنسبة
بين أذن الأصم والأصوات، وعين الأعمى والألوان، ولسان الآخرين
والكلام.

وبهذا يعلم^(٢) أن الصمم والبكم والعمى للقلب بالذات والحقيقة،
وللجواز بالعرض والتبعية. «فِإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ أَلَّا تَ
فِي الْصُّدُورِ» [الحج / ٤٦]. وليس المراد نفي العمى الحسي عن
البصر، كيف وقد قال تعالى: «لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ» [النور / ٦١] وقال:
«عَسَّ وَوَوَّلَ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى» [عبس / ١ - ٢]. وإنما المراد أن العمى
التام في الحقيقة عمى القلب، حتى إن عمى البصر بالنسبة إليه كلام
عمى، حتى إنه يصح نفيه بالنسبة إلى كماله وقوته، كما قال^(٣): «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَاعَةِ، وَلَكِنَّ الَّذِي يُمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضْبِ»^(٤).
وقوله: «لَيْسَ الْمُسْكِنُ بِالطَّوَافِ الَّذِي تَرْدُهُ الْلَّقْمَةُ وَاللَّقْمَتَانُ، وَلَكِنْ

(١) ل، ز: «منها».

(٢) ز: «العلم»، تحريف.

(٣) ف: «قال النبي».

(٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في الأدب، باب الحذر
من الغضب (٦١١٤)؛ ومسلم في البر والصلة، باب فضل من يملك نفسه عند
الغضب... (٢٦٠٩).

المسكين الذي لا يسأل الناس، ولا يفطن له فيتُصدقَ عليه»^(١) ونظائره كثيرة.

والمقصود أنّ من عقوبات المعاشي جعل القلب أعمى أصمّ أبكم.

ومنها: الخسف بالقلب، كما يخسف بالمكان وما فيه، فيخسف به إلى أسفل سافلين، وصاحبه لا يشعر. وعلامة الخسف به أن لا يزال جوًّاً حول السفليات والقادورات والرذائل، كما أنّ القلب الذي رفعه الله وقربه إليه لا يزال جوًّاً حول البرّ والخير ومعالي الأعمال والأقوال والأخلاق.

قال [٥٨/ب] بعض السلف: إنّ هذه القلوب جوّالة، فمنها ما يجول حول العرش، ومنها ما يجول حول الحُشّن^(٢).

ومنها: مسخ القلب، فيُمسخ كما تمسخ الصورة، فيصير القلب على قلب الحيوان الذي شابهه في أخلاقه وأعماله وطبيعته. فمن القلوب ما يمسخ على خُلق خنزير^(٣) لشدة شبه صاحبه به^(٤)، ومنها ما

(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً. أخرجه البخاري في الزكاة، باب قول الله عز وجل «لَا يَسْتَأْنِونَ النَّاسُ إِلَّا حَافَّاً...» (١٤٧٩)؛ ومسلم في الزكاة، باب المسكين الذي لا يجد غنى... (١٠٣٩).

(٢) ذكره المؤلف في المفتاح (٤٦٦/١)، وشيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٥٢٤/٥). وهو من كلام أحمد بن خضرويه البلخي من أصحاب حاتم الأصم (٢٣٧هـ). طبقات الصوفية (١٠٤)، صفة الصفوة (٢٩٥/٢). والخشّن: موضع قضاء الحاجة.

(٣) ف: «قلب خنزير».

(٤) «شبه» ساقط من ز.

يمسخ على خلق^(١) كلب أو حمار أو حية أو عقرب وغير ذلك^(٢).

وهذا تأويل سفيان بن عيينة في قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَآبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَّيْرٌ يَطِيرُ بِهِنَاحِيَهُ لَا أُمُّ أُمَّ أَنْتَالُكُمْ ﴾ [الأنعام / ٣٨] قال : منهم من يكون على أخلاق السباع العادية ، ومنهم من يكون على أخلاق الكلاب وأخلاق الخنزير^(٣) وأخلاق الحمار ، ومنهم من يتطوّس في ثيابه كما يتطوّس الطاووس في ريشه ، ومنهم من يكون بليداً كالحمار ، ومنهم من يؤثر على نفسه كالديك ، ومنهم من يألف ويؤلف كالحمام ، ومنهم الحقوود كالجمل ، ومنهم الذي هو خير كله كالغنم ، ومنهم أشباه الذئاب ، ومنهم أشباه الثعالب التي تروغ كروغانها^(٤) .

وقد شبهه الله تعالى أهل الجهل^(٥) والغيّ بالحمر تارة^(٦) ، وبالكلب تارة^(٧) ، وبالأنعام تارة^(٨) . وتقوى هذه المشابهة باطنًا ، حتى تظهر في

(١) «خنزير... خلق» ساقط من س.

(٢) ز : «أو غير ذلك».

(٣) س : «الخنازير».

(٤) انظر العزلة للخطابي (١٥٩) وتفسير القرطبي (٦ / ٢٧٠).

(٥) س : « أصحاب هذا الجهل».

(٦) قال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُكِمُوا النَّارَ إِنَّمَا هُمْ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلُ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا يُنْسِى مَثَلُ الْقَوْرُولَذِينَ كَذَّبُوا بِعِيَاتِنَ اللَّهُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الجمعة / ٥].

(٧) قال تعالى : ﴿ وَأَتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي مَا يَتَّيَّثُ مِنْهُ فَأَنْسَلَهُ مِنْهَا فَأَتَبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْفَارِيْنَ ﴿١٧﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَقْتَهُ بِهَا وَلَنِكَنَهُ وَأَخْلَدْنَا إِلَى الْأَرْضِ وَأَتَبَعْهُ هُوَ هُنَّ كَمَثَلُ الْكَلِبِ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَأْهَثْ أَوْ تَرْكَهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِعِيَاتِنَ فَأَفْصَصِ الْقَصَصَ لِعَلَّهُمْ يَتَنَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف / ١٧٥ - ١٧٦].

(٨) قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَانَ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَقْنَعُهُنَّ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يَبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ مَاذَا لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْفُسِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمْ =

الصورة الظاهرة ظهوراً خفيفاً^(١) يراه المترسون، وتظهر في الأعمال ظهوراً يراه كل أحد. ولا يزال يقوى حتى يستتبع^(٢) الصورة، فتنقلب له الصورة بإذن الله، وهو المنسخ التام، فيقلب الله سبحانه^(٣) الصورة الظاهرة على صورة ذلك الحيوان، كما فعل باليهود وأشباههم، ويفعل بقوم من هذه الأمة: يمسخهم قردة وخنازير^(٤).

فسبحان الله، كم من قلب منكوس وصاحبُه لا يشعر! وقلب ممسوخ، وقلب محسوف به! وكم من مفتون ببناء الناس عليه، ومغرورٌ بستر الله عليه، ومستدرج بنعَم الله عليه!

وكلّ هذه عقوبات وإهانة، ويظنّ الجاهل أنها^(٥) كرامة.

ومنها: مكر الله بالماكر، ومخادعته للمخادع، واستهزاؤه بالمستهزئ، وإزاغته لقلب الزائف عن الحقّ.

ومنها: نكسُ القلب حتى يرى الباطل حَقّاً والحقَّ باطلًا، والمعروف

= **الْفَقِيلُوك** ﴿١٧٩﴾ [الأعراف / ١٧٩]. وانظر سورة الفرقان [٤٣ - ٤٤].

(١) ما عدال: «خفيفاً».

(٢) ز: «تستبشع»، ولعله تصحيف.

(٣) «الصورة... سبحانه» ساقط من ف.

(٤) كما جاء في حديث أبي عامر - أو أبي مالك - الأشعري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ليكون من أمتي أقوام يستحلون الحر، والحرير، والخمر، والمعاذف. ولينزلن أقوام إلى جنب علم، يروح عليهم سارحة لهم يأتيهم لحاجة، فيقولون: ارجع إلينا غدا، فيبيتهم الله، وبضع العلم. ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيمة». أخرجه البخاري في الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه (٥٥٩٠).

(٥) «أنها» ساقط من س.

منكراً والمنكرَ معروفاً، ويُفسد ويرى أنه يُصلح، [٥٩/١] ويصدّ عن سبيل الله وهو يرى أنه يدعو إليها^(١)، ويشتري الضلاله بالهدى وهو يرى أنه على الهدى، ويتبّع^(٢) هواه وهو يزعم أنه مطیع لمولاه. وكلّ هذا من عقوبات الذنوب الجارية على القلوب.

ومنها: حجاب القلب عنِّي الرب في الدنيا، والحجاب الأكبر يوم القيمة، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَأَنَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [١٥-١٤] [المطففين]. فمنعهم الذنوب أن يقطعوا رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ [١٥] . فمنعهم الذنوب أن يقطعوا المسافة بينهم وبين قلوبهم، فيصلوا إليها، فيروا ما يُصلحها ويزكيها، وما يفسدها ويسقيها؟ وأن يقطعوا المسافة بين قلوبهم وبين ربهم، فتصل القلوب إليه، فتفوز بقربه وكرامته، وتقرّ به عيناً، وتطيب به نفساً، بل كانت الذنوب حجاباً بينهم وبين قلوبهم، وحجاباً بينهم وبين ربهم وحالقهم.

ومنها: المعيشة الضنك في الدنيا وفي البرزخ، والعذاب في الآخرة. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَغْرَضَ عَنِ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَخَشْرُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [١٢٤] [طه].

وفسّرت المعيشة الضنك بعد забاب القبر^(٣)، ولا ريب أنّه من المعيشة

(١) ف: «إليه».

(٢) ز: «فيتبع».

(٣) كما جاء من حديث أبي هريرة وأبي سعيد عن النبي ﷺ، وعن ابن مسعود وابن عباس موقعاً. فأما حديث أبي هريرة فآخرجه ابن حبان (٣١١٩) من طريق حماد بن سلمة مرفوعاً. وروي عنه موقعاً آخرجه الحاكم ٥٣٧/١ (١٤٠٥). ووافقه على الوقف عبدة ويزيد بن هارون. أخرجه الطبرى (٦١/٢٢٧ - ٢٢٨)،

الضنك، والآية تتناول ما هو أعمّ منه، وإن كانت نكرةً في سياق الإثبات، فإنّ عمومها من حيث المعنى^(١)، فإنه سبحانه رتب المعيشة الضنك على الإعراض عن ذكره.

فالمعرض عنه له من ضنك المعيشة^(٢) بحسب إعراضه، وإن تنعم في الدنيا بأصناف النعيم، ففي قلبه من الوحشة والذلة والحسرات التي تقطع القلوب والأمانى الباطلة والعذاب الحاضر ما فيه، وإنما يواريه عنه سكر الشهوات والعشق وحب الدنيا والرياسة، إن لم ينضم إلى ذلك سكر الخمر! فسكت هذه الأمور أعظم من سكر الخمر، فإنه يفتق صاحبه ويصحو، وسكر الھوى وحب الدنيا لا يصحو^(٣) صاحبه إلا إذا

= وفي تهذيب الآثار (مسند عمر - ٧٢٨) وابن أبي شيبة ٥٩/٣ (١٢٠٦١) وهناد (٣٥٤).

وأما حديث أبي سعيد الخدري فأخرجه مرفوعاً الحاكم ٤١٣/٢ (٣٤٣٩) والبيهقي في عذاب القبر (٥٨، ٥٩). وروي من طرق أخرى موقوفاً. أخرجه ابن أبي شيبة ١٤٤/٧ (٣٤٨٣٧) والطبرى (٢٢٨/١٦) والبيهقي في عذاب القبر (٥٩). والموقف أصح. ورواه أيضاً ابن أبي هلال عن أبي حازم عن أبي سعيد موقوفاً. أخرجه الطبرى (٢٢٧/١٦).

وأما أثر ابن مسعود موقوفاً فأخرجه هناد في الزهد (٣٥٢) والطبراني (٩١٤٣) والطبرى (٢٢٨/١٦) وسنده حسن. وأما أثر ابن عباس فأخرجه البيهقي في عذاب القبر (٦٨) وسنده حسن. وجاء أيضاً عن السدي وأبي صالح ومجاحد وزاذان. انظر الطبرى (٢٢٨/١٦) وعداب القبر للبيهقي (٦٤، ٦٣).

(١) وانظر الفوائد (١٦٨)، ومدارج السالكين (٤٢٢/١)، (٢٥٩/٣).

(٢) «الضنك على الإعراض... المعيشة» ساقط من ف.

(٣) ز: «لا يفتق».

صار^(١) في عسكر الأموات.

فالمعيشة الضنك لازمة لمن أعرض عن ذكر الله الذي أنزله على رسوله ﷺ في دنياه، وفي البرزخ، ويوم معاده.

ولا تقر العين، ولا يهدأ القلب، ولا تطمئن النفس إلا بإلهها ومعبودها الذي هو حق، وكل معبود سواه باطل. فمن قررت عينه بالله قررت به كل عين، ومن لم تقر عينه [٥٩/ب] بالله^(٢) تقطعت نفسه على الدنيا حسرات. والله تعالى إنما جعل الحياة الطيبة لمن آمن به وعمل صالحاً، كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَنُحْيِيهِ حَيَاةً طَيِّبَةً وَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِإِحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل / ٩٧]. فضمن لأهل الإيمان والعمل الصالح الجزاء في الدنيا بالحياة الطيبة وبالحسنى يوم القيمة، فلهم أطيب الحياتين، وهم أحياء في الدارين.

ونظير هذا قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحَسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارٌ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنَعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل / ٣٠].

ونظيرها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْتَغِكُمْ مَثَعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلِ مُسَمَّى وَيُؤْتَى كُلُّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود / ٣].

ففاز المتقون المحسنوون بنعيم الدنيا والآخرة، وحصلوا على الحياة الطيبة في الدارين، فإن طيب النفس وسرور القلب وفرحة ولذته وابتهاجه وطمأننته وانشراحه ونوره وسعته وعافيتها من الشهوات

(١) س: «إلا صار».

(٢) «قررت به... بالله» ساقط من س.

المحرّمة والشّبهات الباطلة = هو النّعيم على الحقيقة. ولا نسبة لنعيم البدن إليه، فقد كان يقول بعض من ذاق هذه اللذة: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف^(١).

وقال آخر: إِنَّه لِيَمِّرَ^(٢) بِالْقُلْبِ أَوْقَاتٍ أَقُولُ فِيهَا: إِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا إِنَّهُمْ لَفِي عِيشٍ طَيْبٍ^(٣).

وقال آخر: إِنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً، هِيَ فِي الدُّنْيَا كَالْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ، فَمَنْ دَخَلَهَا دَخَلَ تِلْكَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الْآخِرَةِ^(٤).

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه الجنة بقوله: «إِذَا مَرْتُمْ بِرِياضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا». قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: «حِلْقَ الذِّكْرِ»^(٥).

(١) من كلام إبراهيم بن أدهم، وقد سبق في ص (١٨٦).

(٢) لم يرد «إنه» في س. وفيها وفي ل: «لتَمَرَّ». وفي ز: «يَمِّرَ».

(٣) س: «لَفِي نَعِيمٍ وَعِيشٍ طَيْبٍ»، وهو من كلام أبي سليمان المغربي، وقد سلف في ص (١٨٦).

(٤) تقدم في ص (١٨٧) أن المؤلف نقل نحوه عن شيخ الإسلام في المدارج والوابل الصيب.

(٥) أخرجه الترمذى (٣٥١٠) وأحمد (١٢٥٤٥) / ٣ / ١٥٠ وأبو يعلى (١٥٥ / ٦ / ٣٤٣٢) وابن عدي في الكامل (١٣٦ / ٦) وابن حبان في المجرورين (٢٥٢ / ٢) وابن عساكر (٣٨٦ / ١٠) وغيرهم من طريق محمد بن ثابت البناني عن أبيه عن أنس. قال الترمذى: «حسن غريب من هذا الوجه من حديث ثابت عن أنس».

قلت: محمد بن ثابت ضعيف، وهذا الحديث من منكراته. ولهذا لم يعرف البخاري حدیثه هذا وقال: عنده عجائب. وجعل ابن عدي وابن حبان هذا الحديث من منكراته.

وروبي من طريق آخر عن أنس، وهو ضعيف جدًا.

وجاء من حديث ابن عمر وجابر وابن عباس، بالألفاظ متقاربة، وكلها =

وقال : «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»^(١).

ولا تظن أن^(٢) قوله تعالى : «إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾» [الأنفطار / ١٣ - ١٤] مختص يوم المعاد فقط ، بل هؤلاء في نعيم في دورهم الثلاثة ، وهؤلاء في جهنم في دورهم الثلاثة . وأي لذة ونعيم^(٣) في الدنيا أطيب من برّ القلب ، وسلامة الصدر ، ومعرفة ربّ تعالى ومحبته ، والعمل على موافقته؟ وهل العيش في الحقيقة إلا عيش [١/٦٠] القلب السليم؟

وقد أثنى الله تعالى على خليله بسلامة قلبه فقال : «فَإِنَّ مِن شَيْءِنِهِ لَا يَزَهِي مِنْ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقُلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾» [الصفات / ٨٣ - ٨٤]. وقال حاكياً عنه أنه قال^(٤) : «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنْوَنَ ﴿٨٥﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقُلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٦﴾» [الشعراء / ٨٨ - ٨٩].

والقلب السليم هو الذي سلم من الشرك ، والغُلّ ، والحدُود ، والحسد ، والشحّ ، والكبر ، وحبّ الدنيا والرياسة . فسلمَ من كل آفة تُبعده من الله^(٥) ، وسلمَ من كل شبهة تعارض خبره ، ومن كل شهوة تعارض أمره ، وسلمَ من كل إرادة تزاحم مراده ، وسلمَ من كل قاطع

= لاتصح . انظر السلسلة الضعيفة (٢٩١/٣) وال الصحيحه (رقم ٢٥٦٢).

(١) أخرجه البخاري في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، باب فضل ما بين القبر والمنبر عن عبدالله بن زيد المازني (١١٩٥) وأبي هريرة (١١٩٦) رضي الله عنهم . وسلم في الحج ، باب ما بين القبر والمنبر . . . (١٣٩١، ١٣٩٠).

(٢) «أنّ» من س وحدها .

(٣) ف : «أي نعيم ولذة» .

(٤) «أنه قال» ساقط من ز .

(٥) ف : «تبعد من الله» .

يقطع عن الله . فهذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا ، وفي جنة في البرزخ^(١) ، وفي الجنة يوم المعاد .

ولا تتم له سلامته^(٢) مطلقاً حتى يسلم من خمسة أشياء : من شرك يناقض التوحيد ، وببدعة تخالف السنة ، وشهوة تخالف الأمر ، وغفلة تناقض الذكر ، وهو ينافق التجريد والإخلاص . وهذه الخمسة حُجُب عن الله ، وتحت كل واحد^(٣) منها أنواع كثيرة تتضمن أفراداً لا تنحصر .

ولذلك اشتدّت حاجة العبد بل ضرورته إلى أن يسأل الله أن يهديه الصراط المستقيم . فليس العبد أحوج منه إلى هذه الدعوة ، وليس شيء انفع له^(٤) منها . فإن الصراط المستقيم يتضمن علوماً وإرادات وأعمالاً وتروكاً ظاهرة وباطنة تجري عليه كل وقت . فتفاصيل الصراط المستقيم قد يعلمها العبد ، وقد لا يعلمها ، وقد يكون مالا يعلمه أكثر مما يعلمه . وما يعلمه^(٥) قد يقدر عليه ، وقد لا يقدر عليه^(٦) ، وهو من الصراط المستقيم وإن عجز عنه . وما يقدر عليه قد تريده نفسه ، وقد لا تريده^(٧) كسلاً وتهاوناً أو لقيام مانع^(٨) وغير ذلك . وما تريده قد يفعله ، وقد لا

(١) ف، لـ: «جنة البرزخ».

(٢) فـ: «يتم له سلامه».

(٣) سـ: «واحدة».

(٤) فـ: «إليه».

(٥) «وما يعلمه» ساقط من لـ.

(٦) «وقد لا يقدر عليه» ساقط من سـ.

(٧) «نفسه وقد لا تريده» ساقط من سـ.

(٨) في سـ: «موانع» ، وفي حاشيتها: «خـ مانع».

يفعله . وما يفعله قد يقوم فيه بشروط الإخلاص ، وقد لا يقوم . وما يقوم فيه بشرط الإخلاص قد يقوم فيه بكمال المتابعة ، وقد لا يقوم . وما يقوم فيه^(١) بالمتابعة قد يثبت عليه ، وقد يُصرف قلبه عنه .

وهذا كله واقعٌ سارٍ في الخلق ، فمستقلٌ ومستكثِرٌ .

وليس في [٦٠/ب] طباع العبد الهدایة إلى ذلك ، بل متى وُكلَّ إلى طباعه حِيل بينه وبين ذلك كله^(٢) . وهذا هو الإركاس الذي أركسَ الله به المنافقين بذنبِهم ، فأعادهم إلى طباعهم ، وما خُلِقْتُ عليه نفوسُهم من الجهل والظلم^(٣) .

والربُّ تبارك وتعالى على صراطِ مستقيم في قضائه وقدره ، ونهيه وأمره^(٤) فيهدي من يشاء إلى صراطِ المستقيم^(٥) بفضلِه ورحمته وجعله الهدایة حيث تصلح ، ويصرف من يشاء عن صراطِ المستقيم^(٦) بعدلِه وحكمته لعدم صلاحية المحلّ ، وذلك موجب صراطِ المستقيم الذي هو عليه .

(١) «بكمال... فيه» ساقط من ز.

(٢) «كله» ساقط من ل.

(٣) قال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتَّيْنَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُواً أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوَنَّ أَضَلَّ اللَّهَ وَمَنْ يُضْلِلَ اللَّهَ فَلَنْ تَمَحَّدَ لَهُ سَيِّلًا﴾ [النساء/٨٨].

(٤) قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُ عَلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود/٥٦]. وقد فصل المؤلف في تفسير الآية في إعلام الموقعين (١٦٢/١) وانظر نحوه في الفوائد (٢٣)، وشفاء العليل (٢٧٥، ٢٠١، ٨٧)، والمدارج (١٨/١)، (٤٥٦/٣)، وما سيأتي في ص (٤٨٠). ثم قارن بما ذهب إليه في بدائع الفوائد (٢٠٨).

(٥) لـ: «صراطِ مستقيم».

(٦) «المستقيم» لم يرد في لـ. وبفضلِه ورحمته... المستقيم» ساقط من ز.

فهو على صراطٍ مستقيمٍ^(١)، ونصب^(٢) لعباده من أمره صراطاً مستقيماً دعاهم جميعاً إليه حجّةً منه وعدلاً، وهدى من شاء منهم إلى سلوكه نعمةً منه وفضلاً، ولم يخرج بهذا العدل وهذا الفضل^(٣) عن صراطه المستقيم^(٤) الذي هو عليه.

فإذا كان يوم لقائه^(٥) نصب لخلقه صراطاً مستقيماً يوصلهم إلى جنته، ثم صرف عنه من صرف عنه في الدنيا، وأقام عليه من أقامه عليه^(٦) في الدنيا، وجعل نور المؤمنين به وبرسوله وما جاء به الذي كان في قلوبهم في الدنيا نوراً ظاهراً يسعى بين أيديهم وبأيمانهم في ظلمة الجسر^(٧)، وحفظ عليهم نورهم حتى قطعواه^(٨)، كما حفظ عليهم الإيمان به حتى لقوه. وأطفأ نور المنافقين أحوج ما كانوا إليه، كما أطفأه من قلوبهم في الدنيا. وأقام أعمال العصاة بجنبتي الصراط كلاليب وحسكًا تخطفهم، كما خطفتهم في الدنيا عن الاستقامة عليه؛ وجعل قوة سيرهم وسرعتهم عليه على قدر قوة سيرهم وسرعتهم إليه في الدنيا^(٩).

(١) ف: «صراطه المستقيم». ل: «صراطه مستقيم».

(٢) «ونصب» ساقط من ز.

(٣) ز: «القصد»، تحريف.

(٤) ف: «الصراط المستقيم».

(٥) ل: «يوم القيمة».

(٦) ف: «أقام عليه».

(٧) ز، ل: «الحشر».

(٨) س: «قطعوا».

(٩) انظر الحديث الذي تقدم في ص (٧١).

ونصب للمؤمنين حوضاً يشربون منه بإزاء شربهم من شرعة في الدنيا، وحراماً من الشرب منه^(١) هناك من حرم من الشرب من شرعة دينه هاهنا^(٢).

فانظر إلى الآخرة كأنها رأي عين، وتأمل حكمة الله سبحانه في الدارين، تعلم حينئذ علمًا يقيناً لاشك فيه أنّ الدنيا مزرعة الآخرة وعنوانها وأنموذجها، وأنّ منازل الناس فيها في السعادة [١/٦١] والشقاوة على حسب منازلهم في هذه الدار في الإيمان والعمل الصالح وضدّهما. وبالله التوفيق.

فمن أعظم عقوبات الذنوب: الخروج عن الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة.

فصل

ولما كانت الذنوب متفاوتة في درجاتها ومفاسدها تفاوتت عقوباتها في الدنيا والآخرة بحسب تفاوتها.

ونحن نذكر فيها بعون الله وتوفيقه^(٣) فصلاً وجيزاً جامعاً، فنقول:

(١) «منه» ساقط من س.

(٢) رویت أحاديث الحوض عن جماعة من الصحابة. قال المؤلف في شرح السنن (٥٦/١٣): «وقد روی أحاديث الحوض أربعون من الصحابة، وكثير منها وأكثرها في الصحيح». ومنها أحاديث متفق عليها، ومنها ما انفرد به البخاري أو مسلم.

(٣) ز: «... وقوته وتوفيقه».

أصلها نوعان: ترك مأمور، و فعل محظور. و هما الذنبان اللذان ابتلى الله سبحانه بهما أبيوي الجنّ والأنس.

وكلاهما ينقسم باعتبار محله إلى ظاهرٍ على الجوارح، وباطنٍ في القلب.

وباعتبار متعلقه إلى حق الله، وحق لخلقه^(١). وإن كان كلُّ حق لخلقه فهو متضمن لحقه^(٢)، لكن سمي حقاً للخلق لأنَّه يجب بمقابلتهم ويسقط بإسقاطهم.

ثم هذه الذنوب تنقسم إلى أربعة أقسام: ملَكية، وشيطانية، وسبعينية، وبهيمية؛ ولا تخرج^(٣) عن ذلك.

فالذنوب الملَكية: أن يتعاطى ما لا يصلح له من صفات الربوبية كالعظمة، والكبراء، والجبروت، والقهر، والعلو، واستعباد الخلق، ونحو ذلك.

ويدخل في هذا^(٤): الشرك بالرب تعالى، وهو نوعان: شرك به في أسمائه وصفاته، وجعل آلهة أخرى^(٥) معه. وشرك به في معاملته، وهذا الثاني قد لا يوجب دخول النار، وإن أحبط العمل الذي أشرك فيه مع الله غيره.

(١) ف: «حق الله تعالى وحق خلقه».

(٢) ز: «كل حق فهو متضمن» فأسقط «الخلق» و«الحق».

(٣) ل: «لاتخرج» دون واو العطف.

(٤) ز: «في ذلك».

(٥) ف: «آخر».

وهذا القسم أعظم أنواع الذنوب . ويدخل فيه القول على الله بلا علم في خلقه وأمره . فمن كان من أهل هذه الذنوب فقد نازع الله سبحانه ربوبيته وملكته ، وجعل له ندًا . وهذا^(١) أعظم الذنوب عند الله ، ولا ينفع معه عمل .

فصل

وأما الشيطانية ، فالتشبه بالشيطان في الحسد ، والبغى ، والغش والغل ، والخداع ، والمكر ، والأمر بمعاصي الله^(٢) وتحسينها ، والنهي عن طاعته ، وتهجينها ، والابتداع في دينه ، والدعوة إلى البدع والضلال . وهذا النوع يلي النوع الأول في المفسدة ، وإن كانت مفسدته دونه [٦١/ب] .

فصل

وأما السبعية ، فذنوب العداون ، والغضب ، وسفك الدماء ، والتوبة على الضعفاء والعاجزين . ويتولد منها أنواع أذى النوع الإنساني ، والجرأة على الظلم والعدوان .

وأما الذنوب البهيمية ، فمثل الشره والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج . ومنها يتولد الزنى ، والسرقة ، وأكل أموال اليتامي^(٣) ، والبخل والشح ، والجبن ، والهلع ، والجزع ، وغير ذلك .

وهذا القسم أكثر ذنوب الخلق لعجزهم عن الذنوب السبعية

(١) ف: «وهو» .

(٢) ز: «بالمعاصي» .

(٣) س: «وأكل أموال الناس وأموال اليتامي» .

والملكية. ومنه يدخلون إلى سائر الأقسام، فهو يجرّهم إليها بالزمام، فيدخلون منه إلى الذنوب السبعية، ثم إلى الشيطانية، ثم إلى منازعة الربوبية والشرك في الوحدانية.

ومن تأمل هذا حق التأمل تبيّن له أن الذنوب دهليز^(١) الشرك، والكفر، ومنازعة الله ربوبيته^(٢).

فصل

وقد دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين بعدهم والأئمة على أنّ من الذنوب كبائر وصغرائير. قال تعالى: ﴿إِن تَحْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّعَاتِكُمْ﴾ [النساء / ٣١]. وقال تعالى: ﴿أَلَّذِينَ يَحْتَنِبُونَ كَثِيرًا إِلَيْهِ وَالْفَوَاحِشُ إِلَّا لَلَّهُ﴾ [النجم / ٣٢]^(٣).

وفي الصحيح عنه عليه السلام أنه قال^(٤): «الصلوات الخمس وال الجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن، إذا اجتنبت الكبائر»^(٥).

وهذه الأعمال المكفرة لها ثلات درجات:

إحداها^(٦): أن تقرّ عن تكبير الصغار، لضعفها وضعف

(١) الدهليز بكسر الدال: ما بين الباب والدار، فارسي معرب. الصحاح (٣/٨٧٨).

(٢) ز: «في ربوبيته».

(٣) في ز تقدمت هذه الآية على الآية السابقة.

(٤) «أنه قال» لم يرد في س.

(٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه مسلم في الطهارة، باب الصلوات الخمس... (٢٣٣).

(٦) س: «أحداها».

الإخلاص فيها والقيام بحقوقها؛ بمنزلة الدواء الضعيف^(١) الذي ينقص عن مقاومة الداء كميةً وكيفيةً.

الثانية: أن تقاوم الصغائر، ولا ترتفق إلى تكثير شيء من الكبائر.
الثالثة: أن تقوى على تكثير الصغائر، وتبقى فيها قوةً تكفر بها بعض الكبائر.

فتأمل هذا، فإنه يزيل عنك إشكالات كثيرة.

وفي الصحيحين^(٢) عنه عليهما السلام أنه قال^(٣): «ألا أنتكم بأكبر الكبائر؟»
قلنا: بل يا رسول الله. قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور».

[١/٦٢] وفي الصحيحين^(٤) عنه عليهما السلام: «اجتنبوا السبع الموبقات». قيل: وما هنّ يا رسول الله؟ قال: «الشرك بالله^(٥)، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقدف المحننات الغافلات المؤمنات».

(١) «الضعف» ساقط من ز.

(٢) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور (٢٦٥٣)؛ ومسلم في الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها (٨٧).

(٣) «أنه قال» انفرد به س.

(٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في الوصايا، باب قول الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظَلَمُوا﴾ الآية، (٢٧٦٦)، ومسلم في الإيمان، باب بيان الكبائر (٨٩).

(٥) لـ: «الإشراك بالله». فـ: «الإشراك».

وفي الصحيحين^(١) عنه ﷺ أتى الذنب أكبر عند الله؟ قال: «أن تدعوا الله ندًا، وهو حَلْقُك». قيل: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعُمَ معك». قيل^(٢): ثم أي؟ قال: «أن تُزَانِي بحليلة جارك». فأنزل الله تعالى تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ بِمَعَ اللَّهِ إِلَّا هَمَّا خَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ إِلَّا حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَرْتَفُنَ﴾ الآية [الفرقان/٦٨].

واختلف الناس في الكبائر، هل^(٣) لها عدد يحصرها؟ على قولين.
ثم الذين^(٤) قالوا بحصرها اختلفوا في عددها:

فقال عبد الله بن مسعود: هي أربع^(٥).

وقال عبد الله بن عمر: هي سبع^(٦).

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: هي تسعة^(٧).

(١) تقدم تخريرجه في ص ٢٦٢.

(٢) س، ز: «قال».

(٣) ز: «فقيل»، تحرير.

(٤) ز: «إن الذين».

(٥) أخرجه الطبرى (٤٠/٥) وسنده صحيح. وله طرق فيها اختلاف. وورد عنه أنه قال: «الكبائر ثلاثة»: اليأس من روح الله، والقنوط...، والأمن....». أخرجه الطبرى (٤١/٥) وفي سنده انقطاع. وقد ثبت عن ابن مسعود أنه قال: «الكبائر من أول سورة النساء إلى ثلاثين منها». أخرجه الطبرى (٣٧/٥).

(٦) الذي وجدته عن ابن عمر أنها تسع، كما رواه عنه طيسلة بن مياس. انظر التاريخ الكبير للبخاري (٣٦٧/٤) والطبرى (٣٩/٥). (ز). أما القول بأنها سبع فقد ورد عن علي بن أبي طالب وعبيد بن عمير الليثي وعطاء. انظر تفسير الطبرى (٨/٢٣٥ - ٢٣٨). (ص).

(٧) كذا بتأنيث العدد في جميع النسخ. وقد تقدم أن هذا القول ثابت عن ابن عمر.

وقال غيره: هي أحد عشر^(١).

وقال آخر: هي سبعون^(٢).

وقال أبو طالب المكي: جمعتها من أقوال الصحابة، فوجدتها: أربعة في القلب، وهي: الشرك، والإصرار على المعصية، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله. وأربعة في اللسان، وهي: شهادة الزور، وقذف المحسنات، واليمين الغموس، والسحر. وثلاث^(٣) في البطن: شرب الخمر، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا. واثنان في الفرج، وهما: الزنا، واللواط. واثنان في اليدين، وهما: القتل، والسرقة. وواحد في الرجلين، وهو الفرار من الزحف. وواحد يتعلق بجميع الجسد وهو عقوق الوالدين^(٤).

والذين لم يحصروها بعدد، منهم من قال: كل ما نهى الله^(٥) عنه في القرآن فهو كبيرة، وما نهى عنه الرسول ﷺ فهو صغيرة^(٦).

وقالت طائفة: ما اقترب بالنهي عنه وعيده من لعن أو غضب أو عقوبة

(١) كذا في النسخ ما عدا ف. كان فيها «أحد عشرة» فأصلحها بعضهم: «إحدى عشرة». وقد روي هذا القول عن ابن مسعود (زاد المسير ٦٦/٢) وعن علي (تفسير ابن كثير ١/٤٦٠).

(٢) روى طاووس وغيره عن ابن عباس أنها إلى السبعين أقرب. وروى عنه سعيد بن جبير أنها إلى السبعين أقرب. انظر تفسير الطبرى (٨/٢٤٥).

(٣) كذا في جميع النسخ بتذكير العدد خلافاً لما سبق.

(٤) انظر قوت القلوب (٢/٢٨٨)، وفتح الباري (١٢/١٨٣).

(٥) لم يرد لفظ الجلالة في ف. وسقط «كل ما» من ل.

(٦) ل: « فهو كبير... فهو صغير». وانظر تفسير الطبرى (٨/٢٤٤).

فهو كبيرة، ومالم يقترن به شيء من ذلك فهو صغيرة^(١).

وقيل: كل ما رتب عليه حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة فهو كبيرة. وما لم يرتب عليه لا هذا ولا هذا فهو صغيرة^(٢).

وقيل: كل ما اتفقت الشرائع على تحريمه فهو من [٦٢/ب] الكبائر، وما كان تحريمه في شريعة دون شريعة فهو صغيرة.

وقيل: كل ما لعن الله أو رسوله فاعله فهو كبيرة.

وقيل: هي ما ذكر^(٣) من أول سورة النساء إلى قوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء / ٣١]^(٤).

والذين لم يقسموها إلى كبائر وصغرى^(٥) قالوا: الذنوب كلها

(١) روي نحو هذا عن ابن عباس والحسن البصري. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٤٤٤/٢).

(٢) قال ابن حجر: «وممن نص على هذا: الإمام أحمد فيما نقله القاضي أبو يعلى، ومن الشافعية الماوردي، ولنفذه: الكبيرة ما وجبت فيه الحدود، أو توجه إليها الوعيد». الفتح (٤١٠/١٠). وأصله ماورد عن ابن عباس وغيره في تفسير اللهم في قوله تعالى ﴿أَلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَيْرَ الْآثَمِ وَالْفَوْحَشَ إِلَّا لَمَّمَ﴾ [النجم / ٣٢]. انظر تفسير الطبرى (٦٨/٢٢).

(٣) ف، ل: «وقيل: ما ذكر». وهو قول ابن مسعود فيما روى عنه مسروق وعلقمة وإبراهيم. تفسير الطبرى (٨/٢٣٣)، ونقل عن ابن عباس أيضا في زاد المسير (٦٦/٢).

(٤) وانظر حدودا أخرى في مدارج السالكين للمؤلف (١/٣٢١ - ٣٢٧).

(٥) منهم أبو إسحاق الأسفرايني، وأبو بكر ابن الطيب الباقلانى، وحكاه القاضي عياض عن المحققين، واختاره إمام الحرمين وبين أنه لا يخالف ما قاله الجمهور. انظر الفتح (٤٠٩/١٠)، ومدارج السالكين.

بالنسبة إلى الجراءة على الله سبحانه وعصيته ومخالفة أمره كبائر، فالنظر إلى من عصيَ أمره وانتهكَت محرارمه يوجب أن تكون الذنوب كلها كبائر، وهي مستوية في هذه المفسدة.

قالوا: ويوضح هذا أنَّ الله سبحانه لا تضره الذنوب ولا يتأثر بها، فلا يكون بعضها بالنسبة إليه أكبر من بعض؛ فلم يبق إلا مجرد معصيته ومخالفته، ولا فرق في ذلك بين ذنب وذنب.

قالوا: ويدلُّ عليه أن مفسدة الذنوب إنما هي تابعة للجراءة والتوبَّ على حقِّ الربِّ تعالى. وللهذا لو شربَ رجلٌ خمراً أو وطئَ فرجاً حراماً وهو لا يعتقد تحريمه لكان قد جمع بين الجهل وبين مفسدة ارتكاب الحرام. ولو فعل ذلك من يعتقد تحريمه لكان آتياً بإحدى المفسدتين، وهو الذي يستحق العقوبة دون الأول. فدلَّ على أن مفسدة الذنب تابعة للجراءة والتوبَّ.

قالوا: ويدلُّ على هذا أن المعصية تتضمن الاستهانة بأمر المطاع ونهيه، وانتهاكَ حرمته. وهذا لا فرق فيه بين ذنب وذنب.

قالوا: فلا ينظر العبد إلى كبر الذنب وصغره في نفسه، ولكن ينظر إلى قدرَ مَن عصاه وعظمته، وانتهاكَ حرمته بالمعصية. وهذا لا يفترق فيه الحال بين معصية ومعصية، فإنَّ ملِكًا مُطاعًا عظيمًا^(١) لو أمر أحد مملوكيه أن يذهب في مهمَّ له إلى بلد بعيد، وأمر آخرَ أن يذهب في شغلٍ له إلى جانب الدار، فعصيَاه وخالفَا أمره، لكانا في مقته والسقوط من عينه سواءً.

(١) ف: «عظيماً مطاعاً».

قالوا: ولهذا كانت معصية من ترك الحجّ من مكة أو ترك^(١) الجمعة وهو جار المسجد أقبح عند الله من معصية من تركه من المكان بعيد. والواجب على هذا أكثر من الواجب على هذا. ولو كان مع رجل مائتا درهم فمنع^(٢) زكاتها، ومع آخر مائتا ألف فمنع زكاتها [٦٣/١] لاستويا^(٣) في منع ما وجب على كلّ واحد منهما. ولا يبعد استواهُما في العقوبة إذ كان كلّ منهما مصرًا على منع زكاة ماله، قليلاً كان المال أو كثيراً.

فصل

وكشف الغطاء عن هذه المسألة أن يقال:

إن الله عزّ وجلّ أرسل رسle، وأنزل كتبه، وخلق السموات والأرض، ليُعرفَ، ويُوحَّد، ويكون الدين كله له^(٤)، والطاعة كلّها له، والدعوة له، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَ إِلَّا يَعْبُدُونَ﴾ [الذاريات/٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الحجر/٨٥].

وقال تعالى: ﴿الَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبَعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزَلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق/١٢].

(١) ما عدا ف: «وترك».

(٢) ف: «ومنع».

(٣) ز: «لا يستويا»، تحريف.

(٤) ف، ز: «للله».

وقال تعالى : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَبْرَى الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِبَلَةً لِلنَّاسِ وَالشَّهْرُ الْحَرَامُ وَالْهَدَى وَالْقَلْتَبِ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ يُكْلِلُ شَئْءاً عَلَيْهِمْ ﴾ [المائدة/ ٩٧].

فأخبر سبحانه أن القصد بالخلق والأمر أن يعرف بأسمائه وصفاته، ويعبد وحده لا يشرك به، وأن يقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض، كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْبِنَتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَبَ وَأَمْرَزَاتَ لِيَقُولَّ النَّاسُ إِلَيْقُطَ ﴾ [الحديد/ ٢٥]، فأخبر أنه أرسل رسلاه، وأنزل كتبه، ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل^(١). ومن أعظم القسط : التوحيد، بل هو رأس العدل وقوامه، وإن الشرك لظلم عظيم. فالشرك^(٢) أظلم الظلم، والتوحيد أعدل العدل. فما كان أشد منافاة لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر، وتفاوتها في درجاتها بحسب منافاتها له . وما كان أشد موافقة لهذا المقصود^(٣) فهو أوجب الواجبات، وأفرض الطاعات.

فتتأمل هذا الأصل حتى التأمل، واعتبر به تفاصيله تعرف به حكمة أحكم الحاكمين وأعلم العالمين فيما فرضه على عباده، وحرمه عليهم؛ وتفاوت مراتب الطاعات والمعاصي.

ولما^(٤) كان الشرك بالله منافيًا بالذات [٦٣/ ب] لهذا المقصود كان أكبر الكبائر على الإطلاق، وحرم الله الجنة على كل مشرك، وأباح دمه

(١) «الذي قامت به... العدل» ساقط من ز.

(٢) «ظلم عظيم فالشرك» ساقط من ل.

(٣) «فهو أكبر الكبائر... المقصود» ساقط من ف.

(٤) «ولما» ساقط من س. وفي ز: «فلما». وفي ل: «فكarma»، وهو خطأ.

وماله وأهله^(١) لأهل التوحيد وأن يتخدوهم عبيداً لهم، لما تركوا^(٢) القيام بعبوديته. وأبى الله سبحانه أن يقبل من مشرك^(٣) عملاً، أو يقبل فيه شفاعةً، أو يستجيب له في الآخرة دعوةً، أو يُقبل له فيها عشرةً؛ فإن المشرك أجهل العجاهلين بالله، حيث جعل له من خلقه نِدًا، وذلك غاية الجهل به، كما أنه غاية الظلم منه؛ وإن كان المشرك لم يظلم ربَّه، وإنما ظلم نفسه^(٤).

ووَقَعَتْ مَسَأَلَةً، وَهِيَ أَنَّ الْمُشْرِكَ إِنَّمَا قَصْدُهُ تَعْظِيمُ جَنَابِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَأَنَّهُ لِعَظَمَتِهِ لَا يَنْبَغِي الدُّخُولُ عَلَيْهِ إِلَّا بِالْوَسَائِطِ وَالشَّفَاعَاءِ كَحَالِ الْمُلُوكِ، فَالْمُشْرِكُ لَمْ يَقْصُدِ الْاسْتَهَانَةَ بِجَنَابِ الرَّبُوبِيَّةِ، وَإِنَّمَا قَصَدَ تَعْظِيمَهُ، وَقَالَ: إِنَّمَا أَعْبَدَ هَذِهِ الْوَسَائِطَ لِتُقْرَبَنِي إِلَيْهِ، وَتُدْخِلَنِي عَلَيْهِ؛ فَهُوَ الْمَقْصُودُ، وَهَذِهِ وَسَائِلُ وَشَفَاعَاءِ. فَلِمَ كَانَ هَذَا الْقَدْرُ مُوجِبًا لِسُخْطَهِ وَغَضْبِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمُخْلِّدًا فِي النَّارِ، وَمُوجِبًا لِسُفْكِ دَمَاءِ أَصْحَابِهِ وَاستِبَاحةِ حَرِيمِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ؟

وَتَرَّبَ^(٦) عَلَى هَذَا سُؤَالٍ آخَرَ، وَهُوَ أَنَّهُ هَلْ يَجُوزُ أَنْ يُشَرِّعَ اللَّهُ

(١) لم يرد «أهل» في ل، ز. وسقط «ماله» من ف.

(٢) ف: «ما تركوا».

(٣) ف: «المشرك».

(٤) وقع في ف: «وإن المشرك لم يظلمه ربَّه ولكن هو الذي ظلم نفسه»، وهو خلاف المقصود هنا.

(٥) ز: «وهو». ومن هنا إلى آخر الفصل التالي نقله المقرizi بتصرف في رسالته «تجريد التوحيد المفيد» (٥٩ - ٦٢).

(٦) ز: «ويترتب».

سبحانه لعباده التقرب إليه بالشفعاء والوسائل^(١)، فيكون تحريم هذا إنما استفيد من الشرع، أم ذلك قبيح في الفطر والعقول، ممتنع^(٢) أن تأتي به شريعة، بل جاءت الشرائع بتقرير ما في الفطر والعقول من قبحه الذي هو أقبح من كلّ قبيح؟ وما السرّ في كونه لا يغفر من بين سائر الذنوب، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء/٤٨].

فتتأمل هذا السؤال، واجمع قلبك وذهنك على جوابه، ولا تستهونه، فإنه^(٣) به يحصل الفرق بين الموحدين والمشركين^(٤)، والعالمين بالله والجاهلين به، وأهل الجنة وأهل النار. فنقول، وبالله التوفيق والتأيد، ومنه نستمدّ المعونة والت Siddid، فإنه من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلّ فلا هادي له، [١/٦٤] ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع :

الشرك شركان :

شرك يتعلّق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله.

وشرك في عبادته ومعاملته^(٥)، وإنْ كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله^(٦).

(١) ف: «إليه بالوسائل».

(٢) ف، ز: «يمتنع». ل: «تمتنع».

(٣) ف، ل: «فإن».

(٤) ماعدا س: «المشركين والموحدين».

(٥) ف: «معاملته وعبادته».

(٦) «وشرك في عبادته... أفعاله» ساقط من لـ.

والشرك الأول نوعان:

أحدهما: شرك التعطيل. وهو أقبح أنواع الشرك، كشرك فرعون إذ قال: وما رب العالمين؟^(١)، وقال لهaman: ابن لي صرحاً، لعلّي أطلع إلى إله موسى، وإنّي لأظنه من الكاذبين^(٢). والشرك والتعطيل متلازمان. فكلُّ مشرك معطل، وكلَّ معطل مشرك؛ لكنَّ الشرك لا يستلزم أصل التعطيل، بل قد يكون المشرك مقرّاً بالخالق سبحانه وصفاته، ولكنه عطل حقَّ التوحيد^(٣).

وأصل الشرك وقادته التي يرجع^(٤) إليها هو التعطيل، وهو ثلاثة أقسام: تعطيل^(٥) المصنوع عن صانعه وخالقه.

وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس، بتعطيل أسمائه وأوصافه وأفعاله^(٦).

وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد.

ومن هذا: شرك^(٧) طائفة أهل وحدة الوجود الذين يقولون: ما ثمَّ خالق ومخلوق، ولا ه هنا شيئاً، بل الحق المنشئ هو عين الخلق

(١) كما في سورة الشعرا (٢٣).

(٢) كما في سورة القصص (٣٨) وغافر (٣٦ - ٣٧). وفي س: «إنّي لأظنه كاذباً».

(٣) ز: «خلق التوحيد»، تحرير.

(٤) ف: «رجع».

(٥) كلمة «تعطيل» ساقطة من ف.

(٦) «وتعطيل الصانع... أفعاله» ساقط من ف.

(٧) ز: «أشرك»، خطأ.

المشيئة^(١).

ومنه^(٢): شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وأبديته، وأنه لم يكن معذوماً أصلاً بل لم يزل ولا يزال. والحوادث بأسرها مستندة عندهم إلى أسباب ووسائل اقتضت إيجادها يسمونها العقول والآفوس.

ومن هذا: شرك من عطل أسماء الرب تعالى وأوصافه وأفعاله من غلة الجهمية والقرامطة، فلم يُثبتوا له اسمًا ولا صفةً، بل جعلوا المخلوق أكملَ منه إذ كمالُ الذات بأسمائها وصفاتها.

فصل

النوع الثاني: شرك من جعل معه إلهاً آخر، ولم يُعطِ أسماءه وصفاته وربوبيته، كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة، فجعلوا المسيح إلهاً وأمه إلهاً.

ومن هذا شرك المجلوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر [٦٤/ب] إلى الظلمة.

ومن هذا: شرك القدرية القائلين بأن الحيوان هو الذي يخلق أفعال نفسه، وأنها^(٣) تحدث بدون مشيئة الله وقدرته وإرادته، ولهذا كانوا أشباه المجلوس.

(١) «الخلق» ساقط من س. وفي ز: «الحق أكبره هو عين المشيئة»، تحريف. وزاد في ل بعد «المتنزه» واو العطف، وهو خطأ. قوله: «الحق المتنزه...» من كلام ابن عربي في فصوص الحكم (٧٨).

(٢) ف: «ومن»، خطأ.

(٣) ز: «إنما».

ومن هذا: شركُ الذي حاجَ إبراهيمَ في ربِّه ﴿إذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحِبُّ، وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحِبُّ، وَأُمِيتُ﴾ [البقرة/ ٢٥٨] فهذا جعل نفسه ندًا لله، يحيي ويميت بزعمه كما يحيي الله ويميت^(١). فألزمَه إبراهيمَ أنَّ طردَ قولكَ أن تقدِّرَ على الإتيان بالشمس من غير الجهة التي يأتي الله بها منها. وليس هذا انتقالاً كما زعم بعض أهل الجدل، بل إلزام^(٢) على طرد الدليل إن كان حَقّاً.

ومن هذا: شركُ كثيِّرٍ ممن يشرك بالكواكب العلويات، ويجعلها أرباباً مدبِّرةً لأمر هذا العالم، كما هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم.

ومن هذا: شرك عباد الشمس وعبدان النار وغيرهم.

ومن هؤلاء من يزعم أنَّ معبوده هو الإله على الحقيقة. ومنهم من يزعم أنه أكبر الآلهة. ومنهم من يزعم أنه إله من جملة الآلهة، وأنَّه إذا خصَّه بعبادته والتبتُّل إليه والانقطاع إليه أقبل عليه واعتنى به. ومنهم من يزعم أنَّ معبوده الأدنى يقربه إلى المعبود الذي هو فوقه، والفوقياني يقربه إلى من هو فوقه، حتى تقربه تلك الآلة إلى الله سبحانه؛ فتارةً تكثر الوسائل، وتارةً تقلّ^(٣).

فصل

وأما الشرك في العبادة، فهو أسهل من هذا الشرك، وأخفُّ أمراً، فإنَّه يصدر من يعتقد أنَّه لا إله إلا الله، وأنَّه لا يضرُّ وينفع ويعطي ويمنع

(١) ف: «يحيي ويميت». وسقط «فهذا جعل نفسه... ويميت» من س.

(٢) س، ل: «إلزاماً».

(٣) س: «يكثُر... يقلّ».

إلا الله، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه؛ ولكن لا يخلص الله في معاملته وعبوديته، بل يعمل لحظة نفسه تارةً، ولطلب الدنيا تارةً، ولطلب الرفعة والمنزلة والجاه عند الخلق تارةً. فللله من عمله وسعيه نصيب، ولنفسه وحظه وهوه نصيب، وللشيطان نصيب، وللخلق نصيب. وهذا حال أكثر الناس.

وهو الشرك الذي قال فيه النبي ﷺ فيما رواه ابن حبان في صحيحه^(١): «الشرك في هذه الأمة [أ] أخفى من دبيب النمل». قالوا: وكيف ننجو منه يا رسول الله؟ قال: «قل: اللهم إني أعوذ بك أن

(١) ليس في المطبوع، ولعل المؤلف وهم فيه. وقد ورد نحو هذا المتن عن أبي موسى وأبي بكر وعائشة وابن عباس، وكلها لا ثبت. وأصحها حديث أبي موسى الأشعري. فقد أخرجه أحمد في المسند ٤٠٣ / ٤ (١٩٦٦) والبخاري في الكتب (٥٠٩) وغيرهما من طريق أبي علي الكاهلي قال: خطبنا أبو موسى الأشعري فقال: «يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل... - وفيه: قال أبو موسى - خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال. فذكر نحوه.

قال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط. ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي، وونقه ابن حبان» المجمع (٢٢٣ / ١٠). وانظر الترغيب والترهيب (٤٠ / ١).

وقد ورد موقعاً عن ابن مسعود وابن عباس أخرجه ابن حبان في الثقات (٣٤٢ / ٥) من طريق كردوس الشعبي عن ابن مسعود قال: «الشرك في أمة محمد ﷺ وفي المصلين أخفى من دبيب النمل». وسنده لا يأس به.

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٣٠) من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله ﴿فَلَا يَنْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ قال: «هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلانة وحياتي، ويقول: لو لا كلبه هذا لأنانا للصوص...». وسنده حسن.

أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم».

فالرياء كله شرك. قال تعالى: «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَحْدَهُ فَنَّ كَانَ يَتَّخِذُونَ لِقَاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلَ عَهْلًا صَلِحًا وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةَ رَبِّهِ أَحَدًا» [الكهف/ ١١٠]. أي كما أنه إله واحد لا إله سواه، فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده. فكما^(١) تفرد بالإلهية يجب أن يفرد^(٢) بالعبودية. فالعمل الصالح هو الخالي من الرياء، المقيد بالسنة.

وكان من دعاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اللهم اجعل عملي كله صالحًا، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً^(٣).

وهذا الشرك في العبادة يُبطل ثواب العمل، وقد يعاقب عليه إذا كان العمل واجباً، فإنّه يُنزله منزلة من لم يعمله، فيعاقب على ترك الأمر. فإنّ الله سبحانه إنما أمر بعبادته خالصة^(٤). قال تعالى: «وَمَا أَمْرَوْا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ حُنَفَاءُ» [البينة/ ٥]. فمن لم يخلص لله في عبادته لم يفعل ما أمر به، بل الذي أتى به شيء غير المأمور به^(٥)، فلا يصح، ولا يقبل منه.

ويقول الله تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً

(١) س: «وكما».

(٢) س: «يتفرد».

(٣) أخرجه أحمد في الزهد (٦١٥) من طريق الحسن أن عمر كان يقول، فذكره. والحسن لم يسمع عن عمر. وأخرجه أبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان (١٠١٨) من طريق آخر.

(٤) س: «صالحاً».

(٥) ز: «شيئاً غير الذي أمر به».

أشرك معي^(١) فيه غيري ، فهو للذى أشرك به ، وأنا منه بريء^(٢) .
وهذا الشرك ينقسم إلى مغفور وغير مغفور ، وأكبر وأصغر .

والنوع الأول ينقسم إلى كبير وأكبر ، وليس شيء منه مغفوراً^(٣) .
فمنه الشرك بالله في المحبة والتعظيم أن يحب مخلوقاً كما يحب الله ،
فهذا من الشرك الذي لا يغفره الله . وهو الشرك الذي قال سبحانه فيه^(٤) :
﴿وَمِنْ أَنَّاسٍ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُجْبِهُمْ كَحْتٌ اللَّهُ وَالَّذِينَ عَامَنُوا أَشَدُّ حُبًا لِلَّهِ﴾ [البقرة / ١٦٥] .

وقال أصحاب هذا الشرك لآلهتهم وقد جمعتهم^(٥) الجحيم : **﴿تَالَّهُ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٌ إِذْ شُوِّيْكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [الشعراء / ٩٧ - ٩٨] .

ومعلوم أنهم ما سوّوهم به سبحانه في الخلق والرزق والإماتة
والإحياء والملك والقدرة ، وإنما سوّوهم به^(٦) في الحب والتآلّه
والخضوع لهم والتذلل . وهذا غاية الظلم والجهل . فكيف
يسوّى [٦٥/ب] التراب برب الأرباب؟ وكيف يسوّى العبيد^(٧) بمالك
الرّقاب؟ وكيف يسوّى الفقير بالذات ، الضعيف بالذات ، العاجز

(١) «معي» ساقط من ز.

(٢) آخرجه مسلم في الزهد والرقائق ، باب من أشرك في عمله غير الله (٢٩٨٥) من
حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) ل ، ز : «مغفور» .

(٤) س : «قال الله . . .». ل ، ز : «قال فيه سبحانه» .

(٥) سقطت الواو من س . وفي ف : «وقد جمعهم» .

(٦) «به» ساقط من س .

(٧) ز : «العبد» .

باليذات^(١)، المحتاج باليذات، الذي ليس له من ذاته إلا العدم = بالغنى باليذات، القادر باليذات، الذي غناه وقدرته وملكه^(٢) وجوده وإحسانه وعلمه ورحمته وكماله المطلق التام من لوازمه ذاته؟

فأي ظلم أقبح من هذا؟ وأي حكم أشد جوراً منه حيث عدَّل من لا عدَّل له بخلقه؟ كما قال تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلْمَتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ» [الأنعام / ١] فعدَّل المشركُ من خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور بمن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض. فيا لك من عدَّل تضمن أكبر الظلم وأقبحه^(٣)!

فصل^(٤)

ويتبع هذا الشرك^(٥) الشرك به سبحانه في الأفعال والأقوال والإرادات والنيات.

فالشرك في الأفعال كالسجود لغيره، والطواف بغير بيته، وحلق الرأس عبوديةً وخضوعاً لغيره، وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود الذي هو يمينه في الأرض، و^(٦) تقبيل القبور واستلامها والسجود لها.

(١) «الضعيف... باليذات» ساقط من ز.

(٢) فـ: «ملكه وقدرته».

(٣) العبارة في ز محرفة.

(٤) هذا الفصل نقله المقرizi بتصرف في رسالته «تجريد التوحيد المفيد» (٥٩ - ٥٠).

(٥) فـ: «ومن أنواع الشرك».

(٦) ماعدا سـ: «أو».

وقد لعن النبي^(١) ﷺ من اتخد قبور الأنبياء والصالحين مساجد يُصلّى الله فيها، فكيف بمن اتخد القبور أوثاناً يعبدوها من دون الله!

ففي الصحيحين^(٢) عنه أنه قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخدوا قبور أنبيائهم مساجد»^(٣).

وفي الصحيح عنه^(٤): «إنَّ مِنْ شَرَارِ النَّاسِ مَنْ تَدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِينَ يَتَخَذُونَ الْقُبُورَ مساجد»^(٥).

وفي الصحيح أيضاً عنه: «إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَخَذُونَ الْقُبُورَ مساجد. أَلَا»^(٦)، فلا تتخدوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن

(١) لـ: «رسول الله».

(٢) ماعدا لـ: «ففي الصحيح».

(٣) من حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهم. أخرجه البخاري في كتاب الصلاة (٤٣٥، ٤٣٦) وغيره؛ ومسلم في المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور (٥٣١).

(٤) زـ: «أيضاً عنه».

(٥) أخرجه أحمد ٤٠٥ / ٣٨٤٤ (٧٨٩) وابن خزيمة (٦٨٤٧) وابن حبان (٦٨٤٧) والبزار في مسنده (١٧٢٤) وغيرهم، من طريق زائدة عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وايل شقيق بن سلمة عن ابن مسعود مرفوعاً. وذكره البخاري في الفتنة معلقاً بصيغة الجزم بالشرط الأول فقط. راجع الفتح (١٤/١٣).

ورواه أبو الأحوص عن ابن مسعود مرفوعاً: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شَرَارِ النَّاسِ». أخرجه مسلم (٢٩٤٩) وغيره.

ورواه قيس بن الربيع عن الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة السلماني عن ابن مسعود مرفوعاً بمثله، وزاد في أوله: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سُحْراً». أخرجه أحمد ٤٥٤ / ١ (٤٣٤٢) وغيره. وهي رواية تفرد بها قيس عن الأعمش، وقيس ضعيف.

(٦) «أَلَا» لم ترد في فـ، لـ. وقد سقط من زـ: «وفي الصحيح أيضاً... مساجد».

ذلك»^(١).

وفي مسند الإمام أحمد وصحيحة ابن حبان^(٢) عنه ﷺ: «لعن الله زوارات^(٣) القبور [٦٦/١] والمتخذين عليها المساجد والسرور». روى ابن حبان^(٤):

وقال: «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

(١) من حديث جندي رضي الله عنه. أخرجه مسلم في المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور (٥٣٢).

(٢) مسند أحمد ١/٢٢٩ (٢٠٣٠)، وابن حبان (٣١٧٩). وأخرجه الترمذى (٣٢٠) وأبو داود (٣٢٣٦) وابن ماجه (١٥٧٥) والنسائي (٢٠٤٣) والحاكم ١/٥٣٠ (١٣٨٤) وغيرهم، من طريق محمد بن جحادة عن أبي صالح عن ابن عباس فذكره. قال الترمذى: «حديث حسن». وقال الحاكم: «أبو صالح هذا ليس بالسمان المحتاج به، إنما هو بادام. ولم يبحج به الشیخان لكنه حديث متداول فيما بين الأئمة، ووُجدت له متابعاً...» فذكره.

قلت: أبو صالح هذا هو بادام مولى أم هانئ، ضعفه أكثر العلماء. راجع تهذيب الكمال (٤/٨). وانظر تفصيل الكلام على الحديث في «جزء زيارة النساء للقبور» للشيخ بكر أبو زيد حفظه الله، ولشطر الحديث الأول شواهد تقويه.

(٣) ف: «لعن أنه لعن زوارات...».

(٤) أخرجه البزار (كتاب الأستار - ٤٤٠) وابن عبد البر في التمهيد (٥/٤٣) من طريق عمر بن صهبان عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد عن النبي ﷺ فذكره. قال الهيثمي في المجمع (٢/٢٨): «رواه البزار وفيه عمر بن صهبان وقد اجتمعوا على ضعفه».

قلت: وقد خولف عمر بن صهبان. خالفه الإمام مالك وغيره فرووه مرسلاً وهو أصح. فرواهم مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن النبي ﷺ مرسلاً. أخرجه في الموطأ (٤٧٥) وابن سعد (٢١٢/٢). ورواهم معمر ومحمد بن عجلان عن زيد بن أسلم عن النبي ﷺ معاً ضعفه. أخرجه عبدالرازاق (١٥٨٧) وابن أبي شيبة (١١٨١٨).

وقال: «إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا إِذَا ماتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مسجداً، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَةَ^(١). أُولَئِكُمْ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

فهذا حال من سجد لله في مسجد على قبر، فكيف حال^(٣) من سجد للقبر نفسه!

وقد قال ﷺ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنَّا يُعْبَدُ»^(٤).

وقد حمى^(٥) النبي ﷺ جانب التوحيد أعظم حماية، حتى نهى عن صلاة التطوع لله سبحانه عند طلوع الشمس وعند غروبها^(٦)، لئلا يكون

(١) ف: «الصور».

(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها. أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة (٤٣٤) وغيره؛ ومسلم في المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور (٥٢٨).

(٣) «حال» ساقط من ف.

(٤) أخرجه أحمد ٢٤٦ / ٢ (٧٣٥٨) والبخاري في تاريخه (٤٧ / ٣) وابن سعد (٢١٣ / ٢) وأبو نعيم في الحلية (٣١٧ / ٧) وغيرهم من طريق سفيان بن عيينة عن حمزة بن المغيرة عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً فذكره. قلت: حمزة قال فيه ابن معين: «ليس به بأس». ولم نجد له متابعاً عن سهيل. وقد عده الدارقطني وأبو نعيم من غرائب حمزة. انظر أطراف الغرائب (٣٤٧ / ٥).

وقد ثبت عن عمر بن الخطاب أنه قال: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنَّا». انظر علل الدارقطني (٢٢٠ / ٢ - ٢٢١).

(٥) «صلى الله عليه وسلم ... حمى» ساقط من ف.

(٦) كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما. أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة (٥٨٢) ومسلم في صلاة المسافرين (٨٢٨).

ذریعةً إلى التشبه بعباد الشمس الذين يسجدون لها في هاتين الحالتين، وسدّ الذريعة بأن منع من الصلاة بعد العصر والصبح^(١) لاتصال هذين الوقتين بالوقتين اللذين يسجد المشركون فيهما للشمس.

وأما السجود لغير الله فقال: «لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد إلا لله»^(٢).

«ولا ينبغي» في كلام الله ورسوله للذي هو في غاية الامتناع شرعاً^(٣)، كقوله تعالى: «وَمَا يَنْبَغِي لِرَحْمَنَ أَنْ يَتَخَذَ وَلَدًا» [٩٢] [مريم]، وقوله: «وَمَا عَلِمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ» [٦٩] [يس]، وقوله: «وَمَا نَزَّلْنَا

(١) كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وغيره في صحيح البخاري ٥٨٤، ٥٨٦، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٥ (٥٨٤، ٥٨٦). وصحيح مسلم (٤١٦٢).

(٢) «ال أحد أن... لله» ساقط من ل (ص). والحديث أخرجه ابن حبان (٥٣٤) من طريق أبي الدنيا في العيال عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة في قصة البجلي كلامها عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة في قصة الجملين. وفيه: «فقال من معه: سجد له (أي للنبي ﷺ) فقال رسول الله ﷺ: ما ينبغي لأحد أن يسجد لأحد. ولو كان أحد ينبغي أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لما عظم الله عليها من حقه» هذا لفظ ابن حبان وسنده حسن.

والحديث أخرجه مختصرًا: الترمذى (١١٥٩) والبيهقي (٢٩١/٧) من طريق النضر بن شميل عن محمد بن عمرويه. قال الترمذى: «حديث أبي هريرة حديث حسن غريب من هذا الوجه؛ من حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة».

(٣) لم يرد «شرعًا» في ف، ز. وقال المؤلف في إعلام الموقعين (٤٣/١): «وقد اطرد في كلام الله ورسوله استعمال «لا ينبغي» في المحظور شرعاً أو قدرًا في المستحيل الممتنع». وانظر بدائع الفوائد (١٣٠٧).

الشَّيَاطِينُ ۖ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ ﴿٢١﴾ [الشعراء/ ٢١٠ - ٢١١]، قوله عن الملائكة :
 » مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ تَتَخَذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلَيَاءِكَ ﴿١٨﴾ [الفرقان/ ١٨].

فصل

ومن الشرك به سبحانه: الشرك به في اللفظ، كالحلف بغيره، كما رواه الإمام أحمد^(١) وأبو داود عنه عليه السلام أنه قال: «من حلف بغير الله فقد أشرك». صححه الحاكم وابن حبان^(٢).

ومن ذلك قول القائل للملائكة: ما شاء الله وشئت، كما ثبت عن النبي^(٣) عليه السلام أنه قال له رجل: ما شاء الله وشئت، فقال: «أجعلتني^(٤) لله نِدًا؟ قل: ما شاء الله وحده»^(٥).

(١) س: «رواه أحمد».

(٢) أخرجه أحمد ١٢٥/٢ (٦٠٧٢) وأبو داود (٣٢٥١) والترمذى (١٥٣٥) وابن حبان (٢١٧٧) والحاكم ٢٣١/٤ (٧٨١٤) وغيرهم من طرق عن الحسن بن عبيدة الله عن سعد بن عبيدة: سمع ابن عمر رجلاً يقول: والكعبة، فقال: لا تحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله عليه السلام يقول: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك». وكذا رواه سعيد بن مسروق والأعمش عن سعد بن عبيدة به عند أحمد (٤٩٠٤).

ورواه شعبة وشيبان وجرير بن عبد الحميد كلهم عن منصور بن المعتمر عن سعد بن عبيدة عن محمد الكندي عن ابن عمر مرفوعاً، فذكره، وفيه قصة. أخرجه أحمد (٥٥٩٣، ٥٣٧٥) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٨٣١) وغيرهما. وانظر: السلسلة الصحيحة (٢٠٤٢)، وتحقيق المسند (٥٠٤/٨).

(٣) س: «عنه».

(٤) س: «أتجعلني».

(٥) أخرجه أحمد (١٨٣٩، ١٨٣٩، ١٩٦٤، ٢٥٦١، ٣٢٤٧) والبخاري في الأدب المفرد (٢٣٤) وابن ماجه (٢١١٧) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٩٨٨) والبيهقي =

هذا مع أنَّ الله قد أثبت للعبد مشيئةً، كقوله: ﴿لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير/ ٢٨]، فكيف بمن يقول: أنا متوكّل على الله وعليك، وأنا في حسبِ الله وحسبيك، ومالي إلا الله وأنت، وهذا [٦٦/ب] من الله ومنك، وهذا من بركات الله وبركاتك، واللهُ لي في السماء^(١)، وأنتَ لي في الأرض، أو يقول: واللهِ وحْيَا فلان، أو يقول: نذرًا لله^(٢) ولفلان، أو أنا تائب لله ولفلان، أو أرجو الله وفلاناً، ونحو ذلك؟

فوازنُ بين هذه الألفاظ وبين قول القائل^(٣): ما شاءَ اللهُ وشئتُ، ثم انظر: أيُّهما أفحَشُ يتبيَّنُ لك أنَّ قائلها أولى بجواب النبي ﷺ لقائل تلك الكلمة، وأنَّه^(٤) إذا كان قد جعله الله نِدًا بها^(٥)، فهذا^(٦) قد جعل من لا يدانني رسولَ الله ﷺ في شيءٍ من الأشياءِ، بل لعله أن يكون من أعدائه،

(٣) ٢١٧/٣) وغيرهم، من طرق عن الأجلح عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس = أن رجلاً قال... ذكره.

قلت: ومدار الحديث على الأجلح وهو مختلف فيه، ولهذا قال البوصيري: «هذا إسناد فيه الأجلح بن عبد الله مختلف فيه. ضعفه أحمد وأبو حاتم والنسائي وأبو داود وابن سعد. ووثقه ابن معين والعقيلي ويعقوب بن سفيان. وبباقي رجال الإسناد ثقات...».

قلت: وله شواهد، انظرها في تحقيق المسند (٣٣٩/٣).

(١) «لي» ساقط من س، فـ. وفي سـ: «السموات».

(٢) زـ: «نذر لله».

(٣) زـ: «بين القائل».

(٤) فـ: «وأنَّ القائل».

(٥) سقط «بها» من سـ، ولفظ الجلالة من فـ. وفي لـ: «جعل».

(٦) فـ: «فهل» تحرير.

نِدًا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

فالسجود، والعبادة، والتوكّل، والإنابة، والتقوى، والخشية، والتحسّب، والتوبّة، والنذر، والحلف، والتسبيح، والتکبير، والتهليل، والتحميد، والاستغفار، وحلق الرأس خضوعاً وتعيّداً، والطواف بالبيت، والدعاة = كُلُّ ذلِكَ مَحْضٌ حَقٌّ اللَّهُ الَّذِي لَا يَصْلُحُ وَلَا يَنْبَغِي لِسَوَادِهِ مِنْ مَلَكٍ مَقْرَبٍ وَلَا نَبِيٍّ مَرْسَلٍ^(١).

وفي مسنـد الإمام أـحمد^(٢) أـنَّ رجـلاً أـتـيـ به إـلـى النـبـيـ ﷺ قد أـذـنـ بـ ذـنـبـاـ، فـلـمـاـ وـقـفـ بـيـنـ يـدـيـهـ قـالـ: اللـهـمـ إـنـيـ أـتـوـبـ إـلـيـكـ، وـلـاـ أـتـوـبـ إـلـىـ مـحـمـدـ. فـقـالـ: «عـرـفـ الـحـقـ لـأـهـلـهـ».

فصل

وأـمـاـ الشـرـكـ فـيـ الإـرـادـاتـ وـالـنـيـاتـ، فـذـلـكـ الـبـحـرـ الـذـيـ لـاـ سـاحـلـ لـهـ، وـقـلـ مـنـ يـنـجـوـ مـنـهـ. فـمـنـ أـرـادـ بـعـمـلـهـ غـيـرـ وـجـهـ اللـهـ، أـوـ نـوـيـ^(٣) شـيـئـاـ غـيـرـ التـقـرـبـ إـلـيـهـ وـطـلـبـ الـجـزـاءـ مـنـهـ، فـقـدـ أـشـرـكـ فـيـ نـيـتـهـ وـإـرـادـتـهـ.

(١) فـ: «أـوـ نـبـيـ مـرـسـلـ».

(٢) (٤٣٥/٣ ٤٣٥/٧٦٠) وـالـطـبـرـانـيـ فـيـ الـكـبـيرـ ٢٨٦/١ (٨٣٩، ٨٤٠) وـالـحاـكـمـ ٢٨٤/٤ (٧٦٥٤) وـغـيـرـهـمـ. مـنـ طـرـيـقـ مـحـمـدـ بـنـ مـصـعـبـ الـقـرقـسـانـيـ عـنـ سـلـامـ بـنـ مـسـكـيـنـ وـالـمـبـارـكـ بـنـ فـضـالـةـ عـنـ الـحـسـنـ الـبـصـرـيـ عـنـ الـأـسـوـدـ بـنـ سـرـيـعـ مـرـفـوـعـاـ فـذـكـرـهـ. قـالـ الـحـاـكـمـ: «هـذـاـ حـدـيـثـ صـحـيـحـ الـإـسـنـادـ وـلـمـ يـخـرـجـاهـ». وـتـعـقـبـهـ الـذـهـبـيـ قـائـلـاـ: «ابـنـ مـصـعـبـ ضـعـيفـ».

قلـتـ: وـأـيـضـاـ الـحـسـنـ لـمـ يـسـمـعـ مـنـ الـأـسـوـدـ بـنـ سـرـيـعـ فـيـمـاـ نـصـ عـلـيـهـ بـعـضـ أـئـمـةـ الـنـقـدـ كـابـنـ الـمـدـيـنـيـ وـيـحـيـيـ بـنـ مـعـيـنـ وـأـبـيـ دـاـوـدـ وـالـبـزـارـ وـابـنـ قـانـعـ.

(٣) فـ: «وـنـوـيـ».

والإخلاص أن يخلص الله في أقواله^(١) وأفعاله وإراداته ونيته. وهذه هي الحنيفة ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلّهم، ولا يقبل من أحد غيرها. وهي حقيقة الإسلام، «وَمَنْ يَتَّبِعَ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ» [آل عمران/٨٥]، وهي ملة إبراهيم التي من رغب عنها فهو من أسفه السفهاء.

فصل^(٢)

إذا عرفت هذه المقدمة انفتح لك بابُ الجواب عن السؤال المذكور، فنقول ومن الله وحده نستمد^(٣) الصواب:

[١/٦٧] حقيقة الشرك هو التشبيه بالخالق والتشبيه للملائكة به. هذا هو «التشبيه» في الحقيقة، لا إثبات صفات الكمال التي وصف الله بها نفسه، ووصفه بها رسوله سبحانه^(٤)، فعكس من نكس الله قلبه، وأعمى عين بصيرته، وأركسه بلبسه الأمراً وجعل التوحيد تشبيهاً والتشبيه تعظيمًا وطاعةً.

فالمسير مشبه للملائكة بالخالق في خصائص الإلهية. فإن من خصائص الإلهية التفرد^(٥) بملكِ الضر والنفع والعطاء والمنع، وذلك

(١) ف: «أن تخلص الله أقواله».

(٢) نقل هذا الفصل والفصل التالي بتصرف واختصار: المقرizi في رسالته «تجريد التوحيد المفيد» (٦٢ - ٧٢).

(٣) ز: «يستمد». وكذا في ف مضبوطاً بضم الياء.

(٤) س: «رسوله ﷺ».

(٥) «فإن من خصائص الإلهية» ساقط من لـ. وكذا من فـ، فأصلاح المتن - فيما يظهر - بزيادة الكاف: «كالتفرد».

يوجب تعلق الدعاء^(١) والخوف والرجاء والتوكل به وحده. فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبّهه بالخالق^(٢)، وجعل ما لا يملك لنفسه ضرراً^(٣) ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، فضلاً عن غيره، شبّهها لمن له الأمر كله. فأزمه الأمور كلّها بيديه^(٤)، ومرجعها إليه^(٥)، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع. بل إذا فتح لعبدة باب رحمة لم يمسكها أحد، وإن أمسكها عنه لم يرسلها إليه أحد. فمن أقبح التشبيه تشبيهُ هذا العاجز الفقير بالذات بال قادر الغني بالذات.

ومن خصائص الإلهية: الكمال المطلق من جميع الوجوه، الذي لا نقص^(٦) فيه بوجه من الوجوه. وذلك يوجب أن تكون العبادة كلّها له وحده، والتعظيم والإجلال والخشية والدعاء والرجاء والإنابة^(٧) والتوبة والتوكّل والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب = كل ذلك يجب عقلاً وشرعًا وفطرةً أن يكون له وحده، ويُمنع عقلاً وشرعًا وفطرةً أن يكون لغيره. فمن جعل شيئاً^(٨) من ذلك لغيره فقد شبّه ذلك الغير بمن لا شبّه له، ولا مثل له^(٩)، ولا ندّ له، وذلك أقبح التشبيه وأبطله. ولشدّة قبحه

- (١) ف: «تعليق الدعاء».
- (٢) س: «بالخلق»، سهو.
- (٣) ف: «لاضرراً».
- (٤) ف، ز: «وازمه...». وفي س: «بيده سبحانه».
- (٥) «ومرجعها إليه» ساقط من ف.
- (٦) ز: «لا يقضى»، تحريف.
- (٧) ز: «الإجابة»، تحريف.
- (٨) س: «الشيء».
- (٩) زاد بعده في س: «ولا ضدّ له».

وتصمّنه غايةَ الظلم أخباره سبحانه أنَّه لا يغفره، مع أنَّه كتب على نفسه الرحمة.

ومن خصائص الإلهية: العبوديَّةُ التي قامت على ساقين^(١) لا قِوَام لها بدونهما: غايةُ الحب مع غايةِ الذل. هذا تمام العبوديَّة^(٢)، وتفاوتُ منازلِ الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الأصلين.. فمن أعطى حبه وذلَّه وخضوعه لغير الله فقد شبَّهه به في خالص [٦٧/ب] حقَّه، وهذا من الحال أن تجيء به شريعة من الشرائع، وقبُحه مستقرٌ في كل فطرة وعقل، ولكن غيَّرت الشياطين فِطْرَ أكثر الخلق وعقولهم، وأفسدتها عليهم، واجتاحتهم^(٣) عنها. ومضى على الفطرة الأولى من سبقت له من الله الحسنى، فأرسل إليهم رُسُلَهُ، وأنزل عليهم كتبه بما يوافق فِطْرَهم وعقولهم، فازدادوا بذلك نوراً على نور، ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورٍ مَّنْ يَشَاءُ﴾ [النور / ٣٥].

إذا عرف هذا فمن خصائص الإلهية: السجود، فمن سجد^(٤) لغيره فقد شبَّه المخلوق به.

ومنها: التوكل، فمن توكل على غيره فقد شبَّهه به.

(١) س: «الساقين».

(٢) بين المؤلف حقيقة العبودية هذه في مواضع كثيرة من كتبه منها: الفوائد (١٨٣)، طريق الهجرتين (٦٤٢، ٥١١)، مدارج السالكين (٩٢، ٧٤/١)، (٤٤١/٣).

(٣) ف: «اجتاحتهم».

(٤) س: «يسجد».

ومنها: التوبة، فمن تاب لغيره فقد شبهه به^(١).

ومنها: الحلف باسمه تعظيمًا وإجلالاً له^(٢)، فمن حلف بغيره فقد شبّهه به.

هذا في جانب التشبيه.

وأماماً في جانب التشبيه به، فمن تعاظم وتكبر، ودعا الناس إلى إطرائه في المدح، والتعظيم، والخضوع، والرجاء، وتعليق القلب به خوفاً ورجاءً والتتجاءً واستعاناً به، فقد شبّه بالله، ونazuعه ربوبيته^(٣) وإلهيّته، وهو حقيق بأن يُهينه اللهُ غاية الهوان، ويُذلّه غاية الذلّ، ويجعله تحت أقدام خلقه. وفي الصحيح عنه ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: العظمة إزارِي، والكُبْرَى ردائِي، فمن نازعني واحداً^(٤) منهما عذبّتُه»^(٥).

وإذا كان المصور الذي يصنع الصورة^(٦) بيده من أشدّ الناس عذاباً يوم القيمة لتشبيهه^(٧) بالله في مجرد الصنعة، فما الظن بالتشبيه بالله في الربوبية والإلهية؟ كما قال ﷺ: «أشدُ الناس عذاباً يوم القيمة

(١) «به» ساقط من س.

(٢) لم يرد «له» في س، ل.

(٣) ل: «في ربوبيته».

(٤) ف، ز: «في واحد».

(٥) من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهمَا. أخرجه مسلم في البر والصلة، باب تحريم الكبر (٢٦٢٠).

(٦) «الصورة» ساقط من س.

(٧) ف: «للتشبيه».

المصوّرون، يقال لهم: أَحْيُوا مَا خلقتُم»^(١).

وفي الصحيح عنه ﷺ أنّه قال: «قال الله عزّ وجلّ: ومن أظلم ممن ذهب بخلق خلقاً^(٢) كخليقي؟ فليخلقوا ذرة!^(٣) فليخلقوا^(٤) شعيرة»^(٥). فنبه بالذرّة والشعيره على ما هو أعظم منها^(٦) وأكبر.

والمقصود أنّ هذا حال من تشبّه به في صنعة صورة^(٧) ، فكيف حال من تشبّه به في خواصّ ربوبيته وإلهيته؟ وكذلك من تشبّه به في الاسم^(٨) الذي لا ينبعي إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَه^(٩) ، كمِلكِ الْأَمْلَاكِ ، وَحَامِلِ الْحَكَمِ ، وَنَحْوِهِ.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ [١/٦٨] أنه قال: «إِنَّ أَخْنَعَ الْأَسْمَاءِ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تُسَمَّى بِشَاهَانْ شَاهٍ: مَلِكُ الْمُلُوكِ»^(١٠) ، وَلَا مِلْكٌ

(١) الجملة الأولى من حديث ابن مسعود، والأخرى من حديث ابن عمر رضي الله عنهم. أخرجهما البخاري في اللباس، باب عذاب المصوّرين يوم القيمة (٥٩٥٠، ٥٩٥١) ومسلم في اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان (٢١٠٨، ٢١٠٩).

(٢) «خلقاً» لم يرد في ف.

(٣) «فليخلقوا ذرة» ساقط من س.

(٤) ف: «وليخلقوها».

(٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٧٥٥٩) ، ومسلم في اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان (٢١١١).

(٦) ماعدا ز: «منها».

(٧) ز: «في صنعته».

(٨) ف: «الاسم الأعظم».

(٩) ل، ز: «له وحده».

(١٠) ف: «أي ملك الملوك».

إلا الله»^(١).

وفي لفظ: «أغْيَطْ رَجُلٍ عَلَى اللَّهِ رَجُلٌ تُسَمَّى بِمِلْكِ الْأَمْلَاكِ»^(٢).

فهذا مقت الله وغضبه على من تشبه به في الاسم الذي لا ينبغي إلا له. فهو سبحانه ملِكُ الملوك وحده^(٣)، وهو حاكم الحكم وحده، فهو الذي يحكم على الحكام كلهم، ويقضي عليهم كلهم، لا غيره.

فصل

إذا تبيّن هذا، فههنا أصل عظيم يكشف سر المسألة، وهو أنّ أعظم الذنوب عند الله إساءة الظنّ به^(٤)، فإنّ المسيء به الظن قد ظنّ به خلاف كماله المقدس، وظنّ^(٥) به ما ينافق^(٦) أسماءه وصفاته. ولهذا توعد الله سبحانه الظانين به ظنّ السوء بما لم يتوعّد به غيرهم، كما قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ الْسَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعْنَهُمْ وَأَعَدَ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح/٦]. وقال تعالى لمن أنكر صفة من صفاته: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُمْ بِرَبِّكُمْ فَاصْبِرُهُمْ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ [فصلت/٢٣].

(١) «ولا ملك إلا الله» لم يرد في س. والحديث أخرجه البخاري في الأدب، باب أبغض الأسماء إلى الله (٦٢٠٦، ٦٢٠٥)، ومسلم في الأدب، باب تحريم التسمي بملك الأملالك وبملك الملوك (٢١٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه فيهما: «تسمى ملك الأملالك»، وجاء «شاهان شاه» تفسيراً له من كلام سفيان. والأعنون: الأوضاع والأحرار.

(٢) صحيح مسلم، الحديث السابق (٢١٤٣).

(٣) زاد في س: «لا ملك إلا الله».

(٤) وانظر إغاثة اللهفان (١٢٩/١).

(٥) ل: «فظن».

(٦) س: «يخالف»، وفي حاشيتها: «خ ينافق».

وقال تعالى حاكياً^(١) عن خليله إبراهيم عليه السلام^(٢) إنّه قال لقومه: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾٨٥﴿ أَيْفَكَا إِلَهٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾٨٦﴿ فَمَا ذَنَّكُمْ بَرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾٨٧﴾ [الصافات/ ٨٥ - ٨٧]. أيّ فما ذنكم أن يجازيكم به إذا لقيتموه، وقد عبّدتكم غيره؟ وماذا ظنتم به حتى^(٣) عبّدتكم معه غيره؟ وما ظنتم بأسمائه وصفاته وربوبيته من النقص حتى أحوجكم ذلك^(٤) إلى عبودية غيره؟

فلو ظنتم به ما هو أهلـه من أـنه بـكلـ شيء عـلـيم، وـعلـى كـلـ شيء قدـيرـ، وأـنه غـنيـ عن كـلـ ما سـواـهـ، وـكـلـ ما سـواـهـ فـقـيرـ إـلـيـهـ؛ وأـنه قـائـم بالـقـسـطـ عـلـى خـلـقـهـ^(٥)، وأـنه المـتـفـرـدـ^(٦) بـتـدـبـيرـ خـلـقـهـ، لا يـشـرـكـهـ فـيـهـ غـيرـهـ^(٧)؛ وـالـعـالـمـ بـتـفـاصـيلـ الـأـمـورـ، فـلا تـخـفـىـ^(٨) عـلـيـهـ خـاـفـيـةـ مـنـ خـلـقـهـ؛ وـالـكـافـيـ لـهـمـ وـحـدـهـ فـلا يـحـتـاجـ إـلـىـ مـعـيـنـ، وـالـرـحـمـنـ بـذـاتـهـ فـلا يـحـتـاجـ فـيـ رـحـمـتـهـ إـلـىـ مـنـ يـسـتعـطفـهـ.

وهـذا بـخـلـافـ الـمـلـوـكـ وـغـيرـهـ مـنـ الرـؤـسـاءـ، فـإـنـهـمـ مـحـتـاجـونـ إـلـىـ مـنـ يـعـرـفـهـ أـحـوـالـ الرـعـيـةـ وـحـوـائـجـهـ، وـإـلـىـ مـنـ يـعـيـنـهـ عـلـىـ قـضـاءـ

(١) «حاكيـاـ» مـنـ فـ وـحدـهاـ.

(٢) لـ: «عليـهـ السـلامـ»، وـالمـبـثـتـ مـنـ سـ.

(٣) «حتـىـ» مـنـ فـ، وـنـحـوـهـ فـيـ إـغـاثـةـ الـلـهـفـانـ (١٢٩/١). سـ: «وـمـا ظـنـتـمـ حـيـنـ». وـلـمـ يـرـدـ «بـهـ» فـيـ زـأـيـضاـ. وـقـدـ سـقـطـ مـنـ لـ: «وـقـدـ عـبـدـتـ... حـيـنـ».

(٤) سـ: «ذـلـكـمـ». وـفـيـ لـ: «أـخـرـ حـكـمـ ذـلـكـ».

(٥) «وـأـنـهـ غـنيـ... عـلـىـ خـلـقـهـ» سـاقـطـ مـنـ سـ، كـمـا سـقـطـ مـنـ لـ: «وـكـلـ ما سـواـهـ».

(٦) زـ: «الـمـنـفـرـدـ».

(٧) لـ: «فـلا يـشـرـكـهـ...». فـ: «لـا يـشـرـكـ فـيـهـ غـيرـهـ» كـذـا مـضـبـوـطـاـ.

(٨) زـ: «فـلا يـخـفـىـ»، وـلـمـ يـنـقـطـ حـرـفـ الـمـضـارـعـةـ فـيـ سـ، لـ.

حوائجهم، وإلى من يسترحمهم ويستعطفهم^(١) بالشفاعة، فاحتاجوا إلى الوسائل ضرورةً لحاجتهم، وعجزهم، وضعفهم، وقصور علمهم.

فأما القادرُ على كلّ شيء، الغنيُ بذاته عن كلّ شيء، العالمُ بكلّ شيء، الرحمنُ الرحيمُ الذي وسعت رحمته كلّ شيء [٦٨/ب] فإذا خالَ الوسائل بينه وبين خلقه تَنْفَصُ^(٢) بحقِّ ربوبيته، وإلهيته، وتوحيدِه^(٣)؛ وظنَّ به ظنَّ السَّوءِ. وهذا يستحيل أن يشرعه لعباده، ويمتنع في العقول والفطر، وقبُحُه مستقرٌ في العقول السليمة فوق كلّ قبيح.

ويوضح هذا أنَّ العابد معظمًا لمعبوده، متألَّه له، خاضع ذليل له. والربُّ تعالى وحده هو الذي يستحقُ كمال التعظيم والإجلال والتَّأله والخصوص والذلُّ. وهذا خالص حقَّه، فمن أقبح الظلم أن يُعطى حقَّه^(٤) لغيره، أو يُشَرِّك بينه وبينه فيه، ولا سيما إذا كان الذي جعلَ شريكَه في حقَّه هو عبده ومملوكته، كما قال تعالى: «ضَرَبَ لَكُم مَثَلًا مِنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ كَمِّ مَا مَلَكْتَ أَيْمَنُكُمْ مِنْ شُرَكَاءِ مَارَزَقْتَكُمْ فَإِنَّمَا فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَحِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ» [الروم / ٢٨].

أي إذا كان أحدكم يأنف أن يكون مملوكُه شريكَه في رزقه، فكيف يجعلون لي من عبدي شركاء فيما أنا منفرد^(٥) به، وهو الإلهية التي لا تنبع لغيري، ولا تصلح لسواي؟ فمن زعم ذلك مما قدَرني حقَّ قدرني،

(١) «يسترحمهم» و«ساقط من ز».

(٢) س: «ينقص»، تصحيف.

(٣) ز: «توحده»، وسقط منها: «إلهيته».

(٤) «فمن أقبح.. حقه» ساقط من لـ.

(٥) س: «متفرد».

ولا عَظَمْنِي حَقٌّ تَعْظِيمِي، وَلَا أَفْرَدْنِي بِمَا أَنَا مُنْفَرِدٌ^(١) بِهِ وَحْدِي دُونَ خَلْقِي^(٢).

فَمَا قَدِرَ اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ عَبْدٌ مَعْهُ غَيْرَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَآسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ أَجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلِبُوهُمُ الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَقْدُمُهُ مِنْهُ ضَعْفٌ أَطَالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ ﴿٧٤﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقًّا قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوْيٌ عَزِيزٌ

[الحج / ٧٣ - ٧٤]

فَمَا قَدِرَ اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ عَبْدٌ مَعْهُ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى خَلْقِ أَضْعَافِ حَيْوَانٍ وَأَصْغَرِهِ، وَإِنْ سَلَبَهُ^(٣) الذَّبَابُ شَيْئًا مَا عَلَيْهِ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى اسْتِنْقَادِهِ مِنْهُ^(٤).

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقًّا قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ يِيمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَلَّمَ عَمَّا يُشَرِّكُونَ ﴾ ﴿٦٧﴾ [الزمر / ٦٧]. فَمَا قَدِرَ مَنْ هَذَا شَأْنُهُ وَعَظَمَتْهُ حَقًّا قَدْرِهِ مَنْ أَشْرَكَ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ مَنْ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَتَّةِ، بَلْ هُوَ أَعْجَزُ شَيْءٍ وَأَضْعَفُهُ! فَمَا قَدِرَ الْقَوِيَّ الْعَزِيزَ حَقًّا قَدْرِهِ مَنْ أَشْرَكَ مَعَهُ الْمُضِيِّفِ الْذَّلِيلِ!

[١/٦٩] وَكَذَلِكَ مَا قَدِرَهُ حَقًّا قَدْرِهِ مَنْ قَالَ : إِنَّهُ لَمْ يُرْسَلْ إِلَى خَلْقِهِ رَسُولًا وَلَا أَنْزَلَ كِتَابًا، بَلْ نَسَبَهُ إِلَى مَا لَا يُلْيقُ بِهِ وَلَا يَحْسُنُ

(١) س: «متفرد».

(٢) وانظر إعلام الموقعين (١٥٨/١).

(٣) س: «سلب». ز: «يسليبه».

(٤) وانظر إعلام الموقعين (١٨١/١).

منه^(١)، من إهمال خلقه، وتضييعهم، وتركهم سدى، وخلقهم باطلأ عبثاً.

ولا قدره حق قدره مَنْ نفَى حِقَائِق^(٢) أسمائه الحسنى وصفاته العلي، فنفى سمعه وبصره، وإرادته واختياره، وعلوَّه فوق خلقه، وكلامه، وتکلیمه لمن شاء من خلقه بما يرید^(٣)؛ أو نفى عموم قدرته وتعلقها بأفعال عباده من طاعاتهم^(٤) ومعاصيهم، فأخرجها عن قدرته ومشيئته وخلقها، وجعلهم يخلقون لأنفسهم ما يشاؤون بدون مشيئة الرب؛ فيكون في ملكه مالا يشاء، ويشاء مالا يكون! تعالى الله^(٥) عن قول أشباه المجنوس علوًّا كبيراً.

وكذلك ما قدره حق قدره من قال : إنَّه يعاقب عبده على مالا يفعله العبد، ولا له عليه قدرة، ولا تأثير له فيه البنة؛ بل هو نفس فعل الرب جل جلاله، فيعاقب عبده على فعله، وهو^(٦) سبحانه الذي جبر العبد عليه، وجبرُه على الفعل أعظمُ من إكراه المخلوق للمخلوق. وإذا كان من المستقر في الفطر والعقول أنَّ السيد لو أكره عبده على فعل أو الجأه إليه ثم عاقبه عليه لكان قبيحاً، فأعدل العادلين وأحكم الحكمين وأرحم الرحيمين كيف يُجبر العبد على فعل لا يكون للعبد فيه صنع ولا تأثير، ولا هو واقع بإرادته، بل ولا هو فعله البنة، ثم يعاقب عليه عقوبة الأبد؟

(١) «منه» ساقط من س.

(٢) ف : «من حِقَائِق».

(٣) ز : «يريده».

(٤) ف : «طاعتهم».

(٥) لم يرد لفظ الجلاله في ز.

(٦) ماعدا س : « فعله هو».

تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا . وقول هؤلاء شرٌّ من قول أشباه المجروس ، والطائفتان ما قدروا الله حقَّ قدره .

وكذلك ما قدره^(١) حقَّ قدره من لم يصُنْه عن بئر^(٢) ولا حُشْنٌ ولا مكان يُرحب عن ذكره ، بل جعله في كلّ مكان ؛ وصانه عن عرشه أن يكون مستويًا عليه ، يصعد إليه^(٣) الكلم الطيب والعمل الصالح^(٤) ، وترعرع الملائكة والروح إليه وتنزل من عنده ، ويدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يرجع إليه^(٥) . فصانه عن استواه على سرير الملك ، ثم جعله في كلّ مكان يأنف الإنسان بل غيره من الحيوان أن يكون فيه .

وما قدره^(٦) حقَّ قدره مَنْ نفى حقيقة [٦٩/ب] محبتة ورحمته ورأفتة ورضاه وغضبه ومقته ، ولا مَنْ نفى حقيقة حكمته التي هي الغايات المحمودة المقصودة بفعله ، ولا مَنْ نفى حقيقة فعله ولم يجعل له فعلاً اختيارياً يقوم به ، بل أفعاله مفعولات منفصلة عنه ، فنفي حقيقة مجئه^(٧) وإتيانه ، واستواه على عرشه ، وتکلیمه موسى من جانب الطور ، ومجئه يوم القيمة لفصل القضاء بين عباده بنفسه ، إلى غير ذلك من أفعاله وأوصاف كماله التي نفوها ، وزعموا أنَّهم بنفيها قد قدروه حقَّ قدره .

(١) ز : «قدر الله». وقد سقط من ل : «وكذلك ما قدره حق قدره».

(٢) ف : «تن». وقال المؤلف في نونيته (٣١٥) :

والقوم ما صانوه عن بئر ولا قبر ولا حُشْنٌ ولا أعطانٍ

ل : «إليه يصعد».

(٤) زاد في ل : «يرفعه» ، كما في سورة فاطر (١٠).

(٥) انظر سورة المعارج (٤) ، وسورة السجدة (٥).

(٦) ف : «وما قدر الله».

(٧) ماعدا ز : «محبته».

وكذلك لم يقدرْه حقَّ قدره من جعل له صاحبةً وولداً، أو جعله^(١)
يحلُّ في مخلوقاته، أو جعله عينَ^(٢) هذا الوجود.

وكذلك لم يقدرْه حقَّ قدره من قال: إنه رفع أعداء رسوله وأهل بيته، وأعلى^(٣) ذكرَهم، وجعل فيهم الملك والخلافة والعِزَّ، ووضع أولياء رسوله وأهل بيته، وأهانهم، وأذلَّهم، وضرب عليهم الذلة^(٤) أينما ثقفوا. وهذا يتضمن غاية القدح في الرب، تعالى عن قول الرافضة علوًّا كبيرًا.

وهذا القول مشتقٌ من قول اليهود والنصارى في رب العالمين: إله أرسل ملكًا ظالماً، فادعى النبوة لنفسه، وكذب على الله، ومكث زمانًا طويلاً^(٥) يكذب عليه كلَّ وقت، ويقول: قال كذا، وأمر بكتذا، ونهى عن كذا؛ وينسخ شرائع الأنبياء ورسله، ويستبيح دماء أتباعهم وأموالهم وحريمهم، ويقول: الله أباح لي ذلك! والرب تعالى يُظهره، ويؤيده^(٦)، ويعليه، ويُعزَّه^(٧)، ويحجب دعواته^(٨)، ويمكّنه من يخالفه، ويقيم الأدلة على صدقه، ولا يعاديه أحد إلا ظفر به، فيصدقه بقوله وفعله وتقريره، ويُحدِّث أدلة تصدِيقه شيئاً بعد شيء. ومعلوم أنَّ هذا يتضمن

(١) ف: «وجعله».

(٢) ز: «غير»، تحريف.

(٣) ل: «وأهمل»، تحريف.

(٤) «الذلة» ساقط من ل.

(٥) ل: «زمانًا طويلاً».

(٦) ز: « يؤيده و يُظهره».

(٧) ف: «يقره».

(٨) ل: «دعاته».

أعظم القدح والطعن في الرب سبحانه وتعالى وعلمه وحكمته ورحمته وربوبيته . تعالى الله عن قول الجاحدين علوًّا كبيرًا .

فوازنْ بين قول هؤلاء وبين قول^(١) إخوانهم من الرافضة تجد القولين :

رضيعي لِبَانِ ثَدِي أُمَّ تَقَاسِمَا^(٢) بِأَسْحَمِ دَاجِ عَوْضُ لَا نَتَرَقْ^(٣)

وكذلك لم يقدُرْه حَقّ قدره مَن قال: إنَّه يجوز أن يعذَّب أولياءه [أ/٧٠] ومن لم يعصِه طرفة عين ويدخلهم دار الجحيم، وينعم أعداءه ومن لم يؤمِّن به طرفة عين ويدخلهم دار النعيم؛ وإنَّ كلاً الأمرين بالنسبة إليه سواء، وإنَّما الخبر المحسُّ جاء عنه بخلاف ذلك، فمنعنا للخبر، لا لمخالفة حكمته^(٤) وعدله . وقد أنكر سبحانه في كتابه^(٥) على من جوَّز عليه ذلك غاية الإنكار^(٦)، وجعل الحكم به من أسوأ الأحكام.

وكذلك لم يقدُرْه حَقّ قدره مَن زعم أنَّه لا يحيى الموتى، ولا يبعث من في القبور، ولا يجمع^(٧) خلقه ليوم يجازي المحسنَ فيه^(٨) بإحسانه والمسيء بإساءاته، ويأخذ للمظلوم فيه حَقّه من ظالمه، ويكرم

(١) ف، ز: «قول هؤلاء وقول».

(٢) ز: «تحالفاً».

(٣) ماعدا ف: «لَا يَتَفَرَّقْ»، تصحيف . وقد تقدم البيت في ص (٢٢٤).

(٤) ز: «حَكْمَه». ف: «لَمْ يَخْلُفْ ذَلِكَ وَحْكَمَتِه».

(٥) «في كتابه» ساقط من ل، ز.

(٦) ل: «يُجَوَّزْ عَلَيْهِ...». وقد سقط من ز «ذلك غاية».

(٧) ل: «وَلَا يَبْعَثْ».

(٨) ل: «فِيهِ الْمَحْسَنْ».

المتحمّلين للمشاق^(١) في هذه الدار من أجله وفي مرضاته بأفضل كرامته، وبيّن^(٢) لخلقه الذي يختلفون فيه، ويعلّم^(٣) الذين كفروا أنّهم كانوا كاذبين.

وكذلك لم يقدُرْه حقَّ قدره من هان عليه أمرُه فعصاه، ونهيَه فارتکبه، وحُقُّه فضيّعه، وذكْرُه فأهمله وغفل قلبه عنه، وكان هواه آثرَ عنده من طلب رضاه، وطاعة المخلوق أهُمْ عنده من طاعته. فللله الفَضْلَةُ من قلبه وقوله وعمله، وسواء المقدَّم في ذلك، لأنَّ المهمَّ عنده. يستخفَ بنظر الله إليه واطلاعه عليه، وهو في قبضته، وناصيَتُه بيده. ويُعظِّم نظر المخلوق إليه واطلاعه عليه بكلِّ قلبه وجوارحه^(٤). ويستحيي من الناس، ولا يستحيي من الله. ويخشى الناس، ولا يخشى الله. ويعامل الخلق بأفضل ما يقدر عليه، وإنْ عاملَ اللهَ عاملَه بآهون ما عنده وأحقَّه، وإنْ قام في خدمة إلهه من البشر قام بالجَدِّ والاجتِهاد وبذلِ النصيحة^(٥)، وقد فرَغ له قلبه وجوارحه، وقدّمه على كثير من مصالحه، حتى إذا قام في حقَّ ربِّه - إن ساعد القدر - قام قياماً لا يرضى مثلَه مخلوق من مخلوق، وبذل له من ماله ما يستحيي أن يواجه به مخلوق لمثله! فهل قدر الله حقَّ قدره من هذا وصفه؟

وهل قدره حقَّ قدره من شارك بينه وبين عدوه [٧٠/ب] في محض

(١) ل: «المشاق».

(٢) ز: «تبين».

(٣) ل: «وليعلم».

(٤) ز: «بكل جوارحه وقلبه».

(٥) ل: «قد بذل له النصيحة».

حَقٌّ مِن الإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ وَالطَّاعَةِ وَالذُّلِّ وَالخُضُوعِ وَالخُوفِ وَالرُّجَاءِ؟ فَلَوْ جُعِلَ لَهُ مِنْ أَقْرَبِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ شَرِيكًا فِي ذَلِكَ لَكَانَ ذَلِكَ جَرَاءَةً وَتَوْثِيَّا عَلَى مَحْضِ حَقِّهِ، وَاسْتِهَانَةً بِهِ، وَتَشْرِيكًا بَيْنِهِ وَبَيْنِ غَيْرِهِ فِيمَا لَا يَنْبَغِي وَلَا يَصْلَحُ إِلَّا لَهُ سُبْحَانَهُ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا شَرَكَ بَيْنَهُ^(١) وَبَيْنَ أَبْغَضِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ، وَأَهُونَهُمْ عَلَيْهِ، وَأَمْقَتَهُمْ عَنْهُ. وَهُوَ عَدُوُّهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، فَإِنَّهُ مَا عَبَدَ مِنْ دُونَ اللَّهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿أَلَّا تَأْغَهِدُ إِلَيْكُمْ يَتَبَّعُنَّ أَدَمَّ أَنَّ لَا تَعْبُدُوا أَلْشَيْطَانَ إِنَّهُ لَكُنْزٌ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ وَأَنَّ أَعْبُدُونَ فِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [سُورَةُ الْأَنْجَلَى / ٦٠ - ٦١]^(٢).

وَلَمَا عَبَدَ الْمُشْرِكُونَ الْمَلَائِكَةَ بِزَعْمِهِمْ وَقَعَتْ عِبَادَتُهُمْ لِلشَّيْطَانِ، وَهُمْ يَظْنُونَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ^(٣). كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَيَوْمَ يَكْشُرُهُمْ جَمِيعَ أُمَّاتِهِمْ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةَ أَهْتَوْلَاءِ إِنَّا كُنَّ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِسْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّةَ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُّؤْمِنُونَ﴾ [سُورَةُ الْأَنْجَلَى / ٤١ - ٤٠]. فَالشَّيْطَانُ يَدْعُو الْمُشْرِكَ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَيُوَهِّمُهُ أَنَّهُ مَلِكٌ.

وَكَذَلِكَ عُبَادُ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ رُوحَانِيَّاتِ هَذِهِ الْكَوَاكِبِ، وَهِيَ الَّتِي تَخَاطِبُهُمْ، وَتَقْضِي لَهُمُ الْحَوَائِجَ . وَلَهُذَا إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَارَنَهَا الشَّيْطَانُ، فَيَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، فَيَقُولُ سُجُودُهُمْ لَهُ؛ وَكَذَلِكَ عِنْدَ غُرُوبِهَا.

وَكَذَلِكَ مِنْ عَبْدِ الْمَسِيحِ وَأَمَّهُ لَمْ يَعْبُدُهُمَا، وَإِنَّمَا عَبَدَ الشَّيْطَانَ، فَإِنَّهُ

(١) فَ: «يَشْرُكُ بَيْنَهُ». وَقَدْ سَقَطَ «وَبَيْنَ غَيْرِهِ... بَيْنَهُ» مِنْ س.

(٢) وَرَدَتِ الْآيَةُ فِي زِ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَنَّ لَا تَعْبُدُوا أَلْشَيْطَانَ﴾ وَسَقَطَ مَا بَعْدَهُ إِلَى قَوْلِ الْمُصْنِفِ «فَمَا عَبَدَ أَحَدٌ...».

(٣) وَانْظُرْ إِغاثَةَ الْلَّهَفَانَ (٩٧٩/٢).

يُزعم أنه يعبد منْ أَمْرَه بعبادته وعبادة أَمْمَه، ورضيَّها لِهِمْ، وأمرهم بها. وهذا هو الشيطان الرجيم لعنة الله عليه، لا عبدُ الله ورسوله.

فَنَزَّلَ^(١) هذَا كَلْمَهُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾^(٢) [س/ ٦٠]. فَمَا عَبَدَ أَحَدٌ مِّنْ بَنِي آدَمَ^(٣) غَيْرَ الله كَائِنًا مِّنْ كَانَ إِلَّا وَقَعَتْ عِبَادَتُهُ لِلشَّيْطَانِ، فَيُسْتَمْتَعُ^(٤) الْعَابِدُ بِالْمَعْبُودِ فِي حَصْوَلِ غَرْضِهِ، وَيُسْتَمْتَعُ الْمَعْبُودُ بِالْعَابِدِ فِي تَعْظِيمِهِ لَهُ وَإِشْرَاكِهِ مَعَ اللهِ الَّذِي هُوَ غَايَةُ رَضْيِ الشَّيْطَانِ .

وَلَهُذَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَنْمَشِرُ الْجِنُّ قَدْ أَسْتَكْرَثُتُمْ مِّنَ الْإِنْسَانِ﴾ أيَّ مِنْ إِغْوَاهِهِمْ وَإِضْلَالِهِمْ ﴿وَقَالَ أَوْلَيَاءُهُمْ مِّنَ الْإِنْسِ رَبِّنَا أَسْتَمْتَعُ بَعْضُنَا بِعَضٍ وَّبَلَغْنَا أَجْلَنَا الَّذِي أَجَلْنَا [١/٧١]﴾ قَالَ النَّارُ مَثُونَكُمْ خَلِيلِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الأنعام/ ١٢٨].

فَهَذِهِ إِشارةٌ لطِيفَةٌ إِلَى السَّرِّ الَّذِي لَأَجْلَهُ كَانَ الشَّرُكُ أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ عِنْدَ اللهِ، وَأَنَّهُ لَا يُغْفَرُ بِغَيْرِ التَّوْبَةِ مِنْهُ، وَأَنَّهُ يُوجَبُ الْخَلُودُ فِي العَذَابِ^(٥)، وَأَنَّهُ لَيْسَ تَحْرِيمَهُ وَقَبْحَهُ بِمَجْرِدِ النَّهْيِ عَنْهُ، بَلْ يُسْتَحِيلُ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يُشَرِّعَ عِبَادَةً إِلَهٌ غَيْرُهُ، كَمَا يُسْتَحِيلُ عَلَيْهِ مَا يَنْاقِضُ أَوْصَافَ كَمَالِهِ وَنَعْوَتِ جَلَالِهِ . وَكَيْفَ يَظْنُنَّ بِالْمُنْفَرِدِ^(٦) بِالرَّبُوبِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ وَالْعَظَمَةِ

(١) كذا ضبط في س بتشديد الزياء، وفي ف بتشديدها وكسرها، وهو الصواب.

(٢) هنا انتهى السقط الذي وقع في ز.

(٣) «أن لا تعبدوا... بني آدم» ساقط من س.

(٤) ز: «فليستمتع».

(٥) ل: «النار».

(٦) ف: «بالمنفرد»، ولم ينقطع الحرف في س.

والجلال أن يأذن في مشاركته في ذلك أو يرضي به؟ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

فصل

فلما كان الشرك أكبر شيء منافاة للأمر الذي خلق الله له الخلق وأمر لأجله بالأمر كان أكبر الكبائر عند الله.

وكذلك الكبر وتوابعه كما تقدم، فإن الله سبحانه خلق الخلق وأنزل الكتب لتكون الطاعة له وحده، والشرك والكبر بنافيان ذلك.

ولذلك حرم الله الجنة على أهل الشرك وال الكبر، فلا يدخلها^(١) من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر^(٢).

فصل

ويلي ذلك في كبر المفسدة^(٣): القول على الله بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله، ووصفه بضد ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله. فهو^(٤) أشد شيء مناقضة ومنافاة لكمال^(٥) من له الخلق والأمر، وقدح في نفس الربوبية وخصائص الرب.

(١) س: «ولا يدخلها».

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه في الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه (٩١).

(٣) ف: «مفسدة».

(٤) ف: «فهذا».

(٥) كذا في ف. وفي ز: «لحكمة». ولم يتضح «لكمال من» في س. وفي ل: «منافاة الخلق»، فأسقط مابين الكلمتين. وفي خا: «منافاة للخلق».

فإن صدر ذلك عن علم فهو عناد أقبح من الشرك، وأعظم إثماً عند الله. فإن المشرك المقر بصفات الرب خير من المعطل الجاحد لصفات كماله. كما^(١) أنّ من أقرَّ لِمَلِكٍ^(٢) بِالْمُلْكِ، ولم يجحد مُلْكَه، ولا الصفات التي استحقّ بها الملك، لكن جعل معه شريكاً في بعض الأمور يُقرّبه إليه = خيرٌ من جحد^(٣) صفاتِ الملك وما يكون به ملِكًا.

هذا أمر مستقرٌ فيسائر الفطر والعقول. فأين القدر في صفات الكمال والجحد لها، من عبادة واسطة بين المعبد الحق وبين العابد^(٤) يتقرّب إليه بعبادة تلك الواسطة إعظاماً له وإجلالاً؟ فداء التعطيل هو^(٥) الداء [٧١/ب] العضال الذي لا دواء له.

ولهذا حكى الله عن إمام المعطلة فرعون أنه انكر على موسى ما أخبر به من^(٦) أنّ ربّه فوق السموات، فقال: ﴿يَأَتَهُمْنَّ أَبْنَى لِصَرْحًا لَعَلَيْهِ أَتَلْعَبُ الْأَسْبَدَبَ ﴾^٧ أَسْبَدَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظْنُهُ كَذَّابًا﴾ [غافر / ٣٦ - ٣٧]. واحتاجَ الشيخ أبو الحسن الأشعري في كتبه على المعطلة بهذه الآية، وقد ذكرنا لفظه في غير هذا الكتاب^(٨).

والقول على الله بلا علم والشرك متلازمان.

(١) «كما» ساقط من س. وفي ز: «كما ان اقر».

(٢) ف: «لِلْمُلْكِ».

(٣) ز: «خير من جحد».

(٤) ف: «العبد».

(٥) ف: «هذا».

(٦) «من»: ساقطة من ف.

(٧) ز: «هذا الموضع». وانظر اجتماع الجيوش الإسلامية (٢٩٥)، والصواعق المرسلة (١٢٤٤).

ولما كانت البدع المضللة جهلاً بصفات الله وتكذيباً بما أخبر به عن نفسه وأخبر به عنه رسوله^(١) عناداً وجهلاً^(٢) كانت من أكبر الكبائر - إن^(٣) قصرت عن الكفر - وكانت أحبت إلى إبليس من كبار الذنوب، كما قال بعض السلف: البدعة أحبت إلى إبليس من المعصية، لأنّ المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها^(٤). وقال إبليس : أهلكت بني آدم بالذنوب، وأهلكوني بالاستغفار وبلا إله إلا الله. فلما رأيت ذلك بثث فيهم الأهواء، فهم يذنبون، ولا يتوبون، لأنّهم يحسبون أنّهم يحسنون صُنْعاً!^(٥)

ومعلوم أنّ المذنب إنما ضرره على نفسه، وأما المبتدع فضرره على النوع. وفتنة المبتدع في أصل الدين، وفتنة المذنب في الشهوة. والمبتدع قد قعد للناس على صراط الله المستقيم يصدّهم عنه، والمذنب

(١) س: «عنه به رسوله». وقد سقط «عنه» من ف. وفي ل: «عن رسوله»، خطأ.
 ف: «أو جهلاً».

(٢) س: « وإن»، ولكن الظاهر أن الواو زيادة من بعض القراء. وهو الذي كتب تحت «الكفر»: «بالتنزيل».

(٣) من كلام سفيان الثوري. أخرجه ابن الجعدي مسنده (١٨٨٥) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٢٣٨) وأبو نعيم في الحلية (٢٦/٧) والبيهقي في شعب الإيمان ٤٨٢/١٦ (٩٠٠٩). ومسنده حسن (ز) وانظر مدارج السالكين (٣٢٢/١).

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٣٦) وابن أبي عاصم في السنة (٧) والهمذاني العطار في فتيا وجوابها في الاعتقاد (١١) وغيرهم. ومسنده واه، فيه عبدالغفور: مترونك الحديث، وكان يضع الحديث. وعثمان بن مطير أيضاً ضعيف. وبه ضعف الحديث الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠٧/١٠). (ز) وانظر شفاء العليل (٤١٤).

ليس كذلك. والمبتدع قادح في أوصاف الرب وكماله^(١)، والمذنب ليس كذلك. والمبتدع منافق لما جاء به الرسول، والعاصي ليس كذلك. والمبتدع يقطع على الناس طريق الآخرة، والعاصي بطيء السير بسبب ذنبه.

فصل

ثم لما كان الظلم والعدوان منافي للعدل الذي قامت به^(٢) السموات والأرض، وأرسل الله سبحانه رسالته وأنزل كتبه ليقوم الناس به = كان من أكبر الكبائر عند الله، وكانت درجته في العظم بحسب مفسدته في نفسه.

وكان^(٣) قتلُ الإنسان ولده [١/٧٢] الطفل الصغير الذي لا ذنب له، وقد جبل الله سبحانه القلوب على رحمته، وعطفَها عليه^(٤)، وخصّ الوالدين من ذلك بمزية ظاهرة، فقتله خشية أن يشاركه في مطعمه ومشربه وماله = من أقبح الظلم وأشدّه. وكذلك قتله أبويه الذين كانوا سبب وجوده، وكذلك قتله ذار حمه.

وتتفاوت^(٥) درجات القتل بحسب قبحه، واستحقاقِ من قتله السعي^(٦) في إيقائه ونصيحته. ولهذا كان أشد الناس عذابا يوم القيمة من قتل نبياً، أو قتلهنبياً. ويليه من قتل إماماً، أو عالماً يأمر الناس

(١) س: «الرب سبحانه وتعالى وتقدس»، وسقط منها: «وكماله».

(٢) س، ز: «به قامت».

(٣) ل، ز: «فكان».

(٤) ف: «عليهم».

(٥) ف: «وتتفاوت»، وفي ز: «ويتفاوت القتل».

(٦) ف، ل: «للسعى».

بالقسط ، ويدعوهم إلى الله ، وينصحهم في دينهم .

وقد جعل الله سبحانه قتل النفس المؤمنة عمداً الخلود في النار ، وغضب الجبار ، ولعنته ، وإعداد العذاب العظيم له^(١) . هذا موجب قتل المؤمن عمداً ، ما لم يمنع منه مانع . ولا خلاف أن الإسلام الواقع بعد القتل طوعاً واختياراً مانع^(٢) من نفوذ ذلك الجزاء .

وهل تمنع توبة المسلم منه بعد وقوعه؟^(٣) فيه قولان للسلف والخلف ، وهما روايتان عن أحمد .

والذين قالوا : لا تمنع التوبة من نفوذه ، رأوا أنه حق لإدمي لم يستوفه في دار الدنيا ، وخرج منها بظلماته ، فلابد أن يُستوفى له في دار العدل .

قالوا : وما استوفاه الوارث فإنما استوفى محضر حقه الذي خيره الله بين استيفائه والعفو عنه ، وما ينفع المقتول من استيفاء وارثه ، وأي استدرك لظلماته حصل له باستيفاء وارثه؟

وهذا أصح القولين في المسألة أن حق المقتول لا يسقط باستيفاء الوارث . وهو وجهان لأصحاب أحمد والشافعي وغيرهم .

ورأت طائفة^(٤) أنه يسقط بالتوبة واستيفاء الوارث ، فإن التوبة تهدم

(١) كما في قوله تعالى في سورة النساء (٩٣) : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَرَّأَهُمْ جَهَنَّمُ حَتَّىٰ إِنَّهَا وَعَصِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَمْ يَنْهَمْ وَأَعْدَ اللَّهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ .

(٢) ماعدا س : «مانعا» ، وقد أصلح في ف .

(٣) وانظر مدارج السالكين (٣٩٨/١) .

(٤) في ل : «رواية ثلاثة» مكان «ورأت طائفة» !

ما قبلها، والذنب الذي قد جناه قد أقيمت عليه حدّه.

قالوا: وإذا كانت التوبة تمحو أثر الكفر والسحر وما هو أعظم إثما^(١) من القتل فكيف تقصير عن محو أثر القتل؟ وقد قبل الله توبة الكفار الذين قتلوا أولياءه، وجعلهم من خيار عباده، ودعا الذين [٧٢/ب] حرّقوا أولياءه^(٢) وفتّوهم عن دينهم^(٣) إلى التوبة، وقال: ﴿ قُلْ يَعْبَادُونَ الَّذِينَ أَشْرَقُوا عَلَيْنَ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر/٥٣]. فهذه في حق التائب، وهي تناول الكفر وما دونه.

قالوا: وكيف يتوب العبد من الذنب، ويعاقب عليه بعد التوبة؟ هذا معلوم انتفاءه في شرع الله وجزائه.

قالوا: وتوبة هذا المذنب تسلّيم نفسه، ولا يمكن تسلّيمها إلى المقتول، فأقام الشارع ولية مقامه، وجعل تسلّيم النفس إليه كتسلّيمها إلى المقتول، بمنزلة تسلّيم المال الذي عليه لوارثه، فإنه يقوم مقام تسلّيمه للمورث^(٤).

والتحقيق في هذه المسألة^(٥) أن القتل يتعلّق به ثلات^(٦) حقوق: حق الله، وحق للمقتول، وحق للولي. فإذا سلم القاتل نفسه طوعاً واختياراً إلى الولي ندماً على ما فعل، وخوفاً من الله، وتوبةً نصوحاً،

(١) «إثما» ساقط من ز.

(٢) «وجعلهم... أولياءه» ساقط من ز.

(٣) «عن دينهم» ساقط من س.

(٤) ز، ل: «للموروث».

(٥) ماعدا س: «في المسألة».

(٦) كما بتذكير العدد في جميع النسخ.

سقط حقُّ الله بالتوبة، وحقُّ الولي بالاستيفاء أو الصلح أو العفو^(١)، وبقي حقُّ المقتول يعوضه الله عنه يوم القيمة عن عبده التائب المحسن، ويصلح بينه وبينه؛ فلا يذهب حقُّ هذا، ولا تبطل توبته هذا.

وأما مسألة المال^(٢) فقد اختلف فيها، فقالت طائفة: إذا أدى ما عليه من المال إلى الوارث فقد بريء من عهده في الآخرة، كما بريء منها^(٣) في الدنيا.

وقالت طائفة: بل المطالبة لمن ظلمه بأخذه باقيةٌ عليه يوم القيمة، وهو لم يستدرك ظلامته بأخذ وارثه له، فإنه منعه من انتفاعه به في طول حياته، ومات ولم ينتفع به. وهذا ظلم لم يستدركه هو، وإنما انتفع غيره باستدراكه.

وبنوا على هذا أنه لو انتقل من واحد إلى واحد وتعدد الورثة كانت المطالبة به للجميع، لأنَّه حقٌّ كان يجب عليه دفعه إلى كل واحد منهم عند كونه هو الوارث. وهذا قول طائفة من أصحاب مالك وأحمد.

وفصل شيخنا بين الطائفتين، فقال: إنْ تمكن الموروث^(٤) من أخذ ماله والمطالبة به فلم يأخذه حتى مات صارت المطالبة به للوارث في الآخرة، كما هي كذلك في الدنيا. وإنْ لم يتمكن من طلبه [١/٧٣] وأخذه بل حال بينه وبينه ظلماً وعدواناً فالطلب له في الآخرة.

(١) ف: «والصلح والعفو».

(٢) وانظر مدارج السالكين (١/٣٩١).

(٣) ل: «تبرأ منه».

(٤) س: «المورث».

وهذا التفصيل من أحسن ما يقال، فإنّ المال إذا استهلكه الظالم على الموروث، وتعذر عليه أخذه منه، صار بمنزلة عبده الذي قتله قاتل، وداره التي أحرقها غيره، وطعامه وشرابه الذي أكله وشربه غيره. ومثل هذا إنما تلف على الموروث^(١) لا على الوارث، فحق المطالبة لمن تلف على ملكه.

بقي^(٢) أن يقال: فإذا كان المال عقاراً أو أرضاً أو أعياناً^(٣) قائمة باقيةً بعد الموت، فهي ملك للوارث^(٤)، يجب على الغاصب دفعها إليه كلّ وقت^(٥). فإذا لم يدفع إليه أعيان ماله استحق المطالبة بها عند الله، كما يستحق المطالبة^(٦) بها في الدنيا.

وهذا سؤال قوي لا مخلص منه إلا بأن يقال: المطالبة لهما^(٧) جميعاً، كما لو غصب مالاً مشتركاً بين جماعة استحق كل منهم المطالبة بحقه منه، وكما لو استولى على وقف مرتب على بطون، فأبطل حق البطون كلّهم منه، كانت المطالبة يوم القيمة لجميعهم، ولم يكن بعضهم أولى بها^(٨) من بعض. والله أعلم.

(١) س: «المورث».

(٢) ماعدا ف: «فبقي».

(٣) ل، ز: «وأرضاً وأعياناً».

(٤) ف: «الموروث».

(٥) ز: «في كل وقت».

(٦) كلمة «المطالبة» ساقطة من ف.

(٧) ز: «بهما»، خطأ.

(٨) «بها» ساقط من ف.

فصل

ولما كانت مفسدة القتل هذه المفسدة^(١) قال تعالى: «مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمْ مَنْ قَاتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَيْفَ أَنَّمَا قَاتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَخْيَاهَا فَكَانَمَا أَخْيَا النَّاسَ جَمِيعًا» [المائدة/٣٢].

وقد أشكل فهم هذا^(٢) على كثير من الناس، وقالوا: معلوم أن إثم قاتلٍ مائةٌ أعظمٌ عند الله من إثم قاتلٍ نفسٍ واحدةٌ. وإنما أتوا من ظنّهم أن التشبيه في مقدار الإثم والعقوبة، واللفظ لم يدلّ على هذا، ولا يلزم من تشبيه الشيء بالشيء أخذُه بجميع أحكامه.

وقد قال تعالى: «كَانُوكُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبِسُوكُمْ إِلَّا عَشِيهًّا أَوْ ضَحْنَهَا» [النازعات/٤٦] وقال: «كَانُوكُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوكُمْ إِلَّا سَاءَةً مِنْ نَهَارٍ» [الأحقاف/٣٥]. وذلك لا يوجب أن^(٣) لبّهم في الدنيا إنما كان هذا المقدار.

وقال النبي ﷺ: «من صلّى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلّى الفجر في جماعة فكأنما قام الليل كلّه»^(٤)، أي مع العشاء، كما جاء في لفظ [٧٣/ب] آخر^(٥).

(١) س: «هذا المفسدة».

(٢) س: «وقد أشكل ذلك».

(٣) «أن» ساقطة من ل، ز.

(٤) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه. أخرجه مسلم في المساجد، باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة (٦٥٦).

(٥) ساقه أحمد في المسند ١/٥٧ (٤٠٨) بلفظ «من صلّى صلاة العشاء والصبح في

وأصرح من هذا قوله: «من صام رمضان وأتبעהه ستّاً من شوال فكأنما صام الدهر»^(١)، وقوله: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فكأنما قرأ ثلث القرآن»^(٢).

ومعلوم أنّ ثواب فاعل هذه الأشياء لم يبلغ ثواب المشبه به، فيكون قدرهما سواءً. ولو كان قدرُ الثواب سواءً لم يكن لمصلحي العشاء والفجر جماعة^(٣) منفعة في قيام الليل غير التعب والنصب.

وما أُوتِيَ عَبْدٌ بَعْدَ الإِيمَانِ أَفْضَلَ مِنْ الْفَهْمِ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُوتِيهِ مِنْ يَشَاءُ.

فإإن قيل: ففي أي شيء وقع التشبيه بين قاتل نفس واحدة وقاتل الناس جميعاً؟

= جماعة فهو كقيام ليلة».

(١) ف: «الدهر كله». والحديث أخرجه مسلم عن أبي أيوب الأنباري رضي الله عنه في الصيام، بباب استحباب صوم ستة أيام من شوال (١١٦٤).

(٢) ثبت ذلك في حديث أبي الدرداء عند مسلم (٨١١) بلفظ: «أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟ قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن».

وعن أبي هريرة عند مسلم أيضاً (٨١٢) نحوه. وعن أبي سعيد الخدري عند البخاري (٥٠١٥) نحوه.

وباللحوظ الوارد عند المصنف أخرجه أحمد في المسند ١٤١/٥ (٢١٢٧٥) وأبو عبيد في فضائل القرآن (١٤٤-١٤٣) والضياء في المختار (١٢٣٩) (١٢٤٠) عن أبي بن كعب أو عن رجل من الأنصار. وأخرجه الترمذى (٢٨٩٦) عن أبي أيوب وقال: هذا حديث حسن.

(٣) ف: «الفجر والعشاء في جماعة».

ـ قيل : في وجوه متعددة :

ـ أحدها : أن كلاً^(١) منهما عاص لـ الله ورسوله ، مخالف^(٢) لأمره ، متعرض لعقوبته . وكل منهما قد باع بغضـبـ الله^(٣) ، ولعنته ، واستحقاق الخلود في نار جهنـمـ ، وأعـدـ له عذابـاـ عظيمـاـ ؛ وإن تفاوتت درـكـاتـ العـذـابـ ، فـليـسـ إـثـمـ من قـتـلـ نـبـيـاـ أو إـمامـاـ عـادـلـاـ أو عـالـمـاـ يـأـمـرـ النـاسـ بالـقـسـطـ كـإـثـمـ من قـتـلـ مـنـ لـاـ مـزـيـةـ لـهـ^(٤) من آحادـ النـاسـ .

ـ الثاني : أنهـما سـوـاءـ في استـحـقـاقـ إـزـهـاـقـ النـفـسـ .

ـ الثالث : أنهـما سـوـاءـ في الجـرـاءـ على سـفـكـ الدـمـ الحـرـامـ ، فإنـ منـ قـتـلـ نـفـسـاـ بـغـيرـ استـحـقـاقـ ، بلـ لمـجرـدـ الفـسـادـ في الـأـرـضـ أو لـأخذـ مـالـهـ ، فإـنهـ يـتـجـرـأـ عـلـىـ قـتـلـ كـلـ^(٥) منـ ظـفـرـ بـهـ ، وـأـمـكـنـهـ قـتـلـهـ ؛ فـهـوـ مـعـادـ لـلـنـوعـ الـإـنـسـانـيـ .

ـ ومنـها^(٦) : أنهـ يـسـمـيـ قـاتـلـاـ أو فـاسـقـاـ أو ظـالـمـاـ أو^(٧) عـاصـيـاـ بـقـتـلـهـ واحدـاـ ، كـماـ يـسـمـيـ كـذـلـكـ بـقـتـلـهـ النـاسـ جـمـيعـاـ .

ـ ومنـهاـ : أنـ اللهـ سـبـحانـهـ جـعـلـ المؤـمـنـينـ^(٨) في توـادـهـمـ وـتـراـحـمـهـمـ

(١) فـ : «ـكـلـ وـاحـدـ» .

(٢) سـ : «ـوـمـخـالـفـ» .

(٣) لـ : «ـمـنـ اللهـ» .

(٤) فـ : «ـقـتـلـ شـخـصـاـ لـاـ مـزـيـةـ لـهـ» . وـفـيـ زـ : «ـمـنـ لـاـ يـؤـبـهـ لـهـ» . لـفـظـةـ «ـكـلـ» سـاقـطـةـ مـنـ لـ .

(٥) وـقـعـ فيـ سـ مـكـانـ «ـوـمـنـهاـ» : «ـالـرـابـعـ وـأـنـهـماـ سـوـاءـ فيـ الـجـزـاءـ» كـذـاـ !

(٦) فـيـ لـ، زـ وـاوـ العـطـفـ مـكـانـ «ـأـوـ» فـيـ الـمـواـضـعـ الـثـلـاثـةـ .

(٧) سـ : «ـالـمـسـلـمـينـ» .

وتواصلهم كالجسد الواحد، إذا اشتكتى منه عضو^(١) تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر^(٢). فإذا أتلف القاتل من هذا الجسد عضواً، فكأنما أتلف سائر الجسد، وألم جميع أعضائه. فمن آذى مؤمناً واحداً، فكأنما آذى جميع المؤمنين. ومن آذى جميع المؤمنين آذى جميع الناس^(٣)، فإن الله إنما يدفع عن الناس بالمؤمنين الذين بينهم، فإذاء الخفير إيزاء المخفر^(٤).

وقد قال النبي ﷺ: «لا تقتل نفساً ظلماً بغير حق إلا كان على ابن آدم الأول كفلاً من دمها^(٥)، لأنه أول من سن القتل»^(٦). ولم يجيء هذا الوعيد في أول زان، ولا أول سارق، ولا أول شارب مسكري^(٧)؛ وإن كان أول المشركين قد يكون أولى بذلك من أول قاتل، لأنه أول من سن الشرك. ولهذا رأى النبي ﷺ عمرو بن لحي يعذب أعظم العذاب في النار، لأنّه أول من غير دين إبراهيم^(٨).

(١) ل: «عضو واحد».

(٢) كما في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، أخرجه البخاري في الأدب، باب رحمة الناس والبهائم (٦٠١١)، ومسلم في البر والصلة، باب تراحم المؤمنين (٢٥٨٦).

(٣) ماعدا س: «وفي آذى جميع المؤمنين آذى...».

(٤) ف، ل: «الحقير... المخفر»، تصحيف.

(٥) ف، ز: «من دمه».

(٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذرته (٣٣٣٥)؛ ومسلم في القسامـة، باب بيان إثم من سن القتل (١٦٧٧).

(٧) ز: «شارب خمر».

(٨) كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في المناقب، باب =

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرِ بِهِ﴾ [آل عمران/٤١] أي فيقتدي بكم مَن بعدهم، فيكون إثم كفره عليكم. وكذلك حكم من سنّ سنةً سيئةً فائتُبَعَ عليها.

وفي جامع الترمذى^(١) عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «يحيى المقتول بالقاتل يوم القيمة، ناصيته ورأسه بيده، وأوداجه تشخب دمًا، يقول: يا رب سُلْ هذا: فِيمَ قُتْلَنِي؟» فذكروا لابن عباس التوبة، فتلا^(٢)

قصة خزاعة (٣٥٢١)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون... (٢٨٥٦).

(١) برقم (٣٠٢٩). وأخرجه النسائي (٤٠٠٥) من طريق ورقاء ومحمد بن ثابت العبدى كلاماً عن عمرو بن دينار عن ابن عباس فذكره. ورواه عمار الذهنى وغيره عن سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس بنحوه. آخرجه النسائي (٣٩٩٩) وابن ماجه (٢٦٢١) وأحمد (٢٦٨٣، ١٩٤١) والطبراني (١٢٥٩٧) وغيرهم.

قال الحافظ ابن حجر في موافقة الخبر الخبر (٣٣٤/٢): «هذا حديث صحيح». قلت: سالم بن أبي الجعد كثير الإرسال وهل سمع من ابن عباس أم لا؟ وانظر تخریجه في سنن سعيد بن منصور - تفسير (١٣١٩/٤). ورواه سعيد بن جبیر عن ابن عباس في أن الآية لم ينسخها شيء، ولم يذكر المتن المرفوع: «يحيى القاتل بالمقتول...». آخرجه البخاري (٤٤٨٥، ٤٣١٤) - (٤٤٨٨)، ومسلم (٣٠٢٢).

ورواه أبو معاوية البجلي عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس موقوفاً قال: يأتي المقتول يوم القيمة آخذنا رأسه بيمنيه، وأوداجه تشخب دمًا يقول: يا رب دمي عند فلان فيؤخذان إلى العرش، فما أدرى ما يقضي بينهما، ثم نزع بالآية وذكر بقية الحديث. آخرجه الطبرى (٥/٢٢٠).

(٢) «التوبة فتلا» ساقط من ف.

هذه الآية ﴿ وَمَن يَقْتُلُ مُؤْمِنًا ﴾ [النساء / ٩٣]، ثم قال: ما نسخت هذه الآية ولا بدلّت، وأتى له التوبة! قال الترمذى^(١): هذا حديث حسن.

وفيه أيضاً^(٢) عن نافع قال: نظر عبدالله بن عمر يوماً^(٣) إلى الكعبة، فقال: ما أعظمك وأعظم حرمتك! والمؤمن أعظم عند الله^(٤) حرمة منك. قال الترمذى^(٥): هذا حديث حسن.

وفي صحيح البخارى^(٦) عن جندب^(٧) قال: أول ما يُتّن من

(١) «الترمذى» من ف وحدها. وفيها بعد قوله: «حديث حسن»: «متفق عليه!»

(٢) برقم (٢٠٣٢) وفي أوله متن مرفوع. وأخرجه ابن حبان ٧٥/١٣ (٥٧٦٣) وأبو الشيخ الأصبهانى في التنبية والتوبیخ (٩٠) - ولم يذكر الموقوف - والبغوي في شرح السنة ١٠٤/١٣ (٣٥٢٦) وغيرهم من طريق الحسين بن واقد عن أوفى بن دلهم عن نافع به. قال الترمذى: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسين بن واقد...».

والحديث تفرد به أيضاً أوفى بن دلهم عن نافع، ولم يروه أصحاب نافع مع أن أوفى بصرى ونافعاً مدنى.

وقد ورد عن ابن عمر مرفوعاً. أخرجه ابن ماجه (٣٩٣٢) والطبراني في مسند الشاميين ٣٩٦/٢ (١٥٦٨) ولا يصح.

وورد أيضاً من طريق مجاهد وطاوس عن ابن عباس مرفوعاً، أخرجه الطبراني (١١/٣٧) وغيره. وروي أيضاً عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس موقفاً، أخرجه ابن أبي شيبة ٤٣٤/٥ (٤٣٤٥). (٢٧٧٤٥).

(٣) «يوماً» ساقط من ز.

(٤) «عند الله» لم يرد في ف، ل.

(٥) «الترمذى» من ف وحدها.

(٦) أخرجه البخارى في الأحكام، باب من شاق شق الله عليه (٧١٥٢).

(٧) ف: «سمرة بن جندب». وهو خطأ، فإن الحديث المذكور عن جندب بن عبدالله البجلي رضي الله عنه.

الإنسان بطنه. فمن استطاع منكم أن لا يأكل إلا طيباً فليفعل، ومن استطاع أن لا يحول بينه وبين الجنة ملءٌ كفٌّ من دمٍ أهراقه فليفعل».

وفي صحيحه أيضاً^(۱) عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصبه دماً حراماً».

وذكر البخاري^(۲) أيضاً عن ابن عمر قال: «من^(۳) ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها^(۴): سفكُّ الدم الحرام بغير حله».

وفي الصحيحين عن أبي هريرة^(۵) يرفعه^(۶): «سباب المسلم في سوق، وقتاله كفر».

وفيهما أيضاً^(۷) عنه ﷺ: «لاترجعوا [٧٤/ب] بعدِي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض».

(۱) في كتاب الديات، باب قول الله تعالى ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُه جَهَنَّمُ ﴾ (٦٨٦٢).

(۲) في كتاب الديات (٦٨٦٣).

(۳) «من» ساقطة من ف.

(۴) ز: «فيها نفسه».

(۵) «عن أبي هريرة» كذا في جمیع النسخ. والحادیث الوارد في الصحيحین عن ابن مسعود رضی الله عنه. أخرجه البخاری في الإیمان، باب خوف المؤمن من أن يحطط عمله وهو لا يشعر (٤٨)؛ ومسلم في الإیمان (٦٤). أما حادیث أبي هريرة، فقد أخرجه ابن ماجه في الفتنة (٣٩٤٠).

(۶) «يرفعه» ساقط من ز.

(۷) من حادیث جریر بن عبد الله البجلي رضی الله عنه وغيره. أخرجه البخاری في كتاب الفتنة (٧٠٧٧ - ٧٠٨٠)؛ ومسلم في كتاب الإیمان (٦٥ - ٦٦).

وفي صحيح البخاري^(١) عنه ﷺ: «من قتل معاهداً لم يرَحْ رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً».

هذه^(٢) عقوبة قاتل^(٣) عدو الله إذا كان في عهده وأمانه^(٤)، فكيف عقوبة قاتل عبده المؤمن؟

وإذا كانت امرأة قد دخلت النار في هرّة حبسُها حتى ماتت جوعاً وعطشاً، فرأها النبي ﷺ في النار، والهرّة تخدشها في وجهها وصدرها^(٥)؛ فكيف عقوبة من حبس مؤمناً حتى مات بغير جرم؟

وفي بعض السنن^(٦) عنه ﷺ: «لَزَوَالُ الدِّنَّى أَهُونُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ

(١) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهم. أخرجه في كتاب الجزية والمودعة، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم (٣١٦٦).

(٢) فـ«هذا».

(٣) كلمة «قاتل» ساقطة من ز.

(٤) لـ«أمانته». فـ«في عهده وأمانة».

(٥) سبق تخریج الحديث في ص (٧٥).

(٦) أخرجه النسائي (٣٩٩٠) وابن أبي عاصم في الدييات (٨) وابن عدي في الكامل (٢١/٢) وغيرهم من طريق بشير بن المهاجر عن ابن بُريدة عن أبيه رفعه: «قتل المؤمن أعظم عند الله عز وجل من زوال الدنيا». وفيه بشير بن المهاجر الغنوبي، فيه ضعف.

وورد عن البراء، أخرجه ابن ماجه (٢٦١٩) وابن أبي عاصم في الدييات (٧) وابن عدي في الكامل (١٤٥/٣) وغيرهم من طريق روح بن جناح عن أبي الجهم مولى البراء عن ذكره. فيه روح بن جناح، فيه ضعف. انظر تهذيب الكمال (٩/٢٣٤).

وورد عن عبدالله بن عمرو بن العاص. أخرجه الترمذى (١٣٩٥) والنسائي (٣٩٨٧) وابن أبي عاصم في الدييات (٥) وغيرهم من طريق محمد بن أبي عدي عن شعبة عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبدالله بن عمرو ذكره مرفوعاً.

مؤمنٌ بغير حقّ».

فصل

ولما كانت مفسدة الزنى من أعظم المفاسد، وهي منافية لمصلحة نظام العالم في حفظ الأنساب، وحماية الفروج، وصيانة الحرمات، وتوفيق ما يُوقع أعظم العداوة والبغضاء بين الناس من إفساد كل منهم امرأة صاحبه وابنته وأخته وأمه، وفي ذلك خراب العالم = كانت تلي مفسدة القتل في الكبر. ولهذا قرناها الله سبحانه بها^(١) في كتابه، ورسوله بها في سنته^(٢)، كما تقدّم.

قال الإمام أحمد: ولا أعلم بعد قتل النفس شيئاً أعظم من الزنى^(٣).

وقد أكد سبحانه حرمته بقوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًاٰءَ أَخْرَىٰ
وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَرْتُبُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَأَ
أَثَاماً ۝ يُضَعَّفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَكَّماً ۝ إِلَّا مَنْ تَابَ﴾
[الفرقان/ ٦٨ - ٧٠]، فقرن الزنى بالشرك وقتل النفس، وجعل جزاء ذلك
الخلود في العذاب المضاعف^(٤) مالم يرفع^(٥) العبد موجب

قال البخاري: «الصحيح عن عبدالله بن عمرو موقوف». =
وهذا الموقوف سنه لا بأس به. فيه عطاء العامري والد يعلى، تابعي لم يرو عنه غير ابنه، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر تهذيب الكمال (٢٠/١٣٣) وتاريخ خليفة بن خياط (٢١٨).

(١) «بها» ساقط من ز.

(٢) س: «سننه».

(٣) تقدّم في ص (٢٦١).

(٤) س: «المضاعف».

(٥) ف: «لم يرفع».

ذلك^(١) بالتوبيه والإيمان والعمل الصالح.

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرِبُوا الْزِفَنَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَيِّلًا ﴾ [الإسراء / ٣٢] ، فأخبر عن فحشه في نفسه ، وهو القبيح الذي قد تناهى قبحه حتى استقر فحشه في العقول حتى عند كثير من الحيوان ، كما ذكر البخاري في صحيحه^(٢) [١/٧٥] عن عمرو بن ميمون الأودي قال : «رأيت في الجاهلية قرداً^(٣) زنى بقردة ، فاجتمع القرود عليهما ، فرجموهما حتى ماتا ». ثم أخبر عن غايته بأنه ساء سبيلاً ، فإنّه سبيل هلكة وبوارٍ وافتقار في الدنيا ، وسبيل عذابٍ وخزيٍ ونكالٍ في الآخرة .

ولمّا كان نكاح أزواج الآباء من أقبحه خصّه بمزيد ذم ، فقال : ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتَأً وَسَاءَ سَيِّلًا ﴾ [النساء / ٢٢] .

وعلق سبحانه فلاح العبد على حفظ فرجه منه ، فلا سبيل له إلى الفلاح بدونه ، فقال : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِرِزْكِهِمْ فَنِعْلُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَفْظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَنْوَجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكُوتُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ ﴾ [المؤمنون / ١ - ٧] .

وهذا يتضمن ثلاثة أمور^(٤) : أنّ من لم يحفظ فرجه لم يكن من

(١) س : «موجبة ذلك» .

(٢) أخرجه في مناقب الأنصار ، باب القساممة في الجاهلية (٣٨٤٩) ولفظه : «رأيت في الجاهلية قرداً اجتمع عليها قرداً قد زنت ، فرجموها ، فرجمتها معهم ». وانظر روضة المحبين (٤٩٩) ، وفتح الباري (١٦٠/٧) .

(٣) ف . «كان» بدلاً من «رأيت في الجاهلية قرداً» .

(٤) ف : «ثلاث أمور» .

المفلحين، وأنه من الملومين، ومن العادين. ففاته الفلاح، واستحقّ اسم العداون، ووقع في اللوم. فمقاساةُ ألم الشهوة ومعاناتها أيسر من بعض ذلك.

ونظير هذا^(١) أنه سبحانه ذمّ الإنسان، وأنه خلقَ هلوعاً لا يصبر على سراء ولا ضراء^(٢)، بل إذا مسّه الخير منع وبخل، وإذا مسّه الشرُّ جزع، إلا من استثناه بعد ذلك من الناجين من خلقه، فذكر منهم: ﴿وَالَّذِينَ هُنَّ لِفُرُوجِهِمْ حَفِظُونَ ﴾٢٩﴿ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكُوتُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾٣٠﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَأَةً ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُرُّ الْعَادُونَ ﴾٣١﴾ [المعارج / ٢٩ - ٣١].

وأمر تعالى^(٣) نبيه ﷺ أن يأمر المؤمنين بغضّ أبصارهم وحفظ فروجهم، وأن يعلّمهم أنه مشاهد لأعمالهم^(٤)، مطلع عليها^(٥)، ﴿يَعْلَمُ حَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾١٩﴾ [غافر / ١٩]. ولما كان مبدأ ذلك من قبل البصر جعل الأمر بغضّه مقدماً على حفظ الفرج، فإنّ الحوادث مبداءها من النظر، كما أنّ معظم النار من مستصغر الشر^(٦). فتكون نظرة، ثم خطوة، ثم خطيبة.

ولهذا قيل: من حفظ هذه الأربعة أحرز دينه [٧٥/ب]: اللحظات، والخطرات، واللقطات، والخطوات. فينبغي للعبد أن يكون بوّاب نفسه على هذه الأبواب الأربعة، ويلازم الرباط على ثغورها، فمنها يدخل

(١) «هذا» ساقط من س.

(٢) ف: «ولا على ضراء».

(٣) س: «الله تعالى».

(٤) س، ل: «شاهد أعمالهم».

(٥) ز: «يطلع عليها».

(٦) اقتباس من البيت الآتي بعد قليل.

عليه العدوّ، فيجوس خلال الديار، ويتبّر ما علا^(١) تبيراً!

فصل

وأكثر ما تدخل^(٢) المعاشي على العبد من هذه الأبواب الأربع، فنذكر في كل واحد منها فصلاً يليق به:

فأما اللحظات فهي رائد الشهوة ورسولها^(٣)، وحفظها أصل حفظ الفرج. فمن أطلق بصره أورده موارد الهلكات.

وقال النبي ﷺ: «لا تُتبع النّظرة النّظرَة، فإنّما لك الأولى، ولنّيست لك الآخرة^(٤)»^(٥).

وفي المسند^(٦) عنه ﷺ: «النّظر سهم مسموم من سهام إبليس،

(١) ز: «علوا». ف: «ويتبروا ما علوا».

(٢) س، ز: «يدخل».

(٣) س: «رائد الشهوة وقادتها».

(٤) ف: «الأخرى».

(٥) أخرجه أبو داود (٢١٤٩) والترمذى (٢٧٧٧) وأحمد ٣٥٣، ٣٥٢/٥ (٢٢٩٩١، ٢٢٩٧٤) وغيرهم من طريق شريك القاضي عن أبي ربيعة الإيادى عن ابن بريدة عن أبيه.

ورواه شريك مرةً فقال: عن أبي ربيعة وأبي إسحاق عن عبدالله بن بريدة عن أبيه فذكره. أخرجه أحمد ٣٥٧/٥ (٢٣٠٢١).

قلت: شريك ساء حفظه بعد توليه القضاء، وذكره أبا إسحاق وهم منه. وفيه أبو ربيعة الإيادى، واسمها عمر بن ربيعة. وثقة ابن معين. وقال أبو حاتم: «منكر الحديث». فالحديث ضعيف الإسناد.

وجاء من طريق آخر، ولا يثبت. انظر الصيام من شرح العمدة لابن تيمية (٣٠٦/١).

(٦) كذا في بداع الفوائد (٨١٧) أيضاً. وفي س: «السنن». وفي ف: «الحديث» =

فمن غضّ بصره عن محسن امرأة الله^(١) أورث الله قلبه^(٢) حلاوةً إلى يوم يلقاه». هذا معنى الحديث.

وقال: «غضوا أبصاركم، واحفظوا فروجكم»^(٣).

(ص). لم أقف عليه في المسند. والحديث أخرجه الحاكم (٣٤٩/٤) = والقضاعي في مسند الشهاب (٢٩٢) من طريق إسحاق بن عبد الواحد القرشي عن هشيم عن عبدالرحمن بن إسحاق عن محارب بن دثار عن صلة بن زفر عن حذيفة مرفوعاً ذكره. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» فتعقبه الذهبي بقوله: «إسحاق واه، وعبدالرحمن هو الواسطي ضعيفوه».

ورواه عبدالرحمن بن إسحاق مرة فجعله من مسند ابن مسعود، ومرة جعله من مسند ابن عمر، ومرة من مسند علي بن أبي طالب. انظر معجم الطبراني (١٠٣٦٢/١٠) ومسند الشهاب (٢٩٣) وذم الهوى لابن الجوزي (١١٦).

والحديث مداره على عبدالرحمن بن إسحاق وهو ضعيف. انظر مجمع الزوائد (٦٣/٨).

(١) «الله» لم يرد في س.

(٢) ف: «في قلبه».

(٣) أخرجه أحمد (٥/٣٢٣) (٢٢٧٥٧) وابن حبان (٢٧١) والحاكم (٤/٣٩٩) (٨٠٦٦) وغيرهم من طريق عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن عبد الله عن عبادة بن الصامت رفعه: «اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة...». قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». فتعقبه الذهبي بقوله: «فيه إرسال، وشاهده...». ثم ذكر حديث أنس.

قلت: المطلب لم يسمع من عبادة، فقد قال أبو حاتم: «لم يسمع من جابر». وجابر توفي سنة ٧٢هـ، وعبادة توفي سنة ٣٤هـ وقيل بعدها. بل قال البخاري

والدارمي: لا نعرف للمطلب بن حنطسب سماعاً من أحد من أصحاب النبي ﷺ.

والحديث أعلمه بالانقطاع المندرى والذهبى والهشمى. انظر تهذيب الكمال (٤/٢٨) والترغيب والترهيب (٣/٦٤) ومجمع الزوائد (٤/١٤٥).

وروي من حديث أنس، ولا يثبت.

وقال : «إيّاكم والجلوس على الطرق». قالوا : يا رسول الله ، مجالسُنا ما لنا منها بدّ . قال : «فإن كنتم لابد فاعلين ، فأعطوا الطريق حَقَّهُ». قالوا : وما حَقُّهُ؟ قال : «غضّ البصر ، وكفّ الأذى ، وردّ السلام»^(١) .

والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان ، فإن النظرة تولد خطرة ، ثم تولد الخطرة فكرة ، ثم تولد الفكرة شهوة ، ثم تولد الشهوة إرادة ، ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة ، فيقع الفعل ، ولا بد ، ما لم يمنع منه مانع .

وفي هذا^(٢) قيل : الصبر على غضّ البصر^(٣) أيسِرُ من الصبر على ألم ما بعده^(٤) .

قال^(٥) الشاعر :

كلُّ الحوادث مبداهَا من النظرِ
ومعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرِّ
كم نَظَرِّ بَلَغَتْ مِنْ قَلْبِ صَاحِبِهَا
كم بَلَغَ السَّهْمِ بَيْنَ الْقَوْسِ وَالْوَتَرِ^(٦)

(١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . أخرجه البخاري في المظالم ، باب أفنية الدور . . . (٢٤٦٥) ; ومسلم في اللباس والزينة (٢١٢١) .

(٢) ز : «ومن هذا» .

(٣) ف ، ز : «غضّ الطرف» . وسقط «أيسِرُ من الصبر» من ل .

(٤) «الصبر على غضّ . . . بعده» ساقط من س . ونقل المؤلف في عدة الصابرين (٤٠) خطبة للحجاج جاء فيها : «الصبر عن محارم الله أيسِرُ من الصبر على عذابه» . وانظر نحوه لزياد مولى ابن عياش في ذم الهوى (٦١) .

(٥) ف : «وقد قال» .

(٦) ل :

كم نظرة فعلت في قلب صاحبها فعل السهام بلا قوس ولا وتر =

والعبد مadam ذا طَرْفِ يقلّبه في أعين العِين موقوفٌ على الخطر^(١)

يسَرَ مقلته ما ضرَّ مهجته لا مرحباً بسروير عاد بالضرر^(٢)

ومن آفات النظر: أنه يورث الحسرات والزفرات والحرقات، فيري
العبد^(٣) ما ليس قادرًا عليه ولا صابرًا عنه. وهذا من أعظم العذاب أن
ترى مالا صبر لك عن بعضه، ولا قدرة لك على بعضه^(٤).

قال الشاعر:

وكنتَ متى أرسلتَ طرفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المناظرُ
رأيتَ الذي لا كُلُّه أنت قادرٌ عليه ولا عن بعضه أنت صابر^(٥)

وهذا البيت يحتاج إلى شرح. ومراده أنك ترى ما لا تصبر عن شيء
منه، ولا تقدر على شيء منه. فإن قوله: «لا كُلُّه أنت قادر عليه» نفي
لقدرته على الكلّ، التي لا تنتفي إلا بنفي القدرة عن كلّ واحد.

= وكذا في بداع الفوائد (١٢١٢). وفيه (٨١٧) وفي روضة المحبين (١٩٤):
«فتكت في قلب صاحبها فتك السهام».

(١) ف: «أعين الغيد»، وكذا في روضة المحبين. وفيه: «والمرء مadam ذا عين
يقلّبها».

(٢) هذا البيت انفرد به ف. والأبيات الأربع في روضة المحبين، والبيتان
الأخيران منها في المدهش (٢٩٦).

(٣) ف: «فالعبد يرى».

(٤) ل: «لك عليه»، وأشار في حاشية س إلى هذه النسخة.

(٥) أوردهما المؤلف في بداع الفوائد (٨١٧)، وروضة المحبين (١٩٤، ٣٤٣)،
وإغاثة اللهفان (١٠٤). والبيتان في حماسة أبي تمام دون عزو. انظر شرح
المرزوقي (١٢٣٨).

وكم ممن أرسل لحظاته، فما أقلعت إلا وهو يتشحّط بينهن^(١)
قتيلاً، كما قيل:

يا ناظراً ما أقلعت لحظاته حتى تشحّط بينهن قتيل^(٢)
ولي من أبيات^(٣):

مل السلامَة فاغتَدَت لحظاته وقفَا على طلِيلٍ يُظْنَ جميلاً^(٤)
ما زال يُبَعِ إثْرَه لحظاته حتى تشحّط بينهن قتيلاً^(٥)
ومن العجب أن لحظة الناظر سهم لا يصل إلى المنظور إليه حتى
يتبوأ مكاناً من قلب الناظر^(٦). ولدي من قصيدة:

(١) ف: «بينهم»، خطأ. وانظر روضة المحبين (٢٠٤).

(٢) «بينهن» ساقط من س. ووقع فيما عدا ز: «قتيلاً» بالنصب. وهو خطأ، فإن
البيت من مقطوعة مضمومة الروي لأبي نواس في ديوانه (٢٥٥). وانظر
مصالع العشاق (١١/٢) وقد لهج المؤلف بقوله: «تشحّط بينهن قتيل» فضمنه
كلامه نثراً ونظمًا، كما هنا، وفي المدارج (٣٦٩/١)، والروضة (٢٠٤).
وانظر التعليق على البيتين الآتيين.

(٣) «ولي من أبيات» ساقط من ل.

(٤) ف: «يلوح جميلاً».

(٥) أنسد المؤلف في الروضة (٢٠٦) بيدين آخرين من «قول الناظم» - ولعله يعني
نفسه -:

نظر العيون إلى العيون هو الذي جعل الهاك إلى الفؤاد سبلا
ما زالت اللحظات تغزو قلبه حتى تشحّط بينهن قتيلاً
وأورد في الصواعق (٩٨٠) ٢٥ بيًّا - يرجح أنها من شعره - على الروي نفسه
ليس منها البيتان المذكوران هنا، إلا أن البيت الثاني من بيتي الروضة يوجد
ضمنها، وقد وضع فيه «الشبهات» مكان «اللحظات».

(٦) «ومن العجب... الناظر» ساقط من ف.

يا راميَا بسهام اللحظ مجتهداً أنت القتيلُ بما ترمي فلا تُصِبِ
 وباعثَ الطرفِ يرتاد الشفاءَ له احبسْ رسولك لا يأتيك بالعطب^(١)
 وأعجب من ذلك أنَّ النظرة تجرح القلب، فيتبَعُها جرحاً على
 جرح، ثم لا يمنعه ألمُ الجراحة من استدعاء تكرارها. ولني أيضاً في هذا
 المعنى :

مازلتَ تُتبعُ نظرةً في نظرِهِ كلَّ مليحةٍ وملحِي
 وتظنَّ ذاك دواءً جرحاً وَهُوَ في التَّـ حقيق تجريحٌ على تجريحٍ
 فذبحتَ طرفَك باللَّحاظِ وبالبَـكا فالقلبُ منك ذبيحٌ إِيُّ ذبيح^(٢)
 وقد قيل : حبسُ اللحظاتِ أيسُرُ من دوام الحسرات^(٣).

فصل

وأما الخطرات فشأنها أصعب، فإنَّها مبدأ الخير والشرّ، ومنها تتولد الإرادات والهمم والعزم. فمن راعى خطراً إِنَّه ملكَ زمامَ نفسه، وقهَرَ هواه. ومن غلبه خطراً إِنَّه فهو ونفسه له أغلب، ومن استهان بالخطرات [٧٦/ب] قادته قسراً إلى الهلكات.

ولا تزال الخطرات تتردد على القلب حتى تصير مُنْيَ باطلة:

(١) س: «احبس بريدك». والبيتان في الروضة (١٩٥) وفيه: «توقف إِنَّه يأتيك»،
 وضمن أبيات في البدائع (٨١٨)، وفيه: «توقف إِنَّه يرتد».

(٢) س: «وذبحت» وفي حاشيتها أشير إلى هذه النسخة. وفيها أيضاً: «ذبيح ابن ذبيح». وفي ل: «مثل ذبيح بن ذبيح» وكلاهما تحريف.

(٣) وسيأتي الكلام على فوائد غضَّ البصر في ص (٤١٦).

﴿كَرَبَ يَقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَآنُ مَاءَ حَقَّ إِذَا جَاءَهُ لَوْلَيَحْدُهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ
فَوَفَّهُ حِسَابُهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور / ٣٩].

وأحسن الناس همةً وأوضعهم نفساً من رضي من الحقائق بالأمني الكاذبة، واستجلبها^(١) لنفسه، وتحلى بها، وهي - لعمر الله - رؤوس أموال المفلسين، ومتاجر البطاليين. وهي قوت النفس^(٢) الفارغة التي قد فنعت من الوصول بزوررة الخيال، ومن الحقائق بكواذب الآمال، كما قال الشاعر :

مُنِّي إِنْ تَكُنْ حَقًا تَكُنْ أَحْسَنُ الْمُنَى إِلَّا فَقَدْ عَشْنَا بِهَا زَمْنًا رَغْدًا^(٣)

وهي أضرُّ شيء على الإنسان، وتولد من العجز والكسل، وتولد التفريط والحسنة والندم. والمتنمي^(٤) لما فاته مباشرةً الحقيقة بحسنه نَحَتَ^(٥) صورتها في قلبه، وعانقها، وضمها إليه، فقنع بوصال صورة وهمية خيالية^(٦) صورها فكره، وذلك لا يُجدي عليه شيئاً، وإنما مثله مثل الجائع والظمان يصور في وهمه صورة الطعام والشراب، وهو يأكل ويشرب .

(١) ف : «واستحلالها». ل : «واستحلها».

(٢) ف : «قوت النفوس».

(٣) لرجل من بنى الحارث. شرح الحماسة للمرزوقي (١٤١٣). وهو محرف في سـ.

(٤) ما عدا ف : «التمني».

(٥) سـ، لـ : «بجسمه تحت». و«تحت» تصحيف. وهي غير منقوطة في زـ.

(٦) لـ، زـ : «خالية»، تحريف.

والسكون إلى ذلك واستحلاؤه^(١) يدل على خساسة النفس ووضاعتها، وإنما شرف النفس وزكاتها وطهارتها وعلوّها بأن ينفي عنها كلّ خطرة لا حقيقة لها، ولا يرضي أن يخطرها بباله، ويأنف لنفسه منها.

ثم الخطراتُ بعدُ أقسامٌ تدور على أربعة أصول:

خطرات يستجلب بها منافع دنياه.

خطرات يستدفع بها مصارّ دنياه.

خطرات يستجلب بها مصالح^(٢) آخرته.

خطرات يستدفع بها مصارّ آخرته.

فليحصر^(٣) خطراته وأفكاره وهمومه في هذه الأقسام الأربع. فإذا انحصرت له فيها^(٤)، مما أمكن اجتماعه منها لم يتركه لغيره. وإذا تزاحمت عليه الخطرات لِتزاُمِ متعلقاتها قدم الأهم الذي يخشى فوته وأخر الذي [١/٧٧] ليس بأهم ولا يخاف^(٥) فوته.

بقي قسمان آخران: أحدهما مهم لا يفوته. والثاني غير مهم، ولكنه يفوته. ففي كلّ منهما ما يدعو إلى تقديميه، فهنا يقع التردد والحيرة. فإن قدم المهم خشي فوات ما دونه، وإن قدم ما دونه فاته

(١) مaudaf: «استجلابه».

(٢) س: «منافع»، وفي حاشيتها: «خ مصالح».

(٣) ف: «فليخطر». س، ل: «فليحضر».

(٤) س: «انحصرت له منها».

(٥) س: «ولا يخشي»، وفي حاشيتها: «خ لا يخاف».

الاشتغال به عن المهم.

وكذلك^(١) يعرض له أمران لا يمكن الجمع بينهما، ولا يحصل^(٢) أحدهما إلا بتفويت الآخر، فهذا موضع استعمال العقل^(٣) والفقه والمعرفة. ومن هاهنا ارتفع من ارتفع، وأنجح من أنجح، ونحو من خاب. فأكثر من ترى ممن يعظّم عقله ومعرفته يؤثّر غير المهم الذي لا يفوت على المهم الذي يفوت. ولا تجد أحداً يسلم من ذلك، ولكن مستقِلٌّ ومستكثِرٌ.

والتحكيم في هذا الباب للقاعدة الكبرى التي عليها مدار الشرع والقدر، وإليها مرجع^(٤) الخلق والأمر، وهي إيثارُ أكبر المصلحتين وأعلاهما، وإن فاتت المصلحة التي هي دونها؛ والدخول في أدنى المفسدين لدفع ما هو أكبر منها، فيفوت مصلحة لتحصيل^(٥) ما هو أكبر منها، ويرتكب مفسدة لدفع ما هو أعظم منها. فخطرات العاقل وفكرة لا تتجاوز^(٦) ذلك. وبذلك جاءت الشرائع، ومصالح الدنيا والآخرة لا تقوم^(٧) إلا على ذلك.

وأعلى الفكرة وأجلّها وأنفعها ما كان لله والدار الآخرة. فما كان لله

(١) س، ز: «ولذلك».

(٢) ف: «ولا يحصل».

(٣) س، ل: «اشتغال العقل».

(٤) ماعدا ف: «يرجع».

(٥) ماعدا س: «ليحصل».

(٦) ف: «لا تجاوز». ل: «وفكرته لا تتجاوز». ز: «لا يتتجاوز».

(٧) ف: «ولا تقوم»، ولعله خطأ.

أنواع :

أحدها: الفكرة في آياته المنزلة، وتعلقها^(١) وفهم مراده منها. ولذلك أنزلها الله تعالى، لا لمجرد تلاوتها، بل التلاوة وسيلة. قال بعض السلف: أنزل القرآن ليُعمل به، فاتخذوا تلاوته عملاً^(٢).

الثاني: الفكرة في آياته المشهودة، والاعتبار بها، والاستدلال بها على أسمائه وصفاته، وحكمته وإحسانه، وبره وجوده. وقد حضّ الله سبحانه عباده على التفكير^(٣) في آياته وتدبرها وتعلقها، وذم الغافل عن ذلك.

الثالث: الفكرة في آلاتِه، وإحسانه، وإنعامه على خلقه بأصناف النعم، وسعة رحمته ومغفرته وحلمه.

[٧٧/ب] وهذه الأنواع الثلاثة تستخرج من القلب معرفة الله، ومحبّته، وخوفه، ورجاءه. ودوامُ الفكرة في ذلك مع الذكر يصبغ القلب في المعرفة والمحبة صبغة^(٤).

الرابع: الفكرة^(٥) في عيوب النفس وأفاتها وفي عيوب العمل. وهذه الفكرة عظيمة النفع، وهي بابٌ لكلّ خير، وتأثيرها في كسر النفس والأمارة. ومتى كسرت عاشت النفس المطمئنة، وانتعشت، وصار

(١) ف، ل: «وتعلقها»، وكذلك فيما يأتي، وهو تحريف.

(٢) من كلام الحسن البصري. مدارج السالكين (٤٥١/١)، مفتاح دار السعادة (٥٥٥/١)، ربيع الأبرار.

(٣) ف: «على الفكر»، وسقط منها «عباده».

(٤) كذا في جميع النسخ، وفي ط: «صبغة تامة».

(٥) «والمحبة... الفكر» ساقط من ل.

الحكم لها؛ فحييَ القلب ودارت كلمته في مملكته، وبثّ أمراءه وجنوده في مصالحة.

الخامس: الفكرة في واجب الوقت ووظيفته، وجمع الهم كلّه عليه. فالعارف ابن وقته^(١)، فإن أضاعه ضاعت عليه مصالحة كلّها. فجميع المصالح إنما تنشأ من الوقت، وإن ضيّعه لم يستدركه أبداً.

قال الشافعي : رضي الله عنه^(٢): صحبت الصوفية، فلم أستفد منهم سوى حرفين: أحدهما قولهم: الوقت سيف، فإن قطعته، وإن قطعك^(٣). وذكر الكلمة الأخرى^(٤).

فوقت الإنسان هو^(٥) عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة معيشته الضنك في العذاب الأليم، وهو يمرّ أسرع

(١) في حاشية س آن في نسخة زيادة: «ويومه». وفي ز: «لزم وقته»، ولعله تغيير من ناسخ لم يعجبه هذا التعبير. وانظر في قولهم: «العارف ابن وقته» وتفسيره: مدارج السالكين (٣٤١/٣) وانظر أيضاً: (١٢٨/٣ - ١٣١)، ومفتاح دار السعادة (٣٠٥/١).

(٢) هذا في ل. وفي س: «رحمه الله تعالى ورضي عنه». ولم يرد شيء في ف، ز.

(٣) ف: «فإن لم تقطعه وإن قطعك». وكذا وقع في المدارج (٤٩/٣). وفي المدارج (١٢٩/٣) كما هنا.

(٤) وهي كما ذكرها المصنف في المدارج (١٢٩/٣): «ونفسك إن لم تشغليها بالحق وإن شغلتك بالباطل». وموقع «وإلا» في هذا التركيب خطأ تكرر في كتب المصنف، والصواب حذفها. وقد زاد بعض ناشري كتابنا هذه الجملة هنا بعد إصلاحها: «ونفسك إن شغلتها بالحق وإن شغلتك بالباطل». انظر: ط عبدالظاهر (٢٠٩) وط فايد (١٣٣) وغيرهما. (ص). انظر قول الشافعي في مناقب الشافعي للبيهقي (٢٠٨/٢). (ز).

(٥) لم يرد «هو» في ف.

من مرّ السحاب . فما كان من وقته لله وبالله ، فهو حياته وعمره . وغير ذلك ليس محسوّاً من حياته ، وإن عاش فيه عيش البهائم . فإذا قطع وقته في الغفلة والشهو^(١) والأمانى الباطلة ، وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة ، فموت هذا خير له من حياته . وإذا كان العبد ، وهو في الصلاة ، ليس له^(٢) إلا ما عقل منها ، فليس له من عمره إلا ما كان فيه بالله قوله^(٣) .

وما عدا هذه الأقسام من الخطرات والفكر ، فإنما وساوس شيطانية^(٤) ، وإنما أمانى باطلة وخدع كاذبة^(٥) ، بمنزلة خواطر المصابين في عقولهم من السكارى والممسوسين^(٦) والموسوسين . ولسان حال هؤلاء يقول عند انكشاف الحقائق^(٧) :

إِنْ كَانَ مُنْزَلْتِي فِي الْحَسْرِ عِنْدَكُمْ مَا قَدْ لَقِيتُ فَقَدْ ضَيَّعْتُ أَيَامِي^(٨)

(١) «والشهو» لم يرد في ف ، فزاده بعضهم .

(٢) ل : «له من صلاته» .

(٣) «وله» ساقط من ف .

(٤) ل : «وساوس من شيطانه» .

(٥) ل : « وإنما خدع كاذبة» .

(٦) ف : «السكارى المحسوسين» . وكذا وردت الكلمة في النسخ بالحاء والشين .

ولعل الصواب ما أثبتنا . والممسوس : الذي به مس ، وهو الجنون . قال رؤبة :

قَدْ عَلِمَ الْعَالَمُ وَالْقِسِّيسُ أَنَّ امْرًا حَاربَكُمْ مَمْسُوسٌ

انظر طبقات فحول الشعرا (٧٦٤) . ولو أراد من الحشيش لقال :

«الحشاشين» .

(٧) ف : «عند انكشاف الحقائق يقول» .

(٨) الرواية : «في الحب» بدلاً من «في الحسر» ، وهذه إن لم تكن تغييراً مقصوداً فهي من تحريف النسّاخ . وفي ف مكانها : «يا قوم» . وقد ورد البيت في روضة =

أمنيَّةٌ ظفرتْ نفسي بها زماناً [١/٧٨] واليوم أحسَبها أضغاثَ أحلامٍ^(١)

واعلم أنَّ ورودَ الخاطر لا يضرُّ، وإنَّما يضرُّ استدعاوَه ومحادثَه.
فالخاطر كالمارَّ على الطريق، فإنْ لم تستدعِه وتركتَه مَرَّ وانصرفَ
عنك^(٢)، وإنَّ استدعيَته سَحَرَك بحديثِه وخَدْعَه وغُرورِه. وهو أخفَّ
شيءٍ على النفس الفارغة الباطلة، وأنقلَ شيءٍ على القلب والنفس
الشريفة السماوية المطمئنة.

وقد رَكَبَ الله سبحانه في الإنسان نفساً أمَارةً ونفساً مطمئنةً، وهما
متعاديان، فكلُّ ما^(٣) خفَّ على هذه ثقُلَ على هذه، وكلَّ ما التذَّرت به
هذه تألمت به الأخرى. فليس على النفس الأمارة أشقُّ من العملِ لله،
وإيثارِ رضاه على هواها؛ وليس لها أفعُّ منه. وليس على النفس
المطمئنة أشقُّ من العمل لغير الله، وإجابة^(٤) داعي الهوى؛ وليس عليها
أضرُّ^(٥) منه. والملك مع هذه عن يمنةِ القلب، والشيطان مع تلك عن
يُسْرَةِ القلب. والحروب مستمرة لا تضع أوزارها إلى أن تستوفِي أجلَّها
من الدنيا. والباطل كله يتحيز مع الشيطان والأمارة، والحق كله يتحيز
مع الملك والمطمئنة. والحروب دُولَ وسِجال، والنصر مع الصبر. ومن

= المحبين (٤٠٤) وفي مطبوعته: «في الحب».

(١) ف: «ظفرت قلبي»، وهو خطأ. والبيان لابن الفارض في ديوانه (٢٠٧) وفيه:
«ظفرت روحي» وفي البيت الأول: «ما قد رأيت».

(٢) «عنك» لم يرد في س.

(٣) ز: «وكلما».

(٤) س: «وما اجابة». ف: «وماجابه».

(٥) ف: «شيء أضر».

صَبَرَ، وصَابَرَ، ورَابَطَ، واتَّقَى اللَّهُ، فلَهُ^(١) الْعَاقِبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ^(٢).
وقد حكم الله حكماً لا يبدأ أبداً أن العاقبة للتفوي ، والعاقبة للمتقين^(٣).

فالقلب لوح فارغ ، والخواطر نقوش تُنقَشُ فيه ، فكيف يليق بالعاقل
أن تكون نقوش لوجه ما بين كذب ، وغرور ، وخدع ، وأمانٍ باطلة ،
وسراب لا حقيقة له؟ فأي حكمة وعلم وهى ينتقش مع^(٤) هذه
النقوش؟ وإذا أراد أن ينتقش ذلك في لوح قلبه كان بمنزلة كتابة العلم
النافع في محل مشغول بكتابه ما لا منفعة فيه . فإن لم يُفرَغَ القلب من
الخواطر الرديئة لم يستقر فيه الخواطر النافعة ، فإنها لا تستقر إلا في محل
فارغ ، كما قيل :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا^(٥)

[٧٨/ب] ولهذا كثير من أرباب السلوك بنوا سلوكهم^(٦) على حفظ
الخواطر ، وأن لا يمكنُوا خاطراً يدخل قلوبهم ، حتى تصير القلوب
فارغةً قابلةً للكشف وظهور حقائق العلويات^(٧) فيها .

وهؤلاء حفظوا شيئاً ، وغابت عنهم أشياء ، فإنهم أخلوا القلوب من

(١) ف: «فَإِنْ لَهُ».

(٢) يشير إلى الآية الكريمة (٢٠٠) من سورة آل عمران.

(٣) كما جاء في سورة الأعراف (١٢٨)، وہود (٤٩)، وطه (١٣٢) وغيرها.

(٤) س: «من».

(٥) بيت سائر نسبة المؤلف في روضة المحبين (٢٤٠) إلى قيس بن الملوح وهو مجنون ليلي ، وينسب إلى غيره . انظر ديوان المجنون (٢١٩).

(٦) ز: «يترسلوا لهم». وفي ل: «الشكوك بنوا شكوكهم». وكلاهما تحريف.

(٧) ف: «المعلومات». وفي حاشية س إشارة إلى هذه النسخة . وهي تحريف.

أن يطرقها خاطر، فبقيت فارغة لا شيء فيها، فصادفها الشيطان خاليةً، فبذر فيها الباطل في قوالب أوهمهم^(١) أنها أعلى الأشياء وأشرفها، وعوّضهم بها عن الخواطر التي هي مادة العلم والهدى. وإذا خلا القلب عن هذه الخواطر جاء الشيطان فوجد المحلّ خالياً، فشغله بما يناسب حال صاحبه، حيث لم يستطع أن يشغله بالخواطر السفلية، فشغله بإرادة التجريد والفراغ^(٢) من الإرادة التي لا صلاح للعبد ولا فلاح إلا بأن تكون هي المسئولة على قلبه. وهي: إرادة مراد الله الديني^(٣) الأمري الذي يحبه ويرضاه، وشَغَلُ القلب^(٤) واهتمامه بمعرفته على التفصيل به، والقيام به وتنفيذه في الخلق، والطريق إلى ذلك، والتوصيل إليه بالدخول في الخلق^(٥) لتنفيذها. فبِرْ طَلَّهُم^(٦) الشيطان عن ذلك بأن دعاهم إلى تركه وتعطيله، من باب الزهد في خواطر الدنيا وأسبابها، وأوهمهم^(٧) أن كمالهم في ذلك التجريد والفراغ. وهياتا

إنما الكمال في امتلاء القلب والسرّ من الخواطر والإرادات والفكّر في تحصيل مراضي الرب تعلى من العبد ومن الناس، والتفكير في طرق ذلك والتوصيل إليه. فأكمل الناس أكثرهم خواطر وفِكْرًا وإرادات لذلك، كما أن أنقص الناس أكثرهم خواطر وفِكْرًا وإرادات لحظوظه وهواء أين

(١) س: «أوهمها». وفي الحاشية إشارة إلى ما في غيرها.

(٢) من هنا إلى «التجريد والفراغ» الآتي سقط من س لانتقال النظر.

(٣) «الديني» ساقط من ل.

(٤) ل: «ويشغل القلب».

(٥) «في الخلق» ساقط من ل.

(٦) من برطله: رشاہ. انظر أساس البلاغة (برطل).

(٧) وانظر طريق الهجرتين (٣٨٠).

كانت. والله المستعان.

وهذا عمر بن الخطاب كانت تتزاحم عليه الخواطر في مراضي الرب تعالى، فربما استعملها في صلاته، فكان يجهز^(١) جيشه وهو في صلاته^(٢)، فيكون قد جمع بين الجهاد والصلوة.

وهذا من باب تداخل العبادات في العبادة الواحدة. وهو باب عزيز شريف لا يعرفه^(٣) إلا صادق الطلب، متضلع من العلم، عالي الهمة، بحيث يدخل في عبادة يظفر فيها بعبادات ستى^(٤). وذلك فضل الله يؤتى به من يشاء.

فصل

وأما اللفظات، فحفظها بأن لا يُخرج لفظة ضائعة، بل لا يتكلّم إلا فيما يرجو فيه الربح والزيادة في دينه. فإذا أراد أن يتكلّم بالكلمة نظر: هل فيها ربح وفائدة أم لا؟ فإن لم يكن فيها ربح أمسك عنها، وإن كان فيها ربح نظر: هل يفوته بها كلمة هي أربع منها، فلا يضيّعها بهذه.

وإذا أردت أن [١/٧٩] تستدلّ على ما في القلب، فاستدلّ عليه^(٥)

(١) س: «وكان تجهيز».

(٢) ف: «عسكره وهو في الصلاة». وقد أخرجه البخاري تعليقاً في كتاب العمل في الصلاة، باب تفكير الرجل الشيء في الصلاة (ص ٢٣٩). (ص). ووصله ابن أبي شيبة في المصنف ١٨٨/٢ (٧٩٥١). وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح (٩٠/٣).

(٣) ف: «لا يدخل منه».

(٤) وانظر زاد المعاد (١/٢٥٠).

(٥) «عليه» ساقط من س.

بحركة اللسان، فإنه يُطلعُ ما في القلب^(١)، شاء صاحبه أم أبي.

قال يحيى بن معاذ: القلوب كالقدور تغلي بما فيها، وألسنتها مغارفها. فانظر الرجل^(٢) حين يتكلّم، فإنّ لسانه يغترف^(٣) لك مما في قلبه^(٤): حلو وحامض، وعذب وأجاج، وغير ذلك. ويبين لك طعم قلبه اغتراف لسانه^(٥).

أي كما تطعم بلسانك طعم ما في القدر من الطعام، فتدرك العلم بحقيقة؛ كذلك تطعم ما في قلب الرجل من لسانه، فتذوق ما في قلبه^(٦) من لسانه، كما تذوق ما في القدر بلسانك.

وفي حديث أنس المرفوع: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه^(٧) حتى يستقيم لسانه»^(٨).

(١) ل: «على ما القلب»، فسقط منها «في».

(٢) ف: «فإن الرجل».

(٣) ف: «يغرف».

(٤) ل، ز: «بما في قلبه».

(٥) حلية الأولياء (٦٧/١٠).

(٦) ف: «في القلب».

(٧) «ولا يستقيم قلبه» ساقط من س.

(٨) أخرجه أحمد ١٩٨/٣ (١٣٠٤٨) وابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان^(٩) والقضاعي في مسند الشهاب (٨٨٧) وغيرهم من طريق علي بن مسعة عن قتادة عن أنس فذكره، وفيه زيادة. وهو حديث منكر، تفرد به علي بن مسعة عن قتادة، وعلى ضعيف. والحديث ضعفه الهيثمي والعرافي. انظر مجمع الزوائد (٥٣/١). وروي من وجه آخر عن أنس ولا يصح.

وثبت هذا عن ابن مسعود موقوفاً. أخرجه الطبراني في الكبير (٨٩٩٠) وأبو نعيم في الحلية (١٦٥/٤) وغيرهما عن زيد عن مرة الطيب عن ابن

وسائل ﷺ عن أكثر ما يدخلُ الناسَ النارَ، فقال: «الفم والفرج»^(١).
قال الترمذى حديث صحيح^(٢).

وقد سأله معاذ النبي ﷺ عن العمل الذي يدخله الجنة ويباعده من النار، فأخبره برأسه، وعموده، وذروة سمامه؛ ثم قال: «ألا أخبرك بملك ذلك؟» قال: بلـ يا رسول الله. فأخذ بلسان نفسه^(٣)، ثم قال: «كُفَّ عليك هذا». فقال: وإنـا لمؤاخذون بما نتكلـم به؟ فقال: «ثكلـتك أمـك يا معاذ! وهل يكتبـ الناسـ في النارـ^(٤) على وجوهـم - أو على مناـخرـهم - إـلا حصـائدـ أـلسـنـتـهـمـ؟»^(٥) قال الترمذى: حديث

= مسعود مطولاً. وسنته صحيح. وقد روـي مرفوعـاً ولا يـثبتـ. انظر عـلـى الدارقطـني (٥/٢٧١).

(١) أخرجه الترمذى (٤٢٠٤) وابن ماجه (٤٢٤٦) والبخارى في الأدب المفرد (٢٩٤) وابن أبي الدنيا في الصمت (٤) وابن حبان (٤٧٦) والحاكم (٣٦٠/٧٩١٩) وغيرـهم من طـريق عبدـاللهـ بنـ إدـريـسـ عنـ أبيـهـ وـعـمهـ عنـ جـدـهـ يـزـيدـ الأـوـديـ عنـ أبيـ هـرـيرـةـ فـذـكـرـهـ. قالـ التـرمـذـىـ: «هـذـاـ حـدـيـثـ صـحـيـحـ غـرـيـبـ». وـصـحـحـهـ اـبـنـ حـبـانـ وـالـحـاـكـمـ.

(٢) كـذاـ فـيـ الأـصـوـلـ وـخـاـ. وـفـيـ خـبـ وـطـ المـدـنـيـ وـعـبـدـ الـظـاهـرـ وـغـيرـهـماـ: «حـسـنـ صـحـيـحـ». وـفـيـ نـسـخـةـ الـجـامـعـ الـمـطـبـوعـةـ مـعـ تـحـفـةـ الـأـحـوـذـيـ: «صـحـيـحـ غـرـيـبـ».

(٣) سـ: «بـلـسـانـهـ»، وـفـيـ حـاشـيـتـهاـ إـشـارـةـ إـلـىـ مـاـ أـثـبـتـنـاـ مـنـ غـيرـهـاـ.

(٤) «فـيـ النـارـ» لـمـ يـرـدـ فـيـ فـ.

(٥) أخرجه الترمذى (٢٦١٦) وابن ماجه (٣٩٧٣) وأحمد (٢٣١/٥) وحسـنـ (٢٢٠١٦) وغيرـهم من طـريق عـاصـمـ بنـ أـبـيـ النـجـودـ عنـ أـبـيـ سـمـاعـ وـائـلـ عنـ مـعـاذـ فـذـكـرـهـ مـطـولـاـ.

قلـتـ: تعـقـبـ الـحـافـظـ اـبـنـ رـجـبـ الـحـنـبـلـيـ تصـحـيـحـ التـرمـذـىـ فـقـالـ: «وـفـيـمـاـ قـالـهـ رـحـمـهـ اللـهـ نـظـرـ مـنـ وـجـهـيـنـ: أـحـدـهـمـ أـنـهـ لـمـ يـثـبـتـ سـمـاعـ أـبـيـ وـائـلـ مـنـ مـعـاذـ، وـإـنـ كـانـ قـدـ أـدـرـكـهـ بـالـسـنـ. وـكـانـ مـعـاذـ بـالـشـامـ وـأـبـوـ وـائـلـ بـالـكـوـفـةـ...ـ وـالـثـانـيـ أـنـهـ قـدـ

صحيح^(١).

ومن العجب أنَّ الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنا والسرقة وشرب الخمر ومن النظر المحرم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى ترى الرجل^(٢) يشار إليه بالدين والزهد والعبادة^(٣)، وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله، لا يُلقي لها بالأَ، يُزِّل^(٤) بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغارب^(٥)! وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم، ولسانه

رواه حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن شهر بن حوشب عن معاذ. خرجه الإمام أحمد [٥/٢٤٨ (٢٢١٣٣) وغیره] مختصراً. قال الدارقطني: وهوأشبه بالصواب، لأنَّ الحديث معروف من روایة شهر على اختلاف عليه فيه. قلت (أي ابن رجب): وروایة شهر عن معاذ مرسلة بقينا. وشهر مختلف في توثيقه وتضعيفه. وقد خرجه الإمام أحمد [٥/٢٤٥ (٢٢١٢٢)] من روایة شهر عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ. وخرجه الإمام أحمد أيضاً [٥/٢٣٣، ٢٣٧ (٢٢٠٦٨، ٢٢٠٣٢)] من روایة عروبة بن التزال وميمون بن أبي شبيب كلامها عن معاذ. ولم يسمع عروبة ولا ميمون من معاذ. وله طرق أخرى عن معاذ كلها ضعيفة» جامع العلوم والحكم (١٣٥/٢). وانظر على الدارقطني (٦/٧٣ - ٧٩).

وقال العقيلي في الضعفاء (٣/٤٨٠). - لما ضعف حديث أنس عن معاذ هذا - قال: «وفي هذا الباب عن معاذ وغيره أحاديث ثابتة من غير هذا الوجه». وانظر ابن حبان (٢١٤).

(١) كذا في الأصول وخا. وفي خب وط المدني وغيرها وفي نسخة الجامع المطبوعة مع التحفة: «حسن صحيح».

(٢) ل: «ترى الذي». ز: «يرى الرجل».

(٣) ز: «العبادة والزهد».

(٤) «يزِّل» ساقط من ل.

(٥) يشير إلى حديث أبي هريرة الآتي. وقد سبق أيضاً في ص (٢٠٦).

يفري في أعراض الأحياء والأموات، ولا يبالي ما يقول!

وإذا أردت أن تعرف ذلك، فانظر إلى ما رواه مسلم في صحيحه^(١) من حديث جندب بن عبد الله قال: قال رسول الله [٧٩/ب] ﷺ: «قال رجل: والله لا يغفر لله لفلان. فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتأنّى علىّ أني لا أغفر لفلان؟ قد غفرت له، وأحبطت عملك».

فهذا العابد^(٢) الذي قد عَبَدَ اللَّهَ مَا شاءَ أَنْ يَعْبُدَهُ، أَحْبَطَ هَذِهِ الْكَلْمَةُ الْوَاحِدَةُ عَمَلَهُ كُلَّهُ!

وفي حديث أبي هريرة نحو ذلك، ثم قال أبو هريرة: «تكلمت بكلمةٍ أوبقت دنياه وآخرته»^(٣).

وفي الصحيحين^(٤) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ

(١) كتاب البر والصلة، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله (٢٦٢١).

(٢) ذكر العابد في حديث أبي هريرة الآتي، لا في حديث جندب السابق.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٠١) وأحمد (٣٦٣، ٣٢٣/٢)، وابن حبان (٨٧٤٩، ٨٢٩٢).

(٤) وغيّرهم من طريق عكرمة بن عمّار عن ضمّن بن جوس عن أبي هريرة فذكر مطولاً.

وفي عكرمة بن عمّار، في حفظه كلام. وقد اختلف عنه الرواة في الجملة الأخيرة. فرواه من قول أبي هريرة: عبد الله بن المبارك في الزهد (٩٠٠)، وأبو الوليد الطيالسي عند ابن حبان، وأبو عامر العقدي وعبدالصمد عند أحمد، وعلى بن ثابت عند أبي داود.

ورواها مرفوعة: موسى بن مسعود عند المزي في تهذيب الكمال (٣٢٦/١٣) وغسان بن عبيد عند ابن أبي الدنيا في حسن الظن (٤٥). والصواب: الموقوف.

(٥) أخرجه البخاري في الرقاق، باب حفظ اللسان (٦٤٧٨) من طريق أبي صالح =

ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالأَ، يرفعه الله بها^(١) درجات. وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالأَ، يهوي بها^(٢) في جهنم».

وعند مسلم^(٣): «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُتَكَلَّمُ بِالْكَلْمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا، يَهُوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ^(٤) الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».

وعند الترمذى^(٥) من حديث بلال بن الحارث المزنى^(٦) عن النبي ﷺ^(٧):

عن أبي هريرة ولم يخرجه مسلم من هذا الطريق.

(١) «بها» ساقط من ز.

(٢) ز: «يلقى بها».

(٣) برقم (٢٩٨٨)، وأيضاً عند البخاري (٦٤٧٧) من طريق عيسى بن طلحة عن أبي هريرة.

(٤) ماعدا ف: «يزل بها... مما بين».

(٥) برقم (٢٣١٩). وأخرجه ابن ماجه (٣٩٦٩) وأحمد (٤٦٩/٣) (١٥٨٥٢) والحاكم والبخاري في تاريخه (١٠٦/٢ - ١٠٧) وابن حبان (٢٨١، ٨٠، ٢٨٧) والحاكم (١٠٦ - ١٠٧) (١٣٦) (١٤٠) وغيرهم من طرق عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبيه عن جده علقمة عن بلال بن الحارث المزنى ذكره. قال الترمذى: «هذا حديث حسن صحيح». وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح». وصححه ابن حبان.

وقد رواه الإمام مالك وغيره عن محمد بن عمرو بن علقمة به، ولم يذكر «عن جده».

ورجح البخاري الأول رواية الجماعة فقال: «وال الأول أصح». وإليه مال الترمذى والدارقطنى وابن عبدالبر. راجع تحقيق المسند (٢٥/١٨١ - ١٨٢).

(٦) «المزنى» ساقط من ز.

(٧) ل: «الترمذى عن النبي ﷺ من حديث...».

«إِنَّ أَحَدَكُمْ^(١) لِيَتَكَلَّمُ بِالْكَلْمَةِ مِنْ رَضْوَانِ اللَّهِ، مَا يَظْنَ^(٢) أَنْ تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ^(٣) بِهَا رَضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ. وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لِيَتَكَلَّمُ بِالْكَلْمَةِ مِنْ سُخْطَ اللَّهِ، مَا يَظْنَ أَنْ تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ^(٤) بِهَا سُخْطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ».

فَكَانَ^(٥) عَلْقَمَةً يَقُولُ^(٦) : كَمْ مِنْ كَلَامٍ قَدْ مَنَعَنِيهِ^(٧) حَدِيثُ بَلَالَ بْنَ الْحَارِثَ^(٨) !

وَفِي جَامِعِ التَّرْمِذِيِّ أَيْضًا^(٩) مِنْ حَدِيثِ أَنْسٍ قَالَ : تَوْفِيَ رَجُلٌ مِنْ

(١) س : «إِنَّ الْعَبْدَ».

(٢) ز : «لَا يَظْنَ».

(٣) ز : «فَيَكْتُبُ لَهُ».

(٤) ز : «فَيَكْتُبُ لَهُ».

(٥) س ، ل : «وَكَانَ».

(٦) ف : «يَقُولُ عَلْقَمَةً». وَعَلْقَمَةُ هُوَ ابْنُ وَقَاصِ الْلَّيْثِيِّ، رَاوِيُّ الْحَدِيثِ عَنْ بَلَالَ الْمَزْنِيِّ.

(٧) لَمْ تَرَدْ «قَدْ» فِي س ، ل .

(٨) قَوْلُ عَلْقَمَةِ هَذَا لَمْ يَرِدْ فِي جَامِعِ التَّرْمِذِيِّ.

(٩) بَرْقَمْ (٢٣١٦). وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدِّنَيَا فِي الصَّمْتِ (١٠٩) وَأَبُو يَعْلَى (٤٠١٧) وَأَبُو نَعِيمَ فِي الْحَلِيلِ (٥٦/٥) وَغَيْرُهُمْ مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ يَعْلَى وَعُمَرَ بْنَ حَفْصٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَنْسٍ فَذَكَرَهُ. قَالَ التَّرْمِذِيُّ : «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ» وَفِي نَسْخَةٍ : «حَسْنٌ غَرِيبٌ». وَقَالَ أَبُو نَعِيمَ : «تَفَرَّدَ بِهِ عُمَرُ عَنْ أَبِيهِ حَفْصٍ». وَقَالَ الْذَّهَبِيُّ فِي السِّيرِ (٦/٢٤٠) : «غَرِيبٌ يَعْدَ فِي أَفْرَادِ عُمَرَ بْنِ حَفْصٍ شَيْخُ الْبَخَارِيِّ». وَفِيهِ أَيْضًا أَنَّ الْأَعْمَشَ رَأَى أَنْسَ بْنَ مَالِكَ وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ شَيْئًا.

قَلْتَ : وَأَمَّا طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ يَعْلَى هُوَ الْأَسْلَمِيُّ فَلَا يَثْبُتُ، فَإِنَّ يَحْيَى هَذَا قَالَ فِيهِ ابْنُ مَعِينٍ : لَيْسَ بِشَيْءٍ. وَقَالَ أَبُو حَاتَمَ : ضَعِيفُ الْحَدِيثِ لَيْسَ بِالْقَوِيِّ. وَبِهِ =

الصحابة، فقال رجل: أبشر بالجنة، فقال له رسول الله ﷺ: «أَوَ لَا تدري فلعله^(١) تكلم فيما لا يعنيه، أو بخل بما لا ينفعه». قال: حديث حسن^(٢).

وفي لفظ: أنَّ غلاماً استشهد يوم أحد، فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع، فمسحت أمّه التراب عن وجهه، وقالت: هنيئاً لك يا بنيَّ، لك الجنة^(٣). فقال النبي ﷺ: «وما يدريك، لعله كان يتكلّم فيما لا يعنيه، ويمنع ما لا يضره».

وفي الصحيحين^(٤) من حديث أبي هريرة يرفعه: «من كان يؤمِّن بالله [١/٨٠] واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصُمُّ». = ضعفه الهيثمي في المجمع (١٠/٣٠٣).

وفي لفظ لمسلم^(٥): «من كان يؤمِّن بالله واليوم الآخر، فإذا شهد أمراً فليتكلّم بخير^(٦) أو ليسكت». = ضعفه الهيثمي في المجمع (١٠/٣٠٣).

وروي من طريق سعيد بن الصلت عن الأعمش عن أبي سفيان عن أنس عند البهقي في الشعب (١٠٣٤٢) ولا يصح.

(١) ل: «... تدري أنه». س: «وما يدريك لعله».

(٢) كذا في جميع النسخ التي بين يديّ. وانظر ما سلف في تخريج الحديث.

(٣) ف: «فقالت: يابني هنيئاً لك الجنة».

(٤) أخرجه البخاري في الرقاق، باب حفظ اللسان (٦٤٧٥)؛ ومسلم في الإيمان، باب الحث على إكرام الجار... (٤٧).

(٥) في كتاب الرضاع، باب الوصية النساء (١٤٦٨).

(٦) ف: «خيراً».

وذكر الترمذى^(١) بإسناد صحيح عنه ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه».

وعن سفيان بن عبد الله^(٢) الثقفى قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا بعدي. قال: «قل: آمنت بالله، ثم استقم». قلت^(٣): يا رسول الله ما أخواف ما تخاف على؟ فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: «هذا». والحديث صحيح^(٤).

وعن أم حبيبة زوج النبي ﷺ، عن النبي^(٥) ﷺ قال: «كلام ابن

(١) برقم (٢٣١٧). وأخرجه ابن ماجه (٣٩٧٦) وابن حبان (٢٢٩) والقضاعي في مسند الشهاب (١٩٢) وابن عبدالبر في التمهيد (١٩٨/٩ ، ١٩٩) وغيرهم من طريق قرة بن عبد الرحمن المصري عن الزهرى عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً.

وخلقه الإمام مالك ومعمر بن راشد ويونس بن يزيد وزياد بن سعد كلهم عن الزهرى عن علي بن الحسين عن النبي ﷺ مرسلاً. أخرجه الترمذى (٢٣١٨) وعبدالرازاق (٣٠٧/١١) وابن أبي عاصم في الزهد (١٠٣) والقضاعي (١٩٣). قال الترمذى: «هكذا روى غير واحد من أصحاب الزهرى عن الزهرى عن علي بن الحسين عن النبي ﷺ نحو حديث مالك مرسلاً، وهذا عندنا أصح من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة. وعلى بن الحسين لم يدرك علي بن أبي طالب».

ورجح الإرسال الإمام أحمد ويعينى بن معين والبخارى والعقىلى والدارقطنى وغيرهم. انظر الصيام من شرح العمدة لابن تيمية (٢/٧٩١).

(٢) ز: «بن عينة»، خطأ.

(٣) ل: «قال: قلت».

(٤) أخرجه مسلم في الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام (٣٨) إلى قوله: «ثم استقم».

(٥) س: «عنه». وفي ل، ز: «زوج النبي ﷺ قال».

آدم^(١) عليه لا له، إلا أمر بمعروف، أو نهي عن المنكر^(٢)، أو ذكر الله^(٣) قال الترمذى : حديث حسن^(٤).

وفي حديث آخر : إذا أصبح العبد^(٥) فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان^(٦) ، تقول : اتق الله فينا^(٧) ، فإنما نحن بك . فإن استقمنا ، وإن اعوججت أعوججنا^(٨) .

(١) ما عدا ز : «كل كلام ابن آدم».

(٢) ماعدا س : «منكر».

(٣) أخرجه الترمذى (٢٤١٢) وابن ماجه (٣٩٧٤) والبخاري في تاريخه (٢٦١ - ٢٦٢) وعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد (١٢٣) وابن أبي الدنيا في الصمت (١٤) والنسائي في أمالية (١٥) والحاكم (٥٥٧ / ١) (٣٨٩٢) وغيرهم من طريق محمد بن يزيد بن خنيس سمعت سعيد بن حسان المخزومي حدثني أم صالح عن صفية بنت شيبة عن أم حبيبة فذكرته.

ورواه البخاري في تاريخه (٢٦١ / ١) عن محمد بن يزيد بن خنيس عن سعيد بن حسان عن أم صالح مرسلًا . وفيه أم صالح مجهرة.

والحديث ضعفه الترمذى بقوله : «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن يزيد بن خنيس». وقال ابن حجر : «حسن غريب» الأمالى المطلقة (١٦٠).

(٤) كذا في جميع النسخ . وفي المتن المطبوع مع تحفة الأحوذى (٧٩ / ٧) : «حسن غريب». وذكر الشارح أن في بعض النسخ : «حديث غريب».

(٥) س : «أن العبد إذا أصبح».

(٦) كذا في جميع النسخ ، والترمذى . ولعل الصواب : «لسان» كما في المسند (٤٠٢ / ١٨) ، والفاتق (٢٦٨ / ٣) من التكفير بمعنى الخضوع .

(٧) «فيينا» من س .

(٨) أخرجه الترمذى (٢٤٠٧) وأبو يعلى (٢ / رقم ١١٨٥) وأبو نعيم في الحلية (٣٠٩ / ٤) وابن عبدالبر في التمهيد (٤٠ / ٢١) وغيرهم من طرق عن حماد بن زيد عن أبي الصهباء عن سعيد بن جبير عن أبي سعيد الخدري فذكره مرفوعاً . قلت : كان حماد بن زيد أو أبو الصهباء (فيه جهالة) يضطرب فيه ويشك =

وقد كان السلف يحاسب أحدهم نفسه في قوله: يوم حارّ، ويوم بارد.

ولقد رُئي بعض الأكابر من أهل العلم^(١) في النوم، فسئل عن حاله، فقال: أنا موقوف على كلمة قلتها. قلت: ما أحوج الناس إلى غيث! فقيل لي: وما يدريك؟ أنا أعلم بمصلحة عبادي.

وقال بعض الصحابة لخادمه^(٢) يوماً: هات^(٣) السفرة نعَبْثُ بها. ثم قال: أستغفر الله، ما أتكلّم بكلمة إلا وأنا أخطّمها وأزُمُّها، إلا هذه الكلمة خرجت مني بغير خطاط ولا زمام^(٤). أو كما قال.

فيقول: «لا أعلمه إلا رفعه» أو «أحسبه عن النبي ﷺ». هكذا رواه عن حماد بن زيد: عفان بن مسلم وبشر بن السري وعمران بن موسى ومسدد والطياسي: عند أحمد في المسند (١١٩٠٨) والمرزوقي في زياداته على الزهد لابن المبارك (١٠١٢) وابن أبي الدنيا في الصمت (١٢) وابن السنّي (١) والطياسي في مسنده (٢٢٢٣).

وربما رواه حماد بن زيد موقوفاً. رواه عنه عبد الرحمن بن مهدي وحماد بن أسامة وإسحاق بن أبي إسرائيل وأبو كامل الجحدري، عند الترمذى (٢٤٠٧) وأحمد في الزهد (١٠٨٤) وابن عبد البر في التمهيد (٤١/٢٠).

قال الترمذى عندما ساق الموقف: «وهذا أصح من حديث محمد بن موسى (يعنى المرفوع). هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث حماد بن زيد. وقد رواه غير واحد عن حماد بن زيد ولم يرفعوه».

(١) هو الجنيد. انظر التدوين في أخبار قزوين (١/٢٦٤).

(٢) س، ف: «الجارية».

(٣) ماعدا لـ: «هاتي».

(٤) أخرجه أحمد ١٢٣/٤ (١٧١١٤) وابن المبارك في الزهد (٨٤٣) وابن أبي الدنيا في الصمت (٤٣٨) وأبو نعيم في الحلية (٦/٧٧ - ٧٨) وغيرهم من طريق =

وأيسر^(١) حركات الجوارح حركة اللسان، وهي أضرُّها على العبد.

واختلف السلف والخلف هل يُكتبُ جميع ما يلفظ به العبد، أو الخير والشرّ فقط^(٢)؟ على قولين، أظهرهما الأول^(٣).

وقال بعض السلف^(٤): كلّ كلام ابن آدم عليه لا له، إلا ما كان من ذكر الله وما وله.

وكان الصديق رضي الله عنه يمسك بلسانه ويقول: هذا أوردني الموارد^(٥).

والكلام أسيرك، فإذا خرج من فيك صرتَ أسيره. واللهُ عند لسان

ابن المبارك وروح وعيسى بن يونس كلهم عن الأوزاعي عن حسان بن عطية قال: بلغني أن شداد بن أوس كان في سفر فقال لغلامه فذكر نحوه. وزاد روح حديثاً مرفوعاً: «إذا كنزا الناس الذهب والفضة فاكتنزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر...».

ورواه سويد بن عبدالعزيز عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن أبي عبد الله مسلم بن مشكم عن شداد فذكره. أخرجه ابن حبان في صحيحه (٩٣٥) وأبو نعيم في الحلية (٢٦٦/١). قلت: وسويد ضعيف، ورواية الجماعة أرجح لكنه منقطع، حسان بن عطية لم يسمع من شداد. وللحديث المرفوع طريق آخر. انظر تحقيق المستند (٣٥٦/٢٨).

(١) ف: «أشرّ»، تصحيف.

(٢) «فقط» ساقط من س.

(٣) انظر تفسير الطبرى (٤٢٤/٢١)، والمحرر الوجيز (١٦٠/٥)، ومجموع الفتاوى (٤٩/٧). وانظر مدارج السالكين (١١٤/١).

(٤) ف: «وقال السلف». وسمّاه في المدارج (١١٥/١): «الحديث المشهور» (ص). لم أقف عليه (ز).

(٥) تقدّم تخرّيجه ص (٩١).

كلّ قائل : ﴿مَا يَفْلِحُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [١٨] .

وفي اللسان آفان عظيمتان، إن [٨٠/ب] خلص من إحداهما لم يخلص من الأخرى: آفة الكلام، وآفة السكوت. وقد يكون كلّ منهما أعظم إثماً من الأخرى في وقتها. فالساكت عن الحقّ شيطان آخر سعى الله مُرَاءٍ مداهنٍ إذا لم يخف على نفسه^(١) ، والمتكلّم بالباطل شيطان ناطق عاصٍ لله. وأكثر الخلق منحرف في كلامه وسكته، فهم بين هذين النوعين.

وأهل الوسط - وهم أهل الصراط المستقيم - كفوا ألسنتهم عن الباطل، وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة. فلا يرى أحدهم أنه يتكلّم بكلمة تذهب عليه ضائعة بلا منفعة، فضلاً عن^(٢) أن تضرّه في آخرته.

وإنّ العبد لياتي يوم القيمة بحسناتٍ أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها عليه كلّها؛ ويأتي بسيئاتٍ أمثال الجبال^(٣) ، فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله وما اتصل به.

فصل

وأما الخطوات: ، فحفظها^(٤) بأن لا ينقل قدمه إلا فيما يرجو ثوابه، فإن لم يكن في خطاه مزيدٌ ثواب، فالقعود عنها خير له. ويمكنه أن

(١) « العاصِنَةُ مَرَاءٌ . . . نَفْسَهُ » ساقط من لـ.

(٢) « عن » من فـ.

(٣) لـ: « مثل الجبال ».

(٤) لـ: « فيحفظها ».

يستخرج من كل مباح يخطو إليه قربة ينويها لله، فتقع^(١) خطأ قربة.

ولما كانت العترة عشرتين: عترة الرجل، وعترة اللسان جاءت إحداهما قرينة الأخرى في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَتَسْوَمُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُنَّا وَإِذَا خَاطَبُوهُمُ الْجَنَّهُلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان/٦٣]، فوصفهم بالاستقامة في لفظاتهم وخطواتهم، كما جمع بين اللحظات والخطوات في قوله^(٢): ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةً أَلَّا عَيْنٌ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر/١٩].

فصل

وهذا كله ذكرناه مقدمة^(٣) بين يدي تحريم الفواحش ووجوب حفظ الفرج.

وقد قال النبي^(٤) ﷺ: «أَكْثُرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ»^(٥).

وفي الصحيحين عنه ﷺ: «لَا يَحْلِلُ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِاحْدِي ثَلَاثٍ: الشَّيْبُ الْزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارَقُ لِلْجَمَاعَةِ»^(٦).

(١) لـ «فيقطعها».

(٢) قوله «لم يرد في فـ، وفيها: «الخطوات واللحظات». وقد سقط من لـ «والخطوات».

(٣) «مقدمة» ساقط من فـ.

(٤) زـ: «رسول الله». سـ: «قال ﷺ».

(٥) تقدم تخریجه (٣٦٥).

(٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. أخرجه البخاري في الديات، باب قول الله تعالى: ﴿أَنَّ النَّفْسَ يَأْلِفُ النَّفْسَ وَالْعَيْنَ يَأْلِفُ الْعَيْنَ﴾ (٦٨٧٨)؛ ومسلم في =

وهذا الحديث في اقتران الزنى بالكفر وقتل النفس نظير الآية التي في الفرقان^(١)، ونظير حديث ابن مسعود^(٢).

[١/٨١] وببدأ رسول الله ﷺ بالأكثر وقوعاً، ثم بالذى يليه. فالزنى أكثر وقوعاً من قتل النفس، وقتل النفس أكثر وقوعاً من الردة. وأيضاً فإنه انتقال من الأكبر إلى ما هو أكبر^(٣) منه.

ومفسدة الزنا مناقضة لصلاح العالم، فإن المرأة إذا زنت أدخلت العار على أهلها وزوجها^(٤) وأقاربها، ونكست رؤوسهم بين الناس. وإن حملت من الزنى، فإن قتلت ولدها جمعت بين الزنى والقتل، وإن حملته الزوج أدخلت^(٥) على أهله وأهلها أجنبياً ليس منهم فورثهم وليس منهم، ورآهم، وخلا بهم، وانتسب إليهم، وليس منهم؛ إلى غير ذلك من مفاسد زناها. وأما زنى الرجل فإنه يوجب اختلاط الأنساب أيضاً، وإفساد المرأة المصونة، وتعريفها للتلف والفساد. وفي هذه الكبيرة خراب الدنيا والدين، وإن عمرت القبور^(٦) في البرزخ، والنار في الآخرة. فكم^(٧) في الزنى من استحلال

= القسامية، باب ما يباح به دم المسلم (١٦٧٦).

(١) وهو قوله تعالى: «وَالَّذِينَ لَا يَتَغُورُونَ مَعَ اللَّهِ إِنَّهَا أَخْرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا يَالْحَقِّ وَلَا يَرْتُبُنَ» [الفرقان/ ٦٨].

(٢) وقد سبق مع الآية المذكورة في ص (٢٩١).

(٣) ز: «من الأكبر إلى ما هو أكبر»، تصحيف.

(٤) ف: «زوجها وأهلها».

(٥) ف: «أدخلته».

(٦) س: «التّنور» بتشديد التاء والنون. وفي ل أيضاً دون التشديد.

(٧) س، «وكم».

محرمات^(١)، وفوات حقوق، ووقوع مظالم!

ومن خاصيته^(٢): أنه يوجب الفقر، ويقصر العمر، ويكسو صاحبه سواد الوجه وثوب المقت بين الناس.

ومن خاصيته أيضاً: أنه يشتت القلب، ويُمْرضه إن لم يُمْتنع. ويجلب الهم والحزن والخوف، ويباعد صاحبه من الملك، ويقرب منه الشيطان^(٣).

فليس بعد مفسدة القتل أعظم من مفسدته^(٤). ولهذا شرع^(٥) فيه القتل على أشنع الوجوه وأفحشها وأصعبها. ولو بلغ العبد أن امرأته أو حرمتها قُتلت كان أسهل عليه من أن يبلغه أنها زنت.

وقال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مُصفح^(٦). فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «تعجبون من غيرة سعد؟ والله لأنّا أغيّر منّه، والله أغيّر مني». ومن أجل غيرة الله حرم^(٧) الفواحش ما ظهر منها وما بطن». متفق عليه^(٨).

(١) ف: «لمحرمات».

(٢) ز: «خاصته» هنا وفيما يأتي.

(٣) ف: «ويقربه من الشيطان».

(٤) «من الملك... مفسدته» ساقط من ز. وفي س: «مفاسده».

(٥) ف: «شرع الله».

(٦) من أصفحه بالسيف، إذا ضربه بعْرضه دون حدّه. النهاية (٣٤ / ٣).

(٧) س: «حرم الله».

(٨) تقدم تخریجه ص (١٦٣).

وفي الصحيحين أيضًا^(١) عنه ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارَ^(٢)، وَغَيْرُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِي الْعَبْدُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ»^(٣).

وفي الصحيحين عنه ﷺ: «لَا أَحَدَ أَغَيَّرُ [٨١/ب] مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ . وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ العَذْرُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكِ أَرْسَلَ الرَّسُولَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ . وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكِ أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ»^(٤).

وفي الصحيحين في خطبته ﷺ في صلاة الكسوف أَنَّه قال: «يَا أَمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللَّهُ أَنَّه لَا أَحَدَ أَغَيَّرُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَزْنِي عَبْدَهُ أَوْ تَزْنِي أُمَّتَهُ . يَا أَمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللَّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لِضَحْكِكُمْ قَلِيلًا وَلِبَكْيَتِكُمْ كَثِيرًا» . ثُمَّ رفع يديه، وقال: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغَتْ؟»^(٥).

وفي ذكر هذه الكبيرة بخصوصها عقب صلاة الكسوف سُرّ بديع لمن تأمله.

وَظَهَورُ الزَّنْيِ مِنْ أَمَاراتِ خَرَابِ الْعَالَمِ، وَهُوَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: لَا حَدَّثْنَا حَدِيثًا لَا

(١) «أَيْضًا» لَمْ يَرُدْ فِي سِنَّةِ

(٢) زَ: «وَالْمُؤْمِنَ يَغَارَ».

(٣) «وَفِي الصَّحِيحَيْنِ . . . حَرَمَ عَلَيْهِ» ساقطٌ مِنْ فَوْقِهِ . وَالْحَدِيثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ فِي النِّكَاحِ، بَابِ الْغِيْرَةِ (٥٢٢٣)، وَمُسْلِمٌ فِي التَّوْبَةِ، بَابِ غِيْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَحْرِيمِ الْفَوَاحِشِ (٢٧٦١).

(٤) تَقْدِيمٌ تَخْرِيجِهِ (١٦٤).

(٥) تَقْدِيمٌ تَخْرِيجِهِ (١٦٤).

يحدثكموه أحد بعدي سمعته من النبي ﷺ^(١). سمعت النبي ﷺ يقول: «من أشراط الساعة أن يُرفع العلم، ويظهر الجهل، ويُشرب الخمر، ويظهر الزنا، ويقل الرجال، وتكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأةً القيّم الواحد»^(٢).

وقد جرت ستة الله سبحانه في خلقه أنه عند ظهور الزنى يغضب الله سبحانه، ويشتدّ غضبه، فلا بدّ^(٣) أن يؤثر غضبه في الأرض عقوبة.

قال عبد الله بن مسعود: ما ظهر الربا والزنى في قرية إلا أذن الله بإهلاكها^(٤).

ورأى بعض أحبّار بني إسرائيل ابنًا له يغامر امرأةً، فقال: مهلاً يا بني، فصرع الأب عن سريره، فانقطع نُخاعه، وأسقطت امرأته. وقيل له: هكذا غضبت لي؟ لا يكون في جنسك حَبْر^(٥) أبداً^(٦).

وخصّ سبحانه حدّ الزنى من بين الحدود بثلاث خصائص: أحدها: القتل فيه أشنع القتلات، وحيث خفّه فجمع فيه بين العقوبة على البدن بالجلد، وعلى القلب بتغريبه عن وطنه^(٧) سنة.

(١) ف: «من رسول الله».

(٢) أخرجه البخاري في العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل (٨٠ - ٨١)، ومسلم في العلم، باب رفع العلم... (٢٦٧١).

(٣) ف: «ولابد».

(٤) ف، ل: «بهلاكها». س: «في هلاكها»، وفي الحاشية إشارة إلى ما أثبتنا. وقد تقدم تحرير الأثر في ص (١٠٧).

(٥) ل: «خيراً».

(٦) تقدم تحريره في (١٢٤).

(٧) س: «من وطنه».

الثاني: أنه نهى عباده أن تأخذهم بالزناة رأفةً في دينه، بحيث تمنعهم من إقامة الحد عليهم. فإنه سبحانه من رأفته ورحمته بهم شرع هذه [١/٨٢] العقوبة، فهو أرحم منكم^(١)، ولم تمنعه رحمته من أمره بهذه العقوبة، فلا يمنعكم أنتم ما يقوم بقلوبكم من الرأفة^(٢) من إقامة أمره.

وهذا وإن كان عاماً فيسائر الحدود، ولكن ذُكرَ في حد الزنى خاصةً، لشدة الحاجة إلى ذكره. فإن الناس لا يجدون في قلوبهم من الغلظة والقسوة على الزاني ما يجدونه على السارق والقاذف وشارب الخمر، فقلوبهم ترحم الزاني أكثر مما ترحم غيره من أرباب الجرائم، والواقع شاهد بذلك، فنُهوا أن تأخذهم هذه الرأفة، وتحملهم على تعطيل حد الله.

وسبب هذه الرحمة أن هذا ذنب يقع من الأشراف والأوساط والأرذال^(٣)، وفي النفوس أقوى الدواعي إليه، والمشارك فيه كثير، وأكثر أسبابه العشق، والقلوب مجبرة على رحمة العاشق، وكثير من الناس يعد مساعدته طاعةً وقربةً، وإن كانت الصورة المعشوقة محرمة عليه. ولا يُستنكر^(٤) هذا الأمر، فهو مستقرٌ عند ما شاء الله من أشباه الأنعام. ولقد حكي لنا من ذلك شيءٌ كثيرٌ، أكثرُه عن ناقصي العقول^(٥) كالخدّام والنساء.

(١) ف: «أرحم بكم منكم بهم».

(٢) «رحمته من أمره... الرأفة» ساقط من ز.

(٣) ف، ل: «الأرذل».

(٤) س، ف: «لا تستكثر». وفي ل: «لا يستلزم»، تحريف.

(٥) س، ز: «ناقض العقول».

وأيضاً فإنَّ هذا ذنبٌ غالبٌ ما يقع مع التراضي من الجانبيين، ولا يقع فيه من العداون والظلم والاغتصاب ما ينفر النفوس منه، وفيها شهوة غالبة له، فتُصوِّرُ ذلك لنفسها، فيقوم بها رحمةٌ تمنع إقامة الحد.

وهذا كله من ضعف الإيمان. وكمالُ الإيمان أن يقوم به قوة يقيم بها^(١) أمرَ الله، ورحمةٌ يرحم بها المحدود، فيكون موافقاً لربه تعالى في^(٢) أمره ورحمته.

الثالث: أنه سبحانه أمر أن يكون حدهما بمشهد المؤمنين، فلا يكون خلوةً حيث لا يراهما أحد. وذلك أبلغ في مصلحة الحد وحكمة الضرر^(٣).

وحدَ الزاني المحصن مشتقٌ من عقوبة الله سبحانه لقوم لوط بالقذف بالحجارة. وذلك لاشتراك الزنى واللواط في الفحش، وفي كلٍّ منهما فسادٌ ينافي^(٤) حكمة الله في خلقه وأمره. فإنَّ في اللواط من المفاسد ما يفوت الحصر^(٥) والتعداد. ولأنْ يُقتل المفعولُ به خير له من أنْ يؤتى، [٨٢/ب] فإنَّه يفسد فساداً لا يرجى له بعده صلاح أبداً. ويذهب خيره كله، وتُمْضَ الأرض ماوية الحياة^(٦) من وجهه، فلا يستحي بعد

(١) ف: «ضعف الإيمان أن يقوم قوة يقيم بها»، سقط وتحريف.

(٢) «في» ساقطة من ز.

(٣) س: «وحكمته الموجود»!

(٤) ف: «مناقض».

(٥) ف: «المفاسد تقويت الحسن»، تحريف.

(٦) ف: «ماوية وجهه». وكذا وردت «ماوية» في جميع النسخ. وقد ضرب بعضهم في ف على «وية» وكتب فوقها الهمزة، لتقرأ: «ماء وجهه» وكذا فعل بعضهم في خب. و«الماوية» كالمائية نسبة إلى الماء.

ذلك لا من الله ولا من خلقه، وتعمل في قلبه وروحه نطفة الفاعل ما يعلم السّمّ في البدن^(١).

وقد اختلف الناس: هل يدخل الجنة مفعول به؟ على قولين سمعتُ شيخ الإسلام يحكىهما. والذين قالوا: لا يدخل الجنة، احتجّوا بأمور: منها: أنّ النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة ولد زنية»^(٢). فإذا كان هذا حال ولد الزنى، مع أنه لا ذنب له في ذلك، ولكنه مظنة كل شرّ وخبث، وهو جدير أن لا يجيء منه خير أبداً، لأنّه مخلوق من نطفة خبيثة، وإذا كان الجسد الذي تربى على الحرام، النارُ أولى به، فكيف بالجسد المخلوق من النطفة الحرام؟

(١) الطرق الحكمية (١٣٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٣/٢٦٨٩٢) وابن حبان (٨/٣٣٨٣) والنسائي في الكبرى (٤٩١٦) والطحاوي في شرح المشكل (٩١٤) من طريق الشوري وشيبان وجرير عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن جابان عن عبدالله بن عمرو مرفوعاً.

ورواه شعبة عن منصور عن سالم عن نبيط بن شريط عن جابان عن عبدالله بن عمرو. أخرجه أحمد (٦٨٨٢) والنسائي في الكبرى (٤٩١٤) وابن حبان (٣٣٨٤) وغيرهم.

قال النسائي: «لا نعلم أحداً تابع شعبة على نبيط بن شريط». تحفة الأشراف (٦/٢٨٣). قال البخاري في تاريخه الكبير (٢٥٧/٢) بعد أن ذكر طريق شعبة: «ولم يصح، ولا يعرف لجابان سماع من عبدالله بن عمرو، ولا لسالم من جابان، ولا من نبيط». وقال ابن خزيمة: جابان مجھول.

ورواه شعبة من طريق آخر عن ابن عمرو موقوفاً. أخرجه النسائي (٤٩١٧). ورواه مجاهد، وقد اختلف عليه كثيراً. انظر تفصيل ذلك عند النسائي في الكبرى وعند أبي نعيم في الحلية (٣٠٧/٣ - ٣٠٩) وتحقيق المسند (١١/٤٧٣ - ٤٩٣، ٤٧٤ - ٤٩٥).

قالوا: والمفعول به شرٌّ من ولد الزنى، وأخزى^(١)، وأخبت، وأوقع^(٢). وهو جدير أن لا يوفق لخير، وأن يحال بينه وبينه، وكلما عمل خيراً قُيِّضَ ما يفسده عقوبةً له. وقلَّ أن ترى من كان كذلك في صغره إلا وهو^(٣) في كبره شر^(٤) مما كان. ولا يوفق لعلم نافع، ولا عمل صالح، ولا توبة نصوح.

والتحقيق في المسألة أن يقال: إن^(٥) تاب المبتلى بهذا البلاء، وأناب، ورُزق توبَةً نصوحاً وعملاً صالحاً، وكان في كبره خيراً منه في صغره، وبذل سietاته بحسنات، وغسل عارَ ذلك عنه بأنواع الطاعات والقربات، وغضّن بصره، وحفظ فرجه من المحرمات، وصدق الله في معاملته = فهذا مغفور له، وهو من أهل الجنة. فإنَّ الله يغفر الذنوب جميعاً، وإذا كانت التوبة تمحو كلَّ ذنب حتى الشرك بالله، وقتل أنبيائه وأوليائِه، والسحر، والكفر، وغير ذلك، فلا تقصر عن محو هذا الذنب^(٦).

وقد استقرَّت حكمَة الله به^(٧) عدلاً وفضلاً أنَّ التائب من الذنب كمن

(١) زاد بعدها في ف: «وأقبح».

(٢) في ل: «أوسع»، وأشار في حاشية س إلى هذه النسخة. ولم يرد «أوسع» أو «أوقع» في ف.

(٣) س: «إلا هو».

(٤) «أشتر».

(٥) س: « وإن». ف: «المسألة إن».

(٦) وانظر: مجموع الفتاوى (٤٠٨/١٥).

(٧) «به» لم ترد في ل، ز.

لا ذنب له^(١)، وقد ضمن الله سبحانه لمن تاب من الشرك وقتل النفس^(٢) والزنى أنه يبدل سيئاته حسنات^(٣). وهذا حكم عام لكلّ تائب من كلّ ذنب^(٤). وقد قال تعالى: ﴿ قُلْ يَعْبُدُونَ الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا نَقْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر / ٥٣]، فلا يخرج^(٥) من هذا العموم ذنب واحد. ولكن هذا في حقّ التائبين خاصة.

وأما مفعول به كان في كبره شرّاً مما كان في صغره، لم يوفق لتنمية نصوح ولا لعمل صالح، ولا استدرك ما فات، ولا أحيا ما أمات، ولا بدل السيئات بالحسنات = فهذا بعيد أن يوفق عند الممات لخاتمة يدخل بها الجنة عقوبة له على عمله. فإنّ الله سبحانه يعاقب على السيئة بسيئة أخرى، فتتضاعف^(٦) عقوبة السيئات بعضها ببعض^(٧)، كما يثبت على

(١) هذه المقوله وردت في أحاديث عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما، ولا يثبت منها شيء. وهي ثابتة عن التابعي الجليل عامر الشعبي، أخرجها وكيع في الزهد (٢٧٨). انظر تفصيل ذلك في تبييض الصحيفة بأصول الأحاديث الضعيفة (٥٧ - ٦٣).

(٢) ز: «قتل أنبيائه»، خطأ.

(٣) وذلك في قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًاٌ أَخْرَىٰ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفَسَ أَلَّا يَرَمِمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَرْتُورُنَّ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ﴾ [١٩] يُضَعَّفُ له العذاب يوم القيمة ويتلذّذ فيه، مهكماً ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَكْمَلًا صَلِحًا فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سِيَّاقَهُمْ حَسَنَتْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا تَرْجِيْمًا ﴾ [٧٠] [الفرقان / ٦٨ - ٧٠].

(٤) «من كل ذنب» لم يرد في س.

(٥) ف: «ولا يخرج».

(٦) ل، ز: «وتتضاعف».

(٧) «بعضها ببعض» لم يرد في ل.

الحسنة بحسنة أخرى^(١).

وإذا نظرت إلى كثير من المحتضرين وجدتهم يحال بينهم وبين حسن الخاتمة^(٢)، عقوبة لهم على أعمالهم السيئة. قال الحافظ أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي رحمه الله^(٣):

«واعلم أنّ لسوء الخاتمة - أعادنا الله منها - أسباباً^(٤)، ولها طرق وأبواب، أعظمها: الإكباب على الدنيا، والإعراض عن الأخرى، والإقدام والجرأة على معاichi الله عز وجل. وربما غلب على الإنسان ضرب من الخطيئة، ونوع من المعصية، وجانب من الإعراض، ونصيب من الجرأة والإقدام، فملك قلبه، وسي عقله، وأطفأ نوره، وأرسل عليه حجبه^(٥)، فلم تنفع فيه تذكرة، ولا نجعت فيه موعدة. فربما جاءه الموت على ذلك، فسمع النداء من مكان بعيد، فلم يتبيّن له المراد، ولا علم ما أراد، وإن كرّر عليه الداعي وأعاد!».

قال: «ويروى أنّ بعض رجال الناصر^(٦) نزل به الموت، فجعل ابنه يقول: قل: لا إله إلا الله، فقال: الناصر مولاي! فأعاد^(٧) عليه القول، فأعاد مثل ذلك. ثم أصابته غشية، فلما أفاق قال: الناصر مولاي. وكان

(١) «فتتضاعف... بحسنة أخرى» ساقط من ل.

(٢) س: «بينهم وبين الجماعة»!

(٣) في كتاب العاقبة (١٧٨ - ١٨٠).

(٤) ما عدا س: «أسباب».

(٥) ف، ل: «محنة» وكذا في حاشية س.

(٦) بعده في س كلمة تشبه «بين».

(٧) س: «وأعاد».

هذا دأبه، كلّما قيل له: قل: لا إله إلا الله، قال: الناصر مولاي^(١). ثم قال لابنه: يا فلان، الناصر إنّما يعرفك بسيفك، والقتل، القتل^(٢). ثم مات».

قال عبد الحق: «وقيل لآخر من أعرفه: قل: لا إله إلا الله، فجعل يقول: الدار الفلانية أصلحوا^(٣) فيها كذا، والبستان الفلاني افعلوا فيه كذا».

وقال: «وفيما أذن لي [٨٣/ب] أبو طاهر السّلّفي أن أحدث به^(٤) عنه أنّ رجلاً نزل به الموت، فقيل له: قل: لا إله إلا الله، فجعل يقول بالفارسية: دَهْ، يازَدَهْ. تفسيره: عشرة بإحدى عشرة^(٥).

وقيل لآخر: قل: لا إله إلا الله، فجعل يقول:

أين الطريق إلى حمّامِ منجاب؟^(٦)

قال: «وهذا الكلام له قصة. وذلك أنّ رجلاً كان واقفاً بإزاء داره، وكان بابُها يُشبّه ببابَ هذا الحمّام، فمررت به جارية لها منظر، فقالت:

(١) «وكان هذا دأبه... مولاي» ساقط من ف.

(٢) س: «والقتل والقتل». وفي العاقبة: «فالقتل ثم القتل».

(٣) ف: «افعلوا»، والكلمة ساقطة من ل.

(٤) «به» لم يرد في س.

(٥) ما عدا ف: «بإحدى عشرة». وكذا في جميع النسخ مع باء الجر. وفي العاقبة: «عشرة، أحد عشر» دون الباء، وهو الصواب. وقال عبد الحق بعد ذكر الحكاية: «كان هذا الرجل من أهل العمل والديوان فغلب عليه الحساب والميزان».

(٦) انظر ما سبق في ص (٢١٦).

أين الطريق إلى حمام منِجَاب؟ فقال: هذا حمام منِجَاب. فدخلت الدار، ودخلت وراءها. فلما رأت نفسها في داره، وعلمت أنه قد خدعها، أظهرت له^(١) البشر والفرح باجتماعها معه، وقالت له: يصلح أن يكون معنا ما يطيب به عيشنا، وتقرّ به عيوننا^(٢). فقال لها: الساعة أتيك بكلّ ما تريدين وتشتهين. وخرج، وتركها في الدار، ولم يغلقها. فأخذ ما يصلح، ورجع، فوجدها قد خرجت، وذهبت، ولم تخنه في شيء. فهام الرجل، وأكثر الذكر لها، وجعل يمشي^(٣) في الطرق والأزقة ويقول^(٤):

يا ربَّ قائلةٍ يومًا وقد تعبت
كيف الطريق إلى حمام منِجَاب
فبينا هو يومًا يقول ذلك، وإذا بجارية أجاشه من طاق^(٥):

فَرَنَانُ هلاً جعلت إذ ظفرت بها حِرْزاً على الدار أو قفلًا على الباب^(٦)
فازداد هيماه، واشتدّ هيجانه، ولم يزل على ذلك حتى كان هذا
البيت آخر كلامه من الدنيا».

قال: «ويروى أن رجلاً^(٧) علق شخصًا، فاشتدّ كلفه به، وتمكن

(١) «له» ساقطة من ف.

(٢) ف: «أعيننا». وفي ز: «تُصلح معنا ما نطيب... ونقر...».

(٣) ف: « يجعل يمرّ».

(٤) ف: «وهو يقول».

(٥) ف: «طاق تقول».

(٦) في س: «جعلت سريعاً إذ»، فإن صحت هذه الزيادة، فقولها: «فرنان» لا يكون جزءاً من البيت. والفرنان: الديوث.

(٧) س: «شخصًا»، وفي حاشيتها: «خ رجلاً». وهذا الرجل أحمد بن كلبي =

حبه من قلبه، حتى وقع لما به^(١)، ولزم الفراش بسببه. وتمنّع ذلك الشخص عليه، واشتدّ نفاره عنه. فلم تزل الوسائط يمشون بينهما، حتى وعده أن يعوده. فأخْبَرَ بذلك البائسُ، ففرح، واشتد سروره، وانجلَى غمّه، وجعل ينتظره للميعاد الذي ضربه^(٢) له. فبينا هو كذلك، إذ جاءه الساعي بينهما، فقال: إنّه وصل معي إلى بعض الطريق، ورجع، فرغبت إليه، وكلّمته، فقال: إنه ذكرني، وبرح بي، ولا أدخل مداخل الريب، ولا أعرّض نفسي لموضع التهم. فعاودته، فأبى، وانصرف. فلما^(٣) سمع البائسُ [١/٨٤] أُسْقِطَ في يده، وعاد إلى أشدّ مما كان به^(٤)، وبدت عليه علامات الموت. فجعل يقول في تلك الحال:

أَسْلَمُ، يَا رَاحَةَ الْعَلِيلِ
وِيَا شِفَا الْمَدِينَ النَّحِيلِ

= النحوi الشاعر صاحب أبي الحسن أسلم بن أحمد بن سعيد ابن قاضي الجماعة. والقصة أوردها الحميدي في جذوة المقتبس (١٤٣) من رواية ابن حزم. وانظر مصارع العشاق (٢٩٧/١)، ومعجم الأدباء (٤٢٢/١).

(١) كذا في جميع النسخ. وقولهم: «هو لما به» أو «أنا لما بي» تعبير عن حالة مبرحة من شدة المرض أو الكرب وهو شائع في كلام المتقدمين. ومن ذلك قول مصقلة بن هبيرة لما سئل عن معاوية رضي الله عنه: «زعمتم أنه لما به، والله لقد غمزني غمزةً كاد يحطمني...» (زهر الآداب ٥٠/١). وفي روضة المحبين (٤٨٤): «وقيل لبيه: هذا جميل لما به. فهل عندك من حيلة تنفسين بها وجده». ومنه قول ابن زيدون (ديوانه: ٥٠):

الله يعلم أَيِّي أَصْبَحْتُ فِيكِ لَمَا بِي
وقد أشكلت العبارة على ناشري الكتاب، فغيّروها إلى: «أَلَمَا بِهِ».

(٢) س: «ضرب».

(٣) س: «كلما»، تحريف.

(٤) ز: «عليه».

رضاك أشهى إلى فؤادي من رحمة الخالق الجليل^(١)
 فقلت له : يا فلان^(٢) ، اتق الله . قال : قد كان . فقمتُ عنه ، فما
 جاوزتُ باب داره ، حتى سمعتُ ضجَّةَ الموت^(٣) .
 فعيادًا بالله من سوء العاقبة ، وشَوْمُ الخاتمة^(٤) .

«ولقد بكى سفيان الثوري ليلةً إلى الصباح ، فلما أصبح قيل له : كلُّ
 هذا خوفًا من الذنوب؟ فأخذ تبنةً من الأرض ، وقال : الذنوب أهون من
 هذا ، وإنما أبكي من خوف الخاتمة^(٥)»^(٦) .

وهذا من أعظم الفقه : أن يخاف الرجل أن تخذله ذنبه عند
 الموت ، فتحول بينه وبين الخاتمة بالحسنى .

وقد ذكر الإمام أحمد^(٧) عن أبي الدرداء أنه لما احتضر جعل يُغمى

(١) ف : «حبك أشهى» .

(٢) ز : «له فلان» .

(٣) ز : «صيحة الموت» .

(٤) العاقبة (١٨٠) .

(٥) ل : «أبكي خوف الخاتمة» .

(٦) العاقبة (١٧٥) .

(٧) في الزهد ، وليس في المطبوعة . ومن طريقه أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٧/١) والبيهقي في الشعب (١٠١٨٤) وغيرهما قال الإمام أحمد : ثنا الوليد بن مسلم حدثني ابن جابر عن إسماعيل بن عبيد الله عن أم الدرداء فذكره .

وأخرجه أبو داود في الزهد (٢١٢) من طريق الوليد بن مسلم به .

وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٢) وابن أبي شيبة (٣٤٥٩٦) وابن أبي الدنيا في المحتضرين (١٢٦) وابن عساكر في تاريخه (٤٧/١٩٨، ١٩٧) وغيرهم من طريق ابن المبارك عن ابن جابر به بمثله . وهو ثابت صحيح .

عليه، ثم يفيق ويقرأ: ﴿وَنَقْلِبُ أَفْعَدَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةً وَنَذَرُهُمْ فِي طُفْقَنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام/ ١١٠]. فمن هذا خاف السلف من الذنوب أن تكون حجاباً بينهم وبين الخاتمة بالحسنى.

قال^(١): «واعلم أن سوء الخاتمة - أعاذنا الله منها - لا تكون لمن استقام ظاهره، وصلاح باطنه، ما سمع بهذا ولا علم به، والله الحمد. وإنما تكون لمن له فساد في العقيدة^(٢)، أو إصرار على الكبائر، وإقدام على العظائم. فربما غلب ذلك عليه، حتى ينزل به الموت قبل التوبة، فیأخذه قبل إصلاح الطوية، ويُصْطَلَمْ^(٣) قبل الإنابة، فيظفر به الشيطان عند تلك الصدمة، ويختطفه عند تلك الدهشة. والعياذ بالله».

قال: «ويروى أنه كان بمصر رجل يلزم مسجداً للأذان والصلوة^(٤)، وعليه بهاء الطاعة وأنوار العبادة، فرقى يوماً المنارة على عادته للأذان، وكان تحت المنارة دار لنصراني، فاطلع فيها، فرأى ابنة صاحب الدار، فافتتن بها، فترك الأذان ونزل إليها، ودخل الدار عليها، فقالت له: ما شأنك؟ وما تريدين؟ قال: أريدك. قالت: لماذا؟ قال: قد سَبَيْتِ لَبِّي، وأخذتِ بمجامع قلبي. قالت: لا أجيئك إلى ريبة^(٥) أبداً. قال: أتزوجك. قالت: أنت مسلم، وأنا [٨٤/ب] نصرانية، وأبكي لا يزوجني منك. قال لها: أتنصر. قالت: إن فعلت أفعل. فتنصر الرجل

(١) يعني عبد الحق الإشبيلي. انظر كتاب العاقبة (١٨١).

(٢) ف: «العقائد». ز: «العقد».

(٣) من اصطلمه الموت أو العدو: استأصله.

(٤) س: «يلازم المسجد...». ف: «يأوي مسجداً للصلوة والأذان».

(٥) س: «زنية».

ليتزوجها، وأقام معهم في الدار فلما كان في أثناء ذلك اليوم رقي إلى سطح كان في الدار^(١)، فسقط منه، فمات. فلم يظفر بها^(٢)، وفاته دينه!^(٣).

فصل

ولما كانت مفسدة اللواط من أعظم المفاسد كانت عقوبته في الدنيا والآخرة من أعظم العقوبات.

وقد اختلف الناس: هل هو أغلظ عقوبة من الزنى، أو الزنى أغلظ عقوبة منه، أو عقوبتهما سواء؟ على ثلاثة أقوال^(٤):

فذهب أبو بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب، وخالد بن الوليد، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس، وجابر بن زيد، و[عبيد الله بن] عبدالله بن معمر^(٥)، والزهري، وربيعة بن أبي

(١) ف: «إلى السطح في الدار».

(٢) «فمات» ساقط من س. وفي ف: «ولم يظفر بها».

(٣) العاقة (١٨١). وقول المؤلف: «ولقد بكى سفيان الثوري...» إلى آخر الفصل قد تقدم في بعض الطبعات - ومنها ط المدني - على قصة ابن كليب.

(٤) وانظر روضة المحبين (٤٥٤) وذم الهوى (٢٠٢ - ٢٠٥)، والمحلى (١١/٣٤٨ - ٣٨٦). والمغني (١٢/٣٥٠ - ٣٥٩).

(٥) ف: «عبد الله بن عمر». وفي س: «عبد الله بن عمر وممعر». وفي ل، ز، خب: «عبد الله بن معمرا». وهو تحريف صوابه ما أثبتنا. وكذا في المغني (١٢/٣٤٩)، ونحوه في مساواة الأخلاق للخرائطي (٤٥٩) وذم اللواط للأجري (٣٥) من طريق حماد عن قتادة عن خلاس عن عبيد الله بن معمرا. وأخرجه ابن أبي شيبة (٢٨٣٣٩) وابن أبي الدنيا في الملاهي (١٥٨) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن عبيد الله بن عبد الله بن معمرا. وكذا في ذم =

عبدالرحمن^(١)، ومالك، وإسحاق بن راهويه، والإمام أحمد^(٢) في أصح الروايتين عنه^(٣)، والشافعي في أحد قوله = إلى أن عقوبته أغلظ من عقوبة الزنا، وعقوبته القتل على كل حال محضنا كان أو غير محصن.

وذهب عطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، وسعيد بن المسيب^(٤)، وإبراهيم النخعي^(٥)، وقتادة، والأوزاعي، والشافعي في

= الهوى (٢٠٤) من طريق معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن جابر بن زيد وعبيد الله بن عبد الله بن معمر.

وعبيد الله بن معمر بن عثمان رأى النبي ﷺ وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه. وعبيد الله بن عبد الله بن معمر ابن أخي الأول. وقد يقع الخلط بينهما. انظر الإصابة (٥٥/٥).

(١) ف: «ربيعة بن عبد الرحمن»، خطأ.

(٢) س: «أحمد بن حنبل».

(٣) وهي رواية إسحاق الكوسج عنه انظر: مسائله (٧/٣٤٧١). وانظر: ذم الهوى (٢٠٥).

(٤) في ذم الهوى (٢٠٤) أنه قال: يرجم، أحصن أو لم يحصن (ص). ومثله في المساوي للخرائطي (٤٥٤) وذم اللواط للأجري (٥٠). وأخرج عبدالرزاق (١٣٤٨٩) عنه أنه قال فيه: «مثل حد الزاني، إن كان محضنا رجم» - كما نقل المصنف هنا - وفي سنته: الأسلمي، متروك. وابن جريج، مدلس. (ز).

(٥) كذا في ذم الهوى (٢٠٤). وفيه (٢٠٥) قول آخر له مثل القول الأول. قال: «لو كان أحد ينبغي أن يرجم مرتين لكان ينبغي للوطيء أن يرجم مرتين» (ص). قوله الأول أخرجه عبدالرزاق (١٣٤٨٧) وابن أبي شيبة (٢٨٣٣٥، ٢٨٣٣٥) والطحاوي في شرح المشكل (٤٤٩، ٤٤٨/٩) والأجري (٣٨) من طريق حماد بن أبي سليمان وأبي عشر عن النخعي قال: «حد اللوطيء حد الزاني». والقول الثاني رواه حماد بن سلمة عن حماد بن أبي سليمان عن النخعي.

ظاهر مذهبه، والإمام أحمد في الرواية الثانية عنه، وأبو يوسف ومحمد = إلى أن عقوبته وعقوبة الزاني^(١) سواء.

وذهب الحكم^(٢) وأبو حنيفة إلى أن عقوبته دون عقوبة الزاني، وهي التعزير.

قالوا: لأنّه معصية من المعاشي لم يقدر الله ولا رسوله فيه حدًا مقدّرًا، فكان فيه التعزير، كأكل الميتة والدم ولحم الخنزير.

قالوا: ولأنّه وطء في محل لا يشتهيه الطياع^(٣)، بل ركبها الله تعالى على النفرة منه حتى الحيوان البهيم، فلم يكن فيه حد، كوطء الحمار وغيره.

قالوا: ولأنه لا يسمى زانياً لغة ولا شرعاً ولا عرفاً، فلا يدخل في النصوص الدالة على حدّ الزانين.

أخرجه ابن أبي شيبة (٢٨٣٣٦) والأجري (٣٧، ٣٦). قلت: اللفظ الأول أصح، فقد رواه سفيان الثوري وغيره عن حماد بن أبي سليمان. قوله قول ثالث وبه قال الحكم بن عتيبة من كبار أصحابه. رواه الثوري عن منصور عن النخعي قال: «يضرب دون الحد». أخرجه ابن أبي شيبة (٢٨٣٣٨) وابن حزم في المثلث (١١/٣٨٢) وغيرهما، وسنه صحيح. قلت: هذا أصح من حديث حماد بن أبي سليمان وأبي معشر، والله أعلم (ز).

(١) س: «الزنا».

(٢) هو الحكم بن عتيبة، عالم أهل الكوفة، من كبار أصحاب إبراهيم النخعي، مات سنة ١٣٢ هـ. سير أعلام النبلاء (٥/٢٠٨).

(٣) ل: «لا تشتهيه الطياع».

قالوا: ولأننا رأينا قواعد الشريعة^(١) أن المعصية إذا كان الوازع عنها طبيعياً اكتفي بذلك الوازع من الحدّ، وإذا كان في الطياع تقاضيها جعل فيها [٨٥/١] الحدّ بحسب^(٢) اقتضاء الطياع لها. ولهذا جعل الحدّ في الزنى والسرقة وشرب المسكر دون أكل الميّة والدم ولحم الخنزير.

قالوا: وطردُ هذا أنه لا حدّ في وطء البهيمة ولا الميّة. وقد جبل الله سبحانه الطياع على النفرة من وطء الرجل مثله أشدّ نفرة، كما جبلها على النفرة من استدعاء الرجل من يطؤه، بخلاف الزنى فإن الداعي فيه من الجانيين.

قالوا: ولأن أحد النوعين إذا استمتع بشكله لم يجب عليه الحدّ، كما لو تساحت المرأة واستمتعت كلّ واحدة منها بالأخرى.

قال أصحاب القول الأول - وهم جمهور الأمة، وحكاهم غير واحد إجماعاً للصحابة -: ليس في المعاصي مفسدة أعظم^(٣) من هذه المفسدة، وهي تلي مفسدة الكفر، وربما كانت أعظم من مفسدة القتل، كما سنبينه إن شاء الله.

قالوا: ولم يبتل الله تعالى بهذه الكبيرة قبل قوم لوط أحداً من العالمين، وعاقبهم عقوبة لم يعقوب بها أمّة غيرهم، وجمع عليهم من

(١) كذا في جميع النسخ إلا خاتمة فيها: «قالوا: وقواعد الشريعة». وفي ط فايد وعبدالظاهر: «من قواعد». وفي بعض الطبعات المتأخرة: «في قواعد». وقد تقدم تفصيل هذه القاعدة في ص (٢٥٩).

(٢) ز: «بحيث».

(٣) س: «أشدّ». وأشار في حاشيتها إلى هذه النسخة. وفي ف، ز: «أعظم مفسدة».

أنواع العقوبات من الإهلاك^(١) وقلب ديارهم عليهم، والخسف بهم، ورجمهم بالحجارة من السماء؛ فنكل بهم نكالاً لم ينكله بأمة سواهم. وذلك لعظم مفسدة هذه الجريمة التي تقاد الأرض تميد من جوانبها^(٢) إذا عملت عليها، وتهرب الملائكة إلى أقطار السموات والأرض إذا شاهدوها، خشية نزول العذاب على أهلها، فيصيّهم معهم؛ وتعجّ الأرض إلى ربها تبارك وتعالى، وتقاد الجبال تزول عن أماكنها.

وقتل المفعول به^(٣) خير له من وطئه، فإنّه إذا وطئه الرجل قتله قتلاً^(٤) لا ترجى الحياة معه؛ بخلاف قتله فإنه مظلوم شهيد، وربما ينتفع به في آخرته.

قالوا: والدليل على هذا أنّ الله سبحانه جعل حد القاتل إلى خيره الولي، إن شاء قتل، وإن شاء عفا؛ وحتم قتل اللوطي حدّاً، كما أجمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ، ودللت عليه سنة رسول الله ﷺ^(٥) الصحيحة الصريحة التي لا معارض لها، بل عليها عمل أصحابه وخلفائه الراشدين.

وقد ثبت عن خالد بن الوليد أنّه وجد في بعض ضواحي العرب رجالاً [٨٥/١] ينكح كما تُنكح المرأة، فكتب إلى أبي بكر الصديق،

(١) ف: «عليهم أنواع العقوبات بين الإهلاك».

(٢) ف: «جوانبهم».

(٣) «به» لم يرد في ف.

(٤) س: «قتلة»، وفي حاشيتها: «خ قتلا».

(٥) «ودللت...» إلى هنا ساقط من س.

فاستشار أبو بكر الصحابة رضي الله عنهم، فكان^(١) علي بن أبي طالب أشدّهم قوله فيه، فقال: ما فعل هذا إلا أمة من الأمم واحدة^(٢)، وقد علمتم ما فعل الله بها. أرى أن يحرق بالنار. فكتب أبو بكر إلى خالد فحرقه^(٣).

وقال عبدالله بن عباس: ينظر أعلى بناء في القرية، فيرمى اللوطي منه مُنْكِبًا^(٤)، ثم يُتبع بالحجارة^(٥). وأخذ عبدالله بن عباس هذا الحدّ من عقوبة الله للوطية قوم لوط.

وابن عباس هو الذي روى عن النبي ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط، فاقتلوها الفاعل والمفعول به». رواه أهل السنن^(٦)، وصححه

(١) س: «وكان».

(٢) س: «واحدة من الأمم».

(٣) أخرجه الخرائطي في المساوي (٤٥١) وابن أبي الدنيا في ذم الملاهي (١٤٥) والأجري في ذم اللواط (٢٩) والبيهقي في السنن (٢٣٢/٨) وابن حزم في المحلي (٣٨١/١١) وغيرهم من طريق محمد بن المنكدر وموسى بن عقبة وصفوان بن سليم أن خالد بن الوليد... فذكره. قال البيهقي: هذا مرسل. وقال ابن حزم: فهذه كلها منقطعة ليس منهم أحد أدرك أبا بكر.

(٤) ز: «منكساً».

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٨٣٢٨) والعباس الدوري في تاريخه (٣٢٩/٤) وابن أبي الدنيا في ذم الملاهي (١٣٠) والأجري في ذم اللواط (٣٠) والبيهقي (٢٣٢/٨) وغيرهم من طريق أبي نصرة قال: سئل ابن عباس: ما حد اللوط؟ فذكره. وسنه صحيح.

(٦) أخرجه أبو داود (٤٤٦٢) والترمذى (١٤٥٦) وابن ماجه (٢٥٦١) وأحمد ٣٠٠/١ (٢٧٣٢) وابن عدي (١١٦/٥) وابن الجارود (٨٢٠) والحاكم (٣٩٥/٤) (٨٠٤٧) وغيرهم من طريق الدراوردي وسلامان بن بلال عن عمرو بن =

ابن حبان وغيره، واحتج الإمام أحمد بهذا الحديث. وإسناده على شرط البخاري.

قالوا: وثبت عنه أنه^(١) قال: «لعن الله من عملَ قومً لوط. لعن الله من عملَ قومً لوط. لعن الله من عملَ قومً لوط»^(٢).

ولم تجئ عنه لعنة الزاني في^(٣) حديث واحد، وقد لعن جماعةً من أهل الكبائر فلم يتجاوز بهم في اللعنة مرة واحدة، وكثير لعن اللوطية فأكده ثلاث مرات.

أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس فذكره مرفوعاً.

=

قال الترمذى: « وإنما نعرف هذا الحديث عن ابن عباس عن النبي ﷺ من هذا الوجه ». وقال الحاكم: « هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وله شاهد ». وسئل البخارى عن الحديث فقال: « عمرو بن أبي عمرو صدوق، ولكن روى عن عكرمة مناكير، ولم يذكر في شيء من ذلك أنه سمع عن عكرمة ». واستنكر هذا الحديث على عمرو هذا: يحيى بن معين والنسائي وابن عدي. وقال الإمام الشافعى: « إن صح قلت به ». انظر التلخيص الحبير (٤/٩٢ - ٩٢).

وله طرق عن عكرمة، ولا يثبت منها شيء. وروي عن أبي هريرة وجابر ولا يثبت.

(١) «أنه» ساقط من ف.

(٢) أخرجه أحمد ١/٥٠٩، ٣١٧، ٣١٦ (٢٩١٣، ٢٩١٥)، والنسائي في الكبرى (٧٣٣٧) وأبو يعلى (٤/٢٥٣٩) وابن حبان (٤٤١٧) والحاكم (٤٤١٧) وغيرهم من طريق زهير بن محمد وسليمان بن بلال وعبدالرحمن بن أبي الزناد كلهم عن عمرو بن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً مطولاً.

قال النسائي: «عمرو ليس بالقوي». وانظر الحديث السابق.

(٣) س: «من».

وأطبق أصحاب رسول الله ﷺ على قتله، لم يختلف^(١) فيه منهم رجالان. وإنما اختلفت أقوالهم في صفة قتله^(٢)، فظنّ بعض الناس أنّ ذلك اختلف منهم في قتله، فحكاها مسألة نزاع بين الصحابة وهي بينهم مسألة إجماع^(٣)، لا مسألة نزاع.

قالوا: ومن تأمل قوله سبحانه: «وَلَا تَقْرِبُوا الْزِفْرَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَيِّلًا» [الإسراء / ٣٢]، وقوله في اللواط: «أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ» [الأعراف / ٨٠] تبيّن له تفاوتُ ما بينهما. فإنّه^(٤) سبحانه نكّر الفاحشة في الزنى، أي هو^(٥) فاحشة من الفواحش؛ وعرفها في اللواط، وذلك يفيد أنّه جامع لمعاني اسم الفاحشة، كما تقول: زيد الرجل^(٦)، ونعم الرجل زيد. أي: أتاتون الخصلة التي استقرّ فحشُها عند كلّ أحد^(٧)؟ فهي لظهور فحشها^(٨) وكماله غنية عن ذكرها، بحيث [١/٨٦] لا ينصرف الاسم إلى غيرها.

وهذا نظير قول فرعون لموسى^(٩): «وَقَعَلْتَ فَعَلَّتَكَ أَلَّى فَعَلْتَ» [الشعراء / ١٩] أي: الفعلة الشنعة الظاهرة المعلومة لكلّ أحد.

(١) س: «اختلفوا».

(٢) «إنما... قتله» ساقط من س.

(٣) س: «بينهم إجماع».

(٤) ف: «وانه».

(٥) لم ترد «أي» في ف، لـ. وفي لـ: «هي».

(٦) في زـ: «زيداً لـرجل» كذا مضبوطاً، وهو خطأ.

(٧) «عند» ساقطة من سـ.

(٨) في سـ، لـ زيادة: «عند كلّ أحد».

(٩) «الموسى» ساقط من فـ. وقد استدركه بعضهم في الحاشية.

ثم أكَّد سبحانه بيانَ فحشتها^(١) بأنَّها^(٢) لم يعملها أحدٌ من العالمين قبلهم، فقال: ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) [الأعراف / ٨٠]. ثم زاد في التأكيد بأنَّه صرَّح بما تشمئزُ منه القلوب، وتنبو عنه الأسماء، وتتفرَّغ منه أشدَّ النُّفَرَة^(٤) الطباعُ، وهو إتيان الرجل رجلاً مثله، ينكحه كما ينكح الأنثى، فقال: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ [الأعراف / ٨١].

ثم نبه على استغنايهم عن ذلك، وأنَّ الحامل لهم عليه ليس إلا مجرد الشهوة، لا الحاجة التي لأجلها مال الذكر إلى الأنثى^(٥)، من قضاء الوطر ولذة الاستمتاع، وحصول المودة والرحمة التي تنسى المرأة لها أبويتها وتذكر بعلها، وحصلُ النسل الذي هو^(٦) حفظ هذا النوع الذي هو أشرف المخلوقات، وتحصين المرأة وقضاء وطراها، وحصلُ علاقة المصاهرة التي هي أخت النسب^(٧)، وقيام الرجال على النساء، وخروج أحبِّ الخلق إلى الله من جماعهن كالأنبياء والأولياء والصالحين^(٨)، ومكاثرة النبي ﷺ الأنبياء بأمته، إلى غير ذلك من مصالح النكاح. والمفسدةُ التي في اللواط تقاوم ذلك كله، وتُربِّي

(١) ل، ز: «شان فحشتها». وقد سقطت الكلمة من ف، فاستدركها بعضهم في حاشيتها وكتب: «شان».

(٢) ف: «بأنه».

(٣) «قبلهم...» إلى هنا ساقط من س، ز.

(٤) ف: «ينبو... وينفر... كل النُّفَرَة».

(٥) «إلى» ساقطة من س.

(٦) «هو» لم ترد في س.

(٧) ز: «أحبِّ النسب»، تصحيف.

(٨) ماعدا ف: «المؤمنين» مكان «الصالحين». وفي س: «كالأولياء» فلم يرد فيها: «كالأنبياء».

عليه^(١) بما لا يمكن حصرُ فسادِه، ولا يعلم تفصيله إلا الله.

ثم أكَّدَ قبح ذلك بأنَّ اللوطيَّة عكسوا فطرة الله التي فطر عليها الرجال، وقلبوا الطبيعة التي ركبها الله في الذكور، وهي شهوة النساء دون شهوة الذكور. فقلبوا الأمر، وعكسوا الفطرة والطبيعة، فأتوا الرجال شهوةً من دون النساء^(٢). ولهذا قلب الله سبحانه وتعالى عليهم ديارهم، فجعل عاليها سافلها. وكذلك قلبوا هم ونكسوا^(٣) في العذاب على رؤوسهم^(٤).

ثم أكَّد سبحانه قبح ذلك بأنَّ حكم عليهم بالإسراف، وهو مجاوزة الحد، فقال: «**بَلْ أَنْتُمْ قَومٌ مُّسْرِفُونَ**» ﴿٨١﴾ [الأعراف / ٨١].

فتتأمل هل جاء ذلك أو قريباً منه في الزنى؟

وأكَّد سبحانه ذلك عليهم بقوله: «**وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْمُبَكِّرَاتِ**» ﴿٧٤﴾ [الأنبياء / ٧٤]. ثم أكَّد عليهم الذم بوصفين في غاية القبح، فقال: «**إِنَّهُمْ كَانُوا [٨٦/ب] قَوْمًا سَوْءً فَسِيقِينَ**» ﴿٧٤﴾ [الأنبياء / ٧٤].

وسمَّاهم «مفسدين» في قول نبيهم: «**رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ**» ﴿٣٠﴾ [العنكبوت / ٣٠]. وسمَّاهم «ظالمين» في قول الملائكة لإبراهيم: «**إِنَّا مُهَلِّكُو أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ**» ﴿٣١﴾ [العنكبوت / ٣١].

(١) أي تزيد عليه. وفي ف: «عليها». والكلمة ساقطة من ل.

(٢) «دون شهوة... النساء» ساقط من س.

(٣) س: «قلبوا ونكسو».

(٤) «ثم أكَّدَ قبح ذلك... رؤوسهم» ساقط من ز.

فتأنّمْلُ من عوّقْب بِمَثْل هذِه العقوبات، وَمَن ذَمَهُ اللَّهُ^(١) بِمَثْل هذِه المذمّات! وَلَمَّا جَادَلَ فِيهِمْ خَلِيلُهُ إِبْرَاهِيمُ الْمَلَائِكَةَ، وَقَدْ أَخْبَرَهُ بِإِهْلَاكِهِمْ، قَيْلَ لَهُ: ﴿يَتَابُرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَفْرَارِكَ وَإِنَّهُمْ مَأْتِهِمْ عَذَابٌ عَيْنُهُمْ دُوَّرٌ﴾ [هود/٧٦].

وتَأْمَلُ خِبَثَ اللَّوْطِيَّةِ وَفِرْطَ تَمَرِّدِهِمْ عَلَى اللَّهِ، حِيثُ^(٢) جَاءُوا نَبِيِّهِمْ
لَوْطًا لِمَا سَمِعُوا بِأَنَّهُ قَدْ طَرَقَهُ أَصْيَافُهُ هُمْ مِنْ أَحْسَنِ الْبَشَرِ صُورًا، فَأَقْبَلَ
اللَّوْطِيَّةُ إِلَيْهِ^(٣) يَهُرُولُونَ. فَلَمَّا رَأَهُمْ قَالَ لَهُمْ: «يَنْقُومُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِهِنَّ
أَطْهَرُكُمْ» [هُودٌ/ ٧٨]، فَنَدِيَ أَصْيَافُهُ بِبَنَاتِهِ، يَزُوقُهُمْ بِهِنَّ، خَوْفًا عَلَى
نَفْسِهِ وَأَصْيَافِهِ مِنَ الْعَارِ الشَّدِيدِ، فَقَالَ: «يَنْقُومُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِهِنَّ أَطْهَرُكُمْ
فَانْقُوْا إِلَهَكُمْ وَلَا تُخْرُوْنَ فِي ضَيْقَيِّنَ اللَّيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ» ٧٨ [هُودٌ/ ٧٨]، فَرَدُّوا
عَلَيْهِ، وَلَكِنْ رَدَّ جَبَارٍ عَنِيدٍ: «لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَلَكِنَّكَ لَنْعَلَمُ مَا
رَبِّيْدُ» [هُودٌ/ ٧٩]. فَنَفَثَ نَبِيُّ اللَّهِ نَفْثَةً مَصْدُورًا، وَخَرَجَتْ مِنْ قَلْبِ مَكْرُوبٍ
عَمِيدٍ^(٤)، فَقَالَ: «لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ أَوْيَةً إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ» [هُودٌ/ ٨٠].
فَنَفَّسَ لَهُ رُسُلُ اللَّهِ، وَكَشَفُوا لَهُ عَنِ حَقِيقَةِ الْحَالِ، وَأَعْلَمُوهُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا^(٥)
مِمَّنْ يُوَصِّلُ إِلَيْهِمْ وَلَا إِلَيْهِ بَسِبِّهِمْ، فَلَا تَخْفَ مِنْهُمْ، وَلَا تَعْبَأُ بِهِمْ، وَهُوَنْ
عَلَيْكَ، فَقَالُوا: «يَنْلُوطُ إِنَّا رَسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ» [هُودٌ/ ٨١] وَبِشَرُوهُ بِمَا
جَاءُوا بِهِ مِنَ الْوَعْدِ لَهُ، وَلِقَوْمِهِ مِنَ الْوَعْدِ الْمُصَبِّبِ، فَقَالُوا: «فَاسْرِ
إِلَيْكَ بِقِطْعَةِ مِنَ الْأَيْلِ وَلَا يَنْلَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَأَ أَنَّكَ إِنَّهُ مُصَبِّبُهَا مَا أَصَابَهُمْ

(١) زاد في س: «عليه»، وهو خطأ.

• « حس » : ; (۲)

(٣) لم يرد «الله» في س.

(٤) العميد: الشديد الحزن.

(٥) ل: «أنه ليس».

إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ»^(١) [هود / ٨١]. فاستبطأ نبيُّ الله موعدَ هلاكهم^(٢)، وقال : أريد أُعجل [٨٧ / ١] من هذا ، فقالت الملائكة : «أَلَيْسَ الصُّبْحُ يُقْرَبُ» .

فوالله ما كان بين هلاك أعداء الله ونجاة نبيه وأوليائه إلا ما بين السحر وطلوع الفجر ، وإذا بديارهم قد اقتلت من أصولها ، ورفعت نحو السماء ، حتى سمعت الملائكة نباح الكلاب ونهيق الحمير . فبرز المرسوم الذي لا يُرَدُّ من عند ربِّ الجليل إلى عبده ورسوله جبريل بأن يقلبها عليهم ، كما أخبر به في محكم التنزيل ، فقال عزّ من قائل : «فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَنْلَيْهَا سَاقِلَّاهَا وَأَنْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِيلٍ» [هود / ٨٢] .

فجعلهم آيةً للعالمين ، وموعظةً للمتقين ، ونكالاً وسلفاً لمن شاركهم في أعمالهم من المجرمين ، وجعل ديارهم بطريق السالكين . «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَيْنِ لِلْمُتَّوَسِّمِينَ»^(٤) [٧٦] «وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ»^(٥) «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَيْنَ لِلْمُؤْمِنِينَ»^(٦) [الحجر / ٧٥ - ٧٧] .

أخذهم على غرّة وهم نائمون ، وجاءهم بأُسُهُ وهم في سكرتهم يعمهون ، مما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ، فانقلبوا^(٣) تلك اللذات ألامًا فأصبحوا بها يعذبون :

(١) وردت الآية في جميع النسخ والطبعات التي بين يديّ بتكميلتها الآتية فيما بعد ، ولعله سهو من النساخ ، فإن إثباتها هنا مخالف للسياق .

(٢) لـ : «أمر موعد هلاكهم» .

(٣) زـ : «انقلبوا» .

مَأْرُبٌ كَانَتْ فِي الْحَيَاةِ لِأَهْلِهَا عِذَابًا فَصَارَتْ فِي الْمَمَاتِ عِذَابًا^(١)

ذهبت اللذات، وأعقبت الحسرات. وانقضت الشهوة، وأورثت الشقة. تمتعوا قليلاً، وعذّبوا طويلاً. رتعوا مرتعاً وخيمّاً، فأعقبهم عذاباً أليماً. أسكرتهم خمرة تلك الشهوة، فما استفاقوا منها إلا في ديار المعدّبين. وأرقدتهم تلك الغفلة، فما استيقظوا إلا وهم في منازل الهالكين. فندموا والله أشد الندامة حين لا ينفع الندم. وبكوا على ما أسلفوه بدل الدموع بالدم.

فلو رأيت الأعلى والأسفل من هذه الطائفة، والنار تخرج من منافذ وجوههم وأبدانهم، وهم بين أطباق الجحيم، وهم يشربون بدل لذيد الشراب كؤوس الحميم، ويقال لهم، وهم على وجوههم يسبحون: ﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الزمر / ٢٤]، ﴿أَصْلَوْهَا فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تَبْغُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور / ١٦].

ولقد قرب الله سبحانه مسافة العذاب بين هذه الأمة وبين إخوانهم في [٨٧/ب] العمل، فقال مخوّفاً لهم أن يقع الوعيد: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِيَعْيِدِ﴾ [هود / ٨٣].

فيما ناك حي الذكران يهنيكم البشري في يوم معاد الناس إن لكم أجرا
كلوا واشربوا وازنوا ولوطوا وأبشروا فإنكم زفّا إلى الجنة الحمرا^(٢)

(١) ف: «في المعاد» مكان «في الممات». وسيأتي مرة أخرى في ص (٥٤٨). وقد أنسده المؤلف في طريق الهجرتين (١١٩)، وروضة المحبين (٦٣٢)، والفوائد (٤٦) وفيها: «كانت في الشباب... فصارت في المشيب».

(٢) زفّا: اي تُزفّون. وفي ف: «إإن لكم»، ولعله مغير.

وقالوا: إلينا عجلوا لكم^(١) البشري

سيجمعنا العجَّارُ في نارِهِ الكبْرِيَ^(٢)

يغيبون عنكم بل ترونهم جهراً

ويشقى به المحزونُ في الكرة الأخرى

كما اشتراكاً في لذةِ تُوجِّبِ الوزراً

إخوانكم قد مهدوا الدارَ قبلكم

وهانحن أسلاف لكم في انتظاركم

ولا تحسِّبوا أنَّ الدين نكحتم

ويلعن كلُّ منكم لخليله

يعذَّب كلُّ منهم بشريكه

فصل

في الأجوية مما احتجَّ به من جعل عقوبة هذه الفاحشة دون عقوبة الزنى
أما قولهم: إنَّها معصية لم يجعل الله فيها حدًا معيناً، فجوابه من
وجوه:

أحدُها: أنَّ المبلغَ عن الله جعل حدَّ صاحبها القتلَ حتماً، وما شرعه
رسول الله ﷺ فإنَّما شرعه عن الله. فإنْ أردتم أنَّ حدَّها غير معلوم بالشرع
 فهو باطل، وإنْ أردتم أنه غير ثابت بنصِّ الكتاب لم يلزم من ذلك انتفاء
حكمه لثبوته بالسنة.

الثاني: أنَّ هذا ينقض عليكم بالرجم، فإنه إنما ثبت بالسنة.

فإن قلتم: بل ثبت بقرآنٍ سُنْخَ لفظه وبقي حكمه، قلنا: فينقض
عليكم بحدٍّ شارب الخمر.

الثالث: أنَّ نفي دليل معين لا يستلزم نفي مطلق الدليل ولا نفي

(١) ف: «فقالوا».

(٢) ل، ز: «أَسْلَافًا». ف: «سيجمعنا الرحمن».

المدلول، فكيف وقد قدمنا أنَّ الدليل الذي نفيتموه غير منتفٍ؟

وأما قولكم: إنه وطء في محلٍ لا تشتهيه الطباع، بل ركب الله الطباع على النفرة منه، فهو كوطء الميتة والبهيمة؛ فجوابه من وجوه:

أحدها: أنَّه قياس فاسد الاعتبار، مردود بسنة رسول الله ﷺ وإجماع الصحابة، كما تقدَّم بيانه.

الثاني: أنَّ قياس وطء الأمرد الجميل الذي فتنَتُه تُربى على كل فتنة^(١)، [١٠/٨٨] على وطء أتانٍ أو امرأة ميتة، من أفسدِ القياس. وهل تغزل أحد قطًّا بأتان أو بقرة أو ميتة، أو سبى ذلك عقلًا عاشق، أو أسرَ قلبه، أو استولى على فكره ونفسه؟ فليس في القياس أفسد من هذا.

الثالث: أنَّ هذا منتقض بوطء الأمَّ والبنت والأخت، فإنَّ النفرة الطبيعية عنه حاصلة، مع أنَّ الحدَّ فيه من أغلوظ الحدود في أحد القولين، وهو القتل بكل حال محسنًا كان أو غير محسن. وهذا إحدى الروايتين^(٢) عن الإمام أحمد، وهو قول إسحاق بن راهويه وجماعة من أهل الحديث.

وقد روى أبو داود^(٣) من حديث البراء بن عازب قال: لقيتُ عمِّي

(١) س: «من كل فتنة»، خطأ.

(٢) ف: «وهو...». س: «أحد الروايتين».

(٣) برقم ٤٤٥٧. وأخرجه النسائي (٣٣٣٢) وابن الجارود (٦٨١) والدارمي (٢٢٨٥) وغيرهم من طريق زيد بن أبي أنيسة عن عدي بن ثابت عن يزيد بن البراء عن أبيه فذكره.

ورواه السدي وأشعث بن سوار - وقد اختلف عليه - والربيع بن الريkin وغيرهم عن عدي عن البراء عن حاله فذكره، بإسقاط (يزيد بن البراء). أخرجه =

ومعه الراية، فقلت: إلى أين تريد^(١)? قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى رجل نكح امرأة أبيه من بعده أن أضربَ عنقه، وأأخذَ ماله.

قال الترمذى: هذا حديث حسن^(٢). قال الجوزجاني: عم البراء اسمه الحارث بن عمرو^(٣).

وفي سنن ابن ماجه^(٤) من حديث ابن عباس^(٥) قال: قال رسول الله

أحمد (١٨٥٥٧، ١٨٥٧٨، ١٨٦١٠)، والترمذى (١٣٦٢) وقال: «حسن غريب»، وابن ماجه (٢٦٠٧) وغيرهم.

ورجح أبو حاتم حديث زيد بن أبي أنسة لزيادته (يزيد بن البراء). انظر العلل لابن أبي حاتم (١٢٧٧، ١٢٠٧) وعلل الدارقطنى (٦/٢٠ - ٢٢).

والحديث سنه جيد.

(١) ف: «فقلت: أين تريد».

(٢) في المتن المطبوع مع تحفة الأحوذى: «حسن غريب»، ومثله في نسخة الكروخي (ق/٩٨ ب).

(٣) ويقال: إنه خاله. وفي بعض طرق الحديث: «لقيت خالي». وانظر الإصابة برقم (٥٨٨/١).

(٤) برقم (٢٥٦٨). وأخرجه الترمذى (١٤٦٢) وأحمد في المسند (١/٣٠٠، ٣٢٧، ٢٧٢٧) والطبرى في التهذيب (مسند ابن عباس - ٨٧١) والطبرانى (١١/١١٥٨٠، رقم ١١٠/١) وابن عدى في الكامل (٢٨٦/٥) وابن حبان في المجرحين (١١٠/١) من طريق إبراهيم بن إسماعيل (ابن أبي حبيبة) عن داود بن حصين عن عكرمة عن ابن عباس مختصراً ومطولاً. قال الترمذى: «هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإبراهيم بن إسماعيل يضعف في هذا الحديث».

وقال أبو حاتم الرازى: «هذا حديث منكر، لم يروه غير ابن أبي حبيبة».

العلل (١٣٦٧).

(٥) ف: «ابن ماجه عن ابن عباس». وفي ط المدنى وعبدالظاهر وغيرهما: «وفي سنن أبي داود وابن ماجه...» وهو مخالف لجميع النسخ التي بين يديّ، =

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: «من وقع على ذات محرم فاقتلوه».

ورُفع إلى الحجاج رجلٌ اغتصب أخته على نفسها، فقال: احبسوه، وأسألوا^(١) من ها هنا من أصحاب رسول الله **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**. فسألوا عبدالله بن مطرّف، فقال: سمعت رسول الله **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** يقول^(٢): «من تخطى حُرمَ المؤمنين فخُطُوا وسطه بالسيف»^(٣).

= وخطأ أيضاً، فإن الحديث المذكور لم يرد في سنن أبي داود.

(١) ف، ز: «وسلوا».

(٢) يقول» ساقط من س، ف.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم (٥/ رقم ٢٨١٧) والبغوي في معجم الصحابة (٤/ رقم ١٧١٢) وابن قانع في معجم الصحابة (٥٦٢) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٤/ رقم ١٧١٢) والخرائطي في اعتلال القلوب (١١١) وفي مساوىء الأخلاق (٥٧٥) والعقيلي في الضعفاء (٢٠١/ ٢ - ٢٠٢) وابن عدي في الكامل (١٧٥/ ٣) وغيرهم من طريق رفدة بن قضاعة عن صالح بن راشد القرشي قال: أتي الحجاج برجل فذكره.

قلت: هذا حديث لا يثبت، لضعف رفدة ولخطئه في الحديث. وحكم أبو حاتم وأبو زرعة بأنه خطأ وغلط. وقال البخاري: لم يصح حديثه (أي حدث صالح بن راشد) وقال مرة: ولم يصح إسناده. وقال ابن منده: غريب. وقال ابن السكن: في إسناده نظر.

ويرى أبو زرعة أن الصحيح أنه من فتوى عبدالله بن مطرّف بن الشحير. هكذا رواها عنه قتادة وداود بن أبي هند.

قلت: هذه الفتوى أخرجها الطبرى في التهذيب (مسند ابن عباس - ٨٨٩ - ٨٨٧) والخرائطي في اعتلال القلوب (١١٢) من طريق قتادة، وابن أبي شيبة (٤ - ١٣١ - الإصابة) والطبرى في التهذيب (٨٩١) من طريق حميد عن بكر بن عبدالله فذكره. وسند الفتوى صحيح.

راجع: علل ابن أبي حاتم (١٣٦٩) والجرح والتعديل (٥/ ١٥٢ - ١٥٣، ١٨٢)، والتاريخ الكبير للبخاري (٤/ ٢٧٩)، (٥/ ٣٤) والإصابة (٤/ ١٣١) (٤٩٥١).

وفيه دليل على القتل بالتوسيط. وهذا دليل مستقلٌ في المسألة، وهو أنّ من لا يباح^(١) وطؤه بحال فحُدُّ وطئه القتل. دليله: من وقع على أمّه وابنته. وكذلك يقال في وطء ذوات المحارم ووطء مَنْ لا يباح له وطؤه بحال، فكان^(٢) حدّه القتل، كاللوطي.

والتحقيق أن يستدلّ على المُسأليْن بالنصّ. والقياس يشهد لصحّة كلّ منهما.

وقد^(٣) اتفق المسلمون على أنّ من زنى بذات محرم فعليه الحدّ، وإنّما اختلفوا في صفة الحدّ: هل هو القتل بكلّ حال، أو حدّ حـدّ الزانـي؟ على قولين:

فذهب الشافعي وأبيه وأحمد في إحدى روايتيه^(٤) أنّ [٨٨/ب] حدّه حدّ الزانـي.

وذهب أحمد وإسحاق وجماعـة من أهلـ الحديث إلى أنّ حدّه القتل بكلّ حال.

وكذلك اتفقا كلـهم على أنه لو أصابـها باسمـ النكاح عالمـاً = أنه يُـحدـد، إلا أبا حنيـفة وحـده^(٥)، فإـنه رأـى ذلك شـبهـة مـسـقطـة للـحدـ.

ومنازـعـوه يقولـون: إذا أصابـها باسمـ النـكـاح فقد زـادـ الجـريـمة غـلـظـاً وشـدـةـ،

(١) س: «لا يباح له». وسقطت «من» من ف.

(٢) س، ز: «وكان».

(٣) لم يرد «وقد» في ف.

(٤) س: «إحدى الروايتين». وفي الحاشية: «روايتها».

(٥) «وحـده» لم يـردـ فيـ فـ، لـ.

فإنه ارتكب محدودين عظيمين : محدود العقد ، ومحذور الوطء ؛ فكيف تُخفَّف عنه العقوبة بضمّ محدود العقد إلى محدود الزنا ؟

وأما وطء الميتة ، ففيه قولان للفقهاء ، وهما في مذهب أحمد وغيره . أحدهما : يجب به الحدّ ، وهو قول الأوزاعي ، فإنّ فعله أعظم جرمًا وأكثر ذنبًا لأنّه انضمّ إلى فاحشته هتك حرمّة الميتة .

فصل

وأما^(١) وطء البهيمة ، فللفقهاء فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أنّه يؤدّب^(٢) ، ولا حدّ عليه . وهذا قول مالك وأبي حنيفة والشافعي في أحد قوله ، وقول إسحاق .

والقول الثاني^(٣) : أنّ حكمه حكم الزاني ؛ يجلد إن كان بكرًا ، ويرجم إن كان محسنًا . وهذا قول الحسن .

والقول الثالث : أنّ حكمه حكم اللوطى . نصّ عليه أحمد ، فيخرج على الروايتين في حدّه : هل هو القتل حتمًا ، أو هو كالزاني ؟

والذين قالوا : حدّه القتل ، احتجّوا بما رواه أبو داود^(٤) من حديث

(١) س : «فاما» .

(٢) ف : «أن يؤب» .

(٣) ز : «والثاني» .

(٤) برقم (٤٤٦٤) وأخرجه الترمذى (١٤٥٥) والطبرى في التهذيب (مسند ابن عباس - ٨٧٠) والحاكم ٣٩٦/٤ (٨٠٤٩) والبيهقي (٢٢٣/٨) من طريق عمرو بن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس فذكره .

وهو حديث منكر ، تكلم فيه الأئمة كالإمام أحمد والبخاري وأبي داود =

ابن عباس عن النبي ﷺ: «من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه».

قالوا: ولأنه وطء لا يباح بحال، فكان فيه القتل كحد اللوطى.

ومن لم ير عليه حدًا قالوا: لم يصح فيه الحديث، ولو صح لقلنا به، ولم يحل لنا مخالفته. قال إسماعيل بن سعيد الشالنجي: سألتُ أحمد عن الذي يأتي بهيمة، فوقف عندها، ولم يثبت حديث عمرو بن أبي عمرو في ذلك^(١). وقال الطحاوي: الحديث ضعيف. وأيضاً فراويه^(٢) ابن عباس، وقد أفتى بأنه لا حد عليه^(٣). قال أبو داود: وهذا

= والترمذى وغيرهم. وسبب نكارته - كما ذكر أكثر أهل العلم - أن فتوى ابن عباس أن من أتى بهيمة فلا حد عليه. وسيأتي تخرجه.

ورواه عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس فذكره. أخرجه الطبرى في التهذيب ١ / ٥٥٠ (٢٣٣) والبيهقي (٨ / ٢٣٣) والحاكم ٤ / ٣٩٦ (٨٠٥٠).

قلت: وفيه. عباد بن منصور مدلس، فلعله أسقط إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي وهو متزوك. قال ابن حبان في المجردتين (٢ / ١٦٦) في ترجمة عباد بن منصور: «كل ما روى عن عكرمة سمعه من إبراهيم بن أبي يحيى عن داود بن الحصين، فدلّسها عن عكرمة».

وانظر علل ابن أبي حاتم (١٣٤٥).

(١) المغني (١٢ / ٣٥٢).

(٢) س، ز: «فرواية»، تحريف.

(٣) «عليه» ساقط من س. (ص). وأخرج قوله أبو داود (٤٤٦٥) والترمذى في السنن (١٤٥٥) والعلل الكبير (٤٢٨)، والطبرى في التهذيب (٨٦٧ - ٨٦٩) والطحاوى في شرح المشكّل (٤٤١ - ٤٤٠ / ٩) والحاكم ٤ / ٣٩٦ (٨٠٥١) والخراططي في مساوىء الأخلاق (٤٥٧) والبيهقي (٨ / ٢٣٤) من طريق شعبة والثوري وأبي الأحوص وشريك وأبي بكر بن عياش وأبي عوانة وإسرائيل كلهم عن عاصم بن بهدلة عن أبي رزين عن ابن عباس قال: «من أتى بهيمة فلا حد

يُضعف الحديث .

ولا ريب أن الزاجر الطبيعي عن إتيان البهيمة أقوى من الزاجر الطبيعي^(١) عن التلوّط ، وليس الأمران في طباع [٨٩/١] الناس سواء ، فإن الحق أحدهما بالآخر من أفسد القياس ، كما تقدم .

فصل

وأما قياسكم وطأ الرجل لمثله على تداولك المرأتين ، فمن أفسد القياس ، إذ لا إيلاج هناك ، وإنما نظيره مباشرة الرجل الرجل من غير إيلاج ؛ على أنه قد جاء في بعض الآثار المرفوعة : «إذا أتت المرأة المرأة إيلاجها زانيتان»^(٢) ، ولكن لا يجب الحدّ بذلك لعدم الإيلاج ، وإن أطلق

عليه» .

=

ورواه أبو حنيفة عن عاصم بن عمر عن أبي رزين عن ابن عباس فذكر مثله . أخرجه النسائي في الكبرى (٧٣٤١) والطحاوي في شرح المشكل (٤٤٠/٩) وقال : «هذا غير صحيح ، وعاصم بن عمر ضعيف في الحديث» . الصواب رواية الجماعة . وعاصم هو ابن بهلة كما جاء مصريحاً به في رواية الثوري وأبي الأحوص وأبي عوانة . والأثر حسن الإسناد . وبهذا الأثر أعلمه البخاري والترمذى وأبو داود والطحاوى .

(١) «عن إتيان... الطبيعي» ساقط من ف .

(٢) أخرجه الآجري في ذم اللواط (١٧) مختصرًا والبيهقي في الكبرى (٢٣٣/٨) من طريق محمد بن عبد الرحمن عن خالد الحذاء عن ابن سيرين عن أبي موسى مرفوعاً ذكره . وأوله : «إذا أتى الرجلُ الرجلَ فهما زانيان...». قال البيهقي : «ومحمد بن عبد الرحمن هذا لا أعرفه ، وهو منكر بهذا الإسناد». قال ابن التركمانى معقباً على البيهقي : «قلت : هو معروف يقال له المقدسي القشيري ، روى عن... ذكره ابن أبي حاتم في كتابه [الجرح ٣٢٥/٧] وقال : ذكره البخاري . وسألت أبي عنه فقال : متروك الحديث ، كان يكذب ويفتعل =

عليهما اسم الزنى العام، كزنى العين واليد والرجل والفم.

إذا ثبت هذا فأجمع المسلمين على أن حكم التلوط مع المملوك كحكمه مع غيره. ومن ظن أن تلوط الإنسان بمملوكه جائز، واحتج على ذلك بقوله تعالى: ﴿ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِ أَوْ مَا مَلَكَ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُؤْمِنَ ﴾ [المعارج/٣٠]، وقاس ذلك على أمته المملوكة، فهو كافر يُستتاب، كما يستتاب المرتد. فإنْ تاب وإلا ضربت عنقه. وتلوط الإنسان بمملوكه كتلوطه بمملوك غيره في الإثم والحكم.

فصل

فإن قيل: وهل^(١) مع ذلك كله من دواء لهذا الداء العُضال، ورقية لهذا السحر القتال؟ وما الاحتياط لدفع هذا الخبر؟

الحديث».

=

وله طريق آخر ذكره البخاري في تاريخه (٨١/٢) وابن أبي حاتم في مقدمة الجرح (٣٤٢/١). وأخرجه الأجري في ذم اللواط (١٦) والطبراني في الأوسط (١٥٣/٤١٥٧) والخطيب في تالي تلخيص المتشابه (٢٦٨) من طريق أبي داود الطيالسي عن بشير بن الفضل عن أبيه عن خالد الحذاء عن أنس بن سيرين عن أبي يحيى عن أبي موسى مرفوعاً: «لا تباشر المرأة إلا وهو زانيتان...». قال الطبراني: «لا يروى هذا الحديث عن أبي موسى إلا بهذا الإسناد، تفرد به أبو داود. وأبو يحيى الذي روى عنه أنس بن سيرين في هذا الحديث هو عبد بن سيرين».

قلت: وقع عند الأجري: «عن أبي يحيى المعرقب». واسمها مصدع. وثقه العجمي، ولم يعرفه ابن معين وتكلم فيه ابن حبان في المجرورتين (٣٩/٣). وقال ابن حجر: مقبول. تهذيب الكمال (١٥/٢٨). والحديث لا يصح. فيه بشير بن الفضل بن الوليد العizar. قال الأزدي: مجہول.

(١) س، ل: «فهل».

وهل من طريقٍ قاصِدٍ إلى التوفيق؟ وهل يمكن السكرانَ بخمرة
الهوى أن يفيق؟

وهل يملك العاشق قلبَه، والعشق قد وصل إلى سوياته؟ وهل
للطبيب بعد ذلك حيلة في برئته^(١) من سوء دائه؟

إن لامه لائم التذذب بملامحه ذكرًا^(٢) لمحبوبه، وإن عذله عاذل أغراه
عذله^(٣)، وسار به في طريق مطلوبه. ينادي عليه شاهدُ حاله، بل لسانُ
قاله^(٤) :

وقف الهوى بي حيث أنتِ فليس لي متَّخَرٌ عنه ولا متقدَّمٌ
وأهتَّني فأهنتُ نفسي جاهدًا ما من يهون عليكِ ممن يُكَرِّمُ
أشبهتِ أعدائي فصرتُ أحِبَّهم إذ كان حظي منكِ حظي منهمُ
أجد الملامة في هواكِ لذذة حيًّا لذكركِ فليَلْمِنْي اللُّومَ^(٥)
ولعل هذا هو المقصود بالسؤال الأول الذي وقع عليه الاستفتاء،
والداء الذي طُلب له الدواء.

قيل: نعم، الجواب من رأسِ «وما أنزل الله سبحانه من داء إلا

(١) ف: «من برئه».

(٢) ف: «ذاكرًا».

(٣) «أغراه عذله» ساقط من س.

(٤) ف: «شاهد حاله بلسان قاله».

(٥) الآيات لأبي الشيص الخزاعي في ديوانه (١٠١). وقد أوردها المصنف في
روضة المعبيين (٤٠٢)، وانتقدتها في طريق الهجرتين (٦٥٩).

أنزل [٨٩/ب] له دواءً. علمه من علمه، وجهله من جهله»^(١).

والكلام في دواء هذا الداء من طريقين:

أحدهما: حَسْم مادّته قبل حصولها.

والثاني: قلعها بعد نزولها.

وكلاهما يسير على من يسره الله عليه، ومتعدّر على من لم يُعِنْه، فإن أزّمة الأمور بيديه.

فأمّا الطريق المانع من حصول هذا الداء، فأمران:

أحدهما: غضّ البصر^(٢)، كما تقدّم، فإن النّظرة سهم مسموم من سهام إبليس. ومن أطلق لحظاته دامت حسراً. وفي غضّ البصر عدّة منافع، وهو بعض أجزاء هذا الدواء النافع^(٣).

أحدها: أنّه امثال لأمر الله الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده، فليس للعبد في دنياه وآخرته أنسٌ من امثال أوامر ربّه تبارك وتعالى. وما سَعِدَ من سَعِدَ في الدنيا والآخرة إلا بامتثال أوامره^(٤)، وما شقي في الدنيا والآخرة إلا بتضييع أوامره.

الثانية: أنه يمتنع من وصول أثر السهم المسموم الذي لعلّ فيه هلاكه

(١) تقدّم في أول الكتاب.

(٢) والثاني سيأتي في الفصل القادم.

(٣) «وهو بعض... النافع» انفردت بها نسخة ف. وانظر في فوائد غضّ البصر: روضة المحبين (١٩٤ - ٢٠٢)، وإغاثة اللھفان (١٠٣ - ١٠٦). وانظر ما سبق في آفات النظر في ص (٣٤٨).

(٤) ز: «أوامر ربّه».

إلى قلبه .

الثالثة: أنه يورث القلب أنساً بالله وجمعيةً على الله، فإن إطلاق البصر يفرق القلب، ويشتتة، ويُبعده من الله. وليس على العبد شيء أضرّ من إطلاق البصر، فإنه يوقع الوحشة بين العبد وبين ربه.

الرابعة: أنه يقوّي القلب ويفرّحه، كما أن إطلاق البصر يضعفه ويحزنه .

الخامسة: أنه يُكسب القلب نوراً، كما أن إطلاقه يُكسبه^(١) ظلماً.

ولهذا ذكر سبحانه آية النور عقب الأمر بغضّ البصر فقال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا مِنْ أَنْ تَصْرِيهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور / ٣٠]. ثم قال^(٢) إثر ذلك: ﴿اللَّهُ نُورٌ أَلْسُنَاتٍ وَالْأَرْضٍ مَثْلُ نُورِهِ كَمُشَكُّوْرٍ فِيهَا مَضِبَّاحٌ﴾ [النور / ٣٥] أي: مثل نوره في قلب عبده المؤمن الذي امثل أوامرها واجتنب نواهيه .

وإذا استئنار القلب أقبلت^(٣) وفود الخيرات إليه من كلّ ناحية، كما أنه إذا أظلم أقبلت سحائب البلاء والشرّ عليه من كلّ مكان. فما شئت من بدع وضلاله، واتّباع هوى، واجتناب هدى، وإعراض عن أسباب السعادة، واستغفال بأسباب الشقاوة! فإن ذلك إنّما [١/٩٠] يكشفه له النور الذي في القلب، فإذا فقد^(٤) ذلك النور بقي صاحبه كالأعمى الذي

(١) ف: «يلبسه».

(٢) «قال» ساقط من ف.

(٣) ف: «أقبل».

(٤) س: «نفذ»، وفي حاشيتها: «خ فقد».

يجوس في حنادس الظلمات.

ال السادسة: أنه يورثه فراسة صادقة يميز بها بين المحقق والمبطل^(١)، والصادق والكاذب.

وكان شجاع الكرماني^(٢) يقول: من عمر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة؛ وغضّ بصره عن المحارم، وكفّ نفسه عن الشهوات، واغتنى بالحلال = لم تخطئ فراسته. وكان شجاع هذا لا تخطئه له فراسة^(٣).

والله سبحانه يجزي العبد على عمله بما هو من جنس عمله، ومن ترك الله شيئاً^(٤) عوضه الله خيراً منه، فإذا غضّ بصره عن محارم الله عوضه الله^(٥) بأن يُطلق نور بصيرته عوضاً عن حبسه^(٦) بصره لله، ويفتح عليه^(٧) باب العلم والإيمان والمعرفة والفراسة الصادقة المصيبة التي إنما تُناول

(١) س: «الحق والباطل». ل: «الحق والصادق» فسقط منها: «الباطل».

(٢) كذا في جميع النسخ وروضة المحبين (٢٠٠). وفي إغاثة اللهفان (١٠٥): «أبو شجاع» وفي المدارج (٤٨٤/٢) والروح (٥٣٥): «شاه الكرماني»، وهذا الأخير هو الصواب. فهو أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرماني. كان من أولاد الملوك وعلماء الصوفية. مات قبل الثلاثمائة. طبقات الصوفية (١٩٢).

(٣) انظر حلية الأولياء (١٠/٢٥٣)، والرسالة القشيرية (٤٢٨). وقد نقل المؤلف قول شاه في كتبه المذكورة في التعليق السابق أيضاً. وفي ف: «شيخنا» بدلاً من «شجاع هذا»، وهو غريب.

(٤) ل: «شيئاً لله».

(٥) «خيراً منه... عوضه الله» ساقط من س.

(٦) س: «من حبسه».

(٧) س: «وفتح الله عليه».

بصيرة القلب^(١).

وَضَدَّ هَذَا مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ الْلَّوْطِيَةُ مِنْ عَمَّهُ الَّذِي هُوَ ضَدَّ الْبَصِيرَةِ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿لَعَمِّرْكَ إِنَّهُمْ لَفِي سُكْرٍ يَمْهُونَ﴾ [الحجر / ٧٢] ، فَوَصَفُوهُمْ بِالسُّكْرَةِ الَّتِي هِيَ فَسَادُ الْعُقْلِ ، وَعَمَّهُ الَّذِي هُوَ فَسَادُ الْبَصِيرَةِ.

فَالْتَّعْلِقُ بِالصُّورِ يُوجِبُ فَسَادَ الْعُقْلِ^(٢) ، وَعَمَّهُ الْبَصِيرَةِ ، وَسُكْرُ الْقَلْبِ^(٣) ، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

سُكْرَانِ سُكْرُ هُوَيْ وَسُكْرُ مُدَامَةٍ وَمَتِي إِفَاقَةٌ مَنْ بِهِ سُكْرَانِ^(٤)؟ وَقَالَ الْآخِرُ^(٥) :

قَالُوا جُنِّتَ بِمَنْ تَهُوِي فَقُلْتُ لَهُمْ
الْعُشُقُ أَعْظَمُ مِمَّا بِالْمَجَانِينَ
وَإِنَّمَا يُصْرَعُ الْمَجْنُونُ فِي الْحِينِ^(٦)

(١) ف: «لا تناول إلا بصيرة القلب».

(٢) «والعمّه الذي هو فساد... العقل» ساقط من س.

(٣) ز: «سُكْرَةُ الْقَلْبِ».

(٤) من أبيات للخليل الشامي، في يتيمة الدهر (٢٧١/١)، وفيه: «أَتَى يَفِيقَ فَتَى بِهِ سُكْرَانِ». وقد أنسدَهُ الْمُؤْلِفُ فِي التَّبَيَانِ (٢٧٣)، وروضة المحبين (٢٠٣)، والمدارج (٣٠٨/٣).

(٥) س: «آخر».

(٦) أَنْشَدَهُمَا الْمُؤْلِفُ فِي رُوْضَةِ الْمُحَبِّينَ (٢٩٢، ١٣٠)، وَنَقَلَهُمَا فِي إِغاثَةِ الْلَّهَفَانِ (٨٧٣) مِنْ اعْتِلَالِ الْقُلُوبِ لِلْخَرَائِطيِّ. وَقَدْ نَسَبَهُمَا فِي الرُّوْضَةِ (٢٤٢) إِلَى قِيسِ، وَهُوَ مَجْنُونٌ لَّيْلِيٌّ، كَمَا فِي الْأَغَانِيِّ (٣٢/٢)، وَمَصَارِعِ الْعُشَاقِ (١٢٦/٢، ١٨١/١). وَانْظُرْ دِيْوَانَهُ (٢١٨). وَالرَّوَايَةُ: «قَالَتْ جَنِّتٌ عَلَى رَأْسِي فَقُلْتُ لَهَا حُبٌّ...» وَفِي الْبَيْتِ الثَّانِي: «الْحُبُّ لَيْسَ يَفِيقُ...» وَكَذَا فِي الْاعْتِلَالِ (٣٧٧)، إِلَّا أَنْ فِيهِ «الْعُشُقُ» مَكَانُ «الْحُبُّ».

السابعة: أنه يورث القلب ثباتاً وشجاعةً وقوةً، فيجمع الله له بين سلطان بصيرة والحجفة وسلطان القدرة والقوة، كما في الأثر: الذي يخالف هواه يفرق الشيطان^(١) من ظله^(٢).

وَضِدّ هَذَا^(٣) تَجِدُ فِي^(٤) الْمُتَّبِعِ لِهَوَاهُ مِنْ ذَلِّ النَّفْسِ وَوَضَاعَتْهَا وَمَهَانَتْهَا وَخَسَّتْهَا وَحَقَّارَتْهَا مَا جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَّاحَهُ فِيمَنْ عَصَاهُ، كَمَا قَالَ الْحَسَنُ: إِنَّهُمْ وَإِنْ طَقْطَقْتُ بِهِمْ الْبَغَالُ^(٥)، وَهَمْلَجَتْ بِهِمْ الْبَرَادِينُ، إِنَّ ذُلَّ الْمُعْصِيَةِ فِي رَقَابِهِمْ. أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُذَلِّ مِنْ عَصَاهُ^(٦).

وقد جعل الله سبحانه العزّ قرين طاعته، والذلّ قرين معصيته، فقال تعالى: ﴿وَلَلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون/٨] وقال: ﴿وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَخْرُنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران/١٣٩]. والإيمان قول وعمل، ظاهر وباطن.

وقال تعالى [٩٠/ب]: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعُدُ الْكَلْمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر/١٠]. أي: من كان يريد العزة فليطلبها بطاعة الله وذكره من الكلم الطيب والعمل الصالح.

(١) ز: «السلطان»، تحريف.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/٦٠) عن وهب بن منبه قال: «من جعل شهوته تحت قدمه فزع الشيطان من ظله». وأخرجه أيضاً (٢/٣٦٥) عن مالك بن دينار قال: «من غلب شهوة الحياة الدنيا فذلك الذي يفرق الشيطان من ظله».

(٣) ف: «وَضِدَّه».

(٤) «تَجِدُ فِي» ساقط من لـ.

(٥) ف: «النَّعَالُ»، تصحيف.

(٦) تقدم تحريرجه في ص (١٤٦).

وفي دعاء القنوت: «إِنَّهُ لَا يَذَلُّ مِنْ وَالِيتَ، وَلَا يَعِزُّ مِنْ عَادِيَتَ»^(١).
ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه، وله من العز بحسب طاعته. ومن
عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه، وله من الذل بحسب معصيته.

الثامنة: أنه يسدد على الشيطان مدخله إلى القلب، فإنّه يدخل مع
النظرة، وينفذ معها إلى القلب أسرع من نفوذ الهواء في المكان الحالي،
فيتمثل له حسن^(٢) صورة المنظور إليه، ويزينها، ويجعلها صنماً يعكف
عليه القلب. ثم^(٣) يَعِدُهُ، ويمنيه، ويوقن على القلب نار الشهوة، ويلقى
عليه^(٤) حطب المعاشي التي لم يكن يتوصّل إليها بدون تلك الصورة،
فيصير القلب في اللهيـب^(٥). فمن ذلك اللهيـب^(٦) تلك الأنفاس التي يجد

(١) أخرجه أبو داود (١٤٢٥، ١٤٢٦) وابن ماجه (١١٧٨) والترمذـي (٤٦٤) وأحمد
٢٠٠، ١٩٩/١ (١٧٢١، ١٧١٨) وابن خزيمة (١٠٩٥) وابن الجارود (٢٧٢)
والبيهـيـ (٢٠٩/٢) وغيرهم من طريق أبي إسحاق السبـيعـيـ ويونس بن أبي
إسحاق والعلاء بن صالح عن بـرـيدـ بنـ أـبـيـ مـرـيمـ عنـ أـبـيـ الـحـورـاءـ عنـ الـحـسـنـ بنـ
عليـ فـذـكـرـهـ.

وخالفـهمـ شـعبـةـ فـروـاهـ عنـ بـرـيدـ بنـ أـبـيـ مـرـيمـ بـهـ مـثـلـهـ وـلـمـ يـذـكـرـ «ـفـيـ الـوـتـرـ»ـ.
أـخـرـجـهـ أـحـمـدـ ٢٠٠/١ (١٧٢٣) وـابـنـ خـزـيمـةـ (١٠٩٦) وـابـنـ حـبـانـ (٧٢٢)
وـغـيـرـهـمـ.

وـالـحـدـيـثـ صـحـيـحـ إـلـاـ أـنـ اـبـنـ خـزـيمـةـ طـعـنـ فـيـ لـفـظـةـ «ـفـيـ الـوـتـرـ»ـ أـوـ «ـفـيـ قـنـوتـ»ـ.
الـوـتـرـ»ـ، فـلـيـرـاجـعـ كـلـامـهـ فـيـ صـحـيـحـهـ (١٠٩٦).

(٢) «ـحـسـنـ»ـ مـنـ سـ.

(٣) «ـثـمـ»ـ سـاقـطـةـ مـنـ لـ.

(٤) فـ: «ـعـلـيـهـ»ـ.

(٥) لـ: «ـالـلـهـيـبـ»ـ.

(٦) فـ، لـ: «ـالـلـهـيـبـ»ـ.

فيها وهج النار، وتلك الزَّفَرَاتُ والْحُرُقَاتُ. فإنَّ القلب قد أحاطت به اليران من كلِّ جانب، فهو^(١) في وسطها كالشاة في وسط التنور.

ولهذا كانت عقوبة أصحاب الشهوات للصور المحرمة^(٢) أن جُعل لهم في البرزخ تَنُور^(٣) من نار، وأودعت أرواحهم فيه إلى يوم حشر أجسادهم، كما أراه الله تعالى لنبيه ﷺ في المنام في الحديث المتفق على صحته^(٤).

التسعة: أنَّه يُفرغ القلب للفكرة في مصالحه والاشغال بها، وإطلاق البصر يشتتُه عن ذلك، ويحول بينه وبينه، فينفترط^(٥) عليه أموره، ويقع في اتباع هواه وفي الغفلة عن ذكر ربه. قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلَنَا قَلْبُهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَأَتَّبَعَ هَوَنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف/ ٢٨]. وإطلاق النظر يوجب هذه الأمور الثلاثة بحسبه.

العاشرة: أنَّ بين العين والقلب منفذًا وطريقًا يوجب انفعال أحدهما عن الآخر، وأن يصلاح بصلاحه ويفسد بفساده. فإذا^(٦) فسد القلب فسد النظر، وإذا فسد النظر فسد القلب. وكذلك في جانب الصلاح^(٧)، فإذا خربت العين وفسدت [١/٩١] خرب القلب وفسد، وصار كالمزبلة التي

(١) س: «فهي»، خطأ. ز: « فهو».

(٢) ف: «والصور المحرمة».

(٣) ف: «تنوراً».

(٤) تقدم في ص (١٥٤).

(٥) ف، ل: «فيفترط». ز: «فيتفترط».

(٦) ف: «إذا».

(٧) ف: «صلاح العين».

هي محل^(١) النجاسات والقاذورات والأوساخ، فلا يصلح لسكنى معرفة الله ومحبته والإنابة إليه والأنس به والسرور بقربه فيه، وإنما يسكن فيه أصداد ذلك.

فهذه إشارة إلى بعض فوائد غضّ البصر تُطْلِعُك على ما وراءها.

فصل

الثاني^(٢): اشتغال القلب بما يصدّه عن ذلك، ويحول بينه وبين الواقع فيه. وهو^(٣) إما خوفٌ مقلق، أو حبٌّ مزعج. فمتى خلا القلب من خوف ما فوأته أضرّ عليه من حصول هذا المحبوب، أو خوف ما حصل له أضرّ عليه من فوات هذا المحبوب^(٤)، أو محبة ما هو أدنى له وخير له من هذا المحبوب وفوأته أضرّ عليه من فوات هذا المحبوب = لم يجد بدًا من عشق الصور.

وشرح هذا أنّ النفس لا تترك محبوبًا إلا لمحبوب أعلى منه، أو خشية مكررٍ حصل له أضرّ عليها من فوات هذا المحبوب. وهذا يحتاج صاحبه إلى أمرين إنْ فُقدَا أو أحدهما لم ينتفع بنفسه:

أحدهما: بصيرة صحيحة يفرق بها بين درجات المحبوب والمكرر، فيؤثر أعلى المحبوبين على أدناهما، ويتحمل أدنى

(١) ز: «محمل».

(٢) يعني: الأمر الثاني المانع من حصول داء العشق.

(٣) «وهو» ساقط من ف.

(٤) ف، ز: «فات المحبوب». وقد سقط من ل: «أو خوف ما حصل له... المحبوب».

المكرهين ليخلص من أعلاهما. وهذا خاصة العقل، ولا يعد عاقلاً من كان بضد ذلك، بل قد تكون البهائم أحسن حالاً منه.

الثاني: قوة عزم وصبر يتمكن بها من هذا الفعل والترك. فكثيراً ما يعرف^(١) الرجل قدر التفاوت، ولكن يأبى له ضعفُ نفسه وهمته وعزيمته على إثمار الأنسع، من جشعه وحرصه ووضاعة نفسه وخسنه همته. ومثل هذا لا ينتفع بنفسه، ولا ينتفع به غيره.

وقد منع الله سبحانه وإمامه الدين إلا من أهل الصبر واليقين، فقال تعالى وبقوله يهتدي المهدون: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدِيُونَ يَا أَيُّهُنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا إِذَا يَأْتِنَا يُوقِنُونَ ﴾^(٢) [السجدة/ ٢٤].

وهذا هو الذي ينتفع بعلمه^(٣)، وينتفع به^(٤) الناس. وضده لا ينتفع بعلمه، ولا ينتفع^(٥) به غيره. ومن الناس من ينتفع بعلمه في نفسه، ولا ينتفع به غيره^(٦). فال الأول يمشي في نوره ويمشي الناس في نوره. والثاني قد طفىء نوره فهو يمشي في الظلمات ومن تبعه في ظلمته [٩١/ ب]. والثالث يمشي في نوره وحده.

(١) س: «يعلم».

(٢) من س. وفي النسخ الأخرى: «وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً...»، وهو سهو والتباس بالأية الكريمة ٧٣ من سورة الأنبياء.

(٣) وقع في ف هنا وفيما يأتي: «بعمله».

(٤) ل: «ويتفع به».

(٥) ل، ز: «ولَا يتفع به».

(٦) «وَمِنَ النَّاسِ... غَيْرُهُ» ساقط من ل.

فصل

إذا عرفت هذه المقدمة، فلا يمكن أن يجتمع في القلب^(١) حب المحبوب الأعلى وعشق الصور أبداً، بل هما ضدان لا يتلاقيان، بل لابد أن يخرج أحدهما صاحبه. فمن كانت قوة حبه كلها للمحبوب الأعلى الذي محبة ما سواه باطلة وعذاب على صاحبها، صرفة ذلك عن محبة ما سواه. وإن أحبه^(٢) لم يحبه إلا لأجله ولكونه وسيلة له إلى محبته، أو قاطعا له عمما يضاد محبته وينقضها^(٣).

والمحبة الصادقة تقتضي توحيد المحبوب، وأن لا يشرك^(٤) بينه وبين غيره في محبته. وإذا كان المحبوب من الخلق يأنف ويغار أن يُشرك محبّه غيره^(٥) في محبته، ويمقته لذلك^(٦)، ويعده، ولا يُحظيه بقربه، ويعده كاذبا في دعوى محبته؛ مع أنه ليس أهلاً لصرف قوة المحبة إليه، فكيف بالحبيب الأعلى الذي لا تنبغي المحبة إلا له وحده، وكل محبة لغيره فهي عذاب على صاحبها ووبال؟ ولهذا لا يغفر الله سبحانه أن يشرك به في هذه المحبة، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

فمحبة الصور تفوّت محبة^(٧) ما هو أدنى للعبد منها، بل^(٨) تفوّت

(١) ف: «للقلب».

(٢) س: «فإذا».

(٣) ف، ل: «ينقضها».

(٤) ف: «ولا يشرك».

(٥) س، ف: «محبة غيره». تصحيف.

(٦) س: «كذلك»، تحريف.

(٧) كلمة «محبة» ساقطة من ز.

(٨) «تفوت... بل» ساقط من ل.

محبة ما ليس له صلاح ولا نعيم ولا حياة نافعة إلا بمحبته^(١) وحده. فليختر إحدى المحبّتين، فإنهما لا تجتمعان في القلب ولا ترتفعان منه. بل من أعرض عن محبة الله وذكره والشوق إلى لقائه ابتلاه بمحبة غيره، فيعدّبه بها في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة. فإنما أن يعذّبه بمحبة الأوّلان، أو بمحبة الصّلبان، أو بمحبة النيران، أو محبة المُرّدان، أو محبة النسوان، أو محبة الأثمان^(٢)، أو محبة العُشراء والخلان^(٣)، أو محبة^(٤) ما دون ذلك مما هو في غاية الحقاره والهوان، فالإنسان عبد محبوبه كائناً ما كان! كما قيل:

أنت القتيل بكلّ من أحببته فاختر لنفسك في الهوى من تصطفى^(٥)
 فمن لم يكن إلهه^(٦) مالكه ومولاه، كان إلهه هواه. قال تعالى:
 «أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا [١/٩٢] تَذَكَّرُونَ [٢٣]» [الجاثية/٢٣].

(١) ز: «المحبته».

(٢) «أو محبة الأثمان» ساقط من س. وفي ف: «أو بمحبة الإنسان».

(٣) ف: «العشران أو محبة الخلان». وتحت «العشران» فيها حاشية لم يظهر في التصوير منها إلا: «جمع عشير».

(٤) اضطربت النسخ في إثبات «محبة» أو «بمحبة»، وقد جاءت ثمانية مرات. وقد اتبعنا نسخة س. أما غيرها، فقد وردت في ف بالباء في المواضع الستة الأولى، وفي ل، ز في الموضع الأول فقط.

(٥) لابن الفارض في ديوانه (١٥١)، وقد أنسده المؤلف في تهذيب السنن (٦/١٨١)، وبدائع الفوائد (٦٧٢)، وروضة المحبين (١٦٢، ٥٦٨) أيضاً.

(٦) ف: «الله».

فصل

وخاصية التعبد^(١): الحب مع الخضوع والذل للمحبوّب، فمن أحب شيئاً وخضع له فقد تبعد قلبه له. بل التعبد آخر مراتب الحب، ويقال له التتيم أيضاً^(٢). فإنّ أول مراتبه: العلاقة، وسميت «علاقة» لتعلق القلب^(٣) بالمحبوب. قال^(٤):

وعلقت ليلي وهي ذات تماءم
ولم يبد للأتراب من ثديها حجم^(٥)
وقال آخر^(٦):

أعلاقة أم الوئيد بعد ما
أفنان رأسك كالثعام المخلس^(٧)
ثم بعدها الصباة، وسميت بذلك لأنصباب القلب إلى المحبوب.

(١) ز: « وخاصة التعبد ». س: « وخاصة تعبد ».

(٢) عقد المؤلف في مدارج السالكين (٢٧/٣) فصلاً في مراتب المحبة، وذكر عشر مراتب، أولها العلاقة، وأخرها الحلة. وانظر في أسماء الحب واشتقاقها روضة المحبين (٩٥).

(٣) من س، وكذلك في بداع الفوائد (٥٢٩)، وروضة المحبين (١٠٢)، ومدارج السالكين (٢٧/٣) وفي النسخ الأخرى: «التعلق المحب».

(٤) ف: « قال بعضهم ».

(٥) لمجنون ليلي في الأغاني (١٣/٢) وغيره. انظر ديوانه (١٨٦).

(٦) ف، ل: « الآخر ». وفي ز ورد البيت الآتي بعد السابق دون فاصل.

(٧) أنشأه المصطفى في البدائع (٢٧/٣، ٢٥٦)، وروضة (١٠٢)، والمدارج (٢٧/٣). وهو للمرّار بن سعيد الفقعي. انظر خزانة الأدب (٢٣٢/١١). وفي ف: « بعيدما ». الثمام: نبات أبيض الشمر والزهر، يشبه به الشيب. المخلس: الذي بعضه هائج وبعضه أخضر. شبه به شعره الشميط، وهو الذي اختلط بياضه بالسواد.

قال^(١):

تشكى المحبون الصباة لينتني تحملت ما يلقون من بينهم وحدي^(٢)
فكانت لقلبي لذة الحب كلها فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي^(٣)
ثم الغرام، وهو لزوم الحب للقلب لزوما لا ينفك عنه. ومنه سمي
الغريم غريما للازمته صاحبه^(٤). ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ
غَرَاما﴾ [الفرقان/٦٥]. وقد أولع^(٥) المتأخرون باستعمال هذا اللفظ
في الحب، وقل أن تجده في أشعار العرب.

ثم العشق، وهو إفراط المحبة. ولهذا لا يوصف به الرب تعالى،
ولا يطلق في حقه^(٦).

ثم الشوق، وهو سفر القلب إلى المحبوب أحث السفر^(٧). وقد
 جاء إطلاقه في حق الرب تعالى^(٨)، كما في مسند الإمام أحمد^(٩) من

(١) ف: «وقال بعضهم».

(٢) س: «يشكوا». ل: «يشتكى»، وكلاهما تحريف.

(٣) أنسدhemam المصنف في روضة المحبين (٢٧٩، ٢٧١) لشاعر الحماسة. انظر
حماسة أبي تمام (٣٠/٢) والبيتان لمجنون ليلي في ديوانه (٩٢).

(٤) ف: «اللازمته صاحبه». وهو ساقط من ل.

(٥) ف: «وقد ولع».

(٦) وانظر روضة المحبين (١١٠).

(٧) انظر روضة المحبين (١١٢)، وطريق الهجرتين (٧١٣) والمدارج (٥٣/٣).

(٨) زاد بعض منقرأ نسخة س: «مجازاً» في حوض ياء «تعالي»، وهو تصرف
قيبح منه.

(٩) ٤/٢٦٤ (١٨٣٢٥). وأخرجه النسائي (١٣٠٦) والطبراني في الدعاء (٦٢٥)
وغيرهم من طريق إسحاق الأزرق وغيره عن شريك القاضي عن أبي هاشم عن =

حديث عمار بن ياسر أنه^(١) صلّى صلاةً فأوجز فيها، فقيل له في ذلك، فقال: أما^(٢) إني دعوتُ فيها بدعواتِ كان النبي ﷺ يدعو بهنَّ: «اللهم إني أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق، أحييني إذا كانت الحياة خيراً لي^(٣)، وتوفّني إذا كانت الوفاة خيراً لي. اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا^(٤)، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيمًا لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنتفع، وأسألك برداً العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم^(٥)، وأسألك الشوق إلى لقائك، في غير ضراءٍ مُضْرِبة ولا فتنه مضيلة. اللهم زيننا بزينة الإيمان، واجعلنا هداةً مهتدين».

[٩٢/ب] وفي أثر آخر: «طال شوق الأبرار إلى لقائي، وأنا إلى لقائهم أشدّ شوقاً»^(٦).

أبي مجلز قال: صلّى بنا عمّار، فذكره.
ورواه حماد بن زيد وحماد بن سلمة وغيرهما عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عمار فذكره. أخرجه النسائي (١٣٠٥) وابن حبان (١٩٧١) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٤٤) وغيرهم.
وال الحديث صحيح ابن حبان والحاكم وغيرهما.

(١) ف: «في أنه».

(٢) لم ترد «أما» في ف. وسقط قبلها «قال» من ز.

(٣) «إذا... لي» ساقط من س.

(٤) س: «في الحق والرضا».

(٥) «الكريم» ساقط من ف.

(٦) أورده المؤلف في طريق الهجرتين (٧١٥)، وروضة المحبين (١١٣) وقال فيه: « جاء في أثر إسرائيلي ». وقد أخرجه صاحب الفردوس (٨٠٦٧) عن أبي الدرداء، وانظر: إحياء العلوم (٤/٣٢٤)، وحلية الأولياء (١٠/٩٦) (ص).

وهذا هو المعنى الذي عبر عنه النبي ﷺ بقوله : «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه»^(١).

وقال بعض أهل البصائر^(٢) في قوله تعالى : «مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ» [العنكبوت / ٥] : لما علم الله سبحانه شدة شوق أوليائه إلى لقائه ، وأن قلوبهم لا تهدأ دون لقائه ، ضرب لهم أجيلاً وموعداً للقاء تسكن نفوسهم به .

وأطيب العيش وألذه على الإطلاق عيش المحبين المستاقين المستأنسين ، فحياتهم هي الحياة الطيبة في الحقيقة ، ولا حياة للعبد أطيب ولا أنعم ولا أهنا منها . وهي الحياة الطيبة المذكورة في قوله تعالى : «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَنَحْبِلُهُ حَيَاةً طَيِّبَةً» [النحل / ٩٧] . ليس المراد منها الحياة المشتركة بين المؤمنين والكافار^(٣) ، والأبرار والفحار ، من طيب المأكل والملبس والمشرب والمنكح ؛ بل ربما زاد أعداء الله على أوليائه في ذلك أضعافاً مضاعفةً .

وقد ضمن الله سبحانه لكل من عمل صالحاً أن يحييه حياة طيبة ،

وأخرجه عبدالغني المقدسي في الترغيب في الدعاء (١٦) عن أحمد بن مخلد الخراساني قال : قال الله عز وجل : ألا قد طال شوق الأبرار إلى لقائي ، وإن إليهم لأشد شوقاً . وما تشوق المستاقون إلا بفضل شوفي إليهم . . . » (ر) .
(١) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه . أخرجه البخاري في الرقاق ، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه (٦٥٠٧) ، ومسلم في الذكر والدعاء ، باب من أحب لقاء الله . . . (٢٦٨٣) .

(٢) هو أبو عثمان الحيري النيسابوري (٢٩٨هـ) . انظر الرسالة القشيرية (٣٣٢) . وقد نقل المؤلف قوله في روضة المحبين (٥٨١، ١١٣) أيضاً .

(٣) «والكافار» ساقط من ف .

فهو صادق الوعد الذي لا يخلف وعده. وأي حياة أطيب من حياة مَنْ اجتمعت همومه كُلُّها، وصارت همَّا واحداً في مرضاة الله، ولمَ شعَّتْ قلبه بالإقبال على الله^(١)، واجتمعت إراداته وأفكاره التي كانت منقسمةً - بكلِّ وادٍ منها شعبة - على الله. فصار ذكرُ محبوبه الأعلى، وحبه، والشوق إلى لقائه، والأنس بقربه = هو المستولي عليه^(٢). وعليه تدور همومه وإراداته وقصوده^(٣)، بل خطرات قلبه. فإن سكت سكت بالله، وإن نطق نطق بالله. وإن سمع فيه يسمع، وإن أبصر فيه يبصر. وبه يبطن، وبه يمشي، وبه يتحرك، وبه يسكن. وبه يحيا، وبه يموت، وبه يبعث؛ كما في صحيح البخاري عنه عليه السلام فيما يروي عن ربِّه تبارك وتعالى أنه قال:

«ما تقرَّبُ إِلَيَّ عَبْدِي بِمَثْلِ أَدْءَ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ. وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقْرَبُ إِلَيَّ بِالنِّوافِلِ حَتَّى أَحْبَبَهُ كَنْتُ سَمِعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ [١/٩٣]، وَيَدِهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلِهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا^(٤). فَبِي يَسْمَعُ، وَبِي يَبْصُرُ، وَبِي يَبْطِشُ، وَبِي يَمْشِي.

(١) س: «لم يشغب قلبه...». ل، خا: «لم يتشعب قلبه...». وفي ف: «لم يشتبَّه قلبه بالإقبال على سوى الله تعالى»، وهذا صحيح في المعنى، ولكن رجحنا ماجاء في ز. وبؤيده قول المؤلف في المدارج (٩٦/٣): «ولَا يلَمَ شَعْثُ الْقُلُوبُ شَيْءٌ غَيْرُ الإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ»، وفيه (١٦٤/٣): «فِي الْقَلْبِ شَعْثٌ لَا يَلَمُهُ إِلَّا الإِقْبَالُ عَلَى اللَّهِ». وانظر ما يأتي في كتابنا هذا (٤٩٦). وفي ط المدنی وعبدالظاهر وغيرهما: «ولم يتشعب قلبه، بل أقبل على الله»، والظاهر أنه تصرف من الناشرين.

(٢) «عليه» ساقط من س.

(٣) «قصوده» ساقط من ف.

(٤) ف: «وما تقرب».

(٥) ل: «عليها».

ولئن^(١) سألكني لأعطيته^(٢)، ولئن استعاذه^(٣) لأعيذه^(٤). وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددت عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءاته، ولا بد له منه^(٥).

فتضمّن هذا الحديث الشريف الإلهي - الذي حرام على غليظ الطبع كثيف القلب فهم معناه والمراد به - حصر أسباب محبتة في أمرتين: أداء فرائضه، والتقرّب إليه^(٦) بالنوافل.

وأخبر سبحانه أنّ أداء فرائضه أحب ما تقرّب به إليه^(٧) المتقرّبون،

(١) ف، ز: «فلئن».

(٢) «فبِي يسمع... لَأعْطِيهِ» ساقط من لـ.

(٣) س، ز: «استعاذه بي».

(٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في الرفاق، باب التواضع (٦٥٠٢)، ما عدا قوله: «فبِي يسمع... وَبِي يمشي». وبهذه الزيادة نقله المؤلف من رواية البخاري في روضة المحبين (٥٥٤) والمدارج (٤١٣/٢)، وكذا شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٥١١/٥) وغيره. قال الألباني: «لم أر هذه الزيادة عند البخاري ولا عند غيره من ذكرنا من المخرجين، وقد ذكرها الحافظ في أثناء شرحه للحديث نقاً عن الطوفي ولم يعزها لأحد». سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/١٩١). وانظر في شرح الحديث: مجموع الفتاوى (١٢٩/١٨). (ص). هذه الرواية ذكرها الحكيم الترمذى في نوادر الأصول (ق ٥٦/٧٠، أ ١٩٠، أ ١٩١)، بدون سند، فقال: يحقق ذلك حديث عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن ربِّه جلَّ وعزَّ قال: «إذا أحببت عبدي كنت سمعه وبصره ولسانه، فبِي يسمع، وَبِي يبصر، وَبِي ينطق، وَبِي يعقل» (ز).

(٥) «إليه» ساقط من فـ.

(٦) «بِهِ» ساقط من سـ. وفي لـ: «أَحْبَبْ إِلَيْهِ مَا تَقْرَبُ بِهِ».

ثم بعدها النوافل؛ وأنّ المحبّ لا يزال يُكثّر من النوافل حتى يصير محبوبًا لله. فإذا صار محبوبًا لله أوجبت محبة الله له محبة أخرى منه لله، فوق المحبة الأولى^(١)، فشغلت هذه المحبة قلبه عن الفكرة والاهتمام بغير محبوبه، وملكت عليه روحه، ولم يبقَ فيه سعة لغير محبوبه البة. فصار ذكر محبوبه وحبيه ومثله الأعلى مالكًا لزمام قلبه، مستولياً على روحه، استيلاً المحبوب على محبته^(٢) الصادق في محبته التي^(٣) قد اجتمعت قوى حبّه كلّها له^(٤).

ولا ريب أنَّ هذا المحبُّ إن سمع سمع بمحبوبه، وإنْ أبصر أبصار
به، وإنْ بطش بطش به، وإنْ مشى مشى به. فهو في قلبه^(٥)، ومعه،
وأنسيه، وصاحبـه. فالباء هنا باء المصاـحة^(٦)، وهي مصاـحة لا نظير
لها، ولا تدرك بمجرد الإخبار عنها والعلم بها، فالمسألة حالـية لا علمـية
محضـة.

وإذا كان المخلوق يجد هذا في محبة المخلوق^(٧) التي لم يخلق لها
ولم يفطر عليها، كما قال بعض المحبين:
خيالك في عيني وذكرك في فمي ومواك في قلبي فأين تغيب^(٨)؟

(١) فـ: «محة الله محة أخرى هي فوق . . .».

(٢) «حَتَّهُ»:

(٣) كذا في جميع النسخ، ولعل الصواب: «الذى».

(٤) «له» ساقط من س.

(٥) «في» ساقطة من س.

(٦) وانظر عدة الصابرين (٧٨ - ٧٩).

(٧) ف: «محنته المخلوق»

(٨) لأبي الحكم ابن غلندو الإشبيلي الطيب. انظر معجم الأدباء (١١٩٤). وقد =

وقال آخر^(١) :

ومن عجب أتى أحِنَ إِلَيْهِمْ وَأَسْأَلَ عَنْهُم مَّنْ لَقِيتُ وَهُمْ مَعِي^(٢)
وَيُشَاقِّهُمْ قَلْبِي وَهُمْ بَيْنِ أَضْلَعِي^(٣) وَتَطْلِبُهُمْ عَيْنِي وَهُمْ فِي سُوَادِهَا
وَهَذَا أَلْطَفُ مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ :

إِنْ قَلْتُ غَبَّتْ فَقْلَبِي لَا يَصِدِّقُنِي
أَوْ قَلْتُ مَا غَبَّتْ قَالَ الْطَّرْفُ ذَا كَذِبِ^(٤) فَقَدْ تَحَيَّرْتُ بَيْنَ الصَّدْقِ وَالْكَذْبِ

فَلِيْسْ شَيْءٌ أَدْنَى إِلَى الْمُحَبِّ مِنْ مَحْبُوبِهِ، وَرَبِّمَا تَمَكَّنَتْ مِنْهُ الْمُحَبَّةُ
حَتَّى يَصِيرَ أَدْنَى إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ، بِحِيثُ يَنْسَى نَفْسَهُ [٩٣/ب] وَلَا يَنْسَاهُ^(٥)،
كَمَا قَالَ^(٦) :

= أَنْشَدَهُ الْمُصْنَفُ فِي رُوضَةِ الْمُحَبِّينَ (١٠٠)، وَطَرِيقِ الْهَجَرَتَيْنِ (٤٦)، وَمَعَ بَيْتِ
آخِرٍ فِي مَفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ (٤٣٩/١). وَانْظُرْ إِلَى الْجَوابِ الصَّحِيحِ (٣٣٦/٣،
٣٦٨)، وَمِنْهَاجِ السَّنَةِ (٣٧٧/٥).

(١) فَ، زِ : «الآخر».

(٢) زِ : «وَمِنْ عَجَبِي».

(٣) الْبَيْتَانُ لِلْقَاضِيِّ الْفَاضِلِ فِي دِيْوَانِهِ (٤٩٢). وَقَدْ أَنْشَدَهُ الْمُؤْلِفُ فِي هَدَايَةِ
الْحِيَارِيِّ (١٥٣)، وَالرُّوضَةِ (١٠٠، ٣٨٥)، وَالْمَفْتَاحِ (٤٣٩/١)، وَشِيشَةِ فِي
الرَّدِّ عَلَى الْبَكْرِيِّ (٣٤٩)، وَالْجَوابِ الصَّحِيحِ (٣٦٨، ٣٣٦/٣) وَالْمِنْهَاجِ
(٣٧٧/٥).

(٤) أَنْشَدَهُمَا الْمُصْنَفُ فِي هَدَايَةِ الْحِيَارِيِّ (١٥٤).

(٥) فِ : «بِحِيثُ إِنَّهُ يَنْسَى نَفْسَهُ وَلَا يَنْسَى مَحْبُوبِهِ».

(٦) سِ : «قَالَ آخِرٌ».

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلي بكل سبيل^(١)
وقال آخر^(٢):

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل^(٣)
وخصص في الحديث^(٤) السمع والبصر واليد والرجل بالذكر، فإن
هذه الآلات آلات الإدراك، وآلات الفعل، والسمع والبصر يُوردان على
القلب الإرادة والكرابة، ويجلبان إليه الحب والبغض، فيستعمل اليد
والرجل. فإذا كان سمع العبد بالله وبصره بالله كان محفوظاً في آلات
إدراكه، وكان^(٥) محفوظاً في حبه وبغضه، فمحفظ في بطيشه ومشيه.

وتأمل كيف اكتفى بذكر السمع والبصر واليد والرجل عن اللسان.
فإنّه إذا كان إدراك السمع الذي يحصل باختياره تارة وبغير اختياره تارة،
وكذلك البصر قد يقع بغير الاختيار فجأة^(٦)، وكذلك حركة اليد والرجل
التي لابد للعبد منها؛ فكيف بحركة اللسان التي لا تقع^(٧) إلا بقصد
واختيار، وقد يستغني العبد عنها إلا حيث أمر بها؟ وأيضاً فانفعال اللسان
عن القلب أتم من انفعالسائر الجوارح، فإنه ترجمانه ورسوله^(٨).

(١) لكثير في ديوانه (٢٥٢).

(٢) فـ: «الآخر».

(٣) للمنتبي في ديوانه (٣٩٥).

(٤) سـ: «هذا الحديث».

(٥) «سمع العبد... وكان» ساقط من فـ.

(٦) «فجأة» ساقط من فـ.

(٧) سـ: «الذى لا يقع».

(٨) «ورسوله» ساقط من سـ.

وتأمل كيف حقّق تعالي كونَ العبد به عند سمعه وبصره وبطشه ومشيه، بقوله: «كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها» تحقيقاً لكونه مع عبده، وكون عبده به، في إدراكاته بسمعه وبصره، وحركاته بيده ورجله؟

وتأمل كيف قال: «فبِي يسمع، وبِي يبصر، وبِي يبطش»، ولم يقل: فلي يسمع، ولني يبصر، ولني يبطش؟^(١).

وربما يظنّ الظان أنَ اللام أولى بهذا الموضع، إذ هي أدلّ على الغاية ووقوع هذه الأمور لله، وذلك أخصّ من وقوعها به.

وهذا من الوهم والغلط، إذ ليست الباء هاهنا لمجرد الاستعانة، فإنَ حركات الأبرار والفحار وإدراكاتهم إنما هي بمعونة الله لهم، وإنما الباء هاهنا للمصاحبة، أي: إنما يسمع ويبصر ويبطش ويمشي، وأنا صاحبه ومعه^(٢)، كقوله في الحديث^(٣) الآخر: «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه»^(٤).

(١) «ولم يقل... يبطش» ساقط من لـ.

(٢) وانظر روضة المحبين (٥٥٥).

(٣) «الحديث» ساقط من سـ.

(٤) أخرجه البخاري تعليقاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لَا تُحْرِكْ يَهُ، لِسَائِكَ﴾ وفعل النبي ﷺ حيث ينزل عليه الوحي. (ص). أخرجه ابن المبارك في الزهد (٩٥٦) وأحمد (٥٤٠/٢) والبخاري في خلق أفعال العباد (٤٣٦) وابن حبان في صحيحه (٨١٥) والطبراني في مسنن الشاميين (١٤١٧) والبيهقي في الشعب (٥٠٧، ٥٠٦) وابن عساكر (٥٠/٧٠ - ٥١) من طريق ربيعة بن يزيد الدمشقي وعبدالرحمن بن يزيد بن جابر وسعيد بن عبدالعزيز والأوزاعي - في الرواية =

وهذه هي^(١) المعية الخاصة [٩٤/١] المذكورة في قوله: ﴿لَا تَحْزُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبه/٤٠]، وقول النبي ﷺ: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما»^(٢)، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت/٦٩] وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ أَتَقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [آل عمران/١٢٨] وقوله: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران/٤٦] وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعَيَ رَبِّي سَيِّدِنَا﴾ [الشعراء/٦٢] وقوله تعالى لموسى وهارون: ﴿إِنَّمَا مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه/٤٦]^(٣).

فهذه الباء مفيدة لمعنى هذه المعية^(٤) دون اللام. ولا يتأتى للعبد الإخلاص والصبر والتوكّل ونزوله في منازل العبودية إلا بهذه الباء وهذه المعية.

فمتى كان العبد بالله هانت عليه المشاق، وانقلبت المخاوف في حّقه أماناً. فبالله يهون كلّ صعب، ويسهل كلّ عسير، ويقرب كلّ بعيد.

الراجحة عنه - ومحمد بن مهاجر كلهم عن إسماعيل بن عبيدة الله عن كريمة ابنة الحسنخاس المزنية أنها قالت: حدثنا أبو هريرة ونحن في بيت هذه - يعني أم الدرداء - أنه سمع رسول الله ﷺ ذكره. وهذا سند صحيح، وكريمة تابعة وثقها ابن حبان.

(١) «هي» ساقط من ز.

(٢) من حديث أنس عن أبي بكر رضي الله عنهما. أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب المهاجرين (٣٦٥٣)؛ ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر (٢٣٨١).

(٣) وأنظر مجموع الفتاوى (٢٤٩/١١).

(٤) ف، ز: «مفيدة لهذه المعية».

وبالله تزول الهموم والغموم^(١) والأحزان. فلا هم مع الله، ولا غم^(٢)، ولا حزن، إلا حيث يفوته^(٣) معنى هذه الباء، فيصير قلبه حينئذ كالحوت إذا فارق الماء، يتقلب^(٤) حتى يعود إليه.

ولما حصلت^(٥) هذه الموافقة من العبد لربه في محاباه حصلت موافقة الرب لعبد في حوائجه ومطالبه، فقال: «ولئن سألني لأعطيه ولئن استعاذني لأعيذنه» أي: كما وافقني في مرادي بأمثال أوامرني والتقرب إليّ بمحابي، فأنا أوافقه في رغبته ورهبته فيما يسألني أن أفعله به^(٦)، ويستعيذني أن يناله.

وقوى أمر هذه الموافقة من الجانيين، حتى اقتضى ترددَ الرب سبحانه؛ في إماتة عبده، لأنَّه يكره الموت، والرب تعالى يكره ما يكرهه عبده ويكره مساءاته؛ فمن هذه الجهة يقتضي أن لا يميته. ولكن مصلحته في إماتته، فإنَّه ما أماته إلا ليُحييه، ولا أرضه^(٧) إلا ليُصْحِّه، ولا أقره إلا ليغشه، ولا منعه إلا ليعطيه، ولم يخرجه من الجنة في صلب أبيه إلا ليعيده إليها على أحسن أحواله، ولم يقل لأبيه: اخرج منها، إلا هو يريد أن يعيده إليها^(٨).

(١) «الغموم» ساقط من س.

(٢) «ولا غم» ساقط من ف.

(٣) ف: «يفوت العبد».

(٤) ف: «ينفلت»، تصحيف.

(٥) «حتى يعود...» إلى هنا ساقط من ز.

(٦) ف: «سأله». و«به» ساقط من س.

(٧) ل: «وما أرضه».

(٨) وانظر جواب شيخ الإسلام عن سؤال عن التردد المذكور في الحديث في =

فهذا هو الحبيب على الحقيقة لا سواه، بل لو كان في كلّ منبتٍ
شعرةٍ من العبد محبّة تامة لله لكان بعضَ ما يستحقّه على عبده:

ما الحبّ إلا للحبيب الأول
ونحنِيه أبداً لأول منزل^(١)

فصل

ثم التّيّم، وهو آخر مراتب الحبّ، وهو تعبد المحبّ لمحبوبه.
يقال: تيمه الحبّ إذا عبّد. ومنه تيم الله، أي عبّد الله. وحقيقة التعبد:
الذلّ والخضوع للمحبوب. ومنه قولهم: «طريق معبد» أي مذلل قد
ذلّته الأقدام. فالعبد هو الذي ذلّله الحبّ والخضوع لمحبوبه. ولهذا
كانت أشرف أحوال العبد ومقاماته هي العبودية، فلا منزل له أشرف
منها.

وقد ذكر الله سبحانه أكرم الخلق عليه وأحبّهم إليه - وهو رسوله
محمد ﷺ - بالعبودية في أشرف مقاماته، وهي : مقام الدّعوة إليه،
ومقام التحدّي بالنّبوة، ومقام الإسراء^(٢)، فقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا زَلَّنَا
كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًا﴾ [الجن / ١٩] وقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا زَلَّنَا
عَلَى عَبْدِنَا فَأَقْتُو إِسْوَرَةً مِّنْ مِثْلِهِ﴾ [البقرة / ٢٣] وقال: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى
إِبْرَاهِيمَ لَيَلَامِنَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء / ١].

= مجموع الفتاوى (١٨ / ١٢٩ - ١٣١). وانظر أيضًا (٥٨ / ١٠ - ٥٩).

(١) لأبي تمام في ديوانه بشرح التبريزي (٤ / ٢٥٣).

(٢) انظر طريق الهجرتين (١٨)، ومدارج السالكين (٣ / ٢٩)، وشفاء العليل (٢٤٣)، وروضة المحبين (١٤٣) ومفتاح دار السعادة (١١٠ / ١).

وفي حديث الشفاعة: «اذهبوا إلى محمدٍ، عبدٌ غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»^(١). فنال مقام الشفاعة بكمال عبوديته وكمال مغفرة الله له.

والله^(٢) سبحانه خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له، التي هي أكمل أنواع المحبة، مع أكمل أنواع الخضوع والذلّ. وهذا هو حقيقة الإسلام وملة إبراهيم التي من رغب عنها فقد سفح نفسه. قال^(٣) تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفَهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ أَصْطَفَيْتَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمَّا نَعْلَمَ﴾ [١٢٣] إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بْنَيَّهُ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَنِي لَكُمُ الْدِّينَ فَلَا تَمُوْذِنُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٢٥﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَهَا أَبَاهِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَكُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٢٦﴾ [البقرة/ ١٣٠ - ١٣٣].

ولهذا كان أعظم الذنوب عند الله الشرك، [١/٩٥] والله لا يغفر أن يُشرك به.

وأصل^(٤) الشرك بالله الإشراك به في المحبة، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنَادِيًّا مَّنْ يُحِبُّونَهُمْ كَحْتِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. أخرجه البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِي﴾، (٧٤١٠) وغيره؛ ومسلم في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٣).

(٢) فـ: «فإنـه» مكان «والله».

(٣) فـ: «فـقال».

(٤) كلمة «أصل» ساقطة من لـ.

أَشَدُّ حِبًا لِلَّهِ» [البقرة/ ١٦٥]، فأخبر سبحانه أنَّ من الناس من يشرك به، فيتخدُّ من دونه ندًا يحبُّه كحبِّ الله؛ وأخبر أنَّ الذين آمنوا أشدُّ حبًّا لله من أصحاب الأنداد لأندادهم.

وقيل: بل المعنى أنَّهم أشدُّ حبًّا لله من أصحاب الأنداد لله، فإنَّهم وإنْ أحبُّوا الله، لكنَّ لما أشركوا^(١) بينه وبين أندادهم في المحبة ضعفت محبتهم لله^(٢). والموحدون لله لما خلصت^(٣) محبتهم له كانت أشدُّ من محبة أولئك. والعدل برب العالمين والتسوية بينه وبين الأنداد هو في هذه المحبة، كما تقدَّم.

ولما كان مراد الله من خلقه هو خلوص هذه المحبة له أنكر على من اتخذ من دونه ولیاً أو شفيعاً^(٤) غایة الإنكار، وجمع ذلك تارة، وأفرد أحدهما عن الآخر بالإنكار تارة، فقال تعالى: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَالَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا نَذَرُوكُمْ»^(٥) [السجدة/ ٤] وقال: «وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْسَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَاهُمْ يَنْقُونَ» [الأنعام/ ٥١].

وقال في الإفراد: «أَمْ أَنْخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شَفَاعَةً قُلْ أَوْلَوْ كَانُوا لَا

(١) ما عداس: «شركوا».

(٢) «الله» ساقط من ز.

(٣) ز: «وموحدون لما حصلت»، سقط وتحريف.

(٤) ز: «ولياً وشفيعاً».

(٥) هذه الآية ساقطة من ز. وجاءت مكانها الآية الثالثة من سورة يونس. وقد وردت كلتاها في ف. ولاشك أن إيراد الآية المذكورة من سورة يونس في هذا السياق خطأ من بعض النساخ، فإنها من مواضع الإفراد لا الجمع.

يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ [الزمر / ٤٣] وقال تعالى : «**مَنْ وَرَأَهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغَيِّرُ عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا أَخْنَدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلَاهُ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**» ﴿١٠﴾ [الجاثية / ١٠].

فإذا والى^(١) العبد ربّه وحده أقام له الشفاعة ، وعقد الموالاة^(٢) بينه وبين عباده المؤمنين ، فصاروا أولياءه في الله ، بخلاف من اتخد مخلوقاً ولائياً من دون الله .

فهذا لون وذاك لون ، كما أنّ الشفاعة الشركية الباطلة لون ، والشفاعة الحقّ الثابتة التي إنما تُنال بالتوحيد لون . وهذا موضع فرقان بين أهل التوحيد وأهل الإشراك . والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

والمقصود أنّ حقيقة العبودية لا تحصل مع الإشراك بالله في المحبة ، بخلاف المحبة لله ، فإنّها من لوازم العبودية [٩٥/ب] وموجباتها ؛ فإنّ محبة الرسول - بل تقديمها في الحب^(٣) على الأنفس^(٤) والأباء والأبناء - لا يتم الإيمان إلا بها ، إذ محبته من محبة الله . وكذلك كلّ حب في الله والله ، كما في الصحيحين عنه عليه السلام أَنَّه قال : «ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان» - وفي لفظ في الصحيح : «لا يجد حلاوة الإيمان إلا من كان فيه ثلاث خصال - : أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما ، وأن يحب المرأة لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه

(١) ف : «فإن ولی» .

(٢) ل : «وعقد له الموالاة» .

(٣) «في الحب» ساقط من س . وفي ل : «في المحبة» .

(٤) ف : «النفس» .

الله منه، كما يكره أن يُلقى في النار»^(١).

وفي الحديث الذي في السنن: «من أحبَّ اللهَ، وأبغضَ اللهَ، وأعطى اللهَ، ومنعَ اللهَ، فقد استكمَلَ الإيمان»^(٢).

وفي حديث آخر: «ما تحابَّ رجلانَ في اللهِ إِلَّا كَانَ أَفْضَلُهُمَا أَشَدَّهُمَا حَبًّا لِصَاحِبِهِ»^(٣).

(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. أخرجه البخاري في الإيمان، باب حلاوة الإيمان (٦١)، باللفظ الأول، وفي الأدب، باب الحب في الله (٦٠٤١) باللفظ الثاني؛ ومسلم في الإيمان، باب خصال من اتصف بمن وجد حلاوة الإيمان (٤٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٨١) والطبراني (٨/ رقم ٧٧٣٧) والبغوي في شرح السنة (١٣/ رقم ٣٤٦٩) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١٦١٨) وغيرهم من طريق يحيى بن الحارث الدمشقي عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة فذكره مرفوعاً.

ورواه عبد الرحمن بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة موقوفاً. أخرجه ابن أبي شيبة (١٤٥/ ٣٤٧١٩) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١٧١٤). قلت: عبد الرحمن بن يزيد جاء مصراحاً عند اللالكائي بأنه «ابن جابر»، وهو ثقة. والصواب أنه عبد الرحمن بن يزيد بن تميم، وهو ضعيف كما أشار إلى ذلك البخاري وغيره.

وروي من طرق أخرى عن يحيى الدمشقي، ولا ثبت.
وورد من حديث معاذ الجهنمي عند الترمذى (٢٥٢١) وقال: «حسن»، وأحمد (٤٣٨/ ٣) وفي سنته ضعف.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٤٤) والطيالسي في مستنه (٢١٦٦) وابن حبان في صحيحه (٥٦٦) والبزار في مستنه (١٣/ رقم ٦٨٦٩) والحاكم (١٨٩/ ٧٣٢١) وغيرهم من طريق مبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس مرفوعاً فذكره. والحديث صحيحه ابن حبان والحاكم. وقال الذهبي: هذا حديث حسن =

فإن هذه المحبة من لوازم محبة الله ومحاجاتها وكلما كانت أقوى
كان أصلها كذلك.

فصل

ووهنا أربعة أنواع من المحبة يجب التفريق بينها، وإنما ضلّ من
ضلّ بعدم التمييز بينها:

أحدها: محبة الله. ولا تكفي وحدها في النجاة من عذابه والفوز
بثوابه^(١)، فإن المشركين وعياد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله.

الثاني: محبة ما يحبه الله^(٢). وهذه هي التي تدخله في الإسلام،
وتُخرجه من الكفر؛ وأحب الناس إلى الله أقوامهم بهذه المحبة وأشدّهم

الإسناد.

=

وتتابعه عبدالله بن الزبير الحميدي عن ثابت به ولا يثبت.

قلت: رفعه خطأ، والصواب أنه من قول مطرف بن عبدالله الشخير. وإليه
ذهب الخطيب فرواه حماد بن سلمة عن ثابت عن مطرف قال: «كنا نتحدث أنه
ما تحابَّ رجلان في الله...» ذكره الخطيب في تاريخه (٤٤٠/٩).

ورواه سليمان بن المغيرة عن غيلان بن جرير سمعت مطوفاً يقول: «ما
تحابَّ قوم في الله عز وجل إلا كان أفضليهما أشدّهما حباً لصاحبه» فذكرت
ذلك للحسن، فقال: صدق. أخرجه أحمد في الزهد (١٣٢٦) وابن عساكر
(١٩٤/٥٧).

قال الدارقطني: «رواه حماد بن سلمة عن ثابت مرسلاً وهو الصواب» العلل
(٤/٣٦ ق/أ).

وقد ورد هذا اللفظ عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير وأبي فزاره. أخرجه
أحمد في الزهد (٢٢٤٢) وهناد في الزهد (٤٨٥).

(١) ف: «بنعيمه».

(٢) ف، ل: «يحب الله».

فيها.

الثالث: الحب لله وفيه. وهي من لوازم محبة ما يحب، ولا يستقيم محبة ما يحب إلا بالحب فيه وله.

الرابع^(١): المحبة مع الله. وهي المحبة الشركية، وكل من أحب شيئاً مع الله، لا لله ولا من أجله ولا فيه، فقد اتخذه ندّاً من دون الله، وهذه محبة المشركين.

وبقي قسم خامس: ليس مما نحن فيه، وهو المحبة الطبيعية، وهي ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه، كمحبة العطشان للماء، والجائع للطعام، ومحبة النوم والزوجة^(٢) والولد. فتلك لا تُنكر إلا إذا ألهت عن ذكر الله وشغلت عن محبته، كما قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُنْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ» [المنافقون/٩] وقال: «إِنَّمَا لَا تُنْهِيْهِمْ بِخَرَجَةٍ [١٩٦] وَلَا يَبْعُدُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ» [النور/٣٧].

فصل

ثم **الحُلَّة**، وهي تتضمن^(٣) كمال المحبة ونهايتها، بحيث لا يبقى في قلب المحب سعة لغير محبوبه، وهي منصب لا يقبل المشاركة بوجه ما^(٤). وهذا المنصب خَلَصَ^(٥) لخليلين صلوات الله وسلامه

(١) ف: «والرابع».

(٢) ل: «ومحبة الزوجة».

(٣) س: «وهو يتضمن».

(٤) «ما» ساقطة من ل.

(٥) ف: «خاص».

عليهما: إبراهيم ومحمد، كما قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا»^(١).

وفي الصحيح عنه ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَخَذِّدًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرًا خَلِيلًا، وَلَكِنْ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ»^(٢).

وفي حديث آخر: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى كُلِّ خَلِيلٍ مِنْ خُلْتِهِ»^(٣).

ولما سأله إبراهيمُ الولدُ، فَأَعْطَيْهِ، وَتَعْلَقَ حَبَّهُ بِقَلْبِهِ، فَأَخْذَ مِنْهُ شَعْبَةً؛ غَارَ الْحَبِيبُ عَلَى خَلِيلِهِ أَنْ يَكُونَ فِي قَلْبِهِ مَوْضِعُ لِغَيْرِهِ، فَأَمْرَهُ بِذِبْحِهِ^(٤). وَكَانَ الْأَمْرُ فِي الْمَنَامِ، لِيَكُونَ تَنْفِيزُ الْمَأْمُورِ بِهِ أَعْظَمُ ابْتِلَاءً وَامْتِحَانًا. وَلَمْ يَكُنْ الْمَقْصُودُ ذِبْحُ الْوَلَدِ، وَلَكِنْ الْمَقْصُودُ ذِبْحُهُ مِنْ قَلْبِهِ، لِيَخْلُصَ الْقَلْبُ لِلرَّبِّ. فَلَمَّا بَادَرَ الْخَلِيلَ إِلَى الْإِمْتِثالِ، وَقَدِمَ مَحْبَّةُ اللَّهِ عَلَى مَحْبَّةِ وَلَدِهِ؛ حَصَلَ الْمَقْصُودُ، فَرُفِعَ الذِبْحُ. وَفُدِيَ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ، فَإِنَّ الرَّبَّ تَعَالَى مَا أَمْرَ بِشَيْءٍ ثُمَّ أَبْطَلَهُ^(٥) رَأْسًا، بَلْ لَابْدَ أَنْ يَبْقَى بَعْضُهُ أَوْ بَدْلُهُ، كَمَا أَبْقَى شَرْعِيَّةُ الْفَدَاءِ، وَكَمَا أَبْقَى اسْتِحْبَابُ الصَّدَقَةِ بَيْنَ يَدِي الْمَنَاجَةِ، وَكَمَا أَبْقَى الْخَمْسَ صَلَوَاتٍ بَعْدِ رَفْعِ الْخَمْسِينِ وَأَبْقَى ثَوَابَهَا

(١) من حديث جندب رضي الله عنه. أخرجه مسلم في المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور... (٥٣٢).

(٢) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه. أخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٢٣٨٣).

(٣) أخرجه مسلم في الموضع السابق من حديث ابن مسعود رضي الله عنه (٧/٢٣٨٣) ولفظه: «أَلَا إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى كُلِّ خَلْلٍ مِنْ خَلْلِهِ».

(٤) فـ: (ذِبْحٌ وَلَدِهِ).

(٥) فـ: (وَأَبْطَلَهُ).

وقال : «لَا يَدِلُّ^(١) الْقَوْلُ لِدَيَّ، هِيَ خَمْسٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ فِي
الْأَجْرِ»^(٢).

فصل

وأما ما يظنه بعض الغالطين أن المحبة أكمل من الخلة، وأن إبراهيم خليل الله^(٣)، ومحمد حبيب الله، فمن جهله. فإن المحبة عامة، والخلة خاصة، والخلة نهاية المحبة. وقد أخبر النبي ﷺ أن الله اتخذه خليلاً، ونفى أن يكون له خليل غير ربّه، مع إخباره^(٤) بمحبته^(٥) لعائشة ولأبيها ولعمر بن الخطاب وغيرهم^(٦).

وأيضاً فإن الله^(٧) سبحانه يحب التوابين، ويحب المتطرفين، ويحب الصابرين، [٩٦/ب] ويحب المحسنين، ويحب المتقين^(٨)، ويحب المقطفين. وخلنته خاصة بالخليلين. والشاب التائب حبيب الله^(٩).

(١) ف : «ما يدلل».

(٢) «هي خمس و» ساقط من ف. وهو جزء من حديث الإسراء، أخرجه البخاري في أول كتاب الصلاة (٣٤٩)، ومسلم في الإيمان، باب الإسراء (١٦٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) «خليل الله» ساقط من ف.

(٤) س : «اختياره»، تصحيف.

(٥) ف، ز : «بحبه».

(٦) كما في حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤) كلامهما في فضائل الصحابة.

(٧) ف، ز : «وأيضاً فالله».

(٨) «ويحب المتقين» ساقط من ف.

(٩) كذا وقعت هذه الجملة هنا في جميع النسخ، وقد وضعت في ط المدنى =

وإنما هذا^(١) من قلة العلم والفهم عن الله ورسوله.

فصل

وقد تقدم^(٢) أنَّ العبد لا يترك ما يحبه ويهاه إلا لما يحبه ويهاه^(٣)، لكن يترك أضعفهما محبةً لأقواهما محبةً؛ كما أنه يفعل ما يكرهه لحصول ما محبته أقوى عنده من كراحته ما يفعله، أو لخلاصه من مكرره كراحته عند أقوى من كراحته ما يفعله^(٤).

وتقدم أنَّ خاصية العقل^(٥) إثمار أعلى المحبوبين على أدناهما، وأيسر المكرهين على أقواهما. وتقدم^(٦) أنَّ هذا كمال قوة الحب والبغض.

ولا يتم له هذا إلا بأمررين: قوة الإدراك، وشجاعة القلب. فإنَّ التخلف^(٧) عن ذلك والعمل بخلافه يكون إما لضعف الإدراك بحيث إنَّ

= وغيرها قبل الجملة السابقة، وهو أقرب. وقد رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التوبة وأبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أنس بسنده ضعيف. وبلفظ «إنَّ الله يحب الشابَ التائب». قاله العراقي في تخريج الإحياء (٤/٥). (ص).

(١) ف: «هذه».

(٢) ف، ز: «قد تقدم» دون الواو.

(٣) «إلا... يهاه» ساقط من ل.

(٤) «أو لخلاصه... يفعله» ساقط من س، ل.

(٥) ف: «خاصَّة العقل». وفي ز: «خاصَّة الغفلة إثماراً المحبوبين»، تحريف وسقط.

(٦) س: «وقد تقدم».

(٧) ف: «المتخلف».

لم يدرك مراتب المحبوب والمكرور على ما هي^(١) عليه، وإنما لضعف في النفس وعجز في القلب لا يطأوه لإيثار الأصلاح له، مع^(٢) علمه بأنه الأصلاح. فإذا صح إدراكه، وقويت نفسه، وتشجع^(٣) القلب على إيثار المحبوب الأعلى والمكرور الأدنى؛ فقد وفق لأسباب السعادة. فمن الناس من يكون سلطان شهوته أقوى من سلطان عقله وإيمانه، فيقهر الغالبُ الضعيف^(٤). ومنهم من يكون سلطان إيمانه وعقله أقوى^(٥) من سلطان شهوته.

وإذا كان كثير من المرضى يحميه الطبيب عما يضره، فتأتي عليه نفسه وشهوته إلا تناوله، ويقدم شهوته على عقله، وتسميه الأطباء «عديم المروءة»؛ فهكذا أكثر مرضى القلوب يؤثرون ما يزيد مرضهم لقوة شهوتهم له^(٦).

فأصل الشرّ من ضعف الإدراك، وضعف النفس ودناءتها. وأصل الخير من كمال الإدراك، وقوة النفس وشرفها وشجاعتها.

فالحبت والإرادة أصل كلّ فعل ومبؤه، والبغض والكرابة أصل كلّ ترك^(٧) ومبؤه. وهاتان القوتان في القلب أصل سعادة العبد وشقاوته.

(١) س: «ما كان».

(٢) ما عدا ز: «الرفع» وهو تحريف «له مع».

(٣) س: «تشجع».

(٤) ف، ز: «للضعف».

(٥) «من سلطان عقله...» ساقط من لـ.

(٦) «له» ساقط من فـ.

(٧) س: «أصل ترك». وفي ز: «كل شيء» بدلًا من «كل فعل»، و«كل ترك».

ووجود الفعل الاختياري لا يكون إلا بوجود سببه من الحب والإرادة. وأما عدم الفعل فتارةً يكون لعدم مقتضيه وسببه، وتارةً يكون لوجود البغض والكراهة المانع منه. وهذا متعلق الأمر والنهي، وهو الذي^(١) يسمى الكفّ، وهو متعلق الثواب والعقاب.

وبهذا^(٢) يزول الاشتباه في مسألة الترك، هل هو أمر وجودي أو عدمي؟ والتحقيق أنه قسمان: فالترك المضاف إلى عدم السبب المقتضي عدمي، والمضاف إلى السبب المانع من الفعل وجودي^(٣).

فصل

وكل واحد من الفعل والترك الاختياريين إنما يؤثره الحيّ لما فيه من حصول المنفعة التي يلتذّ بحصولها، أو زوال الألم^(٤) الذي يحصل له الشفاء بزواله^(٥). ولهذا يقال: شفى صدره، وشفى قلبه. قال:

هي الشفاء لدائي لو ظفرت بها وليس منها شفاء الداء مبذول^(٦)

وهذا مطلوب يؤثره العاقل، بل الحيوان البهيم؛ ولكن يغلط فيه أكثر الناس غلطاً قبيحاً، فيقصد حصول اللذة بما يعقب عليه^(٧) أعظم

(١) «الذي» ساقط من ل.

(٢) في س: «بهذا» دون الواو.

(٣) انظر: إغاثة اللهفان (٨٢٤).

(٤) ل، ز: «زوال الألم».

(٥) «بزواله... قال هي» ساقط من ل.

(٦) البيت لهشام بن عقبة، أخي ذي الرمة، وهو من شواهد سيبويه (١٧٧، ٧١). وانظر مصارع العشاق (١٩٠/٢).

(٧) ف: «على نفسه».

الألم، فيؤلم نفسه من حيث يظن أنه يحصل لذتها، ويشفى^(١) قلبه بما يعقب عليه غاية المرض.

وهذا شأن من قصر نظره على العاجل، ولم يلاحظ العواقب. وخاصّةً العقل: النظر في العواقب^(٢)، فأعقل الناس من آثر لذته وراحته الآجلة الدائمة على العاجلة المنقضية الزائلة؛ وأسفهُ الخلق من باع نعيم الأبد وطيب الحياة الدائمة واللذة العظمى التي لا تنخيص^(٣) فيها ولا نقص^(٤) بوجه ما، بلذة منغصه مشوبة بالآلام والمخاوف، وهي سريعة الزوال^(٥) وشيكه الانقضاء.

قال بعض العلماء^(٦): فكرتُ فيما يسعى فيه العقلاء، فرأيتُ سعيهم كلّه في مطلوب واحد، وإن اختلفت طرقوهم في تحصيله؛ رأيتهم جميعهم إنّما يسعون في دفع الهمّ والغمّ عن نفوسهم. فهذا بالأكل والشرب^(٧)، وهذا بالتجارة والكسب، وهذا بالنكاح، وهذا بسماع الغناء والأصوات المطرية، وهذا باللهو واللعب. فقلتُ: هذا المطلوب مطلوب العقلاء، ولكن الطرق كلّها غير [٩٧/ب] موصلة إليه، بل لعل أكثرها إنّما يصل إلى ضده. ولم أر في جميع هذه الطرق طريقاً موصلة

(١) ل، ز: «يشقي»، تصحيف.

(٢) « وخاصة... العواقب» ساقط من ل.

(٣) ف: «تنغض». .

(٤) «نقص» ساقط من ل.

(٥) «الزوال» ساقط من ز.

(٦) هو ابن حزم، وقد لخص المؤلف كلامه. انظر: الأخلاق والسير (١٣ - ١٦).

(٧) «والشرب» ساقط من ف.

إلا^(١) الإقبال على الله ومعاملته وحده، وإيثار مرضاته على كل شيء.

فإن سالك هذه الطريق إن فاته حظه من الدنيا فقد ظفر بالحظ العالمي الذي لا فوت معه، وإن حصل للعبد حصل له كل شيء، وإن فاته فاته كل شيء. وإن ظفر بحظه من الدنيا ناله على أنها الوجه. فليس للعبد أنسٌ من هذه الطريق ولا أوصى منها إلى لذته وبهجهته وسعادته. وبالله التوفيق.

فصل

والمحبوب قسمان: محبوب لنفسه، ومحبوب لغيره. والمحبوب لغيره لابد أن ينتهي إلى المحبوب لنفسه، دفعاً للتسلسل المحال. وكل ما سوى المحبوب الحق فهو محبوب لغيره، وليس شيء يحب لنفسه إلا الله وحده، وكل ما سواه مما يحب فإنما محبته تبع لمحبة رب تعالى^(٢)، كمحبة ملائكته وأنبيائه وأوليائه، فإنها تبع لمحبته سبحانه، وهي من لوازمه محبته، فإن محبة المحبوب توجب محبة^(٣) ما يحبه.

وهذا موضع يجب الاعتناء به، فإنه محل فرقان بين المحبة النافعة لغيره، والتي^(٤) لا تنفع، بل قد تضر.

فاعلم أنه لا يحب لذاته إلا من كماله من لوازمه ذاته، وإلهيته وربوبيته وغناه من لوازمه ذاته. وما سواه فإنما يبغض ويكره لمنافاته

(١) رسمها في ل، ز: «إلى»، وكذا كان في ف، فأصلحه بعض القراء.

(٢) ز: «محبته من محبة رب تعالى».

(٣) «محبة» ساقط من ف.

(٤) ف: «والمحبة التي».

محابَّه ومصادِّته لها، وبغضه وكراهته بحسب قوة هذه المنافة وضعفها، فما كان أشد منافاة^(١) لمحابَّه كان أشد كراهةً من الأعيان والأوصاف والأفعال والإرادات وغيرها.

فهذا^(٢) ميزان عادل يوزن به موافقة الربَّ ومخالفته، وموالاته ومعاداتِه. فإذا رأينا شخصاً يحب ما يكرهه^(٣) الربُّ تعالى، ويكره ما يحبه، علمنا أنَّ فيه من معاداتِه بحسب ذلك. وإذا رأينا الشخص يحب ما يحبه^(٤) الربُّ، ويكره ما يكرهه، وكلَّما كان الشيء أحب إلى الربِّ كان أحب إليه وأثر عنده، وكلَّما كان أبغض إلى الربِّ كان أبغض إليه وأبعد منه = علمنا أنَّ فيه من موالاة الربِّ بحسب ذلك.

فتمسَّك بهذا [١/٩٨] الأصل غاية التمسك في نفسك وفي غيرك. فالولاية عبارة عن موافقة الولي^(٥) الحميد في محابَّه ومساخطه، ليست بكثرة صوم ولا صلاة ولا تمْرُق ولا رياضة.

والمحبوب لغيره قسمان أيضاً:

أحدهما: ما يلتذ المحبَّ بإدراكه وحصوله.

والثاني: ما يتآلَّم به^(٦)، ولكن يحتمله^(٧) لإفضائه إلى محبوبه،

(١) «ضعفها... منافاة» ساقط من ل.

(٢) ل: «وهذا».

(٣) ز: «يكره».

(٤) «علمنا أنَّ فيه... يحبه» ساقط من س.

(٥) ل: «المولى»، وأشار إلى هذه النسخة في حاشية س.

(٦) «وحصلَّ له... به» ساقط من ل.

(٧) «يحتمله» ساقط من ف.

كشرب الدواء الكريه.

قال تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ أَكْرَهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» [البقرة/ ٢١٦]، فأخبر سبحانه أن القتال مكرور لهم، مع أنه خير لهم لإفضائه إلى أعظم محبوب^(١) وأنفعه.

والنفوس تحب الراحة والدعة^(٢) والرفاهية، وذلك شر لها لإفضائه إلى فوات هذا المحبوب. فالعقل لا ينظر إلى لذة المحبوب العاجل فيؤثرها، وألم المكرور العاجل فيرغ عنه، فإن ذلك قد يكون شرًا له؛ بل قد يجلب عليه غاية الألم، ويفوته أعظم اللذة. بل^(٣) عقلاه الدنيا يتحملون المشاق المكرورة لما يعقبهم^(٤) من اللذة بعدها، وإن كانت منقطعة.

فالأمور أربعة:

مكرور يوصل إلى مكرور.

ومكرور يوصل إلى محبوب.

ومحبوب يوصل إلى محبوب.

ومحبوب يوصل إلى مكرور^(٥).

(١) س: «المحبوب».

(٢) ز: «الفرغة»، تحريف.

(٣) في ف واو العطف مكان «بل».

(٤) يعني: تحمل المشاق. وفي ف: «تعقبهم»، يعني: المشاق.

(٥) ف، ز: «ومكرور يوصل إلى محبوب»، وهو خطأ، فقد سبق هذا القسم. وقد =

فالمحبوب الموصل إلى المحبوب قد اجتمع فيه داعي الفعل من وجهين، والمكروره الموصل إلى مكروره قد اجتمع فيه^(١) داعي الترك من وجهين.

بقي القسمان الآخران يتجادلهما الداعيان، وهما معترك الابتلاء والامتحان. فالنفس تؤثر أقربهما جواراً منهما، وهو العاجل. والعقل والإيمان يؤثران^(٢) أنفعهما وأبقاهما. والقلب بين الداعيين، وهو إلى هذا مرأة، وإلى هذا مرأة.

وهاهنا محل الابتلاء شرعاً وقدراً. فداعي العقل والإيمان ينادي^(٣) كلَّ وقت: حيَّ على الفلاح، عند الصباح يحمد القومُ السُّرِّي^(٤)، وفي الممات يحمد العبدُ التُّقى. فإن اشتدَّ ظلام ليل المحبة، وتحكُّم سلطان الشهوة والإرادة يقول^(٥): يا نفس اصبري،

فما هي إلا ساعة ثم تنقضي [٩٨/ب] ويدهب هذا كُلُّه ويزول^(٦)

= سقط القسمان الأخيران من ل.

(١) «داعي الفعل... فيه» ساقط من ف، ل.

(٢) ماعدا س: «يؤثر» بالإفراد، وهو جيد أيضاً.

(٣) «وهاهنا... الإيمان» ساقط من س. وفيها: «إلى هذا ينادي».

(٤) من الأمثال السائرة، يضرب للرجل يتحمل المشقة رجاء الراحة. مجمع الأمثال (٣١٨/٢).

(٥) جواب إن، وكذا جاء مضارعاً مرفوعاً في جميع النسخ.

(٦) أنشأه المؤلف في البدائع (٦٧٢)، ومدارج السالكين (٢٢٩/٣)، وروضة المحبين (٨٠). وللبهاء زهير بيت يشبهه، وصدره (ديوانه: ٢١٠):

وماهي إلا غيبة ثم نلتقي

فصل

وإذا كان الحب أصل كل عمل من حق وباطل، فأصل الأعمال الدينية حب الله ورسوله، كما أنّ أصل الأقوال الدينية تصدق الله ورسوله.

وكل إرادة تمنع كمال الحب لله ورسوله وتزاحم هذه المحبة، أو شبهة تمنع كمال التصديق؛ فهي معارضة لأصل الإيمان أو مضيغة له. فإن قويت حتى عارضت أصل الحب والتصديق كانت كفراً وشركاً أكبراً، وإن لم تعارضه قدحت في كماله، وأثّرت فيه ضعفاً وفتوراً في العزيمة والطلب. وهي تحجب الواصل، وتقطع الطالب، وتنكس الراغب.

فلا تصح الموالاة إلا بالمعاداة، كما قال تعالى عن إمام^(١) الحنفاء المحبين أنه قال لقومه: ﴿أَفَرَءِيتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾^{٦٥} أَنْتُمْ وَإِبْرَاهِيمُ كُمْ أَلْقَمْتُمُونَ ﴿٦٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَذُولُونَ إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ [الشعراء / ٧٥ - ٧٧]. فلم تصح لخليل الله الموالاة^(٢) والخلة إلا بتحقيق هذه المعاداة فإنه لا ولاء إلا ببراء^(٣)، [و]^(٤) لا ولاء لله إلا بالبراءة^(٥) من كل معبد سواه. قال تعالى : « قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذَا قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا نَبْرَأُكُمْ مِنْكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ » [المتحنة / ٤].

(١) «عن إمام» ساقط من لـ.

(٢) ماعدا سـ: «فلم يصح... هذه الموالاة».

(٣) سـ: «براءة».

(٤) ما بين الحاضرتين من خـ.

(٥) فـ، زـ: «بالبراء». وقد ضرب في زـ على «إلا ببراء... الله» لتكون العبارة: «فإنـه لا ولاء للـ إلا بالبراءة...».

وقال تعالى^(١): «وَلَذِّقَ إِبْرَاهِيمَ لِأَيْهَ وَقَوْمَهُ إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ٢٧ إِلَّا الَّذِي فَطَرَ فَإِنَّهُ سَيِّدُ الْمُبْرَأَ ٢٨ وَجَعَلَهَا كَلْمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِّيَهُ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٢٩» [الزخرف / ٢٦ - ٢٨]. أي جعل هذه الموالاة لله والبراءة^(٢) من كل معبد سواه كلمة باقية في عقبه، يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض . وهي الكلمة^(٣) لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وهي التي ورثتها إمامُ الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيمة.

وهي الكلمة التي قامت بها الأرض والسماءات ، وفطر الله عليها جميع المخلوقات . وعليها أُسّست الملة ، ونُصِّبت القبلة ، وجُرِّدت سيفُ الجهاد ، وهي محض حق الله على جميع العباد . وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار ، والمنجية من عذاب القبر وعداب النار . وهي المنشور الذي لا يدخل أحد^(٤) الجنة إلا به ، والحبيل الذي لا يصل إلى الله من لم يتعلّق^(٥) بسببه .

وهي كلمة الإسلام ، ومفتاح دار السلام . وبها انقسم الناس إلى شقي وسعيد ، ومحب وطريد . وبها انفصلت دار الكفر من دار الإيمان ، وتميّزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان . وهي العمود الحامل للفرض والسنة ، «وَمَنْ كَانَ آخَرَ كَلَامَهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٦) .

(١) «وقال تعالى» لم يرد في ف.

(٢) ف: «البراء».

(٣) «كلمة» لم ترد في ف.

(٤) «أحد» ساقط من ز.

(٥) س: «إلا من تعلق».

(٦) هذا لفظ حديث أخرجه أبو داود (٣١١٦) وأحمد ٢٣٣ / ٥ (٢٢٠٣٤) والبزار في مسنده (٢٦٢٦) والحاكم ٥٠٣ / ١ (١٢٩٩) وغيرهم من طريق صالح بن أبي عرب عن كثير بن مرة عن معاذ بن جبل فذكره مرفوعاً. قال الحاكم: «هذا

وروح هذه الكلمة وسرّها: إفراد الرب - جل ثناوه، وتقدست أسماؤه، وتبارك اسمه، وتعالى جده، ولا إله غيره - بالمحبة والإجلال والتعظيم والخوف والرجاء، وتتابع ذلك من التوكل^(١) والإنابة والرغبة والرهبة. فلا يُحب سواه، وكل ما يُحب غيره فإنما يَحْبَّ تبعاً لمحبته وكوئنه وسيلة إلى زيادة محبته. ولا يُخاف سواه ولا يُرجى سواه، ولا يُتوكل إلا عليه، ولا يُرغَب إلا إليه، ولا يُرَهَّب إلا منه، ولا يُحَلِّف إلا باسمه، ولا يَنْذَر إلا له، ولا يتَاب إلا إليه، ولا يطَاع إلا أمرُه، ولا يَتَحَسَّب إلا به، ولا يستغاث^(٢) في الشدائِد إلا به، ولا يَلْتَجَأ^(٣) إلا إليه، ولا يُسْجَد إلا له، ولا يُذَبَّح إلا له وباسمه. ويجتمع ذلك كله في حرف واحد، وهو أن لا يَعْبُد إلا إِيَّاه بجميع أنواع العبادة؛ فهذا هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله.

ولهذا حرم الله على النار من شهد أن لا إله إلا الله حقيقة الشهادة^(٤). ومحال أن يدخل النار من تحقق بحقيقة هذه الشهادة وقام

حديث صحيح الإسناد ولم يخرجا...». قلت: فيه صالح بن أبي عريب.
ذكر ابن حبان في الثقات. وقال ابن القطان: لا يعرف له حال. وقال ابن حجر: مقبول. تهذيب الكمال (١٣/٧٣).

وأخرج مسلم (٢٦) عن عثمان قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة».

(١) س: «والتوكل».

(٢) ل: «ولا يستعن».

(٣) ف: «يلتجأ». ز: «ملتجأ».

(٤) كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم... (١٢٨)، ومسلم في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا (٣٢).

بها، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ شَهَدُوا تِيمَ فَلَيَسْعُونَ﴾ [المعارج / ٣٣]، فيكون قائماً بشهادته في ظاهره وباطنه، في قلبه وقلبه. فإنّ من الناس من تكون شهادته ميتة، ومنهم من تكون نائمة إذا ثبّتت انتبهت، ومنهم من تكون مضطجعة، ومنهم من تكون إلى القيام أقرب. وهي في القلب بمنزلة الروح في البدن، فروح ميتة وروح مريضة إلى الموت أقرب، وروح إلى الحياة أقرب، وروح صحيحة قائمة بمصالح البدن.

وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ [٩٩/ب]: «إِنِّي لِأَعْلَمُ كَلْمَةً لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ عِنْدَ الْمَوْتِ إِلَّا وَجَدْتُ رُوحَهُ لَهَا رَوْحًا»^(١).

فحياة الروح بحياة هذه الكلمة^(٢) فيها، كما أنّ حياة البدن بوجود الروح فيه. وكما أنّ من مات على هذه الكلمة فهو في الجنة يتقلب فيها، فمن عاش على تحقيقها والقيام بها فروحه تتقلب في جنة المأوى، وعيشه أطيب عيش. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَىَ النَّفَسَ عَنِ الْمَوْتِ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات / ٤٠ - ٤١].

فالجنة مأواه يوم اللقاء، وجنة المعرفة والمحبة والأنس بالله

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٧٩٥) والنمسائي في عمل اليوم والليلة (١١٠١) وابن حبان (٢٠٥). من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن يحيى بن طلحة عن أمّه سعدى المرية زوج طلحة بن عبيد الله قالت: مرّ عمر بن الخطاب بطلحة فذكره مطولاً. وسنده صحيح.

ورواه مجالد بن سعيد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله سمعت عمر بن الخطاب يقول لطلحة بن عبيد الله فذكره. أخرجه أحمد (٢٨/١) وأبو يعلى (٦٤٠) وغيرهما. وفيه مجالد لين الحفظ، فلعله وهم فيه.

والحديث صححه ابن حبان والمؤلف وغيرهما.

(٢) س: «الروح بهذه الكلمة».

والشوق إلى لقائه والفرح^(١) والرضى به وعنده مأوى روحه في هذه الدار. فمن كانت هذه الجنة مأواه ها هنا، كانت جنة الخلد مأواه يوم المعاد. ومن حُرم هذه الجنة، فهو لتلك أشدّ حرماناً. والأبرار في النعيم، وإن اشتدّ بهم العيش، وضاقت عليهم الدنيا. والفجار في جحيم، وإن اتسعت عليهم الدنيا.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحِينَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل / ٩٧].

وطيب الحياة جنة الدنيا.

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يُشَرِّحُ صَدَرَهُ لِإِسْلَامٍ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَهُ يَجْعَلُ صَدَرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام / ١٢٥].

فأي نعيم أطيب من شرح الصدر؟ وأي عذاب أ霉 من ضيق الصدر؟

وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّكَ أَوْلَيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْزُنُونَ ٦٦ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ٦٧ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَنْبَدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٦٨﴾ [يونس / ٦٤ - ٦٢].

فالمؤمن المخلص لله من أطيب الناس عيشاً، وأنعمهم بالأ، وأشرحهم صدرًا، وأسرّهم قلباً. وهذه جنة عاجلة قبل الجنة الآجلة.

قال النبي ﷺ: «إذا مررت برياض الجنة فارتعوا». قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: «حلق الذكر»^(٢).

(١) ل، ز: «الفرح به».

(٢) تقدم تخریجه في ص (٢٨١).

ومن هذا: قوله ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»^(١).

ومن هذا قوله، وقد سأله عن وصاله في الصوم، فقال: «إني لست كهيتكم، إني أظلُّ عند ربِّي يطعني ويستعذني»^(٢). فأخبر ﷺ أنَّ ما يحصل له من الغذاء عند ربه يقوم مقام الطعام والشراب الحسبي، وأنَّ ما يحصل له من ذلك أمرٌ يختصُّ به، لا يشركه فيه غيره، فإذا أمسك عن الطعام والشراب فله عنه عوضٌ يقوم مقامه، وينوب عنه، ويغنى عنه، كما قيل^(٤):

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور تستضيء به ومن حديثك في أعقابها حاد^(٥)
إذا شكت من كلال السير أو عدُّها روح اللقاء فتحيا عند ميعاد^(٦)

(١) تقدم تخريرجه في ص (٢٨٢).

(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها. أخرج البخاري في الصوم، باب الوصال... (١٩٦٤)؛ ومسلم في الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم (١١٥).

(٣) ف، لـ: «مختص». وفي زـ: «عوض يقوم» مكان «من ذلك أمر»، وهو خطأ.

(٤) أوردها المؤلف في زاد المعد (٣٣/٢)، ومفتاح دار السعادة (١٨٥/١)، وروضة المحبين (١٦٥). وهي لإدريس بن أبي حفصة من قصيدة له في إسحاق بن إبراهيم المصبغي. انظر: الأنوار للشمساطي (٤٠٠/١) وقد ورد فيه وفي المدهش (٤٥٥)، وديوان المعاني (٦٣/١)، والحماسة البصرية (٤٨٤) البيتان الأولان مع بيت ثالث غير المذكور هنا.

(٥) وفي المدهش: «من نوالك». وفي المصادر الأخرى: «من رجائك».

(٦) في المفتاح والزاد: «روح القدوم».

فصل^(١)

وكلّما كان وجود الشيء أفعى للعبد وهو إليه أحوج، كان تألمه بفقده أشد. وكلّما كان عدمه أفعى له^(٢) كان تألمه بوجوده أشد^(٣). ولا شيء على الإطلاق أفعى للعبد من إقباله على الله، واشتغاله بذكره^(٤)، وتنعمه بحبه، وإيثاره لمرضاته؛ بل لا حياة له ولا نعيم ولا سرور^(٥) ولا بهجة إلا بذلك. فعدمه آلمُ شيء له، وأشدّه عذاباً عليه. وإنما يغيب الروح عن شهود هذا الألم والعذاب اشتغالها بغيره، واستغراقها في ذلك الغير، فتغيّب به^(٦) عن شهود ما هي فيه من ألم الفوت بفارق أحبّ شيء إليها وأنفعه لها.

وهذا بمنزلة السكران، المستغرق في سكره، الذي احترقت^(٧) داره وأمواله وأهله وأولاده، وهو لاستغراقه في السكر لا يشعر بألم ذلك^(٨) الفوت وحسرته، حتى إذا صحا وكُشف عنه غطاءُ السكر، وانتبه من رقدة الخمر^(٩)، فهو أعلم بحاله حينئذ.

(١) كلمة «فصل» ساقطة من النسخ المطبوعة.

(٢) «له» ساقط من لـ.

(٣) فـ: «أنفع وأشد»، وهو غلط.

(٤) «بذكره» ساقط من زـ.

(٥) «ولا سرور» ساقط من زـ. وزاد في فـ بعد «نعميم» و«سرور»: «له».

(٦) «عن شهود هذا... به» ساقط من فـ.

(٧) سـ: «أحرق».

(٨) «ذلك» ساقط من فـ.

(٩) سـ: «رقدته»، وفي الحاشية: «خـ رقدة الخمر».

وهكذا الحال سواءً عند كشف الغطاء، ومعاينة طلائع الآخرة، والإشراف على مفارقة الدنيا، والانتقال منها إلى الله؛ بل الألم والحسرة والعذاب هناك أشدّ بأضعاف مضاعفة. فإن المصاب في الدنيا يرجو جبر مصيبيته بالعوض، ويعلم أنه قد أصيب بشيء زائل لا بقاء له؛ فكيف بمن مصيبيته بما لا عوض عنه، ولا بدل منه^(١)، ولا نسبة بينه وبين الدنيا جميعها؟ فلو قضى الله سبحانه بالموت من هذه الحسرة [١/١٠٠] والألم لكان العبد جديراً به، وإن الموت ليعد أعظم أمنيته وأكبر حسراته. هذا^(٢) لو كان الألم على مجرد الفوات^(٣)، فكيف وهناك من العذاب على الروح والبدن بأمور أخرى وجودية مala يُقدر قدره؟

فتبارك من حمل هذا الخلق الضعيف هذين الألمين العظيمين اللذين لا تحملهما الجبال الرواسي!

فأعرض الآن على نفسك أعظم محظوظ لك في الدنيا بحيث لا تطيب لك الحياة إلا معه، فأصبحت وقد أخذت منك، وحيل بينك وبينه، أحوج ما كنت إليه، كيف يكون حالك؟ هذا، ومنه كل عوض، فكيف بمن لا عوض عنه؟

من كل شيء إذا ضيّعته عوض وما من الله إن ضيّعته عوض^(٤)
وفي أثر إلهي: «ابن آدم خلقتُك لعبادتي فلا تلعبْ، وتكفلت برزقك فلا تتعبْ، ابن آدم اطلبني تجذبني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن

(١) ف: «لابد منه».

(٢) ف: «وهذا».

(٣) س: «مجرد غاية الفوات».

(٤) تقدم في ص (١٧٣).

فُتُّك فاتك كُلُّ شيءٍ . وأنا أحب إليك من كُلِّ شيءٍ^(١) .

فصل

ولما كانت المحبة جنساً تحته أنواع متفاوتة في القدر والوصف، كان أغلب ما يُذكر^(٢) فيها في حق الله تعالى ما يختص به ويليق به من أنواعها، ولا يصلح إلا له وحده، مثل العبادة والإنابة ونحوهما^(٣)؛ فإنَّ العبادة لا تصلح إلا له وحده، وكذلك الإنابة^(٤) .

وقد تذكر المحبة باسمها المطلق، كقوله تعالى: «فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقُوَّمٍ مُّجْبَرِينَ وَيَجْعَلُهُمْ هُنَّا» [المائدة/ ٥٤] وقوله: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ آنَدَادًا مُّجْبَرِينَ كَهُنَّبِ اللَّهِ وَآنَدِينَ مَا مَنَّا أَشَدُ حُبَّاً لِّلَّهِ» [البقرة/ ١٦٥] .

وأعظم أنواع المحبة المذمومة: المحبة مع الله، التي يسوئي المحب فيها بين محبته لله ومحبته للند^(٥) الذي اتخذه من دونه. وأعظم أنواعها المحمودة: محبة الله وحده، ومحبة ما أحب. وهذه المحبة هي أصل السعادة ورأسها، التي لا ينجو أحد من العذاب إلا بها. والمحبة المذمومة الشركية هي أصل الشقاوة ورأسها، التي لا يبقي في العذاب إلا أهلها. فأهل المحبة الذين أحبوا الله، وعبدوه وحده لا شريك له،

(١) وهو أثر إسرائيلي كما نصَّ على ذلك شيخ الإسلام في الفتاوى (٥٢/٨). وذكره المصنف في طريق الهجرتين (٥٢٦، ٩٥) ومدارج السالكين (٤١١، ٣٤٩/٢)، (٤٥٢، ٣٢٤، ٢٩١/٣).

(٢) ف: «نذكره».

(٣) ز: «ونحوها».

(٤) انظر: إغاثة اللهفان (٨٤٠).

(٥) س: «محبة الله ومحبة الند».

لайдخلون النار، ومن دخلها منهم بذنبه فإنه [١٠١/١] لا يبقى^(١) فيها منهم أحد.

ومدار القرآن^(٢) على الأمر بتلك المحبة ولوازمها، والنهي عن المحبة الأخرى^(٣) ولوازمها، وضرب الأمثال والمقاييس للنوعين، وذكر قصص النوعين، وتفصيل أعمال النوعين وأوليائهم ومعبود كلיהם وإخباره عن فعله بالنوعين، وعن حال النوعين^(٤) في الدور الثلاثة: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار. فالقرآن في شأن النوعين.

وأصل دعوة جميع الرسل من أولهم إلى آخرهم إنما هو^(٥) عبادة الله وحده لا شريك له، المتضمنة لكمال حبه، وكمال الخضوع والذل له، والإجلال والتعظيم، ولوازم ذلك من الطاعة والتقوى.

وقد ثبت في الصحيحين^(٦) من حديث أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين».

وفي صحيح البخاري^(٧) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

(١) ف: «دخلها بذنبه لا يبقى».

(٢) انظر: إغاثة اللهفان (٨٤٠).

(٣) ف: «تلك المحبة الأخرى».

(٤) «أوليائهم... النوعين» ساقط من ف، ل.

(٥) ف: «هي».

(٦) أخرجه البخاري في الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (١٥)؛ ومسلم في الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ... (٤٤).

(٧) في الإيمان والندور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ (٦٦٣٢). من حديث عبد الله بن هشام رضي الله عنه.

يا رسول الله، والله^(١) لأنَّ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ: «لَا يَا عُمَرَ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ». فَقَالَ: وَالَّذِي^(٢) بَعْثَكَ بِالْحَقِّ لَأَنَّتِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي. قَالَ: «الآنِ يَا عُمَرَ».

إِنَّمَا كَانَ هَذَا شَأْنًا مُحَبَّةً عَبْدَهُ وَرَسُولِهِ، وَوُجُوبُ تَقْدِيمِهَا عَلَى مُحَبَّةِ نَفْسِ الْإِنْسَانِ وَوَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، فَمَا الظَّنُّ بِمُحَبَّةِ مُرْسَلِهِ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى وَوُجُوبُ تَقْدِيمِهَا عَلَى مُحَبَّةِ مَا سَوَاهُ؟

وَمُحَبَّةُ الرَّبِّ تَعَالَى تَخْتَصُّ عَنْ مُحَبَّةِ غَيْرِهِ فِي قَدْرِهَا وَصَفْتِهَا وَإِفْرَادِهِ سَبَحَانَهُ بِهَا. فَإِنَّ الْوَاجِبَ لِهِ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَحَبَّ إِلَى الْعَبْدِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ، بَلْ مِنْ سَمْعِهِ وَبَصْرِهِ وَنَفْسِهِ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ؛ فَيَكُونُ إِلَهُهُ الْحَقُّ وَمَعْبُودُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ كُلَّهُ.

وَالشَّيْءُ قَدْ يُحَبَّ مِنْ وَجْهِ دُونِ وَجْهٍ^(٣)، وَقَدْ يُحَبَّ لِغَيْرِهِ. وَلَيْسَ شَيْءٌ يُحَبَّ لِذَاتِهِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، وَلَا تَصْلِحُ الْأَلْوَهِيَّةُ إِلَّا لَهُ، وَ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء / ٢٢] وَالتَّالِهُ^(٤) هُوَ الْمُحَبَّةُ، وَالطَّاعَةُ، وَالخُضُوعُ^(٥).

(١) لَمْ يَرِدْ «وَاللَّهُ» فِي ف. وَفِي ل: «وَاللَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ».

(٢) س: «قَالَ: فَوَالَّذِي». ز: «فَقَالَ: فَوَالَّذِي».

(٣) «دُونَ وَجْهٍ» ساقطٌ مِنْ ل.

(٤) ل، ز: «وَالثَّالِثَةُ»، تَصْحِيفٌ طَرِيفٌ.

(٥) انظر: إِغاثَةُ الْلَّهْفَانَ (٨٤٥).

فصل

وكل حركة في العالم العلوي والسفلي فأصلها المحبة، فهي علّتها الفاعلية [١٠١/ب] والغائية^(١).

وذلك لأن الحركات ثلاثة أنواع: حركة اختيارية إرادية، وحركة طبيعية، وحركة قسرية.

والحركة الطبيعية^(٢) أصلها السكون، وإنما يتحرك الجسم إذا خرج عن مستقره ومركزه الطبيعي^(٣)، فهو يتحرك للعود إليه. وخروجه عن مركزه ومستقره إنما هو بتحريك القاسِر المحرّك له. فله حركة قسرية بمحركه^(٤) وقاسره، وحركة طبيعية بذاته يطلب بها العود إلى مركزه. وكلا حركتيه^(٥) تابعة للقاسِر المحرّك، فهو أصل الحركتين.

والحركة اختيارية الإرادية هي^(٦) أصل الحركتين الآخريين، وهي تابعة للإرادة والمحبة، فصارت الحركات الثلاث تابعةً للمحبة والإرادة.

(١) انظر: روضة المحبين (١٤٦)، «الباب الرابع في أنَّ العالم العلوي والسفلي إنما وجد بالمحبة والأجلها، وأنَّ حركات الأفلاك والشمس والقمر والتجمُّعات والملائكة والحيوانات وحركة كل متحرك إنما وجدت بسبب الحب». وانظر: إغاثة اللهفان (٨٢٤، ٨٢٧، ٨٣٧).

(٢) ز: «فالحركة الطبيعية».

(٣) ف: «ال الطبيعي».

(٤) س: «بتحريك محركه». وفي ف: «محركه وقاسره»، خطأ. وكذا في ل دون ضبط.

(٥) الوجه: «كلتا حركتيه»، ولكن كذا في جميع النسخ، وله نظائر في كتب المؤلف.

(٦) «أصل الحركتين... هي» ساقط من ل.

والدليل^(١) على انحصر الحركات في هذه الثلاث أن المتحرك إن كان له شعور بالحركة فهي الإرادية، وإن لم يكن له شعور بها، فاما أن تكون على وفق طبعه أو لا. فال الأولى هي الطبيعية^(٢)، والثانية القسرية.

إذا ثبت هذا، فما في السموات والأرض وما بينهما من حركات الأفلاك والشمس والقمر والنجوم والرياح والسحب والمطر والنبات وحركات الأجنة في بطون أمهاطها، فإنّما هي بواسطة الملائكة المدبرات أمراً والمقسمات أمراً، كما دلّ على ذلك نصوص القرآن والسنة في غير موضع.

والإيمان بذلك من تمام الإيمان بالملائكة، فإن الله وكل بالرحم ملائكة، وبالقطر ملائكة، وبالنبات^(٣) ملائكة، وبالرياح، وبالأفلاك، وبالشمس والقمر والنجوم.

ووكل بكل عبد أربعة من الملائكة: كاتبين على يمينه^(٤) وشماله، وحافظين من بين يديه ومن خلفه. ووكل ملائكة بقبض روحه وتجهيزها إلى مستقرّها من الجنة أو النار^(٥)، وملائكة بمسألته وامتحانه في قبره وعذابه هناك أو نعيمه^(٦)، وملائكة تسوقه إلى المحشر إذا قام من قبره،

(١) انظر: الصفدية (١٧٥).

(٢) ف: «الطبيعية».

(٣) س، ف: «والنبات».

(٤) ف: «ملائكة... عن يمينه».

(٥) ماعدا س: «والنار».

(٦) ف، ل: «ونعيمه». وقد سقط «هناك» من ف.

وملائكةً بتعذيبه في النار أو نعيمه^(١) في الجنة.

ووَكَلَ بالجِبَالِ مَلَائِكَةً، وَبِالسَّحَابِ مَلَائِكَةً تُسَوقُهُ حِيثُ أَمْرَتْ بِهِ،
وَبِالقَطْرِ مَلَائِكَةً تُنَزِّلُهُ بِأَمْرِ اللهِ بِقَدْرِ مَعْلُومٍ كَمَا شاءَ اللهُ. وَوَكَلَ مَلَائِكَةً
بِغَرَسِ الْجَنَّةِ [١٠٢/١] وَعَمَلَ آتَهَا^(٢) وَفَرَشَهَا وَبَنَاهَا^(٣) وَالْقِيَامُ عَلَيْهَا،
وَمَلَائِكَةً يَالنَّارِ كَذَلِكَ.

فأعظم جند الله الملائكة. ولفظ «الملَك» يُشعر بأنه رسول منفذ لأمر غيره وليس^(٤) لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله لله. وهم يدبرون الأمر، ويقسمونه بأمر الله وإذنه.

قال تعالى إخباراً عنهم : ﴿ وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا
خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَكُمْ ذَلِكَ الَّذِي كَانَ رَبُّكَ نَسِيَّا ﴾ [مريم / ٦٤] ، وقال تعالى :
﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُقْعِنُ شَفَاعَتَهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذِنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ
وَمِنْ رَضْحَى ﴾ [النَّجْم / ٢٦].

وأقسم سبحانه بطوائف الملائكة المنفذين لأمره في الخلية، كما قال: «وَالصَّافَتِ صَفَاٰ ۖ فَالْتَّجَرَتْ نَجَّارَاٰ ۖ فَالثَّلِيلَتْ ذَكْرَاٰ ۖ» [الصفات/ ١ - ٣]. وقال: «وَالْمُرْسَلَتْ عَرْفَاٰ ۖ فَالْمَعْصِفَتْ عَصْفَاٰ ۖ وَالنَّشَرَتْ نَشَرَاٰ ۖ فَالْفَرِيقَتْ فَرَقَاٰ ۖ فَالْمُلْقَيَتْ ذَكْرَاٰ ۖ» [المرسلات/ ١ - ٥]. وقال تعالى: «وَالنَّزَعَتْ غَرَقَاٰ ۖ وَالنَّشِطَتْ نَشَطاٰ ۖ وَالسَّبِحَتْ سَبَحَاٰ ۖ فَالسَّيْقَتْ سَبَقاٰ ۖ فَالْمُدَبَّرَاتْ آمِرَاٰ ۖ» [النازعات/ ١ - ٥].

(١) ل: «ينعيمه». ف: «ونعيمه».

(٢) فـ: «عمارتـها»، والظاهر أنه مغيـرـ.

(٣) ز: «وثيابها»، ولعله تصحيف.

(٤) ف، ز: «فلیسر».

وقد ذكرنا معنى ذلك وسر الإقسام به في كتاب «أيمان القرآن»^(١).

وإذا^(٢) عُرف ذلك فجميع تلك المحبّات والحرّكات والإرادات والأفعال هي عبادةٌ منهم لرب الأرض والسماءات، وجميع الحركات الطبيعية^(٣) والقسرية تابعةٌ لها. فلولا الحب ما دارت الأفلاك، ولا تحركت الكواكب النيرات^(٤)، ولا هبّت الرياح المسحّرات، ولا مرت السُّحب الحاملات، ولا تحركت الأجنّة في بطون الأمهات، ولا انصدع عن الحب أنواع النبات، ولا اضطربت أمواج البحار الزاخرات، ولا تحركت^(٥) المدبرات والمقسمات، ولا سبّحت بحمد فاطرها الأرضون والسماءات، وما فيها^(٦) من أنواع المخلوقات. فسبحان من^(٧) تسبّحه السماوات السبع والأرض ومن فيهن، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لِّإِلَٰهٖ إِلَّا يُسَيِّدُ بِمَهْدِهِ وَلَكِنَّ لَّا يَنْفَقُهُنَّ تَسْبِيحُهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء / ٤٤].

فصل

إذا عُرف^(٨) ذلك فكل حيٍّ له إرادة ومحبة وعمل بحسبه، وكل متحرّك فأصل حركته^(٩) : المحبة والإرادة. ولا صلاح للموجودات إلا

(١) وهو المطبوع بعنوان «التبیان فی أقسام القرآن». انظر ص (٨٣، ٨٩، ٢٥٨).

(٢) ف: «وإذا».

(٣) ف: «الطبيعية».

(٤) «النيرات» ساقط من س.

(٥) «الأجنّة... تحركت» ساقط من س.

(٦) ف، ز: «فيهما».

(٧) «من» ساقط من س.

(٨) س: «عرفت». ل: «وإذا عرف».

(٩) س: «حركاته».

بأن تكون حركاتها^(١) ومحبتها لفاظها وبائرها وحده، كما لا وجود لها إلا بابداعه^(٢) وحده.

ولهذا قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء / ٢٢]، ولم يقل سبحانه: لَمَا وُجِدْتَا وَلَكَانَا مَعْدُومَتَيْنِ، ولا قال^(٣): لَعِدْمَتَا، إذ هو سبحانه قادر على أن يُقيهما على وجه الفساد؛ لكن لا يمكن أن يكونا على وجه الصلاح والاستقامة، إلا بأن يكون الله وحده هو^(٤) معبدهما ومعبد ما حوتاه وسكن فيهما. فلو كان للعالم إلهان لفسد نظامه غاية الفساد، فإن كل إله كان يتطلب مغالبة الآخر، والعلو عليه، وتفرّد دونه بالإلهية؛ إذ الشرك نقص ينافي كمال الإلهية، والإله لا يرضى لنفسه أن يكون إلهًا ناقصاً. فإن قهر أحدهما الآخر كان هو الإله وحده، والمقهور ليس بإله. وإن لم يقهر أحدهما الآخر لزم عجز كل منهما ونقضه، ولم يكن تام الإلهية، فيجب أن يكون فوقهما إله قاهر لهما، حاكم عليهما؛ وإلا ذهب كل منهما بما خلق، وطلب كل منهما العلو على الآخر. وفي ذلك فساد أمر^(٥) السماوات والأرض ومن فيهما^(٦)، كما هو المعهود من فساد البلد إذا كان فيه ملكان متكافئان^(٧)، وفساد الزوجة إذا كان لها

(١) س: «حركته»، ولعله مغيرة.

(٢) ف: «بداعته»، تحريف.

(٣) «قال» لم يرد في ف.

(٤) ل: «وهو». ز: «وحده ومعبدهما».

(٥) ز: «فساد أهل».

(٦) ل: «فيهن».

(٧) ما بعده إلى «فحلان» لم يرد في س.

بعلان، والشَّوْل^(١) إذا كان فيه^(٢) فحلان.

وأصل فساد العالم إنما هو من اختلاف الملوك والخلفاء. ولهذا لم يطمع أعداء الإسلام فيه في زمن من الأزمنة إلا في زمن تعدد ملوك المسلمين واختلافهم وانفراد كل^(٣) منهم ببلاد، وطلب بعضهم العلو على بعض.

فصلاح السماوات والأرض^(٤) واستقامتها وانتظام أمر المخلوقات على أتم نظام من أظهر الأدلة على أنه لا إله إلا الله^(٥) وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قادر؛ وأن كل معبد من لدن عرشه^(٦) إلى قرار أرضه باطل إلا وجهه الأعلى.

قال تعالى: ﴿مَا أَنْخَذَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٌ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ عَدِيلٌ الْغَيْبِ وَالْشَّهَدَةُ فَتَعْلَمَ عَمَّا يُشَرِّكُونَ ﴿١٩﴾ [المؤمنون / ٩١ - ٩٢]^(٧).

وقال تعالى: ﴿أَمْ أَنْخَذُوا إِلَهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنَشِّرُونَ﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا

(١) الشَّوْلُ: الثُّوق التي خفت لبنيها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية، الواحدة شائلة. وأما الشائل بلا هاء فهي الناقة التي تشول بذنبها للتقاح ولا لبن لها أصلاً، والجمع شُوَّلٌ. انظر: الصاحح (شول).

(٢) كذا ورد في النسخ وطبعات الكتاب، وكلمة «الشَّوْل» مؤنثة وكذا «الشُّوَّل».

(٣) لـ: (كل واحد).

(٤) «والأرض» ساقط من ز.

(٥) فـ: «إلا هو».

(٦) فـ: «من عرشه».

(٧) وانظر الصواعق المرسلة (٤٦٣).

إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَنَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ [١٠٣] رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يَسْتَلِعُ عَمَّا يَفْعُلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ ﴿٢٣﴾ [الأنبياء / ٢١ - ٢٣].

وقال تعالى: «قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ إِلَهٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَأْتَنَاهُمْ إِلَيْنَا ذِي الْعَرْشِ سَيَلِّا» ﴿٤٢﴾ [الإسراء / ٤٢].

فقيق: المعنى: لا يتبعوا السبيل إلينه بالمعالي والقهر، كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض . ويدل عليه قوله في الآية الأخرى: «وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ» [المؤمنون / ٩١].

قال شيخنا^(١): وال الصحيح أن المعنى: لا يتبعوا إليه سبيلاً بالتقرب إليه وطاعته ، فكيف تعبدونهم من دونه ، وهم لو كانوا آلهة كما تقولون لكانوا عبیداً له؟

قال: ويدل على هذا وجوه:

منها: قوله تعالى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَتَّغَوُنُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةُ أُمُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ» [الإسراء / ٥٧]. أي هؤلاء الذين تعبدوهم من دوني هم^(٢) عبادي ، كما أنتم عبادي^(٣) ، يرجون رحمتي ، ويخافون عذابي ، فلماذا تعبدوهم دوني؟^(٤)

الثاني: أنه سبحانه لم يقل: لا يتبعوا عليه سبيلاً ، بل قال: لا يتبعوا

(١) يعني شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله . وانظر: مجموع الفتاوى (٦ / ٥٧٧)، ودرء التعارض (٩ / ٣٥٠)، ورسالة في قنوت الأشياء (٢٣).

(٢) «هم» من ف ، ز .

(٣) «كما أنتم عبادي» ساقط من س .

(٤) ف ، ل: «من دوني». وانظر: الصواعق (٤٦٣).

إِلَيْهِ سَبِيلًا. وهذا اللفظ إنما يستعمل في التقرب، كقوله تعالى: ﴿أَتَقُوا
اللَّهَ وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة/ ٣٥]. وأما في المغالبة فإنما يستعمل
بعلى قوله: ﴿فَإِنْ أَطْعَنَكُمْ فَلَا يَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء/ ٣٤].

الثالث: أنهم لم يقولوا: إن آلهتهم تغالبه وتطلب العلو عليه، وهو
سبحانه قد قال: ﴿قُلْ لَّوْ كَانَ مَعَهُ إِلَهٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ [الإسراء/ ٤٢]، وهم إنما
كانوا يقولون: إن آلهتهم تتبعي التقرب إليه، وتقرّبهم زلفي إليه، فقال:
لو كان الأمر كما تقولون ل كانت تلك الآلة بعيداً له، فلماذا تبعدون
عيده من دونه؟

فصل

والمحبة لها آثار وتوابع ولوازم وأحكام، سواء كانت محمودة أو
مذمومة، نافعة أو ضارة، من الذوق، والوجود^(١)، والحلوة، والشوق،
والأنس، والاتصال بالمحبوب والقرب منه، والانفصال عنه والبعد منه،
والصدّ والهجران، والفرح والسرور، والبكاء والحزن، وغير ذلك من
أحكامها ولوازمها.

والمحبة المحمودة هي المحبة النافعة التي تجلب لصاحبها ما ينفعه
في دنياه وآخرته، وهذه المحبة هي عنوان سعادته [١٠٣/ ب] والضارة هي
التي تجلب لصاحبها ما يضرّه في دنياه وآخرته، وهي عنوان شقاوته^(٢).

ومعلوم أنّ الحي العاقل لا يختار محبة ما يضرّه ويُشقّيه، وإنما
يصدر ذلك عن جهلٍ وظلمٍ، فإنّ النفس قد تهوى ما يضرّها ولا ينفعها

(١) فـ: «الوجود والذوق».

(٢) «والضارة... شقاوته» ساقط من فـ. وانظر إغاثة اللهفان (٨٤٦).

- وذلك ظلم من الإنسان^(١) لنفسه - إما بأن تكون^(٢) جاهلةً بحال محبوبها بأن تهوى الشيء وتحبّه غير عالمٍ بما في محبته من المضرة، وهذا حال من اتبع هواه بغير علم؛ وإما عالمةً بما في محبته من المضرة، لكن تؤثر هواها على علمها؛ وقد ترتكب^(٣) محبتها من أمرتين: اعتقاد فاسد، وهو مذموم. وهذا حال من اتبع الظنّ وما تهوى الأنفس.

فلا تقع المحبة الفاسدة إلا من جهل واعتقاد فاسد، أو هوئ غالب، أو ما ترتكب من ذلك، وأعان بعضه ببعضًا، فتتفق شبهة يشتبه^(٤) بها الحق بالباطل تزيّن^(٥) له أمر المحبوب، وشهوة تدعوه إلى حصوله. فيتساعد جيش الشبهة والشهوة على جيش العقل والإيمان، والغلبة لأقواهم.

وإذا عرف هذا، فتوابع كلّ نوع من أنواع المحبة^(٦) له حكم متبعه^(٧). فالمحبة النافعة المحمودة التي هي عنوان سعادة العبد، توابعها كلُّها نافعة له، حكمها حكم متبعها. فإنْ بكى نفعه، وإنْ حزن نفعه، وإنْ فرح نفعه، وإنْ انقبض نفعه^(٨)، وإنْ انبسط نفعه. فهو يتقلب

(١) ف: «من ظلم الإنسان».

(٢) ل: «إما تكون».

(٣) ف: «تركيب».

(٤) ف: «شبهة شبهية». ز: «شبهة شبهة». وقبلها في ف، ل: «فيتفق»، وفي ز: «فيتفق»، تصحيف.

(٥) ف: «يزين»، تصحيف.

(٦) «من أنواع» ساقط من ل.

(٧) كذا في جميع النسخ الخطية والمطبوعة. ووجه الكلام: «فتوابع كلّ نوع... لها حكم متبعها».

(٨) «وإنْ انقبض نفعه» ساقط من ل.

في منازل المحبة وأحكامها في مزيد وربح وقوّة.

والمحبة الضارة المذمومة، توابعُها وآثارها كلّها ضارة لصاحبها، مُبعدة له من ربّه، كيما تقلب في آثارها ونزل في منازلها فهو في خسارة وبعد.

وهذا شأن كلّ فعل تولّد عن طاعة ومعصية. فكلّ ما تولّد عن الطاعة فهو زيادة^(١) لصاحبها وقربة^(٢)، وكلّ ما تولّد عن المعصية فهو خسران لصاحبها وبعد. قال تعالى: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَلَماً وَلَا نَصَبُّ وَلَا حَمَصَةً فِي سَيِّلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِنًا يَغْيِظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَذَّابٍ نَّيَّلًا [١٠٤] إِلَّا كُتُبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ١٢١ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًّا إِلَّا كُتُبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [التوبه/ ١٢١ - ١٢٠].

فأخبر سبحانه في الآية الأولى^(٣) أنّ المتولّد عن طاعتهم وأفعالهم^(٤) يُكتب لهم به عمل صالح. وأخبر في الثانية^(٥) أنّ أعمالهم الصالحة التي باشرواها تكتب لهم أنفسها. والفرق بينهما أنّ الأول ليس من فعلهم، وإنّما تولد عنه فكُتب لهم به عمل صالح^(٦). والثاني نفس أفعالهم فكتبت^(٧) لهم.

(١) ف: «في زيادة»، خطأ.

(٢) ف: «قرب».

(٣) ف: «في الأولى».

(٤) ز: «وانفصلهم».

(٥) س: «في الآية الثانية».

(٦) «وأخبر في الثانية... صالح» ساقط من ف.

(٧) ف: «فتكتب».

فليتأمل قتيل المحبة هذا الفصل حق التأمل ليعلم ما له وما عليه:
سيعلم يوم العرض أي بضاعة أضاعَ عند الوزن ما كان حَصْلاً^(١)

فصل

وكما أن المحبة^(٢) والإرادة أصل كل فعل كما تقدم، فهي أصل كل دين سواء كان حَقّاً أو باطلًا. فإن الدين هو من الأعمال الباطنة والظاهرة، والمحبة والإرادة أصل ذلك كله.

والدين هو الطاعة والعادة^(٣) والخلق. فهو الطاعة اللازمية الدائمة التي صارت خلُقاً وعادةً. ولهذا فسر الخلق بالدين في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم / ٤].

قال الإمام أحمد: عن ابن عيينة، قال ابن عباس: لعلى دين عظيم^(٤).

وسئلَت عائشة عن خُلُقِ رسول الله ﷺ، فقالت: كان خلقَه القرآن^(٥).

والدين فيه معنى الإذلال والقهر، وفيه معنى الذل والخضوع

(١) أنسد المؤلف في إغاثة اللهفان (٤٢٨ - ٤٢٩) مقطوعة بائية في أحد عشر بيتاً لعلها له، ومنها هذا البيت، إلا أن فيه هناك: «وَعِنْ الْوَزْنِ مَا خَفَّ أَوْرَبَّا».

(٢) س: «وكمال المحبة»، تحرير.

(٣) ماعدا ز: «العبادة»، تصحيف.

(٤) أخرجه الطبراني (٢٩/١٨) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فذكره، وسنده حسن. ورواه عطاء عن ابن عباس، ذكره الواحدي في الوسيط (٤/٣٣٤).

(٥) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل (٧٤٦).

والطاعة. فلذلك يكون من الأعلى إلى الأسفل، كما يقال: دِنْتُه فدانَ، أي قهرته فذلٌّ. قال الشاعر:

هو دانَ الربَّابَ إِذْ كرھوا الـ دِنْ فَأَضْحَوْا بَعْزَةَ وَصِيَالٍ^(١)
ويكون من الأدنى للأعلى، كما يقال: دِنْتُ اللَّهَ، وَدِنْتُ لِلَّهِ، وَفَلَانَ
لَا يَدِينَ اللَّهَ دِيَنَا، وَلَا يَدِينَ اللَّهَ بَدِينٍ. فدانَ اللَّهَ أَيِّ: أطاعَ اللَّهَ وَأَحَبَّهُ
وَخَافَهُ. وَدانَ لِلَّهِ أَيِّ: خَشِعَ لَهُ وَخَضَعَ وَذَلَّ وَانْقَادَ.

والدين^(٢) الباطن لا بدَّ فيه من الحبُّ والخضوع كالعبادة سواءً،
بخلاف الدين الظاهر^(٣) فإنه لا يستلزم الحبُّ، وإن كان فيه انقيادٍ وذلٌّ
في الظاهر.

وسُمِّيَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ «يَوْمَ الدِّينِ» لِأَنَّهُ الْيَوْمُ الَّذِي يَدِينُ فِيهِ
النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا [١٠٤/ب] فَشَرٌ^(٤). وَذَلِكَ
يَتَضَمَّنُ جَزَاءَهُمْ وَحِسَابَهُمْ، فَلَذُلُكَ فُسْرَرَ يَوْمُ الْجَزَاءِ وَيَوْمُ الْحِسَابِ.

وقال تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ عَيْرَ مَدِينِينَ ﴾[٨٦-٨٧] أَيِّ: هَلَّا تَرَدَّونَ الرُّوحَ إِلَى مَكَانَهَا، إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَرْبُوبِينَ وَلَا
مَقْهُورِينَ^(٥) وَلَا مَجْزِيَّينَ.

(١) للأعشى في ديوانه (٦٦). وفيه بعد «الدين»: «درَاكَا بِغَزوَةِ وَصِيَالٍ».

(٢) ف: «فالدين».

(٣) ف: «بخلاف الظاهر».

(٤) ل: «فَخَيْرًا وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌ» . وقد سقط «فسر» من س.

(٥) أَكْمَلَ الآيَةَ (٨٧) فِي ف.

(٦) ف: «غَيْرَ مَدِينِينَ مَقْهُورِينَ».

وهذه الآية تحتاج إلى تفسير^(١). فإنّها سبقت للاحتجاج عليهم في إنكارهم البعث والحساب، ولا بدّ أن يكون الدليل مستلزمًا لمدلوله، بحيث يتنتقل الذهن منه إلى المدلول، لما بينهما من التلازم؛ فكلّ ملزوم دليل على لازمه، ولا يجب العكس.

ووجه الاستدلال أنّهم إذا أنكروا البعث والجزاء فقد كفروا بربّهم، وأنكروا^(٢) قدرته وربوبيته وحكمته. فإنّما أن يُقرّوا بأنّ لهم ربّا قاهرًا لهم، متصرّفًا فيهم كما يشاء، يميّتهم إذا شاء، ويحييهم إذا شاء، ويأمرهم وينهاهم، ويثبّت محسنهم ويعاقب مسيئهم؛ وإنّما أن لا يُقرّوا بربّ هذا شأنه. فإنّ أقرّوا به آمنوا بالبعث والنشور والدين الأمري والجزائي. وإنّ أنكروه وكفروا به فقد زعموا أنّهم غير مربوبين ولا محكوم عليهم، ولا لهم ربٌّ يتصرّف فيهم كما أراد؛ فهلاّ يقدرون على دفع الموت عنهم إذا جاءهم، وعلى ردّ الروح إلى مستقرّها إذا بلغت الحلقوم؟

وهذا خطاب للحاضرين^(٣) عند المحتضر، وهم يعاينون موته. أي: فهلاّ تردون روحه إلى مكانها إن كان لكم قدرة وتصريف، ولستم مربوبين ولا مقهورين لقاهر قادر يُمضي عليكم أحکامه، وينفذ فيكم أوامرها؟

وهذا غاية التعجيز لهم إذ تبيّن عجزُهم عن ردّ نفس واحدة من مكان

(١) س: «وفي فهم هذه الآية»، وكلمة «الآية» ساقطة من لـ. وفي فـ: «تفسيرها». وانظر التبيان في أقسام القرآن (١٥٠).

(٢) «البعث... وأنكروا» ساقط من لـ.

(٣) فـ: «الحاضرین».

إلى مكان، ولو اجتمع على ذلك الثقلان!

فيالها من آية دالة على ربوبيته سبحانه، ووحدانيته، وتصرّفه في عباده، ونفوذ أحكامه فيهم وجرأياتها عليهم!

والدين دينان: دين شرعي أمري، ودين حسابي جزائي. وكلاهما لله وحده، فالدين كله لله أمراً أو جزاءً. والمحبة أصل كل واحد من الدينين.

فإن ما شرعه سبحانه وأمر به يحبه ويرضاه، وما نهى عنه فإنه يكرهه ويبغضه لمنافاته لما [١/١٠٥] يحبه ويرضاه، فهو يحب ضده. فعاد دينه الأمري كله^(١) إلى محبته ورضاه. ودين العبد لله^(٢) به إنما يُقبل إذا كان عن محبة ورضى^(٣)، كما قال النبي ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربّا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولًا»^(٤). فهذا الدين قائم بالمحبة، وبسببها شرع^(٥)، ولأجلها شرع، وعليها أسس.

وكذلك دينه الجزائي، فإنه يتضمن مجازاة المحسن بمحاسنه والمسيء بإساءته، وكلّ من الأمرين محبوب للربّ، فإنّهما عدله وفضله، وكلاهما من صفات كماله. وهو سبحانه يحب أسماءه وصفاته، ويحبّ من يحبّها.

(١) «كله» ساقط من ف.

(٢) «الله» لم يرد في ل.

(٣) س: «محبته ورضاه».

(٤) من حديث العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه. أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (٣٤).

(٥) «ولأجلها شرع» ساقط من س.

وكلّ واحد من الدينين فهو صراطه المستقيم الذي هو عليه سبحانه، فهو على صراط مستقيم في أمره ونهيه وثوابه وعقابه، كما قال تعالى إخباراً عن نبيه هود أنه قال لقومه: ﴿إِنَّ أَشْهُدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا شَرِكُونَ﴾ ﴿مِنْ دُونِهِ، فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ﴾ ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَآبَةٍ إِلَّا هُوَ أَخْذُ بِنَا صَيْنَهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صَرْطِ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود/ ٥٤ - ٥٦].

ولما علم النبي الله أنّ ربّه على صراط مستقيم في خلقه وأمره، وثوابه وعقابه، وقضائه وقدره، ومنعه وعطائه، وعافيته وبلاهه، وتوفيقه وخذلانه، لا يخرج^(١) في ذلك عن موجب كماله المقدس الذي تقتضيه أسماؤه وصفاته من العدل، والحكمة، والرحمة والإحسان والفضل، ووضع الثواب في موضعه، والعقوبة في موضعها اللائق بها، ووضع التوفيق والخذلان والعطاء والمنع والهداية والإضلal كلّ ذلك في أماكنه ومحاله اللاقعة به، بحيث يستحق على ذلك كمال الحمد والثناء = أوجب له ذلك العلم والعرفان أن^(٢) نادى على رؤوس الملائكة قومه بجنان ثابت وقلب غير خائف بل متجرد لله: ﴿إِنَّ أَشْهُدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا شَرِكُونَ﴾ ﴿مِنْ دُونِهِ، فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ﴾ ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾^(٣).

ثم^(٤) أخبر عن عموم قدرته وقهره لكلّ ما سواه، وذلّ كلّ شيء لعظمته، فقال: ﴿مَا مِنْ دَآبَةٍ إِلَّا هُوَ أَخْذُ بِنَا صَيْنَهَا﴾ فكيف أخاف ما ناصيته

(١) ز: «لا مخرج»، تصحيف.

(٢) ف: «إذ».

(٣) «ولما علم النبي الله...» إلى هنا ساقط من ل.

(٤) «ثم» ساقطة من س.

بيد غيره، وهو في قبضته وتحت قهره وسلطانه^(١) دونه، وهل هذا إلا من^(٢) أجهل الجهل وأقبح الظلم !

ثم أخبر أنه سبحانه^(٣) على صراط مستقيم، في كل [١٠٥/ب] ما^(٤) يقضيه ويقدرها، فلا يخاف العبد جوره ولا ظلمه، فلا أخاف ما دونه فإن ناصيتي بيده، ولا أخاف جوره ولا ظلمه فإنه على صراط مستقيم. فهو سبحانه ماضٍ في عبده حكمه، عدلٌ فيه قضاؤه، له الملك وله الحمد. لا يخرج تصرفه في عباده عن العدل والفضل^(٥): إن أعطى وأكرم وهدَى ووفقَ، فبفضله ورحمته. وإن منع وأهان^(٦) وأضلَّ وخذلَ وأشقيَ، ببعده وحكمته. وهو على صراط مستقيم في هذا وهذا^(٧).

وفي الحديث الصحيح: «ما أصاب عبداً قطُّ^(٨) همٌ ولا حَزْنٌ، فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك؛ ناصيتي بيتك، ماضٌ في حكمك، عدلٌ في قضاؤك؛ أسألك بكل اسم هو لك، سميَت به نفسك، أو أنزلتَه في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم^(٩) ربيع قلبي، ونور صدري،

(١) س: «وهو في قهره وقبضته وتحت قهر سلطانه دونه».

(٢) ز: «ومثل هذا الأمر»، ولعله تحريف.

(٣) س، ل: «ثم إنه سبحانه أخبر أنه».

(٤) ف: «فيما».

(٥) «والفضل» ساقط من س.

(٦) «وأهان» ساقط من ف.

(٧) «وهذا» ساقط من ل. وفي س: «وفي هذا».

(٨) «قط» ساقط من ف.

(٩) «العظيم» من ل.

وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي = إلا أذهب الله همه وغمّه، وأبدل له مكانه فرحاً^(١)^(٢).

وهذا يتناول حكم الرب الكوني والأمري وقضاءه الذي يكون باختيار العبد وغير اختياره، فكلا الحكمين^(٣) ماضٍ في عبده، وكلا القضائين عدلٌ فيه. فهذا الحديث مشتق من هذه الآية، بينهما أقرب نسب^(٤).

فصل

ونختم^(٥) الجواب بفصل يتعلّق بعشق الصور، وما فيه من المفاسد العاجلة والأجلة، وإن كانت أضعاف ما يذكره ذاكر، فإنه يفسد القلب بالذات. وإذا فسد فسدة الإرادات والأقوال والأعمال، وفسد نفس التوحيد^(٦) كما تقدّم، وكما سنقرره أيضاً إن شاء الله.

والله سبحانه إنّما حكى هذا المرض عن طائفتين من الناس، وهما اللوطية والنساء. فأخبر عن عشق امرأة العزيز ليوسف وما راودته وكادتْ به، وأخبر عن الحال التي صار إليها يوسف بصبره وعفّته وتقواه، مع أنَّ الذي ابتلي به أمرٌ لا يصبر عليه إلا من صبره الله عليه. فإنَّ موافقة الفعل بحسب قوة الداعي وزوال المانع، وكان الداعي هاهنا في غاية القوة،

(١) س: «فرجا».

(٢) تقدم تخرّيجه في ص (٢٢/٢٣).

(٣) س، ل: «وكلا الحكمين».

(٤) وانظر: زاد المعاد (٤/٢٠٦)، والفوائد (٢١).

(٥) س: «ويختتم».

(٦) ف: «نُفِّرَ التَّوْحِيدَ».

وذلك من وجوه^(١) :

أحدها: ما رَكَبَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي طَبَعِ الرَّجُلِ مِنْ مِيلَهِ إِلَى الْمَرْأَةِ كَمَا يَمْيِلُ الْعَطْشَانُ إِلَى الْمَاءِ^(٢) وَالْجَائِعُ إِلَى الطَّعَامِ، حَتَّى إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَصْبِرُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَلَا يَصْبِرُ عَنِ النِّسَاءِ. وَهَذَا لَا يُنْدِمُ إِذَا صَادَفَ حِلَّاً بَلْ يَحْمِدُ، كَمَا فِي كِتَابِ الزَّهْدِ لِإِلَمَامِ أَحْمَدَ^(٣) مِنْ حَدِيثِ

(١) ف: «الوجوه». وكذا في ل، ولكن تحتها: «من». وقد ذكر المصنف جملة من الوجوه المذكورة هنا في مدارج السالكين (١٥٦/٢)، وطريق الهجرتين (٤٩٦)، وروضة المحبين (٤٤٩). وصرّح في المدارج أنها مما سمعه من شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. وانظر مجموع الفتاوى (١٣٨/١٥).

(٢) ف: «الماء البارد».

(٣) ليس في المطبوع. وقد أحال عليه المناوي في الفتح السماوي (٣٧٧/١) فقال: «وقد رواه عبد الله بن أحمد في زيادات الزهد عن أبيه من طريق يوسف بن عطية عن ثابت موصولاً أيضاً». وقبله الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الكشاف (١٩٦/١) من طريق أبي معمر. وأخرجه ابن حبان في المجرورين (١٣٥/٣) من طريق قتيبة بن سعيد كلامهما عن يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس، قال قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا جَعَلَ قَرْةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ. وَحَبَّبَ إِلَيَّ الطَّيِّبَ كَمَا حَبَّبَ إِلَى الْجَائِعِ الطَّعَامَ، وَإِلَى الظَّمَآنِ الْمَاءَ. وَالْجَائِعُ يَشْبَعُ وَالظَّمَآنُ يَرْوِيُ، وَأَنَا لَا أَشْبَعُ مِنَ الصَّلَاةِ. وَكَانَ إِذَا دَخَلَ الْبَيْتَ يَكُونُ فِي الصَّلَاةِ أَوْ فِي مَهْنَةِ أَهْلِهِ» لفظ ابن حبان. والحديث لا يصح، وعلته يوسف بن عطية هذا، فإنه متروك الحديث.

تبليه على جملة (أصبر عن الطعام والشراب ولا أصبر عنهن): تعقب السيوطى الزركشى في إيراده هذه الجملة، بأنه مر على الزهد لأحمد مراراً فلم يجد لها. والذى فيه: «... قرة عيني في الصلاة، وحبب إلي النساء والطيب، والجائع يشبع، والظمآن يروى، وأنا لا أشبع من النساء». فعله أراد هذا الطريق. انظر فيض القدير (٣٧/٣).

يوسف بن عطية الصفار، عن ثابت^(١) عن أنس، عن النبي ﷺ: «حُبِّ إِلَيْيَ من دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ وَالْطَّيْبُ، أَصْبَرَ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَلَا أَصْبَرَ عَنْهُنَّ».

الثاني: أن يوسف عليه السلام كان شاباً، وشهوة الشباب وحدته أقوى.

الثالث: أنه كان عَزَّبَا ليس له زوجة ولا سُرِّيَّة تكسر شدة الشهوة^(٢).

الرابع: أنه كان في بلاد غُربَةٍ يتَّأْتَى للغريب فيها من قضاء الوطر مالا يتَّأْتَى له في وطنه بين أهله ومعارفه.

الخامس: أن المرأة كانت ذات منصب وجمال بحيث إن كل واحد من هذين الأمرين يدعو إلى مواقعتها^(٣).

السادس: أنها غير ممتنعة ولا آبية، فإن^(٤) كثيراً من الناس يزيل رغبته في المرأة إياها وامتناعها، لما يجد في نفسه من ذلّ الخضوع والسؤال لها. وكثير من الناس يزيده الإباء والامتناع إرادةً وحبّاً، كما قال الشاعر:

وزادني كلفاً في الحبِّ أَنْ مَنَعْتُ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الإِنْسَانِ مَا مُنِعَ^(٥)

(١) ف: «ثابت البناوي».

(٢) ف، ل: «سورة الشهوة». ز: «ثورة الشهوة».

(٣) ل: «موافقتها».

(٤) «فإن» ساقط من ل.

(٥) البيت للأحوص في شعره المجموع (١٩٥). وقد أورده المؤلف في روضة المحبين (١٨٠) أيضاً.

طبع الناس مختلفة في ذلك، فمنهم من يتضاعف حبه عند بذل المرأة ورغبتها، ويضمحل عند إبائتها وامتناعها.

وأخبرني بعض القضاة أن إرادته وشهوته تضمحل^(١) عند امتناع امرأته أو سريرته^(٢) وإبائتها بحيث لا يعاودها. ومنهم من يتضاعف حبه وإرادته بالمنع، وتشتت شهوته^(٣) كلما مُنع، ويحصل له من اللذة بالظفر نظير ما يحصل^(٤) من لذة بالظفر بالصيد^(٥) بعد امتناعه ونفاره، واللذة بإدراك المسألة بعد استعصائها^(٦) وشدة الحرث على إدراكها.

السابع: أنها طلبت وأرادت وراودت^(٧) وبذلت الجهد، ففكّته مؤنة الطلب وذلل الرغبة إليها، بل كانت هي الراغبة الذليلة، وهو العزيز المرغوب إليه.

الثامن: [١٠٦/ب] أنه في دارها وتحت سلطانها وقهرها بحيث^(٨) يخشى إن لم يطاوعها من أذاها له؛ فاجتمع داعي الرغبة والرهبة.

التاسع: أنه لا يخشى أن تُنْمَ عليه هي ولا أحد من جهتها، فإنها هي^(٩) الطالبة والراغبة، وقد غلقت الأبواب، وغيّبت الرقاء.

(١) «عند إبائتها... تضمحل» ساقط من ف.

(٢) س: «وسريرته».

(٣) ز: «ويشتند شوقه». ل: «فيشتند شوقه».

(٤) «له... يحصل» ساقط من ل.

(٥) ماعدا ف: «الضد»، ولعله تصحيف.

(٦) س: «استصعبها»، وأشار إلى هذه النسخة في حاشية ف.

(٧) «وراودت» ساقط من ل.

(٨) ف: «بحيث إنه».

(٩) «التاسع... هي» ساقط من ف. وكلمة «الراغبة» الآتية أيضاً سقطت منها.

العاشر: أَنَّهُ كَانَ فِي الظَّاهِرِ مَمْلُوكًا لَهَا فِي الدَّارِ بِحِيثِ يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَيَحْضُرُ مَعْهَا وَلَا يَنْكُرُ عَلَيْهِ، فَكَانَ^(١) الْأَنْسُ سَابِقًا عَلَى الْطَّلْبِ، وَهُوَ مِنْ أَقْوَى الدَّوَاعِي؛ كَمَا قِيلَ لِامْرَأَةٍ شَرِيفَةٍ مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ^(٢): مَا حَمَلَكَ عَلَى الزَّنْنِ؟ قَالَتْ: «قُرْبُ الْوِسَادِ، وَطُولُ السَّوَادِ»^(٣). تَعْنِي قُرْبُ وَسَادِ الرَّجُلِ مِنْ وَسَادِي^(٤)، وَطُولُ السَّوَادِ بَيْنَا.

الحادي عشر: أَنَّهَا اسْتَعَنَتْ عَلَيْهِ بِأَئِمَّةِ الْمَكْرِ وَالْاحْتِيَالِ، فَأَرْتَهُ إِيَاهُنَّ، وَشَكَتْ حَالَهَا إِلَيْهِنَّ، لِتَسْتَعِينَ بِهِنَّ عَلَيْهِ؛ فَاسْتَعَنَ هُوَ بِاللهِ عَلَيْهِنَّ، فَقَالَ: «وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ»^(٥) [يوسف/٣٣].

الثاني عشر: أَنَّهَا تَوَاعَدَتْهُ^(٦) بِالسُّجْنِ وَالصَّغَارِ. وَهَذَا نَوْعٌ إِكْرَاهٌ، إِذْ هُوَ^(٧) تَهْدِيدٌ مِنْ يَغْلِبُ^(٨) عَلَى الظَّنِّ وَقَوْعُ مَا هُدِدَ بِهِ؛ فَيَجْتَمِعُ دَاعِيُّ^(٩) الشَّهْوَةِ وَدَاعِيُّ السَّلَامَةِ مِنْ ضِيقِ السُّجْنِ وَالصَّغَارِ.

(١) ف، ل: «وَكَانَ».

(٢) هي هند بنت **الخنساء الإيادية**، امرأة جاهلية ذات دماء وفصاحة ولسان. انظر: غريب أبي عبيد (١٦٦/١١٦٦) والبيان للجاحظ (١١٢٣، ٣٢٤).

(٣) السواد: المسارة والمناجاة.

(٤) ل: «وَسَادَةُ الرَّجُلِ مِنْ وَسَادِتِي».

(٥) كذا في جميع النسخ. وكذا ورد «تَوَاعَدَهُ» بمعنى توَعَّدَهُ في طريق الهجرتين (٦٣٠) في مسودة المصنف وغيرها. وفي النسخ المطبوعة: «تَوَعَّدَتْهُ»، ولعله من تصرّف الناشرين.

(٦) س: «وَهُوَ».

(٧) ف، ل: «مَنْ يَغْلِبُ». وفي ز: «مَنْ تَغْلِبُ»، وكذلك ضبط فيها: «هُدِدَ» بالبناء للمجهول.

(٨) ف: «فَجَجَتَمَعَ بِهِ».

الثالث عشر: أن الزوج لم يظهر منه من الغيرة والنخوة ما يفرق به بينهما، ويبعد كلاًّ منهما عن صاحبه، بل كان غاية ما قبلهما به أن قال يوسف: «أَغْرِضُ عَنْ هَذَا»^(١). وللمرأة: «وَاسْتَغْفِرِي لِذَنِبِكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْمُخَاطِعِينَ»^(٢) [يوسف/ ٢٩] وشدة الغيرة في الرجل من أقوى الموابع، وهذا لم يظهر منه غيره.

ومع هذه الدواعي كلها، فآثار مرضاة الله وخوفه، وحمله حبه لله على أن اختار السجن^(٣) على الزنى، فقال: «رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ» [يوسف/ ٣٣]، وعلم أنه لا يطيق صرف ذلك عن نفسه، وأن ربَّه تعالى إن لم يعصمه ويصرفه^(٤) عنه صبا إليهن بطبعه، وكان من الجاهلين. وهذا من كمال معرفته بربه وبنفسه.

وفي هذه القصة من العبر والفوائد والحكم ما يزيد على ألف فائدة^(٥)، لعلنا إن وفق^(٦) الله [١٠٧/ ١] أن نفرد لها في مصنف مستقل^(٧).

فصل

والطائفة الثانية الذين حكى^(٨) عنهم العشق هم^(٩) اللوطية، كما قال تعالى: «وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبِّرُونَ»^(١٠) قالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا نَفْضَحُونَ»^(١١)

(١) ف: «وحمله حشية الله على اختيار السجن».

(٢) يعني: كيدهن. وفي ف: «ويصرف».

(٣) وقال نحوه في شفاء العليل (٢٢٤).

(٤) ل: «وفقنا».

(٥) لم نجد إشارة إليه في موضع آخر، ولا ندرى أتمكن من تأليفه أم لا.

(٦) ل: «حكى الله».

(٧) في س: «في» مكان «هم»، تحريف.

وَأَنْقُوا أَلَّهَ وَلَا تُخْرِزُونَ ﴿٧٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَهَكُ عَنِ الْعِلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَذُولَاءَ بَنَاقَ إِنْ كُثُرْ فَنَعِيلَنَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنْهُمْ لِفِي سَكْرِيْم يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ [الحجر / ٦٧ - ٧٢]، فهذه عشقت.

فحكاها^(١) سبحانه عن طائفتين عشق كلّ منها ما حرم عليه من الصور، ولم يبال بما^(٢) في عشقه من الضرر.

وهذا داء أعيما الأطباء دواؤه، وعز عليهم شفاوه. وهو - لعمر الله - الداء العضال، والسم القاتل، الذي ما علق بقلب إلا وعز على الورى استنقاذه من إساره، ولا اشتعلت ناره في مهجة إلا وصعب على الخلق تخلصها من ناره.

وهو أقسام. فإنه تارة يكون كفراً، كمن اتخذ معشوقه نِدًا يحبه كما يحب الله، فكيف إذا كانت محبته أعظم من محبة الله في قلبه؟ فهذا عشق لا يغفر لصاحبها، فإنه من أعظم الشرك، والله لا يغفر أن يشرك به؛ وإنما يغفر بالتوبة الماحية.

وعلامة هذا العشق الشركي الكفري أن يقدم العاشق رضا معشوقه على رضا ربّه، وإذا تعارض عنده حق معشوقه وحظه وحق ربّه وطاعته قدم حق معشوقه^(٣) على حق ربّه، وأثر رضاه على رضاه^(٤)، وبذل لمشوقه أنفس ما يقدر عليه، وبذل لربّه - إن بذل - أرداً ما عنده،

(١) س: «فحكم الله». ل: «فحكاها الله».

(٢) «بما» ساقط من س.

(٣) «وحظه... معشوقه» ساقط من س.

(٤) ف: «رضا ربّه».

واستفرغ وسعه في مرضاه معشوقه وطاعته والتقرّب إليه، وجعل لربه
ـ إن أطاعه ـ الفضلة التي تفضل عن معشوقه من ساعاته^(١).

فتأنّمَ حالَ أكثر عشاقِ الصور^(٢)، هل^(٣) تجدها مطابقةً لذلك؟ ثم
ضَعْ حَالَهُمْ فِي كِفَةٍ، وتوحيدَهُمْ وإيمانَهُمْ فِي كِفَةٍ؛ وزِنُّ وزِنًا يُرضي الله
ورسوله، ويطابق العدل.

وربما صرّح العاشق منهم بأنّ وصلَ معشوقه أحبُّ إليه من توحيد
ربه، كما قال العاشق الخبيث^(٤):

يترشّفُنَّ مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ هُنَّ أَحْلَى فِيهِ مِنَ التَّوْحِيد^(٥)
وكمَا صرّحَ الخبيث^(٦) الآخر بأنّ وصلَ معشوقه أشهى إليه من
رحمة ربّه، - فعيادًا بك اللهم من هذا الخذلان^(٧) - فقال:[١٠٧/ب]
وصلُكَ أشهى إِلَى فَوَادِي مِنْ رَحْمَةِ الْخَالِقِ الْجَلِيلِ^(٨)
ولا ريب أنَّ هذا العشق من أعظم الشرك.

(١) ف: «ساعته».

(٢) س: «العشاق للصور».

(٣) لم ترد «هل» في ف، ل.

(٤) ل: «الحبيب»، تصحيف.

(٥) من قصيدة للمتنبي قالها في صباحه. ديوانه (٣٠).

(٦) ل: «الحبيب»، تصحيف.

(٧) س: «فعيادًا بالله من هذه الحال ومن هذا الخذلان». وأشار في الحاشية إلى ما
أثبتناه من غيرها.

(٨) سبق البيت مع قصته (٣٩٠).

وكثير من العشاق يصرّح بأنه لم يبق في قلبه موضع لغير معشوقه البة، بل قد ملك معشوقه عليه قلبَه كَلَّه^(١)، فصار عبداً محضًا من كل وجه لمعشوقه! فقد رضي هذا من عبودية الخالق جل جلاله بعبودية^(٢) مخلوق مثله، فإن العبودية هي كمال الحب والخصوص، وهذا قد استفرغ قوة حبه وخصوصه وذله لمعشوقه، فقد أعطاه حقيقة العبودية.

ولا نسبة بين مفسدة هذا الأمر العظيم ومفسدة الفاحشة، فإن تلك ذنب كبير، لفاعله حكم أمثاله؛ ومفسدة هذا العشق مفسدة الشرك.

وكان بعض الشيوخ من العارفين^(٣) يقول: لأن أبتلى بالفاحشة مع تلك الصورة أحب إلى من أن أبتلى فيها بعشق يتعبد لها قلبي ويشغله عن الله.

فصل

ودواء هذا الداء القتال: أن يعرف ما^(٤) ابتلي به من الداء المضاد

(١) لم ترد «عليه» في س. ولم ترد «كله» في ف، ل.

(٢) زاد في ف بعدها: «غيره».

(٣) ز: «الشيخ العارفين».

(٤) في طبعة عبدالظاهر: «أن ما»، وزيادة «أن» هذه خطأ جعل الكلام ناقصاً، وأدى إلى زيادة أخرى في بعض الطبعات، وسياقها في طبعة المدنى: «[أن] ما ابتلي به من [هذا] الداء المضاد للتوحيد [إنما هو من جهله وغفلة قلبه عن الله، فعليه أن يعرف توحيد ربِّه وسنته وأياته] أولاً». وقد وضع الناشر «إنما هو... أولاً» بين قوسين، وقال في تعليقه: «هذه الزيادة ساقطة من المخطوطه ونرى أنه لابد منها». وهي مع التعليق نفسه في طبعة السلفية (٢٣١) ثم جاءت طبعات معاصرة أثبتت الزيادة وحذفت القوسين!

للتوحيد أولاً، ثم يأتي من العبادات الظاهرة والباطنة بما يشغل قلبه عن دوام الفكرة فيه، ويكثر اللجاج والتضرع إلى الله سبحانه في صرف ذلك عنه وأن يراجع بقلبه إليه.

وليس له دواء أنسع من الإخلاص لله. وهو الدواء الذي ذكره الله في كتابه حيث قال: ﴿كَذَلِكَ لِتُصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾^(١) [يوسف/٢٤]. فأخبر سبحانه أنه صرف عنه السوء من العشق والفحشاء من الفعل بأخلاقه^(٢). فإن القلب إذا خلص^(٣) وأخلص عمله لله لم يتمكن منه عشق الصور، فإنه إنما يتمكن من قلب فارغ، كما قال^(٤):

صادف قلباً خالياً فتمكنا^(٥)

وليعلم العاقل أن العقل والشرع يوجبان^(٦) تحصيل المصالح

(١) «المخلصين» بكسر اللام قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. انظر: الإقناع (٦٧١). واستدلال المؤلف بالأية مبني على هذه القراءة.

(٢) ونحوه في زاد المعاد (٤/٢٦٨)، وإغاثة اللهفان (١٣٣، ٨٥٤، ٨٦٨)، ومفتاح دار السعادة (١/٢٧٧).

(٣) ل: «خلص الله».

(٤) ل: «كمأقيل».

(٥) ف، ز: «قلباً فارغاً». وصدره كما في حاشية س، ف: أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى

وقد سبق في ص (٣٦١).

(٦) ز: «قد يوجبان».

وتكميلها وإعدام المفاسد وتقليلها. فإذا^(١) عرض للعاقل أمر يرى فيه مصلحةً ومفسدةً^(٢) وجب عليه أمران: أمر علميّ، وأمر عمليّ. فالعلميّ طلبُ معرفةِ الراجح من طرفي المصلحة والمفسدة، فإذا [١/١٠٨] تبيّن له الرجحان وجوب إثارة^(٣) الأصلح له.

ومن المعلوم أنه ليس في عشق الصور مصلحة دينية ولا دنيوية، بل مفسدته الدينية والدنيوية أضعاف أضعاف ما يقدّر فيه من المصلحة، وذلك من وجوه:

أحداها: الاشتغال بحب المخلوق وذكره عن حبّ الربّ تعالى وذكرة. فلا يجتمع في القلب هذا وهذا إلا ويقهر أحدهما صاحبه، ويكون السلطان والغلبة له.

الثاني: عذاب قلبه بمعشوقه. فإنّ من أحبّ شيئاً غير الله عذّب به، ولا بدّ:

فما في الأرض أشقي من محبٍ
وإن وَجَدَ الْهُوَى حلوَ المذاقِ
تراه باكيًا في كُلِّ حينٍ
مخافةً فُرْقةً أو لاشتياقٍ^(٤)
فيبكي إن نأوا شوقًا إليهم
فتسخن عينه عند الفراقِ
فتسخن عينه عند التلاقي^(٥)

(١) س: «إذا».

(٢) «مصلحة و» ساقط من ز.

(٣) س، ل: «إثبات».

(٤) هذا البيت ساقط من ف.

(٥) الأبيات لنصيب في ديوانه المجموع (١١١). وهي في الحماسة (٢/٩٣) دون =

والعشق، وإن استعذبه العاشق، فهو من أعظم عذاب القلب.

الثالث: أن العاشق قلبه أسير في قبضة معشوقه، يسومه الهوان^(١)،
ولكن لسكرة العشق لا يشعر بمصابه، فقلبه

كعصفورٍ في كفٍ طفل يسومها حياض الردى والطفل يلهو ويلعب^(٢)
فعيشُ العاشق عيشُ الأسير الموثق، وعيشُ الخلّي عيشُ المسيب
المطلق. فالعاشق كما قيل^(٣):

طليقٌ برأي العينِ وهو أسيـرٌ عـليلٌ عـلى قـطب الـهـلاـك يـدور^(٤)
وـمـيـتُ يـرـى فـي صـورـة الـحـيـ غـادـيـاـ وليس لهـ حتـى النـشـور نـشـورـ

= عزو. وأوردتها المؤلف في إغاثة اللهفان (٨٢٣، ٩٢) أيضاً.
(١) ف: «سوء الهوان».

(٢) تمثل به المؤلف في روضة المحبين (٢٠٢)، وإغاثة اللهفان (٨٢٣) أيضاً. وقد
نسب البيت إلى ابن الزيات في معجم الشعراء للمرزباني (٣٦٦)، والفتح بن
خاقان في الزهرة (٨٥). وهو في اعتلال القلوب (٣١٢) من إنشاد ابن
الزيات. ورواية العجز فيها جميـعاـ: «ورود حـياـضـ الموـتـ والـطـفـلـ يـلـعـبـ». وانظر ديوان مجـنـونـ ليـلـيـ (٣٨).

وقد ورد بعده في طبعة المدنـيـ والنـشرـاتـ التـابـعـةـ لها زـيـادـةـ خـلـتـ عنـهاـ النـسـخـ
الـخطـيـةـ، وهـيـ:

«كمـاـ قالـ بـعـضـ هـؤـلـاءـ:

ملـكـتـ فـؤـاديـ بـالـقـطـيـعـةـ وـالـجـفـاـ وـأـنـتـ خـلـيـ الـبـالـ تـلـهـوـ وـتـلـعـبـ»

(٣) «فالـعاـشـقـ كـماـ قـيلـ» انفردت بها فـ. وقد تمثل المؤلف بـصدرـ الـبيـتـ الأولـ في
روـضـةـ المـحـبـينـ (٢٠١).

(٤) فـ: «ترـاهـ العـيـنـ».

أَخْوَ غُمَرَاتٍ ضَاعَ فِيهِنَ قَلْبُهُ فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى الْمَمَاتِ حَضُورٌ

الرابع: أَنَّهُ^(١) يَشْتَغِلُ بِهِ عَنِ مَصَالِحِ دِينِهِ وَدُنْيَاَهُ فَلَيْسَ شَيْءٌ

أَضَيْعُ^(٢) لِمَصَالِحِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا مِنْ عَشْقِ الصُّورِ.

أَمَّا مَصَالِحُ الدِّينِ فَإِنَّهَا مَنْوَطَةُ بِلَمَ شَعَّتِ الْقُلُوبُ وَإِقْبَالِهِ عَلَى اللَّهِ،

وَعَشْقُ الصُّورِ أَعْظَمُ شَيْءٍ تَشْعِيْثًا وَتَشْتِيْتًا [١٠٨/ب] لِهِ^(٣).

وَأَمَّا مَصَالِحُ الدُّنْيَا فَهِيَ تَابِعَةٌ فِي الْحَقِيقَةِ لِمَصَالِحِ الدِّينِ، فَمَنْ انْفَرَطَ عَلَيْهِ مَصَالِحُ دِينِهِ وَضَاعَتْ عَلَيْهِ، فَمَصَالِحُ دُنْيَاَهُ أَضَيْعُ وَأَضَيْعُ.

الخامس: أَنَّ^(٤) آفَاتُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ أَسْرَعُ إِلَى عَشَاقِ الصُّورِ مِنْ

النَّارِ فِي يَابِسِ الْحَطَبِ.

وَسَبِيلُ ذَلِكَ أَنَّ الْقُلُوبَ كُلُّمَا قَرُبَتْ مِنِ الْعُشْقِ وَقَوَى اتِّصالُهُ بِهِ^(٥) بَعْدَ مِنَ اللَّهِ، فَأَبْعَدَ الْقُلُوبَ مِنَ اللَّهِ قُلُوبَ عَشَاقِ الصُّورِ. وَإِذَا بَعْدَ الْقُلُوبَ مِنَ اللَّهِ طَرَقَتِهِ الْآفَاتُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَتَوَلَّهُ. وَمَنْ تَوَلَّهُ عَدُوُّهُ^(٦) وَاسْتَولَى عَلَيْهِ لَمْ يَأْلُهُ وَبِالْأَمْْ، وَلَمْ يَدْعُ أَذْيَ يُمْكِنُهُ إِيْصالَهُ إِلَيْهِ إِلَّا أَوْصَلَهُ.

فَمَا الظُّنُونُ بِقُلُوبِ تَمَكَّنَ مِنْهُ عَدُوُّهُ وَأَحْرَصَ الْخَلَقَ عَلَى غَيْرِهِ^(٧) وَفَسَادِهِ، وَبَعْدُ مِنْهُ وَلِيُّهُ وَمَنْ لَا سَعَادَةَ لَهُ وَلَا فَلَاحٌ وَلَا سُرُورٌ إِلَّا بِقُرْبِهِ وَوَلَا يَتَّهِي؟

(١) مَاعِدا فَ: «أَنْ».

(٢) يَعْنِي: أَشَدَّ إِصْبَاعَةً. صَاغَ اسْمَ التَّفضِيلِ عَلَى أَفْعَلِ مِنَ الْمَزِيدِ.

(٣) «لِهِ» سَاقِطٌ مِنْ فِ.

(٤) «أَنَّ» لَمْ تَرُدْ فِي فِ.

(٥) «بِهِ» سَاقِطٌ مِنْ سِ.

(٦) «عَدُوُّهُ» لَمْ يَرُدْ فِي سِ. وَسَقَطَ «وَاسْتَولَى عَلَيْهِ» مِنْ لِ.

(٧) مَا عِدا فَ: «عَيْبَهُ».

السادس: أنه إذا تمكن من القلب واستحكم وقوى سلطانه أفسد الذهن، وأحدث الوسواس. وربما التحق صاحبه بالمجانين الذين فسدت عقولهم فلا ينتفعون بها. وأخبار العشاق^(١) في ذلك موجودة في مواضعها، بل بعضها مشاهد بالعيان.

وأشرف ما في الإنسان عقله، وبه يتميّز عن سائر الحيوانات؛ فإذا عدم عقله التحق بالحيوان البهيم، بل ربما كان حال الحيوان أصلح من حاله. وهل أذهب عقل مجنون ليلي وأضرابه إلا العشق؟

وربما زاد جنونه على جنون غيره، كما قيل:

قالوا جُنِّتَ بمن تهوى فقلتُ لهم العشق أعظم مما بالمجانين
 العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وإنما يصرع المجنون في الحين^(٢)
 السابع: أنه ربما أفسد الحواس أو بعضها^(٣) إما فساداً معنوياً أو
 صورياً^(٤).

أما الفساد المعنوي فهو تابع لفساد القلب، فإن القلب إذا فسد فسدت العين والأذن واللسان، فيرى القبيح حسناً منه ومن معشوقه، كما في المسند^(٥) مرفوعاً: «حبك للشيء يعمي [١٠٩/١] ويُصمّ». فهو يعمي

(١) ف: «العاشق».

(٢) تقدم البيتان في ص (٤١٨).

(٣) ز: «نقصها»، تصحيف.

(٤) س: «ضوريًا»، تحرير.

(٥) ١٩٤/٥ (٢١٦٩٤)، ٦/٤٥٠ (٤٥٨/٢٧٥٤٨). وأخرجه أبو داود (٥١٣٠) والبخاري في تاريخه (١٠٧/٢) والبزار في مسنده (٤١٢٥) والطبراني في مسنده الشاميين (١٤٥٤) والقضاعي في مسنده الشهاب (٢١٩) وغيرهم من طريق أبي بكر بن =

عينَ القلب عن رؤية مساوي المحبوب وعيوبه، فلا ترى العين ذلك؛
وينصِّم أذنَه عن الإصغاء إلى العدل فيه، فلا تسمع الأذن ذلك.

والرغبات تستر العيوب، فالراغب في الشيء لا يرى عيوبه حتى إذا
زالت رغبته فيه أبصر عيوبه. فشدةُ الرغبة غشاوةً على العين تمنع من
رؤيه الشيء على^(١) ما هو به، كما قيل:

هيُوكَتْ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غَشاوةً فَلَمَّا انْجَلْتْ قَطَعْتُ نَفْسِي أَلَوْمَهَا^(٢)

والداخل في الشيء لا يرى عيوبه، والخارج منه الذي لم يدخل فيه
لا يرى عيوبه. ولا يرى عيوبه^(٣) إلا من دخل فيه ثم خرج منه. ولهذا
كان الصحابة الذين دخلوا في الإسلام بعد الكفر خيراً من الذين ولدوا
في الإسلام. قال عمر بن الخطاب: إنما تُنقض عُرْى الإسلام عروة عروة
إذا ولد في الإسلام من لم يعرف الجاهلية^(٤).

= عبد الله بن أبي مريم الغساني عن خالد بن محمد الثقفي عن بلال بن أبي الدرداء
عن أبي الدرداء فذكره مرفوعاً، وأحياناً موقوفاً.

ورواه حميد بن مسلم وحريز بن عثمان كلامهما عن بلال بن أبي الدرداء عن أبي
الدرداء قوله موقوفاً. أخرجه البخاري (٢/١٠٧) وابن عساكر في تاريخه (١٠/٥٢٣)
وغيرهما. وسند الموقف صحيح. ورجح الوقف السخاوي والسيوطى.

(١) س: «إلا»، تحريف.

(٢) للحارث بن خالد المخزومي في مجموع شعره (١٠١). والرواية: «صحبتكَ
يعني عبد الملك». وكذا أورده المؤلف في مفتاح دار السعادة (١/٤٦٧).

(٣) «والخارج منه... عيوبه» ساقط من ز.

(٤) ذكره المصطف في مدارج السالكين (١/٣٤٣)، ومفتاح دار السعادة (٢/٢٨٨).
وفي النسخ: «ينقض» (ص). لم أقف عليه (ز).

وأما إفساده للحواسّ ظاهراً^(١)، فإنه يُمِرض البدن وينهكه، وربما أدى إلى تلفه، كما هو معروف في أخبار من قتلهم العشق.

وقد رُفع إلى ابن عباس - وهو بعرفة - شاب قد انتحل^(٢) حتى عاد عظاماً بلا لحم^(٣) فقال: ما شأن هذا؟ قالوا: به العشق. فجعل ابن عباس يستعيذ بالله^(٤) من العشق عامّة يومه^(٥).

الثامن: أنّ العشق - كما تقدّم - هو الإفراط في المحبة بحيث يستولي المعشوق على قلب العاشق حتى لا يخلو^(٦) من تخيله وذكره والفكر فيه، بحيث لا يغيب عن خاطره وذهنه. فعند ذلك تشتعل النفس عن استخدام القوى الحيوانية والنفسانية، فتتعطل تلك القوى، فيحدث بتعطّلها^(٧)

(١) س: «فظاهر»، خطأ.

(٢) لم يرد «انتحل» في كتب اللغة بمعنى نَحَلَ الجسم نحوَه: رَقٌ وهزل. والظاهر أنه استعمال عامي.

(٣) كذا في ف. وفي غيرها: «الحمد على عظم». وفي حاشية س: «جلداً» وفوقه علامة «ص». وفي ز: «صار» مكان «عاد».

(٤) «بِاللَّهِ» لم يرد في س.

(٥) أخرجه الخرائطي في اعتلال القلوب (٣٢٢) وابن الجوزي في ذم الهوى (٣٧٣) وابن عساكر في تاريخه (٢١/٣٧ - ٢٢/٢٩)، (١٧٩/٢٩) من طريق محمد بن عيسى بن بكار عن فليح بن إسماعيل بن جعفر عن عبدالله بن صالح عن عمّه سليمان بن علي عن عكرمة قال: «إنا لمع ابن عباس عشية عرفة...» نحوه. وسنده ضعيف، محمد بن عيسى بن بكار لم أقف عليه. وفليح ذكره ابن حبان في الثقات (١١/٩) وقال: يعتبر حديثه من غير رواية شاذان عنه.

(٦). وانظر مصارع العشاق (٢١٧/٢). (ص).

(٧) س: «حتى يخلو»، خطأ.

(٨) س، ل: «بتعطّلها». وقد سقط من ل: «تلك القوى فيحدث».

من الآفات على البدن والروح ما يعزّ دواؤه أو يتعدّر^(١)، فتتغير أفعاله وصفاته ومقاصده، ويختلّ جميع ذلك، فيعجز البشر عن صلاحه، كما قيل^(٢):

الحبُّ أَوْلَ ما يَكُونُ لِجَاجَةً تَأْتِي بِهِ وَتَسْوِقُهُ الْأَقْدَارُ^(٣)
حَتَّى إِذَا خَاضَ الْفَتَنَ لِجَاجَ الْهَوَى جَاءَتْ أَمْرَوْرَ لَا تُطَاقُ كِبَارُ
[١٠٩] وَالْعُشُقُ مِبَادِئُهُ سَهْلَةُ حَلْوَةُ، وَأَوْسَطُهُ هَمُّ وَشَغْلُ قَلْبٍ
وَسَقْمٌ، وَآخِرُهُ عَطَبٌ وَقَتْلٌ، إِنْ لَمْ يَتَدَارِكْهُ^(٤) عِنْيَةٌ مِنَ اللَّهِ، كَمَا قِيلَ:
وَعِيشُ خَالِيَا فَالْحُبُّ أَوْلُهُ عَنَا وَأَوْسَطُهُ سَقْمٌ، وَآخِرُهُ قَتْلُ^(٥)
وَقَالَ آخِرُ:

تَوَلَّ بِالْعُشُقِ حَتَّى عِشْقٌ فَلَمَّا اسْتَقَلَّ بِهِ لَمْ يُطِقْ
رَأَيَ لُجَاجَ ظَنَّهَا مَوْجَةً فَلَمَّا تَمَكَّنَ مِنْهَا غَرِيقٌ^(٦)

(١) ف، ل: «ويتعدّر». وفي س: «لو يتعدّر»، وصوابه ما أثبتنا من ز.

(٢) للعباس بن الأحنف كما في الأغانى (١٩٣/٥)، وانظر: ديوانه (١٣٩). وقد نسبا إلى المجنون (ديوانه ٩٦) وجميل (ديوانه ٨٤) أيضاً.

(٣) س، ف، ز: «الجاجة»، وقد ضبط في ف، ز بالجر، وكتب في ف علامة الإهمال. والمثبت من ل، وهي الرواية المشهورة.

(٤) ف: «تَدَارِكَهُ». س: «يَدْرِكَهُ».

(٥) لابن الفارض في ديوانه (١٣٤) وروايته: «فالحب راحته عنا، وأوله سقم».

(٦) ذكرهما المؤلف في روضة المحبين (٢٥٢) وشفاء العليل (١٥٣، ١٣٨) أيضاً.

وهما من أربعة أبيات نقلها ابن الجوزي بسنده في ذم الهوى (٥٨٦) من إنشاد ابن نحير البغدادي.

والذنب له، فهو الجاني على نفسه، وقد قعد تحت المثل السائر:
«يداكَ أَوْكَتا، وفُوكَ نَفَخ»^(١).

فصل

والعاشق له ثلات مقامات: مقام ابتداء، ومقام توسط، ومقام
انتهاء.

فأما مقام ابتدائه، فالواجب عليه فيه^(٢) مدافعته بكل ما يقدر عليه،
إذا كان الوصول إلى معشوقه متعددًا قدرًا أو شرعاً.

فإن عجز عن ذلك، وأبى قلبه إلا السفر إلى محبوبه - وهذا مقام
التوسط والانتهاء - فعليه كتمان ذلك، وأن لا يُفشيه^(٣) إلى الخلق، ولا
يشتبّب بمحبوبه ويهتكه بين الناس، فيجمع بين الشرك والظلم. فإن
الظلم في هذا الباب من أعظم أنواع الظلم، وربما كان أعظم ضررًا على
المعشوق وأهله من ظلمه في ماله. فإنه يعرض المعشوق بتهتكه في
عشقه إلى وقوع الناس فيه^(٤)، وانقسامهم إلى مصدق ومكذب، وأكثر
الناس يصدق في هذا الباب بأدنى شبهة. وإذا قيل: فلان فعل بفلان أو
فلانة كذبة واحد، وصدقه تسعمائة وتسعة وتسعون!

وخبر العاشر المتهتك عند الناس في هذا الباب يفيد القطع اليقيني،

(١) انظر مجمع الأمثال للميداني (٥١٩/٣).

(٢) لم يرد «فيه» في س.

(٣) ف: «ولا يُفشيه».

(٤) «فيه» ساقط من ف.

بل إذا أخبرهم المفعول به عن نفسه^(١) كذبًا وافتراءً على غيره جزموا بصدقه جزماً لا يحتمل النقيض^(٢)، بل لو جمعهما مكان واحد اتفاقاً جزموا أن ذلك عن وعد واتفاق بينهما. وجزمُهم في هذا الباب على الظنون والتخيل والشَّبهة^(٣) والأوهام والأخبار الكاذبة، كجزمهم بالحسينيات المشاهدة.

وبذلك وقع أهل الإفك في الطيبة المطيبة حبيبة رسول الله ﷺ، المبرأة من فوق سبع سماوات، بشبهة مجيء صفوان بن المعطل بها وحده خلف العسكر؛ حتى هلك من هلك. ولو لا أن تولى الله سبحانه^(٤) براءتها والذب عنها وتکذيب قاذفها، وإلا كان أمراً آخر^(٥).

والمقصود أن في إظهار المبتلى عشق^(٦) من لا يحل له الاتصال به من ظلمه وأذاه ما هو عدوان عليه وعلى أهله، وتعريف لتصديق كثير من الناس ظنونهم فيه.

(١) ف: «به نفسه».

(٢) ز: «النقيض».

(٣) ز: «التخيل والشَّبهة».

(٤) ز: «أن الله سبحانه تولى».

(٥) ف، ز: «أمر» بالرفع. وكذا وقع «إلا» هنا في جميع النسخ، وهو استعمال عامي تكرر في كتب المؤلف. انظر طريق الهجرتين (٤٤). والوجه حذفها. وفي ط المدني وغيرها: «قادفها لكان»، ولعله إصلاح من الناشرين. وقصة الإفك أخرجها البخاري في الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضًا (٢٦٦١)؛ ومسلم في التوبة، باب في حديث الإفك (٢٧٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦) ف: «بغشقاً»، خطأ.

فإن استعان عليه بمن يستميله إليه، إما برغبة أو رهبة^(١)، تعدى
الظلم وانتشر، وصار ذلك الواسطة دليلاً ظالماً^(٢). وإذا كان النبي ﷺ قد لعن الرئيس^(٣) - وهو الواسطة بين الراشي والمرتشي في إيصال
الرشوة - فما الظن بالديوث الواسطة^(٤) بين العاشق والمعشوق في
الوصلة المحرمة؟ فيتتساعد العاشق والديوث على ظلم المعشوق وظلم
غيره ممن يتوقف حصول غرضهما على ظلمه في نفس أو مال أو عرض.
فإنه كثيراً ما يتوقف المطلوب فيه على قتل نفس تكون حياتها مانعة من
غرضه. فكم من قتيل طلّ دمه بهذا السبب من زوج وسيد و قريب! وكم
خُبِّيت^(٥) امرأة على بعلها، وجارية وعبد على سيدهما! وقد لعن

(١) ف، ل: «برهبة».

(٢) س: «ظلماً»، خطأ.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٢٧٩ / ٥ (٢٢٣٩٩) وغيره من طريق ليث بن أبي سليم عن أبي الخطاب عن أبي زرعة عن ثوبان قال: «لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي والرئيس».

والحديث مداره على ليث وهو ضعيف الحفظ وقد اضطرب فيه كثيراً.
وأيضاً أبو الخطاب مجهول، وأبو زرعة لم يسمع من ثوبان. ولفظة «الرئيس»
لم يروها إلا ليث. انظر طرقه في تحقيق المسند (٣٧/٨٦). والحديث ضعيفه
الحاكم والمنذري والهيشمي.

قلت: وورد عن عبدالله بن عمرو أنه قال: «لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي». أخرجه الترمذى (١٣٢٧) وابن الجارود (٥٨٦) وابن حبان (٥٠٧٧) والحاكم (١١٥ / ٧٠٦٦) وغيرهم. والحديث صحيح الترمذى وابن
الجارود وابن حبان والحاكم وغيرهم.

(٤) ف ز: «الذي» مكان «الواسطة».

(٥) ف: «خُبَّب». وخُبَّيت، أي خدعت وأفسدت، كما في الحديث الذي أشار إليه المؤلف: «من خبَّب عبداً على أهله فليس منا، ومن أفسد امرأة على زوجها =

رسول الله ﷺ من فعل ذلك، وتبرأ منه^(١)، وهو من أكبر الكبائر.

وإذا كان النبي ﷺ قد نهى أن يخطب الرجل على خطبة أخيه، أو يستام على سَوْمِ أخيه^(٢)، فكيف بمن يسعى في التفريق بينه وبين امرأته وأمّته حتى يتصل بهما؟ وعشاق الصور ومساعدوهم من الدّيَّة^(٣) لا يرون ذلك ذنباً^(٤).

فإن طلب العاشقُ وصلَّ معشوقه ومشاركة الزوج والسيد، ففي ذلك من إثم ظلم الغير مالعلّه لا يقتصر عن إثم الفاحشة إن لم يرب^(٥) عليها.

ولا يسقط حق الغير بالتوبة من الفاحشة. فإن التوبة وإن أسقطت حقَّ الله فحقُّ العبد باقي، له المطالبة به يوم القيمة. فإن ظلم الوالد بإفساد فلذة كبده^(٦) ومن هو أعزُّ عليه من نفسه، [١١٠/ب] وظلم الزوج

= فليس منا».

(١) ورد ذلك عند أحمد ٣٥٢/٥ (٢٢٩٨٠) وابن حبان (٤٣٦٣) والحاكم ٣٣١/٤ (٧٨١٦) وغيرهم. والحديث صحيحه ابن حبان والحاكم. وورد من حديث أبي هريرة عند أحمد (٣٩٧/٢) وصححه ابن حبان والحاكم.

(٢) ز: «سومه». والحديث أخرجه البخاري في البيوع، باب لا يبيع على بيع أخيه (٢١٤٠) وفي الشروط (٢٧٢٧)؛ ومسلم في النكاح، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها في النكاح (١٤٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) كذا ضبط بكسر أوله في س. والظاهر أنه أراد جمع الديوث، ولكن لا يجمع فيعود على فعلة. وفي ط المدني: «الدَّيَّاَيَّة»، وأخشى أن يكون إصلاحاً من الناشر. وضبط في حاشية ط عبدالظاهر بفتح الدال والياء، يعني جمع دائم، وال دائم ليس بالديوث، وإنما هو فريسته.

(٤) ف: «دَيَّاَيَّاً»، ولعله تصحيف.

(٥) س، ل: «يربوا».

(٦) ل: «ولده كبده» وفي ف: «ولده كبيرة»، كلامهما تحريف.

بإفساد حبيته^(١) والجناية على فراشه أعظم من ظلمه بأخذ ماله كله^(٢). ولهذا يؤذيه ذلك أعظم مما يؤذيه أخذ ماله، ولا يعدل ذلك عنده إلا سفك دمه. فيا له من ظلم أعظم إثما من فعل الفاحشة!

فإن كان ذلك حَقّاً لغازٍ في سبيل الله وُوقف له الجاني الفاعل يوم القيمة، وقيل له: «خذ من حسناته ما شئت»، كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

ثم قال النبي^(٣) ﷺ: «فَمَا ظنّكُمْ»^(٤)? أي فما تظنون يُبقي له من حسناته؟

فإن انصاف إلى ذلك أن يكون المظلوم جاراً أو ذا رحم تعدد الظلم وصار ظلماً مؤكداً بقطيعة الرحم وأذى الجار. و«لا يدخل الجنة قاطعاً رحم»^(٥) ولا «من لا يأمن جاره بوائقه»^(٦).

فإن استعان العاشق على وصال معشوقة بشياطين الجن^(٧) - إما بسحر أو استخدام أو نحو ذلك^(٨) - ضم إلى الشرك والظلم كفر السحر. فإن لم يفعله هو ورضي به كان راضياً بالكفر غير كاره لحصول مقصده به^(٩)، وهذا ليس بعيد من الكفر.

(١) ف: «وظلمه بإفساد حبيبه».

(٢) «كله» ساقط من س.

(٣) ز: «رسول الله». وفي ل في الموضعين: «رسول الله».

(٤) تقدم تخریج الحديث في ص ٢٦٣).

(٥) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه. أخرجه البخاري في الأدب، باب إثم القاطع (٥٩٨٤)، ومسلم في البر والصلة، باب صلة الرحم... (٢٥٥٦).

(٦) تقدم تخریجه (٢٦٣).

(٧) كلمة «الجن» ساقطة من ف.

(٨) ما عدا س: «ونحو ذلك».

(٩) «به» ساقط من ف، ل. وفي ف: «مقصوده».

والمقصود أنَّ التعاون في هذا الباب تعاون على الإثم والعدوان.

وأما ما يقترن بحصول غرض العاشق من الظلم المتنشر المتعدّي ضرره، فأمرٌ لا يخفى. فإنه إذا حصل له مقصوده من المعشوق، فللمعشوق أغراض آخر يريد من العاشق إعانته عليها، فلا يجد من إعانته بدًا، فيبقي^(١) كل منهما يعين الآخر على الظلم والعدوان.

فالمعشوق يعين العاشق على ظلم من يتصل به من أهله وأقاربه وسيده وزوجه، والعاشق يعين المعشوق على ظلم من يكون غرض المعشوق متوقًّعاً على ظلمه. فكل منهما يعين الآخر على أغراضه التي يكون^(٢) فيها ظلم الناس، فيحصل العدوان والظلم للناس، بسبب اشتراكهما في القبح لتعاونهما بذلك على الظلم، كما جرت العادة بين العاشق والمعشوقين من إعانة العاشق لمعشوقه على ما فيه ظلم وبغي وعدوان^(٣)، حتى ربما يسعى له [١/١١١] في منصب لا يليق به ولا يصلح لمثله، وفي تحصيل مال من غير حِله، وفي استطالته على غيره. فإذا اختصم معشوقه وغيره أو تشاكيما لم يكن إلا في جانب المعشوق ظالماً كان أو مظلوماً.

هذا إلى ما ينضم إلى ذلك من ظلم العاشق للناس بالتحييل على أخذ أموالهم، والتوصيل بها إلى المعشوق^(٤) بسرقة أو غصب أو خيانة أو يمين^(٥) كاذبة أو قطع طريق ونحو ذلك. وربما أدى ذلك إلى قتل النفس

(١) س: «فبقي».

(٢) لم يرد «يكون» في س.

(٣) س: «عدوان وبغي».

(٤) س: «معشوقه».

(٥) ف: «سرقة أو غصبأ أو جناية أو يميناً».

التي حرمها الله ليأخذ ماله، يتوصل^(١) به إلى معشوقه.

فكل^(٢) هذه الآفات وأضعافها وأضعاف أضعافها تنشأ من عشق الصور. وربما حمل على الكفر الصريح. وقد تنصر جماعة ممن نشأ في الإسلام بسبب العشق، كما جرى لبعض المؤذنين حين أبصر امرأة جميلة على سطح، ففتنت بها، فنزل ودخل عليها، وسألها نفسها، فقالت: هي نصرانية، فإن دخلت في ديني تزوجت بك، ففعل. فرقي ذلك اليوم^(٣) على درجة عندهم، فسقط منها^(٤)، فمات. ذكر هذا عبد الحق في كتاب «العاقة» له^(٥).

وإذا أراد النصارى أن ينصرروا الأسير أروه امرأة جميلة، وأمروها أن تُطعمه في نفسها، حتى إذا تمكن حبّها من قلبه بذلت له نفسها إن دخل في دينها. فهناك: ﴿يُثْبِتَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الشَّابِطِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضْلِلُ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعُلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم/٢٧].

وفي العشق من ظلم كل واحد من العاشق والمعشوق^(٦) لصاحبه بمعاونته له على الفاحشة، وظلمه لنفسه^(٧). فكلّ منهما ظالم لنفسه

(١) ف: «ليتوصل».

(٢) ل: «وكل».

(٣) س: «في ذلك اليوم». وفي ف: «الرجل» مكان «اليوم».

(٤) لم يرد «منها» في س.

(٥) ص (١٧٩). وقد تقدمت القصة مفصلة (٣٩٤).

(٦) ف: «المعشوق والعاشق».

(٧) زاد الشيخ محمد محبي الدين عبدالحميد رحمه الله بعده بين القوسين: «ما فيه»، لأنّه ظنّ الجملة ناقصة. ثم جاءت النشرات التابعة لنشرته، وحذفت القوسين!

وصاحبه، وظلمهما متعدّ إلى الغير كما تقدّم. وأعظم من ذلك ظلمهما بالشرك. فقد تضمّن العشق أنواع الظلم كلّها.

والمعشوق إذا لم يتقّ الله، فإنه يعرض العاشق للتلف - وذلك ظلم منه - بأن يُطمعه في نفسه، ويترّى له، ويستميله بكلّ طريق، حتى يستخرج منه ماله ونفعه؛ ولا يمكنه من نفسه لئلا يزول غرضه بقضاء وطره منه، فهو^(١) يسومه سوء العذاب. والعاشق ربما قتل معشوقه ليشفى نفسه منه، ولا سيّما إذا جاد بالوصال لغيره.

فكم للعشق من قتيل من العاجلين! وكم قد أزال [١١١/ب] من نعمة، وأفقر من غنى، وأسقط من مرتبة، وشتّت من شمل! وكم أفسد من أهل للرجل ولوله! فإن المرأة إذا رأت بعلها عاشقاً لغيرها اتخذت هي معشوقاً لنفسها، فيصير الرجل متربّداً بين خراب بيته بالطلاق وبين القيادة. فمن الناس من يؤثر هذا، ومنهم من يؤثر هذا^(٢).

فعلى العاقل^(٣) أن لا يُحِكم على نفسه عشقَ الصور، لئلا يؤديه ذلك إلى هذه المفاسد أو أكثرها أو بعضها. فمن فعل ذلك فهو المفرط بنفسه المغرّ بها، فإذا هلكت فهو الذي أهلكها. فلو لا^(٤) تكرارُه النظر إلى وجه معشوقه وطماعُه في وصاله لم يتمكّن عشقه من قلبه.

فإنّ أول أسباب العشق الاستحسان، سواء تولّد عن نظر أو سمع.

(١) «منه» ساقط من ز. وفي ف: «وهو».

(٢) «هذا» ساقط من س.

(٣) من هنا قارن بما جاء في فتوى في العشق (١٨٠ - ١٨١)، والسطور الأولى منقوله منها بحروفها.

(٤) ف: «ولولا».

فإن لم يقارنه طمع في الوصال، وقارنه الإياس من ذلك؛ لم يحدث له العشق. فإن اقتنى به الطمع، فصرفه عن فكره^(١) ولم يستغل قلبه به^(٢)؛ لم يحدث له ذلك.

فإن أطال مع ذلك الفكر في محسن المعشوق، وقارنه خوف ما هو أكبر عنده من لذة وصاله: إما خوف ديني كدخول النار، وغضب الجبار، واحتقاب الأوزار؛ وغلب هذا الخوف على ذلك الطمع والفكر، لم يحدث له العشق.

فإن فاته هذا الخوف، فقارنه خوف دنيوي، كخوف تلاف^(٣) نفسه وماليه، وذهاب جاهه وسقوط مرتبته عند الناس، وسقوطه من عين من يعزّ عليه؛ وغلب هذا الخوف لداعي العشق = دفعه.

وكذلك إذا خاف من فوات محبوبٍ هو أحبّ إليه وأنفع له من ذلك المعشوق، وقدّم محبتَه على محبة المعشوق؛ اندفع عنه العشق.

(١) ف: «صرفه فكره».

(٢) ز: «ولم يشغل...». و«به» ساقط من لـ.

(٣) مصدر تِلف، والمذكور في كتب اللغة: التَّلْفُ. وقد ورد في كلام الشعراء والكتاب المتأخرين، ومن ذلك قول ابن زيلاق الموصلي الكاتب الشاعر (٦٦٠هـ) من قصيدة:

تجمعتْ فيك للورى فِنْ على تَلَافِ النُّفُوسِ تَتَقُّ
انظر: فوات الوفيات (٤/٣٨٨). وقد جمع أبو العلاء بين المصادر في
قوله من لزومية (٢/١٠٥):

تَلَافَ أَمْرَكَ مِنْ قَبْلِ التَّلَافِ بِهِ فَعَايَةُ النَّاسِ فِي دُنْيَاهُمُ التَّلَافُ
وفي النسخ المطبوعة: «إتلاف»، ولعله تغيير من بعض الناسخين أو
الناشرين.

فإن انتفى ذلك كله، أو غلت محبة المعشوق لذلك؛ انجذب إليه القلب بكلّيته، ومالت إليه النفس كلّ الميل.

فإن قيل^(١): قد ذكرتم آفاتِ العشق ومضارَه ومفاسِدَه، فهلا ذكرتم منافعه وفوائده التي من جملتها: رقة الطبع، وترويح النفس، وخفتها، وزوال ثقلها، ورياضتها، وحملها على مكارم الأخلاق من الشجاعة والكرم والمرءة ورقة الحاشية ولطف الجانب.

وقد^(٢) قيل ليعيى بن معاذ الرازي: إن ابنك عشق فلانة، فقال: الحمد لله الذي صيره إلى طبع الآدمي^(٣)!
وقال بعضهم: العشق داء أفتدة الكرام^(٤).

وقال غيره: العشق لا يصلح إلا لمن يرى مروءة ظاهرة وخلية طاهرة، أو لمن يرى لسان فاضل وإحسان كامل، أو لمن يرى أدب بارع وحسب ناصع^(٥).

وقال آخر: العشق يشجع جنان الجبان، ويصفي ذهن الغبي، ويستحيي كف البخيل، ويُذلّ عزة الملوك، ويسكن نوافر الأخلاق^(٦). وهو أنيس من لا أنيس له، وجليس من لا جليس له^(٧).

(١) من هنا إلى ص (٥٣٢) فصل طويل في فوائد العشق التي ذكرها المؤلف على لسان المعترض، ثم رد عليه.

(٢) لم يرد «وقد» في ف.

(٣) فتوى في العشق (١٧٨).

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

(٦) ف: «الأعلاق»، تحريف.

(٧) فتوى في العشق (١٧٩)، المصنون (٤٦)، بهجة المجالس (١/٨٢٣)، روضة =

وقال آخر: العشق يزيل الأثقال، ويلطف الروح، ويصفى كدر القلب، ويوجب الارتياح لأفعال الكرام^(١) كما قال^(٢):

سيهلك في الدنيا شقيق عليكم إذا غاله من حادث الحب غائله^(٣)
كريم يميت السر حتى كأنه إذا استفهموه عن حديثك جاهله
يود بأن يمسى سقىما لعلها إذا سمعت عنه بشكوى تراسله
ويهتز للمعروف في طلب العلى لتحمد يوما عند ليلي شمائله
فالعشق يحمل على مكارم الأخلاق.

وقال بعض الحكماء^(٤): العشق يروض النفس، ويهدب الأخلاق.
إظهاره^(٥) طبعي، وإضماره تكليفي^(٦).

وقال آخر: من لم تبهج^(٧) نفسه بالصوت الشجي والوجه البهي،
 فهو فاسد المزاج، محتاج إلى علاج^(٨).

وأنشدوا في ذلك:

= المحبين (٢٨١).

(١) ف: «لأفعال البر».

(٢) ديوان كثير عزة (٢٤٧ - ٢٤٨).

(٣) س، ل: «جانب الحب». ف: «جادب الحب». ز: «في جاذب...»، ولعل كلئهما تصحيف. ورواية الديوان: «حادث الدهر».

(٤) ف: «وقال الحكماء».

(٥) ز: «وإظهاره».

(٦) فتوى في العشق (١٧٩).

(٧) ف: «يهيج».

(٨) نسب في المرجع السابق إلى جاليوس.

إذا أنت لم تعشق ولم تدرِ ما الهوى فأنت وعَيْرٌ في الغلاة سواء^(١)

وقال آخر :

إذا أنت لم تعشق ولم تدرِ ما الهوى فكن حجرًا من جانب الصخر جلمندا^(٢)

وقال آخر :

إذا أنت لم تعشق ولم تدرِ ما الهوى فقُمْ واعتلِفْ تِبَنًا فأنَّتْ حمار^(٣)

وقال آخر :

إذا أنت لم تعشق ولم تدرِ ما الهوى فما لك في طيب الحياة نصيب
وقال بعض العشاق أولوا العفة والصيانة : عَفُوا تشرُفوا واعشقوا
تظرُفوا^(٤).

وقيل لبعض العشاق : ما كنت تصنع لو ظفرت^(٥) بمن تهوى؟
فقال : كنت^(٦) أمتّع طرفي بوجهه، وأروّح قلبي بذكره وحديثه، وأستر
منه ما لا يحب كشفه، ولا أصير بقبح الفعل إلى ما ينقض عهده. ثم

(١) المرجع السابق (١٧٩)، ذم الهوى (٣٠٦)، الواضح المبين (٦٥). ونقله المؤلف في روضة المحبين (٢٨٤) أيضاً.

(٢) للأحوال في العقد (٦/٦١)، وانظر ديوانه (١٢١)، وروضة المحبين (٢٨٤). وكذا «جانب الصخر» في جميع النسخ، والرواية : «باب الصخر».

(٣) هذا البيت ساقط من س، ل. وانظر روضة المحبين (٢٨٤).

(٤) نقله المؤلف في روضة المحبين (٢٨١) من قول عبدالله بن طاهر أمير خراسان لولده. وانظر : الواضح المبين (٦٢).

(٥) ف : «إذا ظفرت».

(٦) «كنت» ساقط من س.

أخلو به فأعف عنه تكرّما خوف الديانة لست من عشاقه^(١)

كالماء في يد صائم يلتذّه ظمأً فيصبر عن لزيم مذاقه^(٢)

وقال إسحاق بن إبراهيم^(٣) : أرواح العشاق عطرة لطيفة، وأبدانهم رقيقة خفيفة، نزهتهم المؤانسة، وكلامهم يُحيي موات القلوب، ويزيد في العقول؛ ولو لا العشق والهوى لبطل نعيم الدنيا.

وقال آخر : العشق للأرواح بمنزلة الغذاء للأبدان. إن تركته ضررك، وإن أكثرت منه قتلك^(٤). وفي ذلك قيل :

خليلي إن الحب فيه لذادةٌ وفيه شقاء دائم وكروبٌ
على ذاك ما عيش يطيب بغيره ولا عيش إلا بالحبيب يطيب
ولا خير في الدنيا بغير صباة ولا في نعيم ليس فيه حبيب^(٥)

(١) «تكرّما» ساقط من ز. وفي ف مكانه: «من الخنا». وفي فتوى في العشق (١٨٣) : «كأنني»، وهو أجود.

(٢) انظر القول مع الشعر في فتوى في العشق (١٨٣).

(٣) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي الأديب النديم المغنّي المشهور المتوفى سنة ٢٣٥هـ، لا الإمام إسحاق بن راهويه كما في بعض طبعات الكتاب. انظر منازل الأحباب (١٨٥).

(٤) البصائر والذخائر (٢/١٦٨)، ومنازل الأحباب (١٨٥).

(٥) منازل الأحباب (١٨٥)، وروضة المحبين (٢٨١). ونقل المؤلف البيت الثالث في الروضة (٢٨٤) وهو في الواضح المبين (٦٤). وفي ز: «بغير صيانة»، تصحيف.

وذكر الخرائطي^(١) عن أبي غسان قال: مَرْأُوبُ بْنُ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِجَارِيَةٍ وَهِيَ تَقُولُ:

وَهُوَيْتُهُ مِنْ قَبْلِ قَطْعِ تَمَائِمِي مُتَمَايِسًا مِثْلَ الْقَضِيبِ النَّاعِمِ
فَسَأَلَهَا: أَحْرَّةً^(٢) أَنْتِ أُمَّ مَمْلُوكَةً؟ قَالَتْ: بَلْ مَمْلُوكَةً. فَقَالَ: مَنْ
هُوَاكَ^(٣)؟ فَتَلَّكَاتْ، فَأَقْسَمَ عَلَيْهَا^(٤)، فَقَالَتْ:

وَأَنَا الَّتِي لَعِبَ الْهُوَى بِفَوَادِهَا قُتِلَتْ بِحَبْتِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْقَاسِمِ
فَاشْتَرَاهَا مِنْ مَوْلَاهَا، وَبَعْثَ بِهَا إِلَى مُحَمَّدٍ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ
أَبِي طَالِبٍ^(٥)، وَقَالَ: هُؤُلَاءِ فِتْنَ الرِّجَالِ. وَكُمْ - وَاللَّهُ - قَدْ مَاتَ بِهِنْ
كَرِيمٌ، وَعَطِيَّبَ بِهِنْ سَلِيمٌ!

وَجَاءَتْ عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ جَارِيَةً تَسْتَدْعِي عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ،
فَقَالَ لَهَا عُثْمَانُ: مَا قَصْتَكَ؟ فَقَالَتْ: كَلِفْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَابِنِ أَخِيهِ،
فَمَا أَنْفَكْ أَرَاعِيهِ. فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: إِمَا أَنْ تَهْبِهَا لَابْنِ أَخِيكَ، أَوْ أَعْطِيَكَ

(١) في اعتلال القلوب (٢٣١) من طريق علي بن الأعرابي ثنا أبو غسان النهدي
قال: «مَرْأُوبُ بْنُ...». ولا يثبت، فإن بين النهدي - واسميه مالك بن
إسماعيل - وبين أبي بكر مفاوز! فالنهدي توفي سنة ٢١٩ وأبو بكر توفي سنة
١٣ (ز). وانظر روضة المحبين (٥٢٠) والتعليق الآتي.

(٢) ف: «امرأة».

(٣) س: «من هو».

(٤) «عليها» ساقط من ف.

(٥) وهذا دليل آخر على فساد هذا الخبر. فليس من أولاد جعفر بن أبي طالب من
يسمى قاسماً. وإنما أولاده عبدالله، ومحمد، وعون. انظر نسب قريش (٨٠)
وجمهرة أنساب العرب (٦٨).

ثمنها من مالي . فقال : أُشِهدُك يا أمير المؤمنين أنها له^(١) .

ونحن^(٢) لا ننكر فساد العشق الذي متعلقه فعل الفاحشة بالمعشوق ، وإنما الكلام في العشق العفيف من الرجل الظريف الذي يأبى له دينه وعفته ومرءته أن يُفسد ما بينه وبين الله ، وما بينه وبين معشوقه بالحرام . وهذا كعشق السلف الكرام والأئمة الأعلام . فهذا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أحد الفقهاء السبعة^(٣) عشق حتى اشتهر أمره ، ولم يُنكِر عليه ، وعُذ ظالماً من لامه . ومن شعره^(٤) :

كتمت الهوى حتى أضر بك الكتمُ ولامك أقوام ولو مُهمُ ظلمٌ
فنمَّ عليك الكاشحون وقبلهم^(٥) عليك الهوى قد نمَّ لو ينفع الكتم
فأصبحت كالنهدي إذ مات حسرة^(٦) على إثر هند أو كمن شفَّه سقم
تجنبت إتيان الحبيب تائماً ألا إن هجران الحبيب هو الإثم
فذق هجرها قد كنت تزعم أنه رشاد ألا يا ربما كذب الرَّاعُم
وهذا عمر بن عبدالعزيز ، عشقه لجريدة فاطمة بنت عبد الملك بن

(١) الواضح المبين (٣١) عن امتزاج النفوس للتميمي . وانظر : روضة المحبين (٥٢١) .

(٢) «ونحن» ساقط من ز . ولا يزال الكلام مستمراً على لسان المعترض .

(٣) توفي سنة ٩٨ هـ . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٤/٤٧٥) .

(٤) الأبيات في الأمالي (٢٠/٢) ، ومصارع العشاق (١/٣٢١) وغيرهما .

(٥) الرواية : «لو نفع النم» .

(٦) ما عدا ل : «النهدي» ، تحريف . والمقصود عبد الله بن عجلان النهدي ، وهند زوجه . انظر ترجمة عبد الله في الأغاني (٢٢/٢٤٥) .

مروان امرأته مشهور^(١). وكانت جارية بارعة الجمال، وكان معجبًا بها، وكان يطلبها من امرأته ويحرص على أن تهبه لها، فتأبى. ولم تزل الجارية في نفس عمر، فلما استخلف أمرت فاطمة بالجارية، فأصلحت، وكانت مثلاً في حسنها وجمالها، ثم دخلت على عمر، وقالت: يا أمير المؤمنين إنك كنت معجبًا بجاريتي فلانة، وسألتها فأبىت عليك، والآن فقد طابت^(٢) نفسي لك بها. فلما قالت له ذلك^(٣) استبان الفرح في وجهه، وقال: عجلني بها عليّ. فلما أدخلتها عليه ازداد بها عجبًا، وقال لها: ألقى ثيابك، ففعلت. ثم قال لها على رسلي، أخبريني لمن كنت؟ ومن أين صرت لفاطمة؟ فقالت: أغرم الحجاج عاملًا له بالكوفة مالاً، وكنت في رقيق ذلك العامل^(٤) فأخذني، وبعث بي إلى عبد الملك، فوهبني لفاطمة. قال: وما فعل ذلك العامل؟ قالت: هلك. قال: وهل ترك ولدًا؟ قالت: نعم. قال: وما حالهم؟ قالت: سيئة. فقال: شدّي عليك ثيابك، واذهبني إلى مكانك. ثم كتب إلى عامله على العراق أن أبعث إلى فلان بن فلان على البريد. فلما قدم قال له^(٥): ارفع إليّ جميع ما غرّمه الحجاج لأبيك. فلم يرفع إليه^(٦) شيئاً إلا

(١) أخرجه الخرائطي في اعتلال القلوب (٦١ - ٦٢). (ز). وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق بسنده عن الهيثم بن عدي. والهيثم كذاب متزوك الحديث. وانظر منازل الأحباب (٦٥). (ص).

(٢) فـ: «قد طابت».

(٣) «فلما... ذلك» ساقط من سـ.

(٤) بعده في فـ: «قالت».

(٥) «له» ساقط من زـ.

(٦) «إليه» ساقط من فـ.

دفعه إليه^(١). ثم أمر بالجارية فدُفِعَت إِلَيْهِ . ثم قال له : إِيَاكَ وَإِيَاهَا ، فلعل أباكَ كَانَ أَلَمَّ بِهَا . فقال^(٢) الغلام : هي لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قال : لا حاجةَ لِي بِهَا . قال : فابتَعُهَا مَنِّي . قال لَسْتُ إِذَا مِنْ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهُوَى . فلما عَزَمَ الْفَتَى عَلَى الْاِنْصَارَافِ بِهَا قَالَتْ : أَيْنَ وَجَدْكَ بِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قال : عَلَى حَالِهِ ، وَلَقَدْ زَادَ ! وَلَمْ تَزُلِ الْجَارِيَةُ فِي نَفْسِ عَمْرٍ حَتَّى ماتَ رَحْمَهُ اللَّهُ .

وهذا أبو بكر محمد^(٣) بن داود الظاهري، العَلَم^(٤) المشهور في فتون العلم من الفقه والحديث والتفسير والأدب، قوله قول في الفقه، وهو من أكابر العلماء، وعشيقه مشهور^(٥) .

قال نَفْطَوِيهِ : دَخَلْتُ عَلَيْهِ فِي مَرْضِهِ الَّذِي ماتَ فِيهِ ، فَقَلَتْ : كَيْفَ تَجَدُّكَ؟ فَقَالَ^(٦) : حَبْثُ مِنْ تَعْلِمَ أَوْرَثَنِي مَا تَرَى . فَقَلَتْ : وَمَا يَمْنَعُكَ مِنِ الْاسْتِمْتَاعِ بِهِ مَعَ الْقَدْرَةِ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ : الْاسْتِمْتَاعُ عَلَى وَجْهِيْنِ : أَحَدُهُمَا النَّظَرُ الْمُبَاحُ ، وَالآخَرُ اللَّذَةُ الْمُحَظَّوْرَةُ . فَأَمَّا النَّظَرُ الْمُبَاحُ فَهُوَ الَّذِي أَوْرَثَنِي مَا تَرَى . وَأَمَّا اللَّذَةُ الْمُحَظَّوْرَةُ فَمَنْعِنِي مِنْهَا مَا حَدَثَنِي أَبِي ، حَدَثَنَا سَوِيدُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ ، عَنْ أَبِي يَحْيَى الْقَتَّانِ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ يَرْفَعُهُ : «مِنْ عُشِّقٍ وَكَتَمْ وَعْفٍ وَصَبَرْ غَفْرَ اللَّهِ لَهُ» ،

(١) س : «رَدَّهُ عَلَيْهِ» .

(٢) ف : «قَال» .

(٣) ف ، ل : «بْنُ مُحَمَّد» ، خَطَأ . وَسَقَطَ «بْنُ دَاؤِد» مِنْ ل .

(٤) س : «الْعَالَمُ» . ز : «الْمُعْلَمُ» ، تَحْرِيفٌ .

(٥) انظر ترجمته في تاريخ بغداد (٢٥٦/٥)، وسير أعلام النبلاء (١٠٩/١٣).

(٦) ف : «قَال» .

وأدخله الجنة»^(١). ثم أنسد:

انظر إلى السّحر يجري في لواحظه
وانظر إلى دَعْجٍ في طرفه الساجي^(٢)
وانظر إلى شعراتٍ فوق عارضه
كأنهنَّ نِمَالٌ دَبَّ في عاجٍ
ثم أنسد:

مالهم أنكروا سواداً بخديثٍ
إِن يكن عيبٌ خدّه بدَّ الشَّعْرِ فعيُبُ العيون شَعْرُ الجفون^(٣)
فقلت له: نفيتَ القياس في الفقه، وأثبتَتَه في الشعر. فقال: غلبة
الوجود وملكة النفس دعوا إلينه. ثم مات من ليلته^(٤).

وبسبب معشوقه صنف كتاب «الزهرة». ومن كلامه فيه^(٥): من يئس
ممن^(٦) يهواه ولم يمُت^(٧) من وقته سلاه [١١٤/١] وذلك لأنّ أول روعات
اليأس^(٨) تأتي القلب، وهو غير مستعد لها؛ فأما الثانية فتأتي القلب،
وقد وطأته لها الروعة الأولى^(٩).

(١) انظر كلام المصنف على هذا الحديث في آخر الفصل.

(٢) س: «من لواحظه».

(٣) ورد الشطر الأول في ف هكذا: «إن يكن عيه عيب الشعر».

(٤) ف: «في ليلته». وانظر: تاريخ بغداد (٥/٢٦٢).

(٥) وأوله عنوان الباب الثامن والأربعين منه. انظر ص (٤٥٢).

(٦) ز: «تأسى بمن». وفي س: «باس بمن».

(٧) في الزهرة: «لم يلتفت»، ولعل صوابه: «لم يفتلت».

(٨) ز: «التائسي»، تحريف.

(٩) «الأولى» ساقط من س. وفي الزهرة: «الأولة».

والتقى هو وأبو العباس بن سُريج^(١) في مجلس أبي الحسن علي بن عيسى الوزير^(٢) فتناذرا في مسألة من الإيلاء، فقال له ابن سريح: أنت بأن تقول: «من دامت لحظاته كثرت حسراته»^(٣) أخذق منك بالكلام على الفقه!

فقال: لئن كان ذلك فإنّي أقول:

أَنْزَهْ فِي رَوْضِ الْمَحَاسِنِ مَقْلُتِي
وَأَمْنَعْ نَفْسِي أَنْ تَنالْ مَحْرَمَا
يُصْبَطْ عَلَى الصَّخْرِ الْأَصْمَّ تَهْدِمَا
وَأَحْمَلْ مِنْ تِقْلِيلِ الْهُوَى مَا لَوْ أَنَّه
وَيُنْطِقَ طَرْفِي عَنْ مُتَرْجَمَ خَاطِرِي
رَأَيْتُ الْهُوَى دُعْوَى مِنَ النَّاسِ كُلَّهُمْ فَلَسْتُ أَرْأِي وَدًا صَحِيحًا مُسْلِمًا
فَقَالَ لَهُ^(٤) أَبُو العَبَّاسِ بْنُ سُريج: بِمَ تَفْخِرُ عَلَيْ؟ وَلَوْ شَئْتُ قَلْتُ:
وَمُطَاعِيمُ كَالشَّهَدِ فِي نَغْمَاتِهِ قَدْ بَثُّ أَمْنَعَهُ لِذِيَّذِ سِنَاتِهِ

(١) س، ل: «شريح»، تصحيف. وهو أحمد بن عمر بن سريح القاضي البغدادي، شيخ الشافعية في وقته. توفي سنة ٣٠٦ هـ. انظر ترجمته في طبقات السبكي

(٢) ٢٥/٣)، وسير أعلام النبلاء (١٤/٢٠١).

(٢) أبو الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح البغدادي، من بلقاء زمانه. وزر غير مرة للمقتدر والقاهر. توفي سنة ٣٣٤ هـ. انظر ترجمته في معجم الأدباء (١٨٢٣)، وسير أعلام النبلاء (١٥/٢٩٨).

(٣) وهو عنوان الباب الأول من كتاب «الزهرة» (ص ٤٥)، وفيه: «من كثرت لحظاته دامت حسراته». وهو الصواب، وكذلك في زهر الآداب (٧٢٨).

(٤) في النسخ: «وَدَه»، والتصحيح من تاريخ بغداد وغيره.

(٥) «له» ساقط من ف.

ضيًّا به وبحسنه وحديثه وأنزه اللحظاتِ في وجئاته^(١)
حتى إذا ما الصبح لاح عموده ولئَي بخاتم ربه وبراته
فقال أبو بكر: يحفظ عليه الوزير ما أقرَّ به حتى يقيم شاهدين على
أنَّه ولئَي بخاتم ربه وبراءته.

فقال ابن سريج: يلزمني في هذا ما يلزمك في قولك:
أنَّه في روض المحسن مقلتي وأمنع نفسي أن تناول محراً ما
فضحك الوزير فقال: لقد جمعتما لطفاً وظرفاً.

ذكر ذلك أبو بكر الخطيب في تاريخه^(٢).

وجاءته يوماً فتيا مضمونها:

يا ابنَ داود يا فقيهَ العراقِ افتينا في قواتل الأحداق^(٣)
هل عليها بما أنت من جناح أم حلالٌ لها دُمُ العُشاقِ
فكتب الجواب تحت البيتين بخطه:

عندي جواب مسائل العشاقِ فاسمعه من قريح الحشا مشتاقِ

(١) ما عدا ف: «صيًّا به».

(٢) (٥: ٢٦٢) ولكن سياق القصة فيه مغاير لما ذكره المصنف هنا. فالمناظرة في رواية الخطيب وقعت في مجلس القاضي أبي عمر محمد بن يوسف، والمسألة من مسائل الظهار، مع خلافات أخرى. وسياقها هنا يوافق ما ورد في المصنون (١٢٦)، وزهر الآداب (٧٢٨)، ووفيات الأعيان (٤/ ٢٦٠)، ومنازل الأحباب (٧٦).

(٣) لـ: «فواتك الأحداق».

لما سألتَ عن الهوى هِيَجْتَنِي وأرقتَ دمعاً لم يكن بمُهراقٍ
إن كان معشوقٌ يعذّب عاشقاً كان المعدّبُ أنعمَ العشاقِ^(١)

قال صاحب كتاب «منازل الأحباب»^(٢) شهاب الدين محمود بن سلمان بن فهد صاحب الإنشاء^(٣): وقلتُ في جواب البيتين على وزنهما^(٤) مجيباً للسائل:

قل لمن جاء سائلاً عن لحاظِ
هنّ يلعبن في دم العشاق
ما على السيف في الورى من جُناحٍ
إن ثنى الحدّ عن دِمِ مُهراقٍ
وسِيوفُ اللّحاظ أولى بأن تُصْ
فتحَ عَمّا جنتُ على العشاق

(١) تاريخ بغداد (٢٥٧/٥)، ومنه في مصارع العشاق (٢١٣، ١١٩). وقد نقلها الخطيب بسنده عن الطبراني عن بعض أصحابه قال: «كتب بعض أهل الأدب إلى أبي بكر...». ونقل ابن خلكان (٢٦١/٤) عن ابن أبي الدنيا أنه كان حاضراً في مجلس أبي بكر، إذ جاءه المستفتى، وذكر أنه ابن الرومي الشاعر المشهور، أما جواب ابن داود فذكره بهذا اللفظ:

كيف يفتيكم قتيلٌ صريعٌ بسهام الفراق والاشتياقِ
وقتيل التلاقِ أحسن حالاً عند داود من قتيل الفراقِ
وهذا البستان على وزن بيتي السؤال، خلافاً لرواية الخطيب.

(٢) عنوانه الكامل: «منازل الأحباب ومنازل الألباب»، وهو مطبوع.

(٣) ولد في حلب سنة ٦٤٤هـ، وتوفي بدمشق سنة ٧٢٥. قال ابن رجب: بقي في ديوان الإنشاء نحوًا من خمسين سنة بدمشق ومصر. وولي كتابة السرّ بدمشق نحوًا من ثمان سنين قبل وفاته. الذيل على طبقات الحنابلة ٤٥٩/٤، وأعيان العصر ٣٧٢/٥.

(٤) وهذا يدلّ على أنّ شهاب الدين وقف على رواية الخطيب فقط، فلحظ أنّ جواب أبي بكر لم يكن على وزن شعر السائل.

إنما كُلُّ من قَتَلَنَ شَهِيدٌ^(١) ولهذا يفني ضَنْيَ وَهُوَ باقٍ^(٢)
ونظير ذلك فتوى وردت على الشيخ أبي الخطاب محفوظ بن أحمد
الكلوذاني شيخ الحنابلة في وقته^(٣) :

جاءت إِلَيْكَ وَمَا خَلَقْتُ لَهَا	قل لِإِلَامِ أَبِي الْخَطَابِ مَسَأْلَةً
لَا هُوَ لِخَاطِرِهِ ذَاتُ الْجَمَالِ لَهَا ^(٤)	مَاذَا عَلَى رَجُلٍ رَامَ الصَّلَاةَ فَمُدْ

فَأَجَابَهُ تَحْتَ سُؤَالِهِ :

سَرَّتْ فَوَادِي لِمَا أَنْ أَصْخَتُ لَهَا	قل لِلْأَدِيبِ الَّذِي وَافَى بِمَسَأْلَةِ
خَرِيدَةُ ذَاتُ حَسِينٍ فَانْشَنَى وَلَهَا ^(٥)	إِنَّ الَّذِي فَتَّنَهُ عَنْ عِبَادَتِهِ
فَرَحْمَةُ اللَّهِ تَغْشَى مِنْ عَصَى وَلَهَا ^(٦)	إِنْ تَابَ ثُمَّ قُضِيَ عَنْهُ عِبَادَتَهُ

وقال عبد الله بن معمر القيسي^(٧) : حججتُ سنة، ثم دخلتُ مسجد المدينة لزيارة قبر رسول الله ﷺ. وبينما أنا جالس ذات ليلة^(٨) بين القبر

(١) في النسخ الخطية: «شهيداً» بالنصب، والصواب ما أثبتنا.

(٢) لم ترد في منازل الأحباب، وكانت أولى به.

(٣) ولد في بغداد سنة ٤٣٢هـ، وتوفي فيها سنة ٥١٠هـ. ترجمته في الذيل على طبقات الحنابلة (١/٢٧٠).

(٤) من اللهو.

(٥) الوَلَهُ: ذهاب العقل، والتَّحْسُرُ من شدة الوجد. الصحاح (وله).

(٦) من اللهو. والقصة نقلها ابن رجب في الذيل (١/٢٧٦) عن ابن السمعاني.

(٧) القصة في المستجاد من فعلات الأجواد للتنوخي (١٢٦ - ١٣٤)، ومنازل الأحباب (١٨٧ - ١٩٣)، ومنه في الواضح المبين (٢٥٥ - ٢٥٩). وفي المستجاد: «عبد الله بن المعتمر...» ولم أجده له ترجمة.

(٨) ما عدال: «جالس ليلة».

والمنبر إذ سمعت أنيـنا، فأصغيـت إلـيهـ، فإذا هو يـقولـ:

أشـجـاكـ نـوحـ حـمـائـمـ السـدـرـ
أمـ عـزـ نـومـكـ ذـكـرـ غـانـيـةـ
ياـ لـيلـةـ طـالـتـ عـلـىـ دـنـيفـ
أـسـلـمـتـ مـنـ يـهـوـيـ لـحـرـ جـوـيـ
فـالـبـدـرـ يـشـهـدـ أـنـنـيـ كـلـفـ
ماـكـنـتـ أـحـسـبـنـيـ أـهـيمـ بـهـاـ
[١/١١٥]ـ

فـأـهـجـنـ منـكـ بـلـابـلـ الصـدـرـ
أـهـدـتـ إـلـيـكـ وـسـاوـسـ الـفـكـرـ^(١)
يـشـكـوـ السـهـادـ وـقـلـةـ الصـبـرـ
مـتـوـقـدـ كـتـوـقـدـ الـجـمـرـ^(٢)
مـغـرـيـ بـحـبـ شـبـيـهـ الـبـدـرـ
حـتـىـ بـلـيـتـ وـكـنـتـ لـاـ أـدـريـ

ثم انقطع الصوت، فلم أدر من أين جاء، وإذا به قد أعاد البكاء
والأنين، ثم أنسدـ:

أشـجـاكـ منـ رـيـاـ خـيـالـ زـائـرـ
واعـتـادـ مـهـجـتكـ الـهـوـيـ بـرـسـيـسـهـ
نـادـيـتـ رـيـاـ وـالـظـلـامـ كـائـنـهـ
وـالـبـدـرـ يـسـرـيـ فـيـ السـمـاءـ كـائـنـهـ
وـتـرـىـ بـهـ الـجـوـزـاءـ تـرـقـصـ فـيـ الدـجـيـ
والـلـيـلـ مـسـوـدـ الـذـوـائـبـ عـاـكـرـ^(٣)
واـهـتـاجـ مـقـلـنـكـ الـخـيـالـ الزـائـرـ^(٤)
يـمـ تـلاـطـمـ فـيـ مـوـجـ زـاخـرـ
مـلـكـ تـرـجـلـ وـالـنـجـومـ عـساـكـرـ
رـقـصـ الـحـبـيـبـ عـلـاهـ سـكـرـ ظـاهـرـ^(٥)

(١) فـ: «ذـكـرـ غـانـيـةـ»، تصـحـيفـ.

(٢) ما عـدـافـ: «تهـويـ»، تصـحـيفـ. وفيـ لـ: «متـوـقـدـاـ».

(٣) فـ: «مـنـ فـيـءـ»، ولعلـهـ تـحـرـيفـ.

(٤) كـذـاـ فـيـ النـسـخـ وـالـواـضـحـ الـمـبـيـنـ. وـفـيـ مـنـازـلـ الـأـحـبـابـ: «الـخـيـالـ الـبـاـكـرـ».

(٥) فـ: «ضـيـاـ الـجـوـزـاءـ يـرـقـصـ».

يَا لِيلُ طُلْتَ عَلَى مَحِبٍّ مَا لَهُ إِلَّا الصَّبَاحُ مُسَاعِدٌ وَمُؤَازِرٌ
فَأَجَابَنِي مُثْ حَتَفَ أَنْفِكَ وَاعْلَمَنِي أَنَّ الْهَوَى لَهُوَ الْهَوَانُ الْحَاضِرُ

قال : وَكُنْتُ ذَهَبْتُ عِنْدَ ابْتِدَائِهِ بِالْأَبِيَاتِ^(۱) ، فَلَمْ يَنْتَهِ إِلَّا وَأَنَا عَنْهُ .
فَرَأَيْتُ شَابًا مَقْبِلًا^(۲) شَبَابَهُ ، قَدْ خَرَقَ الدَّمْعَ فِي خَدَّهُ خَرْقَيْنَ ، فَسَلَّمَتُ
عَلَيْهِ ، فَقَالَ : أَجْلِسْ ، مَنْ أَنْتَ؟ فَقَلَتْ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعْمَرَ الْقِيسِيِّ . قَالَ :
أَلَكَ حَاجَةٌ؟ قَلَتْ : نَعَمْ ، كُنْتُ جَالِسًا فِي الرُّوْضَةِ ، فَمَا رَاعَنِي إِلَّا
صَوْتُكَ . فَبِنَفْسِي أَفْدِيكَ ، فَمَا الَّذِي تَجَدَّ؟ فَقَالَ : أَنَا عَتَبَةُ بْنُ الْحُبَابِ بْنُ
الْمَنْذِرِ بْنِ الْجَمْوَحِ الْأَنْصَارِيِّ^(۳) ، غَدَوْتُ يَوْمًا إِلَى مَسْجِدِ الْأَحْزَابِ ،
فَصَلَّيْتُ فِيهِ ، ثُمَّ اعْتَزَلْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ ، فَإِذَا^(۴) بِنْسُوَةٍ قَدْ أَقْبَلَنِي يَتَهَادَيْنِ مِثْلِ
الْقَطَّا ، وَفِي وَسْطِهِنِ جَارِيَّةٌ بَدِيعَةُ الْجَمَالِ كَامِلَةُ الْمَلاَحةِ ، فَوَقَفَتْ عَلَيَّ
وَقَالَتْ : يَا عَتَبَةً مَا تَقُولُ فِي وَصْلِ مَنْ يَطْلُبُ وَصْلَكَ؟ ثُمَّ تَرَكَتْنِي
وَذَهَبْتُ ، فَلَمْ أَسْمَعْ لَهَا خَبْرًا ، وَلَا قَفَوْتُ لَهَا أَثْرًا ، وَأَنَا حِيرَانٌ أَنْتَقَلَ مِنْ
مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ . ثُمَّ صَرَخَ وَأَكَبَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَفَاقَ كَأَنَّمَا^(۵) صُبِغَتْ
وَجْنَتَاهُ بَوْرُسْ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ^(۶) :

(۱) «بِالْأَبِيَاتِ» مِنْ ل.

(۲) فَ: «مَقْبِلًا».

(۳) فِي الْمُسْتَجَادِ: «عَيْنَةُ بْنُ الْحُبَابِ...». الْحُبَابُ مِنْ الْمَنْذِرِ صَحَابِيٌّ مُعْرُوفٌ .
وَهُوَ صَاحِبُ الرَّأْيِ يَوْمَ بَدْرٍ . وَابْنُهُ خَشْرُمُ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيبِيَّةِ . اَنْظُرْ جَمِيْرَةَ
أَنْسَابِ الْعَرَبِ (۳۵۹). وَالْإِصَابَةَ (۲۸۵/۲) . أَمَّا عَتَبَةُ أَوْ عَيْنَةُ بْنُ الْحُبَابِ فَلِمْ
أَجِدْ لَهُ ذَكْرًا .

(۴) ز: «وَإِذَا».

(۵) ز: «فَكَأَنَّمَا».

(۶) لَمْ يَرِدْ «يَقُولُ» فِي س، ف. وَفِي ل: «ثُمَّ أَنْشَدَ».

أراكِم بقلبي من بلاي بعيدةٌ
 فِيَا هَلْ تَرَوْنِي بِالْفَوَادِ عَلَى بُعْدِ
 فَوَادِي وَطَرْفِي يَأْسِفَانِ عَلَيْكُمْ
 وَعِنْدَكُمْ رُوحِي وَذَكْرِكُمْ عَنِّي
 وَلَوْ كُنْتُ فِي الْفَرْدَوْسِ فِي جَنَّةِ الْخَلِدِ
 فَقَلْتَ: يَا ابْنَ أَخِي تُبْ إِلَى رَبِّكَ، وَاسْتَغْفِرْ مِنْ ذَنْبِكَ^(۱)، فَبَيْنِ
 يَدِيكِ هُولُ الْمُطَلَّعِ^(۲). قَالَ: مَا أَنَا بِسَالٍ حَتَّى يُؤْوِبَ الْقَارُظَانِ^(۳)! وَلَمْ
 أَزِلْ مَعَهُ إِلَى أَنْ طَلَعَ الصَّبْحِ^(۴)، فَقَلْتَ: قَمْ بِنَا إِلَى مَسْجِدِ الْأَحْزَابِ،
 فَلَعِلَّ اللَّهَ أَنْ يَكْشِفَ كَرْبَتَكَ. قَالَ: أَرْجُو ذَاكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِرِبْكَةِ طَلْعَتِكَ.
 فَذَهَبْنَا حَتَّى أَتَيْنَا مَسْجِدَ الْأَحْزَابِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ:

يَا لَلَّرَجَالِ لِيَوْمِ الْأَرْبَاعَاءِ أَمَا
 يَنْفَكَ يُحِدِّثُ لِي بَعْدَ الثَّلَهِ طَرَبَا
 مَا إِنْ يَزَالَ غَزَالٌ مِنْهُ يُقْلِقِنِي
 يُخَبِّرُ النَّاسَ أَنَّ الْأَجْرَ هَمْتُهُ
 وَمَا أَتَى طَالِبًا لِلْأَجْرِ مُحْتَسِبًا
 لَوْ كَانَ يَبْغِي ثَوَابًا مَا أَتَى صَلِيفًا
 مُضَمَّحًا بِفَتْيَتِ الْمَسْكِ مُخْتَضِبًا^(۶)

(۱) فَ: (الذَّنْبُ).

(۲) يعني الموقف يوم القيمة أو ما يشرف عليه من أمر الآخرة عقب الموت. قال عمر رضي الله عنه: «لو آنَّ لي مافي الأرض جميعاً لافتديتُ به من هول المطلع». انظر النهاية (۱۳۲/۳).

(۳) من أمثلهم في التأييد. انظر تفسيره في فصل المقال (۴۷۳)، وجمهرة الأمثال (۱۲۳/۱).

(۴) لـ: «حتى طلَعَ الْفَجْرُ». سـ: «أنْ حَتَّى طَلَعَ الصَّبْحُ».

(۵) في المستجاد، ومنازل الأحباب، والواضح المبين: «يظلمني».

(۶) الصلف: الغلو في الظرف مع تكبر. اللسان (صلف). وفي المستجاد، ومنازل الأحباب، والواضح المبين: «أتى ظهراً».

ثم جلسنا حتى صلينا الظهر. فإذا بالنسوة قد أقبلن، وليس الجارية فيهن، فوتفن عليه، وقلن له: يا عتبة ما ظنك بطالبة وصلك وكاسفة بالك^(١)? قال: وما بالها؟ قلن: أخذها أبوها، وارتحل بها إلى أرض السماوة. فسألتهن عن الجارية، فقلن: هي ريا ابنة الغطريف السُّلْمِي. فرفع عتبة رأسه إليهن، وقال:

خليليَّ رِيَا قَدْ أَجَدَّ بِكُورُهَا وَسَارَتْ إِلَى أَرْضِ السَّمَاوَةِ عِيرُهَا^(٢)
خليليَّ إِنِّي قَدْ عَشِيتُ مِنَ الْبَكَاءِ فَهَلْ عِنْدَ غَيْرِي مَقْلَهُ أَسْتَعِيرُهَا^(٣)

فقلت له: إني قد وردتُ بما لجذيل أريد به أهلَ السَّرْر^(٤)، ووالله لأبدلنه أمامك حتى تبلغَ رضاك فوق الرضا! فقم بنا إلى مسجد الأنصار. فقمنا وسرنا حتى أشرفنا على ملأ منهم، فسلمتُ، فأحسنا الرد. فقلتُ: أيها الملأ ما تقولون في عتبة وأبيه؟ قالوا: من سادات العرب. فقلت: إنه قد رُميَ بداية من الهوى، وما أريد منكم إلا المساعدة إلى السماوة. فقالوا: سمعاً وطاعة.

فركبنا، وركب القوم معنا، حتى أشرفنا على منازل بني سليم. فأعلم الغطريفُ بنا، فخرج مبادراً، فاستقبلنا، وقال: حُييتم بالإكرام. فقلنا: وأنت فحياك الله، إننا لك أضيفاف. فقال: نزلتم أكرم متزل. فنادى: يا معشر العبيد أنزلوا القوم. ففرشت الأنطاع والنمارق^(٥)،

(١) في النسخ كلها: «كافحة بالك» بالشين المعجمة، تصحيف.

(٢) ف: «أخذن بكورها» تحريف.

(٣) في المستجاد بيت آخر بينهما.

(٤) ز: «السير»، تصحيف.

(٥) النَّطَعُ: بساط من أديم. والثُّمُرُقَةُ: الوسادة.

وَذُبِحَتِ الْذَبَائِحُ . فَقَلَنَا : لَسْنَا بِذِئْقِي طَعَامُكَ حَتَّى تَقْضِيَ حَاجَتَنَا .
 فَقَالَ : وَمَا حَاجَتُكُمْ؟ قَلَنَا : نَخْطُبُ عَقِيلَتَكَ الْكَرِيمَةَ لِعَتْبَةَ بْنَ الْحَبَابَ بْنَ
 الْمَنْذَرِ . فَقَالَ : إِنَّ الَّتِي تَخْطُبُونَهَا أَمْرُهَا إِلَى نَفْسِهَا ، وَأَنَا أَدْخُلُ
 أُخْبِرَهَا^(١) .

ثُمَّ دَخَلَ مَغْصِبًا عَلَى ابْنَتِهِ ، فَقَالَتْ : يَا أَبَتِ مَا لَيْ أَرَى الْغَضَبَ فِي
 وَجْهِكَ؟ فَقَالَ : قَدْ وَرَدَ الْأَنْصَارُ يَخْطُبُونِكَ^(٢) مِنِّي . قَالَتْ : سَادَة^(٣)
 كَرَامُ ، اسْتَغْفِرُ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَنِ الْخِطْبَةُ مِنْهُمْ؟ قَالَ : لِعَتْبَةَ بْنَ
 الْحَبَابِ . قَالَتْ : وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ عَنْ عَتْبَةِ هَذَا أَنَّهُ يَفِي بِمَا وَعَدَ ، وَيَدْرِكُ
 إِذَا قَصَدَ . فَقَالَ : أَقْسَمْتُ لَا زَوْجَتِكَ^(٤) بِهِ أَبَدًا ، وَلَقَدْ نَمِيَ إِلَيَّ بَعْضُ
 حَدِيثِكَ مَعَهُ . فَقَالَتْ : مَا كَانَ ذَلِكَ^(٥) ، وَلَكِنْ إِذَا أَقْسَمْتَ فَإِنَّ^(٦) الْأَنْصَارَ
 لَا يُرَدُّونَ^(٧) رَدًا قَبِيْحًا ، فَأَحْسِنْ لَهُمُ الرَّدَّ . فَقَالَ : بِأَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَتْ :
 أَغْلِظْ لَهُمُ الْمَهْرَ^(٨) ، فَإِنَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَلَا يَجِدُونَ . فَقَالَ : مَا أَحْسَنَ مَا
 قَلَتِ^(٩) !

ثُمَّ خَرَجَ مُبَادِرًا فَقَالَ : إِنَّ فَتَاهَ الْحَيَّ قَدْ أَجَابَتْ ، وَلَكِنِي^(٩) أَرِيدُ لَهَا

- (١) فَ : «أَخْطَبُهَا» .
- (٢) فَ : «يَخْطُبُونَ» .
- (٣) سَ : «سَادَاتٍ» .
- (٤) سَ، فَ : «لَا أَزُوْجُكَ» .
- (٥) سَ : «كَذِلِكَ» .
- (٦) «إِذَا أَقْسَمْتَ فَإِنَّ» ساقطٌ مِنْ سَ .
- (٧) فَ : «لَا تَرْدَّ» .
- (٨) «الْمَهْرُ» ساقطٌ مِنْ سَ .
- (٩) فَ : «وَلَكِنْ» .

مهرًا مثلها^(١)، فمن القائم به؟ فقال عبد الله بن معمر: أنا، فقل ما شئت! فقال: ألف مثقال من الذهب، ومائة ثوب من الأبراد، وخمسة أكرشة عنبر^(٢). فقال عبد الله: لك ذلك، فهل أجبت؟ قال: نعم، قال عبد الله: فأنفذت نفراً من الأنصار إلى المدينة، فأتوا بجميع ما طلب. ثم صنعت الوليمة وأقمنا على ذلك أيامًا. ثم قال: خذوا فتاتكم، وانصرِفوا مصاحبِين.

ثم حملها في هودج، وجهزها بثلاثين راحلة من المتعة والتحف، فودعناه، وسرنا، حتى إذا بقي بيننا وبين المدينة مرحلة واحدة خرجت علينا خيل تزيد الغارة، أحسبها من سليم، فحمل عليها عتبة بن الحباب، فقتل منهم رجالاً، وجدل آخرين. ثم رجع وبه طعنة تفور دمًا، فسقط إلى الأرض [١١٦/ب] وأتتنا نجدة^(٣)، فطردت عنا الخيل. وقد قضى عتبة نحبه، فقلنا: واعتباها! فسمعتنا^(٤) الجارية، فألقت نفسها عن البعير، وجعلت^(٥) تصيح بحرقة وأنشدت:

تصبرتُ لا أتَي صبرتُ وإنما أعلل نفسي أنها بك لاحقه
فلو أنصفت روحي ل كانت إلى الرَّدِي أمامك من دون البرية سابقَه

(١) ف، ل: «مهرًا مثلها».

(٢) ف: «من العنبر». والأكرشة: جمع كرش، وهو وعاء الطيب والثوب. اللسان (كرش). وفي المستجاد زيادة خمسة آلاف درهم من ضرب هجر، وعشرين ثوبًا من الوشي المطير، وعقد من الجوهر، وعشرين نافجة من المسك الأذفر!

(٣) س: «وانشى بخده»، تصحيف.

(٤) ف: «فسمعت».

(٥) «وجعلت» ساقط من ف.

فما أحدٌ بعدي وبعده منصفٌ خليلاً ولا نفسٌ لنفسِ موافقه

ثم شهقت، وقضت نحبها. فاحتفنا لهما قبراً واحداً، ودفناهما فيه. ثم رجعت، فأقمت^(١) سبعَ سنين. ثم ذهبت إلى الحجاز، ووردتُ المدينة، فقلت: والله لآتين قبرَ عتبة أزوره. فأتيت القبر، فإذا عليه شجرةٌ عليها عصائب حمر وصفر. فقلت لأرباب المنزل: ما يقال لهذه الشجرة؟ قالوا: شجرة العروسين!

ولو لم يكن في العشق من الرخصة المخالفة للتشديد إلا الحديث الوارد بالحسن من الأسانيد، وهو حديث سُويَّد بن سعيد، عن علي بن مسهر، عن أبي يحيى القيّات، عن مجاهد، عن ابن عباس يرفعه: «من عشقَ وعفَّ وكتَّم فمات، فهو شهيد»^(٢).

ورواه سويد أيضاً عن ابن مسهر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة مرفوعاً.

ورواه الخطيب، عن الأزهري، عن المعافى بن زكريا، عن قُطْبة بن الفضل^(٣)، عن أحمد بن مسروق عنه.

(١) ف: «ثم رحت إلى المدينة وأقمت»، وهو غلط. والمقصود أنه رجع إلى بلدته.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٣/١٩٥) وابن الجوزي في ذم الهوى

(١٠١). وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٥/٣٦٤) و(٦/٤٨) و(١١/٢٩٥)

و(١٣/٨٥) وابن الجوزي في العلل المتناهية (١٢٨٦، ١٢٨٧) وفي ذم الهوى

(٢٥٦ - ٢٥٨) من طريق جماعةٍ عن سويد بن سعيد به. وسيأتي كلام المؤلف عليه في آخر الكتاب.

(٣) ف: «قطبة عن الفضل»، خطأ.

ورواه الزبير بن بكار، عن عبدالعزيز الماجشون^(١)، عن عبدالعزيز بن أبي حازم، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس.

وهذا سيد الأولين والآخرين ورسول رب العالمين نظر إلى زينب بنت جحش فقال: «سبحان مقلب القلوب»^(٢). وكانت تحت زيد بن حارثة مولاها، فلما هم بطلاقها قال له: «اتق الله وأمسك عليك زوجك». فلما طلقها زوجها الله سبحانه من رسوله من^(٣) فوق سبع سماوات، فكان هو وليتها وولي تزويجها من رسوله. وعقد [١/١١٧] عقد نكاحها

(١) س، ف: «ابن الماجشون».

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/١٠١ - ١٠٢) والحاكم في المستدرك ٤/٢٥ من طريق محمد بن عمر الواقدي عن عبدالله بن عامر الإسلامي عن محمد بن يحيى بن حبان قال: جاء رسول الله ﷺ بيت زيد يطلبه... فذكره مطولاً. وفيه: «سبحان الله العظيم مصرف القلوب». الواقدي متروك الحديث. رواه سليم مولى الشعبي عن الشعبي أن رسول الله ﷺ ذكره وفيه: «سبحان الله مقلب القلوب». أخرجه ابن عدي في الكامل (٣١٦/٣). قلت: سليم ضعيف، والحديث مرسل. (ز).

وقال المؤلف في زاد المعاد (٤/٢٦٦): «وأما ما زعمه بعض من لم يقدر رسول الله ﷺ حق قدره أنه ابتلي به في شأن زينب بنت جحش وأنه رأها فقال: «سبحان مقلب القلوب»، وأخذت بقلبه، وجعل يقول لزيد بن حارثة: أمسكها... فظن هذا الراعم أن ذلك في شأن العشق وصنف بعضهم كتاباً في العشق، وذكر فيه عشق الأنبياء، وذكر هذه الواقعة. وهذا من جهل هذا القائل بالقرآن وبالرسل، وتحميله كلام الله ما لا يحتمله، ونسبته رسول الله ﷺ إلى ما برأه الله منه، فإن زينب...». وانظر ما سيأتي من كلام المصنف على قصة زينب في ص (٥٥٦) (ص).

(٣) لم ترد «من» في ز.

فوق عرشه، وأنزل على رسوله : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَأَنْقَأَ اللَّهَ وَتَحْفَنِي فِي نَفْسِكَ مَا أَلَّهُ مُبِدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ ﴾ [الأحزاب / ٣٧].

وهذا داود النبي الله لما كان تحته تسع وتسعون امرأة، ثم أحب تلك المرأة، فتزوجها، وكمّل بها المائة !^(١)

وقال الزهري : أول حب^(٢) كان في الإسلام حب النبي ﷺ عائشة^(٣) ، وكان مسروق يسمّيها «حبّي رسول رب العالمين»^(٤).

(١) أخرج القصة بطولها الطبرى في تفسيره (٢٣/١٥٠ - ١٥١) وغيره من طريق يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك، فذكر قصة ذلك مطولاً. وهو حديث باطل لا يثبت.

و جاء نحو هذه القصة في تفسير الطبرى أيضاً (٢٣/١٤٦ - ١٥١) عن السدى والحسن البصري و وهب بن منبه و مجاهد و عطاء الخراسانى و عن ابن عباس ولا يصح عنه.

(٢) من «ثم أحب تلك...». إلى هنا ساقط من س.

(٣) ز : «العاشرة» (ص). أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤٤/٢) من طريق الوليد بن محمد الموقري عن الزهري فذكره. ورواه الوليد أيضاً عن الزهري عن أنس. أخرجه الدارقطني في الأفراد (٢٢١ - ٢٢٠) - أطراف الغرائب). قلت: الحديث باطل موضوع، والوليد متزوك الحديث. قال الشوكاني في الفوائد المجموعة (١٢٦): «رواه الدارقطني عن أنس مرفوعاً، وفي إسناده كذابان». ورواه محمد بن الزبير الحرانى عن الزهري فذكره. أخرجه الخطيب في تاريخه (٤٣٤/٤). فيه محمد بن الزبير. قال ابن عدي: منكر الحديث عن الزهري. الكامل (٦/٢٣٨).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/٦٦) والإمام أحمد في العلل (٢/٤١١) (٢٨٤٠) وأبو نعيم في الحلية (٢/٤٤) وابن عبدالبر في التمهيد (١٣/٣٥) وغيرهم من طريق الأعمش وحبيب بن أبي ثابت عن مسلم أبي الضحى عن =

وقال أبو قيس مولى عبدالله بن عمرو: أرسلني عبدالله بن عمرو إلى أم سلمة أسؤالها: أكان النبي ﷺ يقبل وهو صائم فقالت: لا. فقال: إن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يقبلها وهو صائم. فقالت أم سلمة: إنّ النبي ﷺ كان إذا رأى عائشة لا يتمالك عنها^(١).

وذكر سعد^(٢) بن إبراهيم، عن عامر بن سعد، عن أبيه قال: كان إبراهيم خليل الله ﷺ يزور هاجر في كل يوم من الشام على البراق من

مسروق أنه كان إذا حدث عن عائشة قال: «حدثني الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله المبرأة فلم أكذبها». وسنده صحيح.

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٣٠٧٢) وأحمد (٢٩٦/٦) (٢٦٥٣٣) وابن أبي عاصم في الأحاديث المثنوي (٣٠٣٠) والطحاوي في شرح المعاني (٩٣/٢) والطبراني في الكبير (٣٨٩/٢٣) رقم وغيرهم من طريق موسى بن علي بن رياح عن أبيه عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن أم سلمة.

قال ابن عبد البر في التمهيد (١٢٥/٥): «هذا حديث متصل، لكنه ليس يجيء إلا بهذا الإسناد، وليس بالقوي. وهو منكر على أصل ما ذكرنا عن أم سلمة. وقد رواه عن موسى بن علي: عبدالرحمن بن مهدي و...، وما انفرد به موسى بن علي فليس بحججة، والأحاديث المذكورة عن أم سلمة معارضة له، وهي أحسن مجينا وأظهر تواتراً، وأثبتت نقلأ منه».

قلت: لموسى بن علي حديث آخر غريب شاذ نظير هذا تكلم فيه الأثر وابن عبد البر. انظر الناسخ والمنسوخ للأثرم (١٨٠) والصيام من شرح العمدة لابن تيمية (٥٦٩/٢). (ز).

ومن أحاديث أم سلمة المعارضة له: ما رواه مسلم في كتاب الصيام (١١٠٨) عن عمر بن أبي سلمة أنه سأله رسول الله ﷺ: أيقبل الصائم؟ فقال له رسول الله ﷺ: «سل هذه» (لأم سلمة) فأخبرته أن رسول الله ﷺ يصنع ذلك. (ص).

(٢) ف: «سعید»، تحریف.

شغفه بها وقلة صبره عنها^(١).

وذكر الخرائطي^(٢) أنَّ عبد الله بن عمر اشتري جارية رومية، فكان يحبّها حبًّا شديداً، فوّقعت ذات يوم عن بُغْلَة لـه، فجعل يمسح التراب عن وجهها، ويفدّيها^(٣). وكانت تكثر أن تقول له: يا بَطْرون، أنت قالون. تعني^(٤): يا مولاي أنت جيد. ثم إنها هربت منه، فوجد عليها وجداً شديداً، وقال:

قد كنت أحسّبني قالون فانصرفتْ فاليلوم أعلم أتّي غيرُ قالون
قال أبو محمد بن حزم: وقد أحبَّ من الخلفاء الراشدين والأئمَّة
المهديين كثير^(٥).

(١) أخرجه الخرائطي في اعتلال القلوب (٣١١) مطولاً. وفيه الواقدي، متوك الحديث. (ز) وانظر روضة المحبين (٢٧٥).

(٢) وكذا قال في روضة المحبين (٢٧٨) أيضاً. وكذا عن الخرائطي في الواضح المبين (٢٩)، ولم أجده في المطبوع من اعتلال القلوب (ص). أخرجه ابن عساكر في تاريخه (١٧٨/٣١) من طريق شيخ من أهل المدينة عن مالك قال، فذكره. وسنته لا يصح لجهالة هذا الشيخ، ولأجل الانقطاع بين مالك وابن عمر (ز).

(٣) س، ل: «ويقتلها».

(٤) س، ل، ز: «يعني». ولم ترد الكلمة في ف.

(٥) كذا ورد قول ابن حزم في الواضح المبين (٣٠) وروضة المحبين (٢٧٨). والذي في طوق الحمامات^(٥): «من الخلفاء المهديين والأئمَّة الراشدين». وقد ذكر ابن حزم بعده عبد الرحمن بن معاوية، والحكم بن هشام، وعبد الرحمن بن الحكم من حُكَّام الأندلس وبعض كبار رجالهم. وفي ف: «وقد أحبَّ الخلفاء الراشدون والأئمَّة المهديون كثيراً»!

وقال رجل لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين رأيت امرأةً فعشقتُها. فقال: ذاك مالا تملك^(١).

فالجواب - وبالله التوفيق - أنَّ الكلام في هذا الباب لا بد فيه من التمييز بين الواقع والجائز^(٢) والنافع والضار. ولا يُسجَل^(٣) عليه بالذم والإنكار ولا بالمدح [١١٧/ب] والقبول من حيث الجملة^(٤). وإنما يتبيَّن حكمه وينكشف أمره بذكر متعلقه، وإلا فالعشق من حيث هو لا يُحَمَّد ولا يُذَمَّ. ونحن نذكر النافع من الحب والضار والجائز والحرام.

اعلم أنَّ أَنفع المحبة على الإطلاق وأوجَبها وأعلاها وأجلَّها محبةً مَنْ جُبِلت القلوب على محبته، وفطرت الخلية على تألهه. وبها قامت الأرض والسماءات، وعليها فُطِرت المخلوقات. وهي سرّ شهادة أن لا إله إلا الله، فإنَّ «الإله» هو الذي تأله القلوب^{*} بالمحبة والإجلال والتعظيم والذل والخضوع، وتبعدُه. والعبادة لا تصح إلا له وحده، و«العبادة» هي كمال الحب مع كمال الخضوع والذل. والشرك في هذه العبودية من أظلم الظلم الذي لا يغفره الله. والله تعالى يُحَبُّ لذاته من جميع الوجوه، وما سواه فإنَّما يُحَبُّ تبعًا لمحبته.

(١) الواضح المبين (٣٠).

(٢) ف: «الواقع الجائز».

(٣) س، ل: «لا يستعجل». والمثبت من ز. وكذا في ف، ولكن يظهر أنه غير. وأسجل الحكم: أرسله. والمقصود أنه لا يحكم عليه مطلقاً بالمدح أو الذم. قال المصنف في الصواعق المرسلة (٧٩١): «وأسجل عليهم بالكفر والنفاق».

(٤) انظر: روضة المحبين (٣١٠).

وقد دلّ على وجوب محبته سبحانه جميع^(١) كتبه المنزلة، ودعوةُ جميع رسله، وفطرته التي فَطَرَ عباده عليها، وما رَكِبَ فيهم من العقول، وما أَسْبَغَ عليهم من النعم - فإن القلوب مفطورة مجبولة على محبة من أنعم عليها وأحسن إليها، فكيف بمن كل^(٢) الإحسان منه، وما بخلقه جميعهم من نعمة فمنه^(٣) وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَكُمْ مِنْ نَعْمَةٍ فِيمَنَ اللَّهُ ثُمَّ إِذَا مَسَكُمُ الظُّرُفُ فَإِلَيْهِ تَجْهَرُونَ﴾ [النحل / ٥٣]؟ - وما تعرّف به إلى عباده من أسمائه الحسنی وصفاته العلا، وما دلت عليه آثار مصنوعاته من كماله ونهاية جلاله^(٤) وعظمته.

والمحبة لها داعيان: الجمال والإجمال^(٥)، والرب تعالى له الكمال المطلق من ذلك، فإنّه جميل يحبّ الجمال^(٦)، بل الجمال كله له، والإجمال^(٧) كله منه. فلا يستحقّ أن يُحبّ لذاته من كل وجه سواه. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُجْبِونَ اللَّهَ فَأَتَيْتُمُونِي مَتَّعِبِكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران / ٣١].

وقال تعالى: ﴿يَتَآتِهَا الَّذِينَ أَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ

(١) «فَإِنَّمَا يُحِبُّ . . . جَمِيع» ساقط من ل.

(٢) س: «كان»، تحريف.

(٣) ف: « فمن الله».

(٤) كذا في س. وفي ف، ل: «من كماله وبهائه وجلاله» وفي ز: «من جماله وبهائه وجلاله».

(٥) انظر مدارج السالكين (٢/٢٨٨). وأراد بالإجمال: الإحسان والإنعم. وفي ف: «والإجلال» تحريف.

(٦) العبارة «والرب تعالى . . . الجمال» ساقطة من ف.

(٧) ف: «الإجلال»، تحريف.

يُمْهِمُهُ وَيَحْبُونَهُ أَذْلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْزَّةٍ عَلَى الْكَفَرِينَ يُجْهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ [١١٨] لَوْمَةً لَا يُمْرِرُ ذَلِكَ فَضْلُّ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُمْ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ ۝ إِنَّا وَلِيَسْكُنُ اللَّهَ وَرَسُولَهُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ وَيَرْتَبُونَ الزَّكُوةَ وَهُمْ رَكِعُونَ ۝ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَلَبُونَ ۝ [المائدة / ٥٦ - ٥٤].

والولاية أصلها الحبّ، فلا موالة إلا بحبّ؛ كما أنّ العداوة أصلها البغض . واللهُ وليّ الذين آمنوا، وهم أولياؤه، فهم يواليونه بمحبتهم له ، وهو يواليهم بمحبته لهم . فاللهُ^(١) يوالي عبده بحسب محبته له .

ولهذا أنكر سبحانه على من اتخذ من دونه أولياء، بخلاف من والى أولياءه، فإنه لم يتخذهم من دونه، بل موالاته^(٢) لهم من تمام موالاته.

وقد أنكر على من سوئ بيته وبين غيره في المحبة، وأخبر أن من فعل ذلك فقد اتخد من دونه أنداداً يحبّهم ^(٣) كحب الله، والذين آمنوا أشد حبّ الله. وأخبر عمن سوئ بيته وبين الأنداد في الحب أنّهم يقولون في النار لمعبوديهم: ﴿تَاللهُ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ^{١٧} إِذ سُوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ^{٩٨} [الشعراء / ٩٧ - ٩٨].

وبهذا التوحيد في الحب أرسل الله سبحانه جميع رسله، وأنزل جميع كتبه، وأطبقت عليه دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم، ولأجله خلق السماوات والأرض والجنة والنار، فجعل الجنة لأهله، والنار للمشركين به فيه^(٤).

(١)

(٢) ف: «فَإِنَّهُمْ لَمْ يَتَخَذُوهُمْ مِنْ دُونِهِ بَلْ مَوَالِتَهُمْ».

(٣) س، ف: «يحبونهم».

(٤) «فيه» ساقط من ف.

وقد أقسم النبي ﷺ أنّه «لا يؤمن عبدٌ حتى يكونَ هو أحبُّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»^(١) فكيف بمحبة الربّ جلّ جلاله؟

وقال لعمر بن الخطاب : «لا حتّى أكون أحبُّ إليك من نفسك»^(٢).
أي لا تؤمن حتى تصل محبتك لي إلى هذه الغاية.

وإذا كان النبي ﷺ أولى بنا من أنفسنا في المحبة ولو ازدانتها، أفاليس الربّ - جلّ جلاله ، وتقديست أسماؤه ، وتبارك اسمه ، وتعالى جده ، ولا إله غيره - أولى بمحبّيه^(٣) وعباده من أنفسهم؟

وكلُّ ما منه إلى عبده المؤمن يدعوه إلى محبته ، مما يحبُّ العبد أو يكره . فعطاؤه ومنعه^(٤) ، وعما فاته وابتلاؤه ، وقبضه وبسطه ، وعدله وفضله ، وإماتته وإحياؤه ، ولطفه وبرّه ، ورحمته [١١٨/ب] وإحسانه ، وسترته وغفوه ، وحلمه وصبره على عبده ، وإجابتة لدعائه ، وكشف كربه ، وإغاثة لهفته ، وتفریج كربته - من غير حاجة منه إليه ، بل^(٥) مع غناه التام عنه من جميع الوجوه^(٦) - كلُّ ذلك^(٧) داعٍ للقلوب إلى تألهه ومحبته .

بل تمكينه عبده من معصيته ، وإعانته عليه وسّتره حتى يقضي وطره

(١) تقدم تخریجه (٤٦٤).

(٢) تقدم تخریجه (٤٦٤).

(٣) لـ سـ: «بمحبته»، تصحیف.

(٤) فـ: «عطاؤه ومنعه». وقد سقط «ومنعه» من زـ.

(٥) «بل» ساقطة من زـ، و«مع» ساقطة من سـ.

(٦) فـ: «كل الوجوه».

(٧) لـ: «وكل ذلك» خطأ، وقد سقط منها «داع».

منها، وكلاءه وحراسته له وهو يقضي وطره من معصيته، بعينه، ويستعين عليها بنعمه = من أقوى الدواعي إلى محبته.

فلو أنّ مخلوقاً فعل بمخلوق أدنى شيء من ذلك لم يملك قلبه عن محبته، فكيف لا يحبّ العبد بكلّ قلبه وجوارحه من يحسن إليه على الدوام بعدد الأنفاس، مع إساءاته؟ فخيره إليه نازل، وشرّه إليه صاعد، يتحبّب إليه بنعمه وهو غنيّ عنه، والعبد يتبغض إليه بالمعاصي وهو فقير إليه^(١)! فلا إحسانه وبرّه وإنعامه عليه يصدّه عن معصيته، ولا معصية العبد ولؤمه يقطع إحسان ربّه عنه!

فاللّؤم تخلف القلوب عن محبة من هذا شأنه، وتعلقُها بمحبة سواه!

وأيضاً فكلّ من تحبّه من الخلق ويحبّك إنّما يريده لنفسه وغرضه منك، والله سبحانه وتعالى يريده لك، كما في الأثر الإلهي: «عدي، كلّ يريده لنفسه، وأنا أريده لك»^(٢) فكيف لا يستحيي العبد أن يكون ربّه له^(٣) بهذه المنزلة، وهو مُعرض عنه، مشغول بحبّ غيره، قد استغرق^(٤) قلبه محبة سواه؟

وأيضاً فكلّ من تُعامله من الخلق إن لم يربح عليك لم يُعاملك،

(١) مأخوذ من «أثر إلهي» قال وهب بن منبه إنه قرأه في بعض الكتب. انظر حلية الأولياء (٤/٣١). ونقله المؤلف في غير موضع. انظر: زاد المعاد

(٢) (٤٦٤/٢)، ومدارج السالكين (١/٤٠٩).

(٣) ذكره المصنف أيضاً في مدارج السالكين (٣/٤٠٧).

(٤) ف: «له ربّه».

(٥) س، ل: «وقد استغرق».

ولا بدّ له^(١) من نوع من أنواع الربح . والربّ تعالى إنّما يعاملك لتربح أنت عليه أعظمَ الربح وأعلاه . فالدرهم بعشرة أمثاله إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، والسيئة بواحدة ، وهي أسرع شيء محوّاً .

وأيضاً فهو سبحانه خلقك لنفسه ، وخلق كلّ شيء لك في الدنيا والآخرة . فمن أولى منه باستفراغ الوعس في محبته وبذل الجهد في مرضاته؟

وأيضاً فمطالبك بل مطالب الخلق كلّهم جميّعاً لديه ، وهو أجود الأجددين ، وأكرم الأكرمين ، وأعطي عبده قبل أن يسأله فوق ما يؤمّله . يشكر القليل من العمل وينمّيه [١/١١٩] ، ويغفر الكثير من الزلل ويمحوه^(٢) . ﴿يَسْتَأْمُرُ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَانِ﴾ [الرحمن / ٢٩] . لا يشغله سمع عن سمع ، ولا يغليطه كثرة المسائل ، ولا يتبرّم بإلحاح الملّحين ، بل يحبّ الملّحين في الدعاء . ويُحبّ أن يُسأّل ، ويغضّب^(٣) إذا لم يُسأّل . يستحيي من عبده حيث^(٤) لا يستحيي العبد منه ، ويستره حيث لا يستر نفسه ، ويرحمه حيث لا يرحم نفسه . دعاه بنعمه وإحسانه^(٥) وأياديه إلى كرامته ورضوانه ، فأبى . فأرسل رسلاً في طلبه ، وبعث إليه معهم عهده . ثم نزل سبحانه إليه بنفسه ، وقال : «من يسألني

(١) «له» ساقط من س .

(٢) بعده في س ، ف : «ويسأله» .

(٣) ف : «فيغضب» .

(٤) ف : «من حيث» . والعبارة «يستحي... حيث لا» ساقطة من س .

(٥) س : «دعاه بإحسانه» .

فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟»^(١).

أدعوكَ للوصول تأبِي أبعَث رسولي في الطلب^(٢)
أنزلْ إليكَ بنفسي ألقاكَ في الشوام!^(٣)

وكيف لا تحبّ القلوبُ من لا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يذهب
بالسيئات إلا هو، ولا يجib الدعوات إلا هو، ولا يُقْيل^(٤) العثرات
ويغفر الخطّيئات ويستر العورات ويكشف الكربّات ويُغيث اللهفات
ويُنيل الطلبات سواه؟

فهو «أحقّ من ذِكر، وأحقّ من شُكْر، وأحقّ من عِبد، وأحقّ من
حُمد، وأنصَر من ابْتُغِي، وأرأف من ملَك، وأجود من سَلَل، وأوسع من
أعطى، وأرحم من استُرْحِم، وأكرم من قُصِد»^(٥)، وأعزّ من التُّجَيِّء
إِلَيْهِ، وأكفي من تُوَكَّلْ عَلَيْهِ^(٦). أرَحَمُ بعبيده من الوالدة بولدها^(٧)، وأشدّ

(١) سبق تحريرجه (٢٣٣).

(٢) لـ: «يطلبك».

(٣) لم يرد هذا الشعر في سـ. وذهب على الناشرين أنه نظم، فأثبتته نثرًا!

(٤) فـ: «ومن يُقْيل». وفي لـ، زـ: «ولا يجib الدعوات ويُقْيل العثرات».

(٥) هذا لفظ حديث أخرجه الطبراني في الكبير وفي الدعاء عن أبي أمامة الباهلي
أن النبي ﷺ كان إذا أصبح قال: وقال الهيثمي في مجمع الزوائد
(١٠/١١٧): رواه الطبراني وفيه فضالة بن عبيد مجمع على ضعفه.

وقد ذكره ابن القيم مضمّناً في الوابل الصيب (١٥٣) أيضًا.

(٦) سـ، فـ: «توكل العبد عليه». لـ: «توكل عليه العبد».

(٧) كما جاء في حديث عمر رضي الله عنه. أخرجه البخاري في الأدب، باب
رحمة الولد... (٥٩٩٩)؛ ومسلم في التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى =

فرحاً بتبوية التائب من الفاقد لراحته التي عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة، إذا يئس من الحياة ثم وجدها^(١).

وهو الملك لا شريك له، والفرد فلا ند^(٢) له. كل شيء هالك إلا وجهه. لن يطاع إلا بإذنه، ولن يعصى إلا بعلمه. يطاع فيشكُرُ، وبتوفيقه ونعمته أطِيعَ. ويعصى فيغفر ويغفو^(٣)، وحُقْهُ أضِيعَ.

فهو أقرب شهيد وأجل حفيظ. وأوفي وفي بالعهد، وأعدل قائم بالقسط. حال دون النقوس، وأخذ بالتوصي، وكتب الآثار، ونسخ الآجال. فالقلوب له مفضية، والسرّ عنده علانية. والغيب لديه^(٤) مكشوف، وكل أحد إليه ملحوظ^(٥).

عننتِ الوجوه لنور وجهه، وعجزت القلوب عن إدراك كنهه، ودللت الفطر والأدلة كلها على امتناع مثله وشبهه. أشرقت لنور وجهه الظلمات، واستنارت له الأرض والسماءات، وصلحت عليه جميع المخلوقات. «لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام. يحفظ القسط، ويرفعه. [١١٩/ب] يُرفع إليه عملُ الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل. حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سُبحاتُ وجهه ما انتهى إليه

= (٢٧٥٤).

(١) يشير إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه. أخرجه البخاري في الدعوات، باب التوبة (٦٣٠٨)؛ ومسلم في التوبة، باب في الحض على التوبة (٢٧٤٤).

(٢) س، ل: «لا ند».

(٣) س: «فيغفو ويغفر». وسقط «ويغفو» من ز.

(٤) ز: «عنه».

(٥) بعض هذه الألفاظ وارد في حديث أبي أمامة السابق.

بصره من خلقه»^(١).

ما اعتاض باذل حبه لسواه مِن عوضٍ ولو ملَك الوجود بأسره

فصل

وها هنا أمر عظيم يجب على اللبيب الاعتناء به، وهو أن كمال اللذة والفرح والسرور ونعيم القلب وابتهاج الروح تابع لأمرتين:

أحدهما: كمال المحبوب في نفسه وجماله وأنه أولى بإيثار الحب^(٢) من كل ما سواه.

والأمر الثاني: كمال محبته، واستفراغ الوسع في حبه، وإيثار قربه والوصول إليه على كل شيء.

وكل عاقل يعلم أن اللذة بحصول المحبوب بحسب قوة محبته. فكلّما كانت المحبة أقوى^(٣) كانت لذة المحب^(٤) أكمل. فلذة من اشتدر ظمئه بإدراك الماء الزلال، ومن اشتدر جوعه بأكل الطعام الشهي ونظائر ذلك على حسب شوقه وشدة إرادته ومحبته.

وإذا^(٥) عُرف هذا فاللذة والسرور والفرح أمر مطلوب في نفسه، بل هو مقصود كل حي؛ وإذا كانت اللذة مطلوبة لنفسها، فهي

(١) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. أخرجه مسلم في الإيمان، باب في قوله عليه السلام: إن الله لا ينام... (١٧٩).

(٢) ل، حاشية س: «المحبة».

(٣) «أقوى» ساقط من ز.

(٤) ف: «الحب».

(٥) س: «فإذا».

تُذَمَّ^(١) إذا أعقبتْ أَلْمًا أَعْظَمَ مِنْهَا، أو منعْتْ لذَّةَ خَيْرًا وَأَجْلَّ مِنْهَا. فكيف إذا أَعْقَبَتْ أَعْظَمَ الْحَسَرَاتِ، وَفَوَتَتْ أَعْظَمَ اللَّذَّاتِ وَالْمُسَرَّاتِ؟ وَتُحَمَّدُ إِذَا أَعَانَتْ عَلَى لذَّةِ عَظِيمَةٍ دَائِمَةً مُسْتَقْرَّةً لَا تَنْغِيْصُ فِيهَا وَلَا نَكْدُ بِوجْهِهِ ما^(٢)، وَهِيَ لذَّةُ الْآخِرَةِ وَنَعِيمُهَا وَطَيْبُ الْعِيشِ فِيهَا^(٣). قَالَ تَعَالَى: «بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا^{١٦} وَإِلَّا لَآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى^{١٧}» [الْأَعْلَى / ١٦ - ١٧]، وَقَالَ السُّرْهَرَةُ لِفَرْعَوْنَ لِمَا آمَنُوا: «فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٌِ إِنَّمَا نَقْضُ هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا^{١٨} إِنَّا مَاءَنَا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَّابَنَا وَمَا أَكْرَهْنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى^{١٩}» [طه / ٧٢ - ٧٣].

وَاللَّهُ سَبَحَانَهُ خَلْقُ الْخَلْقِ لِيُنِيلَهُمْ هَذِهِ الْلذَّةُ الدَّائِمَةُ فِي دَارِ الْخَلْدِ، وَأَمَا الدُّنْيَا فَمِنْ قَطْعَةٍ، وَلَذَّاتُهَا لَا تَصْفُو أَبَدًا وَلَا تَدُومُ، بِخَلَافِ الْآخِرَةِ فَإِنَّ لَذَّاتُهَا دَائِمَةً، وَنَعِيمُهَا خَالِصٌ مِنْ كُلِّ كَدْرٍ وَأَلْمٍ، وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذِّذُ الْأَعْيُنُ مَعَ الْخَلْوَدِ أَبَدًا. وَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى اللَّهُ لِعِبَادِهِ فِيهَا^(٥) مِنْ قَرْةِ أَعْيُنٍ، بَلْ فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أَذْنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ [١٢٠ / ١] بَشَرٍ.

وَهَذَا الْمَعْنَى الَّذِي قَصَدَهُ النَّاصِحُ لِقَوْمِهِ بِقَوْلِهِ: «يَقُولُونَ أَتَيْعُونَ أَهَدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ^{٢٨} يَقُولُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ^{٢٩}» [غافر / ٣٨ - ٣٩] فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الدُّنْيَا مَتَّعٌ

(١) ف: «نَذْمٌ»، تَصْحِيفٌ.

(٢) ل: «وَنَكْدُ بِوجْهٍ».

(٣) «وَلَا نَكْدُ... فِيهَا» ساقطٌ مِنْ س.

(٤) فِي النَّسْخَةِ: «اقْضِ» دُونَ الْفَاءِ.

(٥) ف: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ».

(٦) فِي النَّسْخَةِ: «اتَّبعُونِي» بِإِثْبَاتِ الْيَاءِ، وَقَدْ أَثْبَتَهَا أَبُو عُمَرٍ وَقَالُونَ فِي الْوَصْلِ، =

يُسْتَمْتَعُ^(١) بها إلى غيرها، وأن الآخرة هي المستقرّ.

وإذا عُرِفَ أنَّ لذَّاتَ الدُّنْيَا ونعيْمَهَا مَتَاعٌ ووسيلةٌ إلى لذَّاتِ الآخرة^(٢)، ولذلك خُلِقتَ الدُّنْيَا ولذَّاتِها، فكُلَّ لذَّة أُعانتَ على لذَّةِ الآخرة وأوصلتُ إليها لم يُدَمَّ تناولُها، بل يُحَمَّد بحسب إِيصالها إلى لذَّةِ الآخرة.

إذا عُرِفَ هَذَا، فَأَعْظَمُ نَعِيمَ الْآخِرَةِ وَلذَّاتِهَا: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالَهُ، وَسَمَاعُ كَلَامِهِ مِنْهُ، وَالقُرْبُ مِنْهُ؛ كَمَا ثَبَّتَ فِي الصَّحِيفَةِ حَدِيثُ الرَّؤْيَا: «فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ»^(٣).

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «إِنَّهُ إِذَا تَجَلَّ لَهُمْ وَرَأُوهُ نَسُوا مَا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ»^(٤).

وَفِي النَّسَائِيِّ وَمُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ عُمَارِ بْنِ يَاسِرِ عَنْ

= وَابْنِ كَثِيرٍ فِي الْحَالِيْنِ. الإِقْنَاعُ (٧٥٥).

(١) س، ل: «يُمْتَنَعُ».

(٢) ف: «لذَّةِ الْآخِرَةِ».

(٣) ف: «إِلَى وَجْهِ الْكَرِيمِ». وَهُوَ مِنْ حَدِيثِ صَهِيبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الْإِيمَانِ، بَابِ إِثْبَاتِ رَؤْيَا الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ رَبَّهُمْ سَبَّحَهُ وَتَعَالَى (١٨١).

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ ماجَهَ (١٨٤) وَالْعَقِيلِيُّ فِي الْضَّعِيفَاءِ (٢٧٤/٢ - ٢٧٥) وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي صَفَةِ الْجَنَّةِ (٩٨) وَغَيْرِهِمْ بِنَحْوِهِ. فِيهِ الْفَضْلُ بْنُ عَيْسَى الرَّقَاشِيُّ مُتَرَوِّكُ الْحَدِيثِ. وَالْحَدِيثُ تَكَلَّمُ فِيهِ الْعَقِيلِيُّ وَابْنُ عَدِيٍّ وَابْنُ الْجُوزِيِّ وَابْنُ كَثِيرٍ وَالْبُوْصِيرِيُّ. وَجَاءَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ بِمَثَلِهِ عِنْدَ الْأَجْرِيِّ فِي الشَّرِيعَةِ (٥٧٢). وَفِي سَنَدِهِ عُمَرُ بْنُ مَدْرَكَ الْقَاصِ. قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: كَذَّابٌ. انْظُرْ الجَرْحَ (٦/١٣٦) وَلِسَانَ الْمِيزَانَ (٦/٥٦٩٠).

النبي ﷺ في دعائه: «وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك»^(١).

وفي كتاب السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد^(٢) مرفوعاً: «كأن الناس يوم القيمة لم يسمعوا القرآن. إذا سمعوه^(٣) من الرحمن، فكأنهم^(٤) لم يسمعوا به قبل ذلك».

وإذا عُرِفَ هذا، فأعظم الأسباب التي تُحَصّل هذه اللذة هو أعظم لذات الدنيا على الإطلاق، وهو لذة معرفته سبحانه ولذة محبته، فإن ذلك هو جنة الدنيا ونعمتها العالية؛ ونسبة لذاتها الفانية إليه كتقلة في بحر، فإن الروح والقلب والبدن إنما خلق لذلك. فأطيب ما في الدنيا معرفته ومحبته، وأللّـ ما^(٥) في الجنة رؤيته ومشاهدته. فمحبته ومعرفته قرة العيون، ولذة الأرواح، وبهجة القلوب، ونعميم الدنيا وسرورها. بل لذات الدنيا القاطعة عن ذلك تقلب آلاماً وعداً، ويبقى صاحبها في

(١) سبق تخریجه (٤٢٨ - ٤٢٩).

(٢) لم أجده في المطبوع. والحديث أخرجه الرافعي في التدوين (٤٠٣/٢) من طريق إسماعيل بن رافع عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «كأن الخلق لم يسمعوا القرآن حين يسمعونه من الرحمن يتلوه عليهم يوم القيمة».

ورواه بعضهم من قول محمد بن كعب القرظي قال: «كأن الناس لم يسمعوا القرآن قبل يوم القيمة حين يتلوه الله عليهم». أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني (الدر المثبور ٣/١٣).

والمرفوع لا يصح، لأن فيه إسماعيل بن رافع المدني ضعيف.

(٣) ز: «سمعوا».

(٤) ف: «كأنهم».

(٥) س: «والدنيا»، تحرير. ولما أشكت الكلمة على بعض من قرأ النسخة ضرب عليها ثلاث مرات!

المعيشة الضئل، فليست الحياة الطيبة إلا بالله.

وكان بعض المحبين تمرّ به أوقات، فيقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا، إنهم لففي عيش طيب!^(١)

وكان غيره [١٢٠/ب] يقول: لو علم الملوك ما نحن فيه لجألدونا عليه بالسيوف^(٢).

وإذا كان صاحب المحبة الباطلة التي هي عذاب على قلب المحب^(٣) يقول في حاله:

وما الناس إلا العاشقون ذوو الهوى ولا خيرَ فيمن لا يحبّ ويعشق^(٤)
ويقول الآخر^(٥):

أف لِلدُّنْيَا متى ما لم يكن^(٦) صاحبُ الدُّنْيَا مَحِبًا أو حبيبا^(٧)

(١) سبق في ص (١٨٦).

(٢) سبق أيضاً في ص (١٨٦).

(٣) ف: «كان المحبة... عذاب القلب والمحب». وفي ل: «على قول المحب».

(٤) البيت للعباس بن الأحنف في ديوانه (٢٢٢). وقد عزاه المؤلف إليه في روضة المحبين (٢٨٢). وانظر منازل الأحباب (٥٠) ومدارج السالكين (٢١٢/٣).

(٥) بل صاحب البيت السابق نفسه، كما في منازل الأحباب (٥٠). وانظر ديوان العباس (٥٨).

(٦) ز: «إذا ما لم يكن». وكذا في المنازل والديوان. وفي ل: «متى لم يكن»، خطأ.

(٧) كذا ورد البيت في س، ومنازل الأحباب. وهي رواية مغيرة، فإن الآيات التي

منها هذا البيت من الضرب الثالث من الرمل، وعجزه في الديوان (٥٨) هكذا:

صاحبُ الدُّنْيَا حبيباً أو محبًّا

والذي في النسخة س والمنازل من الضرب الأول. وفي خا: «محبًا أو حبيبًا»، وفي النسخ الأخرى: «محب أو حبيب»، وهما من الضرب الثاني!

ويقول الآخر:

وأنتَ وحيدٌ مفردٌ غيرُ عاشقٍ^(١) ولا خيرٌ في الدنيا ولا في نعيمها

ويقول الآخر:

اسكُنْ إِلَى سَكِّنٍ تَلَدَّ بِحَبَّهْ ذَهَبَ الزَّمَانُ وَأَنْتَ مَنْفَرِدٌ^(٢)

ويقول الآخر:

تشكّى المحبون الصباةَ ليتنى تحمّلتُ ما يلقون مِنْ بينهم وحدى
فكانـت لقلبي لذةُ الحبّ كلـها فلم يلقـها قبـلي مـحبـث ولا بـعـدي^(٣)
فكيف بالمحبة التي هي حـيـاة القـلـوب وغـذـاء الأـرـواحـ، وليـسـ للـقـلـبـ

(١) منازل الأحباب (٥١). وانظر: روضة المحبين (٢٨٣)، ومدارج السالكين (٣١٢/٣).

(٢) البيت ل بشـارـ بنـ بـردـ منـ قـصـيدةـ فيـ دـيوـانـهـ (ابـنـ عـاـشـورـ:ـ ٦٢ـ /ـ ٣ـ،ـ إـحـسانـ عـبـاسـ:ـ ٢٦٩ـ)ـ مـطـلـعـهـ:

دَغْ ذَكَرَ عَبْدَةَ إِنَّهُ فَنَدُ وَتَعَزَّ تَرَقُّدُ مِثْلَ مَا رَقَدُوا
ورواية صدر البيت فيه:

فاسكُنْ إِلَى سَكِّنٍ تُسَرُّ بِهِ

ويروى: «تلذّ به». انظر: ديوانه (العلوي ٦٦، الحاشية). فالآيات من الضرب الرابع من الكامل. والذى ورد هنا من الضرب الثاني. وفي روضة المحبين (٢٨٤): «... وأنت حالٍ مفردٌ» وفي مدارج السالكين (٢١٢/٣): «وأنت منفرد به» من الضرب الأول. ولا أدرى أذلك كله من تصرف ذاكرة المؤلف أم فيه نصيب للناسخين والناشرين أيضاً؟

(٣) سبق البيتان في ص (٤٢٧).

لذة ولا نعيم ولا فلاح ولا حياة إلا بها، وإذا فقدت القلب كان ألمه أعظم من ألم العين إذا فقدت نورها، والأذن إذا فقدت سمعها، والأنف إذا فقد شمه، واللسان إذا فقد نطقه؟ بل فسادُ القلب إذا خلا من محبة فاطره وبارئه وإلهه الحق أعظم من فساد البدن^(١) إذا خلا من الروح. وهذا أمر لا يصدق به إلا من فيه حياة، و«ما لجرح بميت إيلام»^(٢)!

والمقصود أنّ أعظم لذات الدنيا هو السبب الموصل إلى أعظم لذة في الآخرة.

ولذات الدنيا ثلاثة أنواع:

فأعظمها وأكملها: ما أوصل إلى لذة الآخرة. ويثاب الإنسان على هذه اللذة أتم ثواب. ولهذا كان المؤمن يثاب على ما يقصد به وجه الله من أكله وشربه ولبسه ونكاحه، وشفاء غيظه بقهـر^(٣) عدو الله وعدوه؛ فكيف بلذة إيمانه ومعرفته بالله، ومحبته له^(٤)، وشوقه إلى لقائه، وطمعه في رؤية وجهه الكريم في جنات النعيم؟

النوع الثاني: لذة تمنع لذة الآخرة، وتُعقب آلامًا أعظم منها، كلذة الذين اتخذوا من دون الله أوثاناً مودةً بينهم في الحياة الدنيا، يحبونهم كحب الله، ويستمتعون بعضهم ببعض، كما يقولون في الآخرة إذا لقوا ربهم: «رَبَّنَا أَسْتَمْعَ بَعْضُنَا بِعَضٍ وَبَلَغْنَا أَجَنَّا الَّذِي أَجَّلَتْ [١٢١] لَنَا قَالَ أَنَّا زَمَنَكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ» ١٧٤

(١) «إذا خلا... البدن» ساقط من س.

(٢) للنبي، وقد سبق في ص (١٣٣).

(٣) ف: «موت».

(٤) «له» ساقط من ز. وكذلك «بالله» من ل.

الظالمين بعضًا بما كانوا يكسبون ﴿١٢٩﴾ [الأنعام / ١٢٨ - ١٢٩]، ولذة أصحاب الفواحش والظلم والبغى في الأرض والعلوّ بغير الحق.

وهذه اللذات في الحقيقة إنما هي استدرج من الله لهم، ليذيقهم بها أعظم الآلام، ويحرمهم بها أكمل اللذات؛ بمنزلة من قدم لغيره طعاماً لذيذاً مسموماً يستدرج به ^(١) إلى هلاكه.

قال تعالى: «سَنَسْتَدِرُ جُهَّنَّمَ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ وَأَمْلَى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٨﴾» [الأعراف / ١٨٢ - ١٨٣].

قال بعض السلف في تفسيرها: كلما أحذثنا ذنبًا أحذثنا لهم نعمة ^(٢). «حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أَتُوا أَخْذَهُمْ بَعْتَهُ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾» [الأنعام / ٤٤ - ٤٥].

وقال تعالى في أصحاب ^(٣) هذه اللذات: «أَيَخْسَبُونَ أَنَّمَا نِعْدُهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينٍ ﴿٥٦﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٧﴾» [المؤمنون / ٥٥ - ٥٦].

وقال في حقهم: «فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزَهَّقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَفِرُونَ ﴿٥٥﴾» [التوبه / ٥٥].

وهذه اللذات تقلب آخرًا آلامًا من أعظم الآلام، كما قيل:

(١) «به» ساقط من ز.

(٢) جاء عن الضحاك قال: «كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة». ذكره الواهدي في الوسيط (٤٣١/٢) والبغوي في تفسيره (٣٠٨/٣). وجاء عن عبدالله بن داود الخريبي أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر (١١٦)، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (٧/٧) والبيهقي في الأسماء والصفات (١٠٢٤)، وسنده صحيح. وجاء عن يحيى بن المثنى عن أبي الشيخ (الدر المنشور ٣/٢٧٢).

(٣) لـ: «الصحاب».

مَأْرُبٌ كَانَتْ فِي الْحَيَاةِ لِأَهْلِهَا عِذَابًا فَصَارَتْ فِي الْمَعَادِ عَذَابًا^(١)

النوع الثالث: لذة لا تعقب لذة في دار القرار ولا ألمًا، ولا تمنع أصل لذة دار القرار، وإن منعت كمالها^(٢). وهذه اللذة المباحة التي لا يستعن بها على لذة الآخرة. فهذه زمانها يسير، ليس لتمتع النفس بها قدر، ولا بد أن تشغل^(٣) عمّا هو خير وأنفع منها^(٤).

وهذا القسم هو الذي عنه النبي ﷺ بقوله: «كُلّ لَهُو يَلْهُو بِهِ الرَّجُلُ فَهُوَ باطِلٌ، إِلَّا رَمِيهَ بِقُوْسِهِ، وَتَأْدِيهَ فَرْسَهُ، وَمَلَاعِبَهَ امْرَأَتَهُ؛ فَإِنَّهُ مِنَ الْحَقِّ»^(٥).

فما أُعْنَى عَلَى الْلَذَّةِ الْمُطْلُوبَةِ لِذَاتِهَا فَهُوَ حَقٌّ، وَمَا لَمْ يَعْنِ عَلَيْهَا فَهُوَ باطِلٌ^(٦).

فصل

فهذا الحب لا يُنكر ولا يُذمّ، بل هو أَحْمَدُ أنواع الحب^(٧). وكذلك

(١) س: «فصارت في الممات» وقد سبق البيت في ص (٤٠٤).

(٢) ز: «اللذة كمالها».

(٣) س: «تشغل».

(٤) «منها» ساقط من ف.

(٥) أخرجه أبو داود (٢٥١٣) والترمذى (١٦٣٧) والنسائى (٣٥٨٠) وابن ماجه (٢٨١١) وأحمد في المسند (٤/١٤٤) والحاكم في المستدرك (٢٤٦٧). من حديث عقبة بن عامر الجهنى. قال الترمذى: «هذا حديث حسن». وفي نسخة: «هذا حديث حسن صحيح». وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

(٦) أشار شيخ الإسلام إلى هذا المعنى مراراً في الفتاوى وغيرها.

(٧) ف: «المحبة».

حب رسول الله ﷺ. وإنما نعني المحبة الخاصة، وهي التي تشغل قلب المحب^(١) وفكره وذكره لمحبوبه، [١٢١/ب] وإنما فكل مسلم في قلبه محبة الله^(٢) ورسوله، لا يدخل في الإسلام إلا بها. والناس متفاوتون في درجات هذه المحبة تفاوتا لا يحصيه إلا الله، وبين محبة الخليلين ومحبة غيرهما ما بينهما.

فهذه المحبة التي تلطّف الروح^(٣)، وتخفّف أثقال التكاليف، وتسخي البخيل، وتشجّع الجبان، وتصفي الذهن، وتروض النفس، وتطيّب الحياة على الحقيقة، لا محبة الصور المحرّمة. وإذا بُلّيت السرائر يوم اللقاء كانت سريرة صاحبها من خير^(٤) سرائر العباد، كما قيل:

سيقى لكم في مضمّن القلب والحسنا سريرة حب يوم تُبلّى السرائر^(٥)
وهذه المحبة التي تنور الوجه، وترسح الصدر، وتحيي القلب.

وكذلك محبة كلام الله، فإنه من علامة محبة الله. وإذا أردت أن تعلم^(٦) ما عندك وعند غيرك من محبة الله، فانظر إلى محبة القرآن^(٧) من

(١) ز: «قلبه».

(٢) س، ف: «محبة الله».

(٣) «الروح» من ف.

(٤) ل: «خير» دون «من».

(٥) ف: «سرائر حب». والبيت للأحوص الأنصاري. انظر: شعره المجموع (١٤٥). وقد تمثل المؤلف به في روضة المحبين (٤٠٥) والتبيان (٦٦).

(٦) ف: «أن تعرف»، وهو ساقط من س.

(٧) ما عدا ز: «فانظر محبة القرآن».

قلبك ، والتذاذِك بسماعه أعظمَ من التذاذُ أصحاب^(١) الملاهي والغناء المطرب^(٢) بسماعهم ؛ فإنه من المعلوم أنَّ من أحبَّ محبوبًا كان كلامه وحديه أحبَّ شيءٍ إليه ، كما قيل :

إِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ حُبِّي فَلِمْ هَجَرْتَ كَتَابِي

أَمَا تَأْمَلْتَ مَا فِيهِ مِنْ لَذِيدٍ خَطَابِي^(٣)

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه : لو ظهرت قلوبنا لما شبعـت^(٤) من كلام الله^(٥) .

وكيف يشبع المحبُّ من كلام محبوبه ، وهو غاية مطلوبه !

وقال النبي ﷺ يوماً لعبد الله بن مسعود : «اقرأ علىّ» ، فقال : أقرأ عليك ، وعليك أُنْزِل ؟ فقال : «إنِّي أحبَّ أنْ أسمعه من غيري». فاستفتح ، وقرأ سورة النساء ، حتى إذا بلغ قوله : «فَكَيْفَ إِذَا جَحَنَّمَ كُلُّ أُمَّةٍ يُشَهِّدُ وَجْهَنَّمَ بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا» [النساء / ٤١] قال : «حسبك». فرفع رأسه ، فإذا عينا رسول الله ﷺ تذرفان من البكاء^(٦) .

(١) «أصحاب» ساقط من ز.

(٢) ف : «الغناء والطرب».

(٣) البيتان في روضة المحبين (٣١٢).

(٤) س ، ف : «ما شبعـت».

(٥) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الرهد (٦٧٨) وفي زوائد الرهد على فضائل الصحابة (٧٧٥) ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (٣٠٠، ٢٧٢/٧)، من طريق سفيان بن عيينة قال : قال عثمان بن عفان فذكره . وسنده ضعيف للانقطاع.

(٦) أخرجه البخاري في فضائل القرآن ، باب البكاء عند قراءة القرآن (٥٥٥)؛ ومسلم في صلاة المسافرين ، باب فضل استماع القرآن (٨٠٠).

وكان الصحابة إذا اجتمعوا وفيهم أبو موسى يقولون: يا أبا موسى ذكرنا ربنا، فيقرأ وهم يستمعون^(١).

فلمحبي القرآن من الوجود والذوق واللذة [١/١٢٢] والحلوة والسرور أضعاف ما لمحبي السماع الشيطاني. فإذا رأيت الرجل: ذوقه وجده وطربه ونشوته^(٢) في سماع الآيات دون سماع الآيات، وفي سماع الألحان دون سماع القرآن، وهو كما قيل:

تُقْرَأُ عَلَيْكَ الْخِتَمَةُ^(٣) وَأَنْتَ جَامِدٌ كَالْحَجَرِ
وَبَيْتٌ مِّنَ الشِّعْرِ يُشَدُّ^(٤) تَمِيلُ كَالنَّشْوَانِ^(٥)

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (٧٩) والدارمي في سنته (٣٥٣٩، ٣٥٣٦) وأبن حبان في صحيحه (٧١٩٦) وأبو نعيم في الحلية (٢٥٨/١) والبيهقي في الكبرى (٢٣١/١٠) وغيرهم من طرق عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: وكان عمر بن الخطاب، فذكره. وسنه ضعيف للانقطاع، فأبو سلمة لم يدرك عمر بن الخطاب. انظر جامع التحصيل (٣٧٨). ورواه جعفر بن برقان عن حبيب بن أبي مرزوق قال: بلغنا أن عمر بن الخطاب، فذكره. ورواه أبو نصرة المنذر بن مالك العبدى قال: قال عمر لأبي موسى، فذكره. أخرجهما ابن سعد في الطبقات (٤/١٠٩).

قلت: حبيب يروي عن نافع وعروة وعطاء، فهو لم يدرك عمر. وأبو نصرة سمع من صغار الصحابة كابن عباس وأبي سعيد الخدري فلعله تلقاه منهم. وهذا يدل على أن لهذا الأثر أصلًا، والله أعلم.

(٢) فـ: «تشوقة». لـ: «تشوقة»، وكلاهما تصحيف.

(٣) سـ: «يقرأ».

(٤) في سـ، لـ: «بيت» دون الواو قبلها. وفي فـ: «ويبيت شعر». وفي خـ: «بيت الشعر».

(٥) فـ: «فتميل». لـ: «كالسكران».

فهذا من أقوى الأدلة على فراغ قلبه من محبة الله وكلامه، وتعلقه بمحبة سماع الشيطان؛ والمغدور يعتقد أنه على شيء!

ففي محبة الله وكلامه ورسوله أضعاف أضعاف ما ذكر^(١) السائل من فوائد العشق ومنافعه، بل لا حب على الحقيقة أنسع منه؛ وكل حب سوى ذلك باطل، إن لم يعن عليه ويشوق المحب^(٢) إليه.

فصل

وأما محبة النسوان فلا لوم على المحب فيها، بل هي من كماله^(٣). وقد امتن الله سبحانه بها^(٤) على عباده فقال: ﴿ وَمَنْ أَيْمَنِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوْدَةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيْنَ لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ ﴾ [الروم / ٢١]. فجعل المرأة سكنا للرجل يسكن قلبه إليها، وجعل بينهما خالص الحب، وهو المودة المقتنة بالرحمة.

وقد قال تعالى عقب ذكره ما أحل لنا من النساء وما حرم منهن: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُسْبِّئَنَّ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَأَكَلَهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴾ [٢١] وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّسِعُونَ أَشَهَوَاتٍ أَنْ يَمْلِوُا مَيَلًا عَظِيمًا ﴿ ٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخْفَفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَنُ ضَعِيفًا ﴾ [٢٨] [النساء / ٢٦ - ٢٨].

ذكر سفيان الثوري في تفسيره عن ابن طاووس عن أبيه:

(١) ف: «طلب».

(٢) ف: «يسوق» بالمهملة. وفي ز: «يسوق المحبة».

(٣) ف: «هي كماله».

(٤) ف: «امتن...» بإسقاط «وقد». و«بها» ساقط من س.

قال^(١): إذا نظر إلى النساء لم يصبر^(٢).

وفي الصحيح من حديث جابر عن النبي ﷺ: أنه رأى امرأة، فأتنى زينب، فقضى حاجته منها، وقال: «إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله، فإن ذلك يردد ما في نفسه»^(٣).

ففي هذا الحديث عدة فوائد:

منها: الإرشاد إلى التسلّي عن المطلوب بجنسه، كما يقوم الطعام^(٤) مقام الطعام [١٢٢/ب]، والثوب مقام الثوب.

ومنها: الأمر بمداواة الإعجاب بالمرأة المورث لشهوتها بأنفع الأدوية، وهو قضاء وطره من أهله، وذلك ينقض شهوته لها.

وهذا كما أرشد المتحابين إلى النكاح، كما في سنن ابن ماجه^(٥)

(١) ف: «كان». س، ل: «قال: كان».

(٢) لم أجده في المطبوع. والذي فيه (٩٣): «سفيان عن عمر عن طاووس في قوله: ﴿وَحَلَقَ الْإِنْسَنُ ضَعِيفًا﴾ قال: من أمر النساء». كذا في تفسيره. والصواب: «سفيان عن عمر عن ابن طاووس عن طاووس». هكذا أخرجه عبدالرازق في تفسيره (١/ رقم ٥٥٣) والطبراني (٣٠/ ٥) وغيرهما. فعلل أبا حذيفة راوي تفسير الثوري وهم فيه أو سقط من الناسخ. والذي ذكره المؤلف عن الثوري أخرجه الخرائطي في اعتلال القلوب (١١٧) وابن الجوزي في ذم الهوى (١٦٤)، وسنته صحيح.

(٣) أخرجه مسلم في النكاح، باب ندب من رأى امرأة... (١٤٠٣).

(٤) ف: «كما تقدم، كقيام الطعام».

(٥) برقم (١٨٤٧). وأخرجه ابن أبي حاتم في العلل (٢٢٥٢) والعقيلي في الضعفاء (٤/ ١٣٤) والطبراني (١١/ رقم ١١٠٩) وتمام في فوائده (الروض =

مرفوعاً: «لم يُرَ لِلمُتَحَايِّنْ مثُلُ النكاح».

فنكاح المعشوقة هو دواء العشق الذي جعله الله^(١) دواءه شرعاً وقدراً. وبه تداوى داود عليه السلام، ولم يرتكب نبيُّ الله محراً، وإنما تزوج المرأة، وضممها إلى نسائه لمحبته لها، وكانت توبته بحسب منزلته عند الله وعلوّ مرتبته. ولا يليق بنا المزيد على هذا^(٢).

وأما قصة زينب بنت جحش، فزيد كان قد عزم على طلاقها ولم تتوافقه، وكان يستشير النبيَّ صلوات الله عليه وسلم في فراقها^(٣)، وهو يأمره بإمساكها، فعلم

البسام: ٧٣٢ - ٧٣٤) وغيرهم من طريق محمد بن سلم الطائفي عن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس عن ابن عباس فذكره.

ورواه سفيان بن عيينة وعبدالملك بن جريج ومعمر بن راشد كلهم عن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس عن النبي صلوات الله عليه وسلم مرسلاً. أخرجه العقيلي (٤/١٣٤) وعبدالرزاق (٦/١٥١، ١٦٨) وغيرهما. قال العقيلي: «هذا أولى».

ورواه عبدالصمد بن حسان ومؤمل بن إسماعيل عن الثوري عن إبراهيم بن ميسرة عن طاووس عن ابن عباس مرفوعاً. أخرجه الخلili في الإرشاد (٢/٦٥٣) و(٣/٩٤٧) وابن جمیع في معجمه (٢٤٤). قال الخلili: «هذا جوّده عبدالصمد والمؤمل بن إسماعيل عن سفيان. ورواه غيرهما عن سفيان عن طاووس مرسلاً. ورواه محمد بن سلم الطائفي عن إبراهيم مجوّداً».

قلت: كلامه هذا يدلّ على أن من رفعه عن الثوري أخطأ فيه، ولهذا عذر الخلili هذا الحديث مما تفرد به عبدالصمد عن الثوري. راجع: الروض البسام بترتيب وتحريج فوائد تمام (٢/٣٦٧ - ٣٦٨) للدوسي.

(١) سقط لفظ الجلالة من ز.

(٢) بل القصة نفسها باطلة من أكاذيب اليهود، ولم يسلم النبي من أنبيائهم من القبائح التي افتروها عليهم. وانظر ما سبق في ص (٥٢٩).

(٣) لـ: «فراقها».

رسول الله ﷺ أَنَّهُ مفارقها ولا بدّ، فأخفى في نفسه أن يتزوجها إذا فارقها زيد، وخشي مقالة الناس أنّ رسول الله ﷺ تزوج زوجة ابنه، فإنه كان قد تبَّنَّى زيداً قبل النبوة، والربُّ تعالى يريد أن يشرع شرعاً عاماً^(١) فيه مصالح عباده. فلما طلقها زيد، وانقضت عدتها منه^(٢)، أرسله إليها يخطبها لنفسه. فجاء زيد، واستدبر الباب بظهره، وعظمت في صدره لما ذكرها رسول الله ﷺ، فناداها من وراء الباب: يا زينب إنّ رسول الله ﷺ يخطبك. فقالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربّي، وقامت إلى محرابها، فصلّت. فتولى الله عز وجل نكاحها من رسوله^(٣) بنفسه، وعقد النكاح له فوق عرشه، وجاء الوحي بذلك: «فَلَمَّا قضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرَأَ زَوْجَنَّكُهَا» [الأحزاب / ٣٧]، فقام رسول الله ﷺ لوقته، فدخل عليها^(٤). فكانت^(٥) تفخر على نساء النبي ﷺ بذلك^(٦)، وتقول: أنتن زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات^(٧)!

فهذه قصة رسول الله ﷺ مع زينب^(٨).

- (١) ف: «أن النبي».
- (٢) «عاماً» ساقط من س.
- (٣) «منه» ساقط من ز.
- (٤) س، ل: «رسول الله ﷺ».
- (٥) أخرجه مسلم في النكاح، باب زواج زينب بنت جحش (١٤٢٨) من حديث أنس رضي الله عنه.
- (٦) ف: «وكانت».
- (٧) « بذلك» لم يرد في ز.
- (٨) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد (٧٤٢٠، ٧٤٢١) من حديث أنس رضي الله عنه.
- (٩) انظر ما نقلنا في ص (٥٢٨) من كلام المؤلف في زاد المعاد (٤/٢٦٦).

[١/١٢٣] ولاريب أنّ النبي ﷺ كان قد حُبِّبَ إلَيْهِ النِّسَاءُ^(١)، كما في الصحيح من حديث أنس بن مالك: «حُبِّبَ إلَيْيَ من دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ وَالطَّيْبُ، وَجُعِلَتْ قَرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٢).

هذا لفظ الحديث، لا ما يرويه بعضهم^(٣): «حُبِّبَ إلَيْيَ من دُنْيَاكُمُ ثلَاثَ . . .».

(١) لم ترد «كان» في ل. ولم ترد «قد» في ف. ثم سقطت الكلمة «النساء» من ز.

(٢) أخرجه النسائي (٣٩٤٠، ٣٩٣٩) وأحمد (١٢٨/٣) والعقيلي

(٢/١٦٠) والحاكم (١٧٤/٢) وابن أبي عاصم في الزهد (٢٣٥) وغيرهم من طريق سلام أبي المنذر وجعفر بن سليمان الضبعي وسلام بن أبي الصهباء كلهم عن ثابت عن أنس فذكره.

قلت: سلام في حفظه لين. وقال العقيلي: «لا يتتابع على حديثه». وذكر هذا الحديث ضمن مناكيره. وأما رواية جعفر بن سليمان فالراوي عنه ضعيف. وجعفر في حفظه مقال، وخاصة في روايته عن ثابت البناي. وأما رواية سلام بن أبي الصهباء، فسلام ضعيف. والحديث جعله ابن عدي ضمن مناكيره. لكن خالفهم حماد بن زيد قال الدارقطني: «وَخَالَفُوهُمْ حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ فَرَوَاهُ عَنْ ثَابِتٍ مَرْسَلًا».

وكذلك رواه محمد بن ثابت مرسلاً. انظر تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الكشاف للزيلعي (١٩٦/١).

ورواه سليمان بن طرخان وليث بن أبي سليم عن النبي ﷺ بنحوه. أخرجه عبدالرزاق في المصنف (٤/ رقم ٧٩٣٩). والحديث صصحه الحاكم والضياء في المختار والذهبي والمولف والعرافي وابن حجر.

(٣) كالزمخري في الكشاف، والغزالى في الإحياء، والقاضي عياض في مشارق الأنوار وغيرهم. انظر لسان الميزان (١٣٩/١) و(٥٨/٩) وكشف الخفا (٤٠٦). وتكلم في هذا اللفظ جماعة منهم: شيخ الإسلام والمولف والزيلعي وابن حجر والعرافي والسحاوى والمناوي والزرകشى وغيرهم. راجع فيض القدير (٣٧٠/٣).

زاد الإمام أحمد في كتاب الزهد^(١) في هذا الحديث: «أصبر عن الطعام والشراب، ولا أصبر عنهن».

وقد حسده أعداء الله اليهود على ذلك، فقالوا: ماهمّه إلا النكاح، فرد الله سبحانه عن رسوله، ونافح عنه، فقال: «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا أَتَيْتُهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ هَانَتِنَا مَا أَلَّ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةُ وَآتَيْتُهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا» [النساء / ٥٤]^(٢).

وهذا خليل الله إبراهيم إمام الحنفاء كان عنده سارة أجمل نساء العالمين، وأحب هاجر، وتسرى بها.

وهذا داود كان عنده تسعه وتسعون امرأة، فأحب تلك المرأة، وتزوج بها، فكمّل المائة^(٣).

(١) تقدم الكلام على هذه الزيادة في ص (٤٨٣).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣ / ٥٤٧٠) رقم (٤٧٩) والطبراني من طريق العوفي عن ابن عباس. وسنده ضعيف جداً. وجاء عن سعيد بن جبير والسدّي والضحاك وعطاء نحو ذلك (ز). وهو بعيد من السياق، والصواب «أن معنى الفضل في هذا الموضوع: النبوة التي فضل الله بها محمداً وشرف بها العرب إذ آتتها رجالاً منهم دون غيرهم...». كما قال ابن جرير (٤٧٩ / ٨).

وقال ابن كثير في تفسيره (١ / ٤٨٦) ولم يشر إلى قول آخر البتة: «يعني بذلك حسدهم النبي ﷺ على مارزقه الله من النبوة العظيمة. ومنعهم من تصديقهم إياه حسدهم له لكونه من العرب وليس منبني إسرائيل». ثم ما الذي يحمل اليهود على حسد النبي ﷺ على ذلك. أكان ذلك محراًما عليهم أو على أنبيائهم؟ (ص).

(٣) قصة باطلة، كما سبق (٥٢٩، ٥٥٤).

وهذا سليمان ابنته كان يطوف في الليلة على تسعين امرأة^(١).

وقد سئل رسول الله ﷺ عن أحب الناس إليه، فقال: «عائشة»^(٢).

وقال عن خديجة^(٣): «إني رُزِّقت حَبَّهَا»^(٤).

فمحبة النساء من كمال الإنسان. قال ابن عباس: خير هذه الأمة أكثرها نساء^(٥).

وقد ذكر الإمام أحمد^(٦) أنَّ عبدالله بن عمر وقع في سهمه يوم

(١) ف: «سبعين امرأة». والحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في النكاح، باب قول الرجل: لأطوفن الليلة على نسائي (٥٢٤٢) وفيه: «بمائة امرأة». وفي أحاديث الأنبياء (٣٤٢٤): «على سبعين»، وفيه: «قال شعيب وابن أبي الزناد: «سبعين» وهو أصح». وأخرجه مسلم في الأيمان باب الاستثناء (١٦٥٤)، وفي إحدى روایاته: «كان لسلیمان ستون امرأة». وللهذه الحديث: «قال: لأطوفن عليهن الليلة...» وبينه وبين قول المصنف: «كان يطوف» فرق واضح.

(٢) سبق تخریجه (٤٤٦).

(٣) ف: «في خديجة».

(٤) من حديث عائشة رضي الله عنها. أخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة رضي الله عنها (٢٤٣٥).

(٥) أخرجه البخاري في النكاح، باب كثرة النساء (٥٠٦٩) عن سعيد بن جبير عنه. قال الحافظ ابن حجر: «والذي يظهر أنَّ مراد ابن عباس بالخير: النبي ﷺ...». الفتح (١١٤/٩).

(٦) في العلل ومعرفة الرجال (٢/٢٦٠). وذكره الدوري في تاريخه (٤/ رقم ٤٩٨١) وأخرجه الخرائطي في اعتلال القلوب (١٥١) كلهم من طريق هشيم بن بشير عن علي بن زيد بن جدعان عن أيوب بن عبد الله اللخمي عن ابن عمر فذكره. قال الإمام أحمد ويعين بن معين: «لم يسمعه هشيم من علي بن زيد». ورواه جماعة عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد به بمثله. أخرجه ابن أبي =

جلو لاء جاريه كأن عنقها إبريق فضة . قال عبدالله : فما صبرت أن قبلتها ،
والناس ينظرون .

وبهذا احتج الإمام أحمد على جواز الاستمتاع من المسبية قبل
الاستبراء بغير الوطء ، بخلاف الأمة المشترأة . والفرق بينهما أنه لا
يتوهّم انفساخ الملك في المسبية ، بخلاف المشترأة فقد ينفسخ فيها^(١)
الملك ، فيكون مستمتعًا بأمة غيره^(٢) .

وقد شفع النبي ﷺ لعاشق أن تواصله معشوقته^(٣) بأن تتزوج به ،
فأبانت . وذلك في قصة مغيث وبريرة ، فإنه رأه يمشي خلفها بعد فراقها ،
ودموعه تجري [١٢٣/ب] على خديه ، فقال لها : «لو راجعتيه»!^(٤)
فقالت : أتأمرني يا رسول الله؟ قال : «لا ، إنما أشفع». قالت^(٥) : لا
حاجة لي به . فقال لعممه : «يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ،

شيبة (٣) / رقم (١٦٦٥) والبخاري في تاريخه (٤١٩/١) والحربي في غريب
ال الحديث (١١١٢/٣) وابن المنذر في الأوسط (التلخيص العمير : ٣/٤)
والمحلى (٣٢٠/١٠). قلت : في هذا السند ضعف . فعلي بن زيد في حفظه
ضعف . وأيوب اللخمي تابعي سمع ابن عمر ، وذكره ابن حبان في الثقات ،
ولم يوثقه غيره .

(١) ز : «بها». وقد سقط منها : «والفرق ... ينفسخ».

(٢) وهي إحدى الروايتين عن أحمد . والظاهر عنه تحريم مباشرتها فيما دون الفرج
لشهوة . قاله صاحب المغني (١١/٢٧٧).

(٣) ز : «يواصله معشوقه». وكذا في س مع تأنيث الفعل .

(٤) كذا في جميع النسخ وفي رواية ابن ماجه (٢٠٧٥). وهي لغة ضعيفة . وفي
أصول صحيح البخاري : «راجعته». انظر الفتح (٤٠٩/٩).

(٥) ف : «قالت».

ومن بغضها له؟»^(١) ولم ينكر عليه حبها، وإن كانت قد بانت منه، فإن هذا ما لا يملكه^(٢).

وكان النبي ﷺ يسوّي بين نسائه في القسم، ويقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما لا أملك»^(٣). يعني الحب.

وقد قال تعالى: «وَلَن تُسْتَطِعُوا أَن تَمْدُلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَا حَرَضَتُمْ»

[النساء / ١٢٩] يعني: في الحب والجماع.

(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهم. أخرجه البخاري في الطلاق، باب شفاعة النبي ﷺ في زوج ببريرة (٥٢٨٣).

(٢) ز: «لا يملك».

(٣) أخرجه أبو داود (٢١٣٤) والترمذى (١١٤٠) والنسائى (٣٩٤٣) وابن ماجه (١٩٧١) وأحمد (١٤٤/٦) وابن حبان (٤٢٠٥) والحاكم (٢٠٤/٢) وغيرهم من طرق عن حماد بن سلمة عن أىوب السختياني عن أبي قلابة عن عبدالله بن يزيد - رضيع عائشة - عن عائشة فذكرته.

ورواه حماد بن زيد وإسماعيل بن عليه وعبدالوهاب الثقفي - في الرواية الصحيحة عنه - كلهم عن أىوب عن أبي قلابة عن النبي ﷺ مرسلأ. أخرجه الطبرى في تفسيره (٥/٣١٤، ٣١٥) وابن سعد في الطبقات (٢٣١/٢) وابن أبي شيبة في المصنف (٤/ رقم ١٧٥٣٤).

قال الترمذى: «هكذا رواه غير واحد عن حماد بن سلمة عن أىوب عن أبي قلابة عن عبدالله بن يزيد عن عائشة أن النبي ﷺ. ورواه حماد بن زيد وغير واحد عن أىوب عن أبي قلابة مرسلأ أن النبي ﷺ كان يقسم. وهذا أصح من حديث حماد بن سلمة».

قلت: والحديث صصحه ابن حبان والحاكم. وتكلم فيه البخاري وأبو زرعة والنسائى والترمذى والدارقطنى ورأوا أنه مرسل.

انظر: علل ابن أبي حاتم (١٢٧٩) والعلل الكبير للترمذى (٢٨٦) والتلخيص الحبير (٣/١٥٩) ونصب الراية (٣/٢١٤).

ولم يزل الخلفاء الراشدون والرحماء من الناس يشفعون في العشاق
إلى معشوقيهم الجائز وصلُّهُن، كما تقدّم من فعل أبي بكر وعثمان.

وكذلك على أتيَ بغلام من العرب وُجَدَ في دار قوم بالليل، فقال
له: ما قصتك؟ قال: لستُ بسارقٍ، ولكنِي أصدُّك:

تعلقتُ في دار الرياحي خودةَ يذلُّ لها من حسن منظرها البدر^(١)
لها في بنات الروم حسنٌ ومنظرٌ إذا افتخرت بالحسن جانبها الفخر^(٢)
فلما طرقتُ الدار من حرّ مهجةٍ أتيتُ وفيها من توقدها الجمر^(٣)
تبارَّ أهلُ الدار لي ثم صيَّحوا هو اللصُّ محظوماً له القتلُ والأسر^(٤)
فلما سمع علي رضي الله عنه شعره رقَّ له، وقال للمهرب بن
رياح^(٥): اسمح له بها، فقال: يا أمير المؤمنين سُلْهُ من هو؟ فقال:

(١) ف: «الرياحي» بالباء. وفي ز بالنون. وأهمل النقط في س، خب. ولعل الصواب ما أثبت من ل واعتلال القلوب ومنازل الأحباب.

(٢) س، خا: «الفجر». وفي ز: «الهجر» تحريف. وما قبلها في ل: «حافيها». وفي غيرها: «حافتها». وفي منازل الأحباب: «كان لها». وفي روضة المحبين، والواضح المبين: «صدقها». والأقرب إلى رسم النسخ ما أثبتنا من اعتلال القلوب. فإن صَحَّ كان المعنى من قولهم: جانبه الشيء مجانية: صار إلى جنبه، والكلمة من الأضداد. انظر اللسان (جنب ١/٢٧٥). وفي ف: «فالحسن».

(٣) ف، ز: «أبيت».

(٤) «لي»: كذا في ف، وروضة المحبين، والواضح المبين. وفي غيرها: «بي». وفي ف: «ثم أصبحوا»، تحريف.

(٥) في اعتلال القلوب، ومنازل الأحباب زيادة: «اليربوعي». وفي النسخ «رباح» =

النهاس بن عيّنة^(١). فقال: خذها، فهي لك^(٢).

واشتري معاوية جارية، فأعجب بها إعجاباً شديداً، فسمعها يوماً
تنشد أبياتاً منها:

وفارقته كالغصن يهترئ في الشري طريراً وسيماً بعد ما طرَّ شاربه
فسألها، فأخبرته أنها تحب سيدتها، فردها إليه، وفي قلبه منها^(٣).

= بالموحدة ولعله تصحيف. ورياح بن يربوع بطن من تميم. ولم أجد ترجمة
للمهلب هذا.

(١) في الاعتلال والمنازل وروضة المحبين زيادة: «العجلبي». وكذا وقع «عيّنة» في
النسخ والمصادر التي وردت فيها القصة. وأراه مصحفاً، والصواب: «عيّنة».
ولعل أبوه عتيبة بن النهاس العجلبي. وكان من وجوه قومه، وله إدراك ومشاهد
في خلافة أبي بكر رضي الله عنه. وأخوه عتاب بن النهاس كان شريفاً.
والمحيرة بن عتيبة بن النهاس كان قاضي الكوفة. انظر الإصابة (١٢١/٥). فهذا
النهاس - إن صحت القصة - سمي باسم جده.

(٢) أخرجه الخرائطي في اعتلال القلوب (٢٣٢ - ٢٣٣) من طريق أبي مخنف قال:
رفع إلى علي بن أبي طالب... فذكره. وسنته تالف. فيه أبو مخنف لوط بن
يعيى، وكان شيئاً محترقاً. قال أبو حاتم الرازى: مترونك الحديث. وقال ابن
معين: ليس بشقة. وقال الذهبي: أخباري تالف لا يوثق به. انظر الجرح
والتعديل (١٨٢/٧) ولسان الميزان (٦/٤٣٠ - ٤٣١). (ز).

وانظر القصة في منازل الأحباب (٢٦٥) والواضح المبين (٣١) وروضة
المحبين (٥٢١). (ص).

(٣) نقل المؤلف هذه القصة في روضة المحبين (٥٢٢) من كتاب امتزاج النفوس
للحكيم محمد بن أحمد التميمي. وكذا نقلها منه صاحب الواضح المبين
(٣١). وفي الروضة والواضح المبين: «فسألها، فقالت: هو ابن عمّي، فردها
إليه، وفي نفسه منها». وهنا وقف النص في الروضة. وتكميلته في الواضح
المبين: «... المقيم المقعد».

وذكر الزمخشري في ربيعه^(١) أنَّ زبيدة^(٢) قرأت في طريق مكة على
حائط :

أما في عباد الله أو في إمائه كريمٌ يُجْلِي الهمَ عن ذاهب العقلِ
له مقلةً أما الماقي قريحةً وأما الحشا فالنارُ منه على رجلٍ

فندرت أن تحتال لقائلهما إن عرفته حتى تجمع بينه وبين من يحبه .
فيينا هي بالمزدلفة إذ سمعت من ينشد البيتين ، فطلبتها ، فزعم أنه قالهما
في ابنة عم له ، نذر أهلها أن لا يزوجوها منه . فوجهت إلى الحي ،
ومازالت تبذل لهم المال حتى زوجوها منه ؛ وإذا المرأة أشغقت له منه
لها . فكانت تعدّه من أعظم حسناتها ، وتقول : ما أنا بشيء أسرّ مني من
جمعي بين ذلك الفتى والفتاة .

قال الخرائطي^(٣) : وكان لسليمان بن عبد الملك غلام وجارية
يتحابان ، فكتب الغلام لها يوماً :

ولقد رأيتُكِ في المنام كأنّما عاطتني من ريق فيكِ الباردِ
وكأنّ كفلكِ في يدي وكأنّنا بتنا جميعاً في فراشِ واحدِ
فطفقتُ يومي كله متراقداً لأراكِ في نومي ولستُ براغد^(٤)

(١) ربيع الأبرار (١٢١/٣). ومنه نقلها في روضة المحبين (٥٣٠) أيضاً.

(٢) بنت جعفر ، زوج هارون الرشيد .

(٣) وكذا نقلها المؤلف عن الخرائطي في روضة المحبين (٥٣١) أيضاً ، ولم أجدها في اعتلال القلوب . وهي في ربيع الأبرار (١٢٢/٣) والواضح المبين (٣٤).

(٤) «طفقت» هنا بمعنى لزمت . انظر : المحكم لابن سيده (١٧٦/٦).

فأجابته الجارية:

خيراً رأيت وكلَّ ما أبصرتَه ستناله مني برغم الحاسدِ
إني لأرجو أن تكون معانقِي فتبيَّنَتْ مني فوق ثديٍ ناهدِ
وأراك بين خلاخلي ودمالجي وأراك فوق ترائي ومجاسي^(١)
فبلغ ذلك سليمانَ، فأنكحها الغلامَ، وأحسن حالهما^(٢)، على فرطِ
غيرته.

وقال جامع بن مُرخية^(٣):

سألتُ سعيدَ بن المسيبَ مفتىَ الـ
مدينةِ هل في حبٍ دهماءَ من وزرٍ^(٤)
قال سعيدُ بن المسيب إنما تلام على ما تستطيع من الأمر^(٥)

(١) الدمالج: جمع دُملج، وهو ما يحيط بالعضد من الحلبي. والمجاسد: جمع مجسد، وهو الثوب الذي يلبي الجسم.

(٢) س: «حسن حالهما». وفي الواضح المبين: «أحسن جهازهما»، وهو أجود.

(٣) ف، ز: «مرحبة» مضبوطاً في ف بفتح الحاء مع علامه الإهمال. وفي س: «مزجية». والصواب ما أثبتنا من الواضح المبين (٣٦). وهو جامع بن مرخية الكلابي من شعراء الحجاز في العصر الأموي. ذكره صاحب الأغاني (١٤٣/٩) في ترجمة عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود. وسمّاه الغندجاني في فرحة الأديب (١٠٣) «جامع بن عمرو بن مرخية»، وأنشد ابن السكين له بيتاً في إصلاح المنطق (٢٩٠). وانظر اللسان (مهل، برم).

(٤) ف: «في الحب دهماء»! و«دهماء» صاحبة الشاعر. ذكرها في أبيات أخرى أيضاً (فرحة الأديب: ١٠٣). وفي الأغاني: «ظمياء».

(٥) أثبت النسّاخ والناثرون البيتين كالثـ!

فقال سعيد: والله ما سألني أحد عن هذا، ولو سألني ما كنت^(١)
أجيب إلا به^(٢).

فعشق النساء^(٣) ثلاثة أقسام:

عشق هو قربة وطاعة، وهو عشق الرجل امرأته وجاريته. وهذا العشق نافع فإنه أدعى إلى المقاصد التي شرع الله لها النكاح، وأكفر للبصر والقلب عن التطلع^(٤) إلى غير أهله. ولهذا يُحمد هذا العاشق عند الله وعند الناس.

وعشق هو مقت من الله، وبعد من رحمته، وهو أضر شيء على العبد في دينه ودنياه؛ وهو عشق المردان. فما ابتلي [١٢٤/ب] به^(٥) إلا من سقط من عين الله، وطرده عن بابه^(٦)، وأبعد قلبه عنه. وهو من أعظم الحجب القاطعة عن الله، كما قال بعض السلف: إذا سقط العبد من عين الله ابتلاه بمحبة المردان.

(١) ف، ز: «لما كنت».

(٢) روى صاحب الأغاني عن الزبير بن بكار أن قول جامع لما بلغ سعيداً قال: «كذب والله ما سألني ولا أفيته بما قال». ونقل القصة صاحب الظرف والظرفاء (١٦٠) عن ثعلب، وفيه: «ابن مرجانة الشاعر». وهو تحريف. وانظر الرد على مثل هذه الفتوى المزعومة في روضة المحبين (٢٤٧، ٢٢٧).

(٣) في حاشية س: «ظ فالعشق ثلاثة»، لأنّ القسم الثاني ليس من عشق النساء. وقد يكون الصواب في المتن: «فعشق النساء».

(٤) س: «إلى التطلع»، غلط.

(٥) ز: «به أحد».

(٦) ف، ل: «طُرد». وفي ف: «من بابه».

وهذه المحبة هي^(١) التي جلبت على قوم لوط ما جلبت، فما أتوا
إلا من هذا العشق^(٢). قال تعالى: ﴿لَعَزْرَكَ إِنَّهُمْ لَفِي سُكْرٍ هُمْ يَعْمَهُونَ﴾
[الحجر / ٧٢].

ودواء هذا الداء الدوي: الاستعانة^(٣) بقلب القلوب، وصدق
اللجمأ إليه، والاشغال بذكره، والتعوّض بحبه وقربه، والتفكير في الألم
الذي يعقبه هذا العشق، واللذة التي تفوته به؛ فيتربّ عليه فواتُ أعظم
محبوب، وحصولُ أعظم مكرور. فإن أقدمت نفسُه على هذا وأثرته،
فليكبّر عليها تكبّره على الجنائز، ولّيعلم أنّ البلاء قد أحاط به!

والقسم الثالث من العشق: عشق مباح لا يُملّك، كعشق من وصفت
له امرأة جميلة، أو رأها فجأة من غير قصد، فأورثه ذلك عشقاً لها، ولم
يُحدث له ذلك العشق معصية؛ فهذا لا يُملّك ولا يعاقب عليه. والأنفع
له مدافعته، والاشغال بما هو أدنى له. والواجب على هذا أن يكتم،
ويغفر، ويصبر على بلواه. فيشيّه الله على ذلك، ويعوّضه على صبره لله،
وعفّته، وتركه طاعة هواه، وإيثارِ مرضاه على صبره لله وما عنده.

(١) لم ترد «هي» في ف، ل.

(٢) ل: «إلا من هذا الباب الضيق».

(٣) ف، ز: «الاستغاثة».

فصل

والعشاق ثلاثة أقسام^(١):

منهم من يعشق الجمال المطلق.

ومنهم من يعشق الجمال المقيد، سواء طمع بوصاله أو لم يطمع.

ومنهم من لا يعشق إلا من يطمع في الوصول إليه.

وبين هذه الأنواع تفاوت في القوة والضعف. فعاشق الجمال

المطلق قلبه^(٢) يهيم في كلّ واد، وله في كلّ صورة جميلة مراد!

يوماً بحزوى ويوماً بالعذيب ويوماً بالخلصاء

وتارةً تنتهي نجداً وأونه شعب العقيق وطوراً قصرَ تيماء^(٣)

فهذا عشقه واسع، ولكنه غير ثابت كثير التنقل^(٤).

يهيم بهذا ثم يعشق غيره ويسلامُم من وقته حين يُصبحُ^(٥)

(١) انظر: روضة المحبين (١٨٧).

(٢) «المطلق» ساقط من س. و«قلبه» ساقط من ف.

(٣) ف: «ينتجي» تصحيف. والبيتان من قصيدة صاحبية لأبي محمد الخازن.

انظر: البيتيمة (١٩١/٣)، وفيه: «بجزوى ويوماً بالعقيق، وبالعذيب يوماً».

(٤) «كثير التنقل» ساقط من ل، وفيها: «وقال آخر».

(٥) «ثم يعشق غيره» ساقط من س. والبيت من أبيات لسمون بن حمزة أوردها

المؤلف في طريق الهجرتين (٣٢) دون نسبة. وعزماها صاحب الزهرة (٦٢) إلى

«بعض أهل هذا العصر». وسمون توفي بعد الجنيد (٢٩٧هـ) فهو معاصر لأبي

بكر المتوفى ٢٩٦هـ أو ٢٩٧هـ. وقد أوردها السلمي في طبقات الصوفية

(١٩٨) لسمون، ونقلها عنه الخطيب في تاريخ بغداد (٢٣٦/٩). وانظر صفة =

وعاشق الجمال المقيد أثبتت على معشوقه، وأدوم محبة له. ومحبته أقوى من [١٢٥/أ] محبة الأول لاجتماعها في واحد، وتقسم الأولى؛ ولكن يضعفها عدم الطمع في الوصال.

وعاشق الجمال الذي يطمع في وصاله أعقل العشاق وأعرافهم، وحبه أقوى لأن الطمع يُمْدِه ويُقوّيه.

فصل

وأما حديث «من عشِقَ فعفَ^(١)»، فهذا يرويه سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدَ، فقد أنكره حفاظ الإسلام عليه^(٢).

قال ابن عدي في كامله^(٣): هذا الحديث أحد ما أنكر على سعيد. وكذا ذكره البيهقي، وابن طاهر في الذخيرة^(٤)، والتذكرة^(٥). وأبو الفرج بن الجوزي، وعدّه في الموضوعات^(٦).

الصفوة (١) / ٤٨٥ =

(١) مكان «فُعْفٌ» بياض في س. وفي ف: «فُعْفٌ وَكَتْمٌ».

(٢) سبق تخرجه (٥٢٩ - ٥٢٨)، وانظر: زاد المعاد (٤/٢٧٥ - ٢٧٨) وروضة المحبين (٢٨٧ - ٢٨٩).

(٣) ليس في المطبوع فلعله مما سقط منه، وما أكثره! وإنما فيه بعد أن ساق له أحاديث (٤٢٩ - ٤٢٨/٣) ليس هذا منها: «ولسويد مما أنكرت عليه غير ما ذكرت، وهو إلى الضعف أقرب».

(٤) لم أجده في المطبوع.

(٥) تذكرة الموضوعات (٩١).

(٦) وكذا قال المؤلف في الزاد (٤/٢٧٧) والروضة (٢٨٩). قال الكناني في تنزيه الشريعة (٣٦٤): «ذكر غير واحد من المصنفين أن هذا الحديث أورده ابن الجوزي في الموضوعات وأعلمه بسويد بن سعيد. وتعقبوه بأن سويداً من رجال مسلم وبأنه =

وأنكره أبو عبدالله الحاكم^(١) - على تساهله - وقال: أنا أتعجب منه^(٢).

قلت: والصواب في الحديث أنه من كلام ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً عليه، فغلط سعيد في رفعه^(٣). قال محمد بن خلف بن المرزبان^(٤): حدثنا أبو بكر الأزرق، عن سعيد به، فعاتبه على ذلك، فأسقط ذكر النبي ﷺ. فكان^(٥) بعد ذلك يسأل^(٦) عنه، فلا يرفعه^(٧).

ولا يشبه هذا كلام النبوة.

وأما رواية الخطيب^(٨) له عن الأزهري: حدثنا المعافى بن زكريا،

تابعه المنجنيقي. ومن طريقه أخرجه الدارقطني. ولم يذكر السيوطي الحديث في كتبه. فلعل نسخ الموضوعات تختلف، والله أعلم». هذا، وقد ذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (٧٧١).

(١) في تاريخ نيسابور، كما في زاد المعا德 (٤/٢٧٧).

(٢) فـ: «أعجب منه».

(٣) وقال المؤلف في الزاد (٤/٢٧٧): «وفي صحته موقوفاً على ابن عباس نظر». وذلك من أجل سعيد بن سعيد الذي رماه الناس بالعظائم، وأنكره يحيى بن معين، وقال: هو ساقط كذاب، لو كان لي فرس ورمح كنت أغزوه... إلى آخر ما ذكره المؤلف.

(٤) ذم الهوى (٣٢٩).

(٥) لـ: «وكان».

(٦) فـ: «إذا سئل».

(٧) زـ: «ولا يرفعه». وانظر المقاصد الحسنة (٤٩١ - ٤٩٣).

(٨) في تاريخ بغداد (١٢/٤٧٥) وابن الجوزي في ذم الهوى (٢٥٨). فيه أحمد بن محمد بن مسروق. قال الدارقطني: «ليس بالقوى، يأتي بالمعضلات». قلت: رواه جماعة - كما تقدم - بالطريق المشهور. ولهذا قال الخطيب: «رواه غير

حدثنا قطبة بن الفضل، حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق، حدثنا سويد، حدثنا ابن مسهر^(١)، عن هشام بن عروة^(٢)، عن أبيه، عن عائشة مرفوعاً؛ فمن أيّن الخطأ. ولا يحتمل^(٣) هشام عن أبيه عن عائشة^(٤) مثلَ هذا عند من شمَّ أدنى رائحة من الحديث^(٥).

ونحن نُشهد الله أنَّ عائشة ما حدثت بهذا عن رسول الله^(٦) ﷺ قطّ،
ولا حدثت به عنها عروة، ولا حدثت به عنه هشام قطّ.

وأما حديث ابن الماجشون عن عبدالعزيز بن أبي حازم، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس مرفوعاً؛ [١٢٥/ب] فكذبٌ على ابن الماجشون، فإنه لم يحدَث^(٧) بهذا ولا حدثت به عنه الزبير بن بكار، وإنما هذا من تركيب بعض الوضاعين.

ويَا سِيَاحَانَ اللَّهُ! كَيْفَ يَحْتَمِلُ هَذَا الإِسْنَادُ مِثْلَ هَذَا الْمُتَنْ؟ فَقَبْحُ اللَّهِ

= واحد عن سويد عن علي عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس،
وهو المحفوظ).

ومما يدل على عدم ثبوته أيضاً أنه كان يضطرب فيه، فمرة على وجه الصواب كما عند ابن الجوزي في الذم (٢٥٦)، ومرة عن عائشة.

(١) ف: «أبو مسهر»، خطأ. وفي س تحرّف كل «ثنا» في هذا السنّد إلى «بن». فوقع فيه: «سويد بن مسهر». ولعل الأصل كان «سويد ثنا ابن مسهر» كما في ز، ل: فلما تحرّف «ثنا» إلى «بن» تكررت الكلمة «بن» فحذفت إحداهما.

(٢) ز: «عن عروة» خطأ.

(٣) س: «ولا يحمل». ف: «ولا يتحمل».

(٤) «مرفوعاً... عائشة» ساقط من ل.

(٥) وانظر: زاد المعاد (٤/٢٧٧) وروضة المحبين (٢٨٩).

(٦) ف: «عن النبي».

(٧) ز: «ما حدثت».

الوضاعين!

وقد ذكره أبو الفرج^(١) من حديث محمد بن جعفر بن سهل، حدثنا يعقوب بن عيسى من ولد عبد الرحمن^(٢) بن عوف، عن ابن أبي تَجِيْح، عن مجاهد مرفوعاً.

وهذا غلط قبيح، فإنّ محمد بن جعفر هذا هو الخرائطي، ووفاته سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، فمحال أن يدرك شيخه يعقوبُ ابن أبي نَجِيْح، لا سيما وقد رواه في كتاب الاعتلال^(٣) عن يعقوبَ هذا، عن الزبير، عن عبدالمملك، عن عبدالعزيز، عن ابن أبي نجيع.

والخرائطي هذا^(٤) مشهور بالضعف في الرواية، ذكره أبو الفرج^(٥) في كتاب الضعفاء^(٦).

وكلام حفاظ الإسلام في إنكار هذا الحديث هو الميزان، وإليهم

(١) في العلل المتناهية (١٢٨٨) وذم الهوى (٣٢٦).

(٢) «عبدالرحمن» تكرر في ل.

(٣) اعتلال القلوب (٧٩).

(٤) «هذا» ساقط من ف.

(٥) بعده في س: «ابن الجوزي».

(٦) لم يذكره ابن الجوزي في كتاب الضعفاء (٤٦/٣ - ٤٧) وإنما ذكر رجلين آخرين أحدهما محمد بن جعفر المدائني، والآخر محمد بن جعفر بن عبد الله بن جعفر، فلعل المؤلف رحمه الله قد وهمَ وقد نبه على ذلك الألباني في السلسلة الضعيفة (٥٩٠ - ٥٨٩/١) كما تعقب المؤلف في تضعيقه للخرائطي وقال: «أما الخرائطي فلا أعرف أحداً من المتقدمين رماه بشيء من الضعف... وقال فيه ابن ماكولا: كان من الأعيان الثقات...».

يرجع في هذا الشأن. وما صحّحه، بل ولا حسنه أحد يُعوَّل في علم الحديث عليه، ويرجع في التصحيح^(١) إليه؛ ولا من عادته التساهل والتسامح، فإنه لم يُطْنِف^(٢) نفسه له. ويكتفي أنَّ ابن طاهر الذي يتساهل في أحاديث التصوف، ويروي منها الغثّ والسمين والمنخنقة والموقوذة قد أنكره، وحكم ببطلانه^(٣).

نعم، ابن عباس غير مستنكر ذلك عنه. وقد ذكر أبو محمد ابن حزم عنه أنَّه سُئل عن الميت عشقاً، فقال: قتيل الهوى، لا عقل ولا قود!^(٤) ورُفع إليه بعرفات شابٌ قد صار^(٥) كالفرح، فقال: ما شأنه؟ قالوا: العشق. فجعل عامة يومه يستعيد من العشق^(٦). فهذا نفس من قال: من عشق وعفَّ وكتَّ ومات، فهو شهيد.

ومما يوضح ذلك أنَّ النبي ﷺ عَدَ الشهداء في الصحيح، فذكر المقتول في الجهاد، والمبطون، والحرق، والنفسيّة يقتلها ولدها، والغرق، وصاحب ذات الجنب^(٧)؛ ولم يُعَدَّ منهم العاشق يقتله العشق.

(١) ف، ل: «الصحيح»، تحريف.

(٢) ل: «يطيف»، تصحيف. طنفه بالأمر: اتهمه به. وطنف للأمر: قارفه. وطنف نفسه إلى شيء: أدناها إلى الطمع فيه. ولعل المقصود أنَّ المتتساهل أيضًا لم يدفع نفسه إلى تصحيح الحديث.

(٣) وذكره في تذكرة الموضوعات (٩١) كما سبق.

(٤) طوق الحمامـة (٦). وقد سقط من س «لا عقل».

(٥) ز: «صار» دون «قد».

(٦) سبق تحريرجه (٤٩٨).

(٧) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب الجنائز، باب النهي عن البكاء على الميت (٥٥٥) من حديث جابر بن عبيك. قال النووي: «وهذا الحديث الذي =

وبحسب قتيل العشق أن يصح^(١) له هذا الأثر عن ابن عباس^(٢) على أنه لا يدخل تحته حتى يصبر الله ، ويعرف الله ، ويكتم الله . وهذا لا يكون إلا مع قدرته على معشوقه ، وإيثار محبة الله وخوفه ورضاه .

وهذا من أحق من دخل تحت قوله : ﴿ وَمَمَّنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ، وَنَهَى النَّفَسَ عَنِ الْهَوَى ﴾ ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ [النازعات/ ٤٠ - ٤١] وتحت قوله : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ، جَنَّانٌ ﴾ [الرحمن/ ٤٦].

فنسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعلنا من آثر حبه على هواه ، وابتغى بذلك [١٢٦/ ١] قربه ورضاه^(٣) .

= رواه مالك صحيح بلا خلاف ، وإن كان البخاري ومسلم لم يخرجاه». شرح النووي (١٣/ ٦٦).

(١) س : «صح».

(٢) ولكن المؤلف رحمة الله قال نفسه - كما تقدم - في زاد المعاد (٤/ ٢٧٧): «وفي صحته موقوفا على ابن عباس نظر».

(٣) بعده في س : «آمين آخر الكتاب...». وفي ف : «تم الكتاب والحمد لله رب العالمين...» وفي ز : «تم الكتاب بحمد الله وحسينا الله ونعم الوكيل». وفي ل : «بمنه وكرمه إنه جواد كريم» ثم بعد بياض كتب : «تم الكتاب...». وكذا في خا.

فهارس الكتاب

أولاً: الفهارس اللفظية

- ١ فهرس الآيات الكريمة
- ٢ فهرس الأحاديث والأثار
- ٣ فهرس القوافي
- ٤ فهرس الكتب
- ٥ فهرس الأعلام
- ٦ فهرس الجماعات والفرق
- ٧ فهرس الأماكن

ثانياً: الفهارس العلمية

- ٨ التفسير وعلوم القرآن
- ٩ الحديث وعلومه
- ١٠ مسائل العقيدة
- ١١ مسائل الفقه
- ١٢ التزكية والسلوك
- ١٣ فوائد لغوية وأدبية
- ١٤ فوائد عن المؤلف وشيخه
- ١٥ قواعد وفوائد أخرى

أولاً: الفهارس اللفظية

(١) فهرس الآيات الكريمة

سورة الفاتحة

٧

﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْكَلٰمٰتِ﴾ (٢)

سورة البقرة

٢٤٦

﴿فَمَا يَحْكَمُ هُنَّا بِحَكْمَهُمْ﴾ (١٦)

٤٣٨

﴿وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا زَرَّنَا﴾ (٢٣)

٤٢، ٤١

﴿أَعْذَّتْ لِلْكُفَّارِ﴾ (٢٤)

٣٤١

﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرِينَ﴾ (٤١)

٢٤٦

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٨٦)

٤٣٩

﴿وَمَنْ يَرْعَبُ عَنْ مِلَأِ إِبْرَاهِيمَ﴾ (١٣١-١٣٠)

٣٢

﴿لَكُنُوا شَهَادَةً عَلَى النَّاسِ﴾ (١٤٣)

١٩

﴿وَإِنَّهُمْ إِلَّا وَاحِدٌ﴾ (١٦٣)

٤٦٣، ٤٤٠، ٣٠٤

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ أَنَّهُمْ أَدَاءُ﴾ (١٦٥)

١٠

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُّمَا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (١٧٢)

٣٠

﴿وَإِذَا سَأَلَكُمْ عِبَادِي عَنِّي﴾ (١٨٦)

١٩٥

﴿وَأَنَّقُونِي يَتَأْذِي الْأَنْبِيبُ﴾ (١٩٧)

٤٥٣

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ أَنْزَهُ لَكُمْ﴾ (٢١٦)

٨٧٥٠ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ (٢١٨) ﴿ ﴾

٣٠١ ﴿ إِذَا قَالَ إِبْرَاهِيمَ رَبِّيَ الَّذِي يُخْتِي، وَيُعِيْثُ ﴾ (٢٥٨) ﴿ ﴾

١٩٥ ﴿ وَمَا يَدْكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابُ ﴾ (٢٦٩) ﴿ ﴾

٣٣ ﴿ فَرَجُلٌ وَامْرَأٌ كَانَ مِنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ ﴾ (٢٨٢) ﴿ ﴾

سورة آل عمران

١٩ ﴿ إِلَهٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَقُّ الْقَيْمُ ﴾ (١ - ٢) ﴿ ﴾

٥٣٣ ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُ تُجْبُونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾ (٣١) ﴿ ﴾

٣١٣ ﴿ وَمَنْ يَتَبَعَ عَيْرَ الْإِسْلَمِ دِيْنًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (٨٥) ﴿ ﴾

٤٢ ﴿ أُعِدَّتِ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٣) ﴿ ﴾

٤١٩ ﴿ وَلَا تَنْهَوْا وَلَا تَخْرُنُوا ﴾ (١٣٩) ﴿ ﴾

٣٢ ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ ﴾ (١٨٢) ﴿ ﴾

٢٢٨ ﴿ يَتَأْيَهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا ﴾ (٢٠٠) ﴿ ﴾

سورة النساء

٣٤٦ ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً ﴾ (٢٢) ﴿ ﴾

٥٥٢ ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ (٢٦-٢٨) ﴿ ﴾

٢٩٣، ٢٨٩، ٤٤ ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ (٣١) ﴿ ﴾

٤٧٣ ﴿ فَإِنْ أَطْعَنَكُمْ فَلَا تَنْغُو عَلَيْهِنَ سَبِيلًا ﴾ (٣٤) ﴿ ﴾

٥٠٠ ﴿ فَكَيْفَ إِذَا حِسْنَاتِنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدُ ﴾ (٤١) ﴿ ﴾

٢٩٨ ، ٤١	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفُرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ﴾ (٤٨)
٥٥٧	﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا أَتَاهُمُ اللَّهُ﴾ (٥٤)
٣٣	﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ (٦٦)
٣٤٢	﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا﴾ (٩٣)
١٩٦	﴿إِن تَكُونُوا تَالِمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ﴾ (١٠٤)
٥٦٠	﴿وَلَن تَسْتَطِعُوا أَن تَعْدِلُوا﴾ (١٢٩)
١٧٥	﴿وَسَوْفَ يُؤْتَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١٤٦)
سورة المائدة	
٣٣٧	﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (٣٢)
٤٧٣	﴿أَتَقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ (٣٥)
٤٦٣	﴿فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّهُنَّ﴾ (٥٤)
٥٣٤	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ﴾ (٥٦-٥٤)
٢٩٦	﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيمًا لِلنَّاسِ﴾ (٩٧)
١٢١	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ (١٠٥)
سورة الأنعام	
٣٠٥	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (١)
٢٧٦	﴿وَمَا مِنْ دَآبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ (٣٨)
٧٧	﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكَرُوا بِهِ، فَتَحَنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَهْرٍ﴾ (٤٤)

- | | |
|----------|---|
| ٥٤٧ | حَتَّىٰ إِذَا فَرَحُوا بِمَا أُوتُوا مَخْذُونَهُمْ بَعْدَهُمْ ﴿٤٤-٤٥﴾ |
| ١٧٧ | فَمَنْ مَاءَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴿٤٨﴾ |
| ٤٤٠ | وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشِرُوهُ إِلَيْ رَبِّهِمْ ﴿٥١﴾ |
| ٣٩١ | وَنُقْلِبُ أَفْيَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ ﴿١١٠﴾ |
| ٢٢٤ | وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ﴿١١٢﴾ |
| ٤٥٩ | فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يُشَرِّحُ صَدَرَهُ ﴿١٢٥﴾ |
| ٣٢٨ | وَيَوْمَ يُخْشِرُهُمْ جَمِيعًا ﴿١٢٨﴾ |
| ٥٤٧ | وَبَنَا أَسْتَمْعَ بَعْضُنَا بَعْضًا ﴿١٢٩-١٢٨﴾ |
| ٣٢ | بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ |
| ٣٣ | أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَالِبَتِينَ ﴿١٥٦﴾ |
| | سورة الأعراف |
| ٢٣٦ | فِيمَا أَغْوَيْتِي لَأَقْدَنَ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦-١٧﴾ |
| ١١٣ | فَالآرَبَنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ﴿٢٣﴾ |
| ٥٩ | لَا فَتَحْ لَهُمْ أَبُوبُ الْمَاءِ ﴿٤٠﴾ |
| ٤٠٠، ٣٩٩ | أَتَأْتُونَ الْفَحْشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ |
| ٤٠١، ٤٠٠ | إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ ﴿٨١﴾ |
| ١٩٩ | وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقَرَىٰ مَاءُوا وَاتَّقُوا ﴿٩٦﴾ |
| ٣٢ | ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ كَذَبُوا بِعَايَتِكَ ﴿١٤٦﴾ |

﴿فَلَمَّا عَتَّوْا عَنْ مَا هُوَ عَنْهُ﴾ (١٦٦)

٣١

﴿لَيَسْعَنَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ (١٦٧)

١٠١

﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا أَغْنِيَّلِينَ﴾ (١٧٢)

٣٣

﴿سَنَسْتَدِرُ جُهَّنَّمَ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأَمْلِ لَهُمْ﴾ (١٨٢ - ١٨٣)

٥٤٧

سورة الأنفال

﴿إِذْ يُوحَى رَبُّكَ إِلَى الْمَلِئَكَةِ﴾ (١٢)

٢٥١، ١٧٦

﴿وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٩)

١٧٦

﴿إِنْ تَنْقُوا اللَّهَ يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ (٢٩)

٣٢

﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٤٦)

٤٣٧

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيهِكُمْ﴾ (٥١)

٣٢

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ مُغَيْرًا لِنَعْمَةَ﴾ (٥٣)

١٨٠

سورة التوبية

﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ (١١)

٣٢

﴿لَا تَحْزُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (٤٠)

٤٣٦

﴿فَلَا تُعِجِّبَ أَنْوَلُهُمْ وَلَا أَوْكَدُهُمْ﴾ (٥٥)

٥٤٧

﴿سُوَا اللَّهُ فَنَسِيَهُمْ﴾ (٦٧)

٢٤٤

﴿إِنَّ اللَّهَ أَشَرَّى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفَسَهُمْ﴾ (١١١)

٢٤٧

﴿الثَّمِيمُونَ الْعَكِيدُونَ الْخَمِيدُونَ﴾ (١١٢)

٢٤٨

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَلَماً وَلَا نَصَبُ﴾ (١٢٠-١٢١)

سورة يونس

﴿وَيَوْمَ يَخْشَوْهُمْ كَانُوا لَزَلَّبُسُوا إِلَّا سَاعَةً﴾ (٤٥)

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ (٦٢-٦٤)

سورة هود

﴿وَإِنَّ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ (٣)

﴿وَإِلَّا تَعْفِرُ لِي وَتَرْحَمُنِي أَكُنْ مِّنَ الظَّاهِرِينَ﴾ (٤٧)

﴿إِنِّي أُشَهِّدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا شَرِكُونَ﴾ (٥٤-٥٦)

﴿يَتَابُزُهُمْ أَغْرِضُ عَنْ هَذَا﴾ (٧٦)

﴿يَنْقُومُ هَؤُلَاءِ بَنَافِي هُنَّ أَطْهَرُ لِكُمْ﴾ (٧٨-٨٢)

﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعْدِي﴾ (٨٣)

سورة يوسف

﴿كَذَلِكَ لِنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ (٢٤)

﴿يُوْشِفُ أَغْرِضُ عَنْ هَذَا وَأَسْتَغْفِرِي لِدَنِيلِي﴾ (٢٩)

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مَمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾ (٣٣)

سورة الرعد

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا يَقُومُ حَقَّ يُغَيِّرُوا مَا يَأْنُسِيهِمْ﴾ (١١)

سورة إبراهيم

﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ أَمْنَوْا بِالْقَوْلِ الْثَّالِتِ﴾ (٢٧)

سورة الحجر

- ﴿ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةَ يَسْتَبِّئُونَ ﴾ (٧٢-٦٧) ٤٨٨
- ﴿ لَعَزْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سُكُونٍ بَعْمَلُونَ ﴾ (٧٢) ٥٦٦، ٤١٨
- ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ (٧٧-٧٥) ٤٠٣
- ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ (٨٥) ٢٩٥

سورة النحل

- ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَخْيَاءٌ ﴾ (٢١) ١٣٨
- ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ (٣٠) ٢٨٠
- ﴿ وَمَا يِكُمْ مِنْ نَعْمَلٍ فِيمَنِ اللَّهُ ﴾ (٥٣) ٥٣٣
- ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى ﴾ (٩٧) ٤٥٩، ٤٢٩، ٢٨٠
- ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ (١١٠) ٥٠
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الظَّالِمِينَ أَتَقْوَا ﴾ (١٢٨) ٤٣٦

سورة الإسراء

- ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيَلَّا ﴾ (١) ٤٣٨
- ﴿ وَلَا تَنْقِرُوا الْرِّفَقَ ﴾ (٣٢) ٣٩٩، ٣٤٦
- ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ مَا هُنَّ ﴾ (٤٢) ٤٧٣، ٤٧٢
- ﴿ وَإِنْ مَنْ شَاءَ إِلَّا يُسْبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ (٤٤) ٤٦٩
- ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَتَنَاهُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ (٥٧) ٤٧٢
- ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْفُرْقَانِ مَا هُوَ شَفَاءٌ ﴾ (٨٢) ٦

سورة الكهف

- ٤٢١ ﴿وَلَا نُطْعِنَ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَنْ ذِكْرِنَا﴾ (٢٨)
- ١٩٨، ١٩٧ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةَ اسْجُدُوا لِلْأَدَمَ﴾ (٥٠)
- ٣٠٣ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ (١١٠)

سورة مریم

- ١٩٣ ﴿وَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَنِنَا﴾ (٥٠)
- ٤٦٨ ﴿وَمَا نَزَّلْنَا إِلَّا يَأْمُرُ بِرَبِّكَ﴾ (٦٤)
- ٢١٠ ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرُنَ﴾ (٩٠)
- ٣٠٩ ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِرَحْمَنِ أَنْ يَنْخُذَ وَلَدًا﴾ (٩٢)

سورة طه

- ٤٣٦ ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (٤٦)
- ٥٤١ ﴿إِنَّا أَءَمَّنَا بِرِبِّنَا الْغَيْرَ لَنَا﴾ (٧٣-٧٢)
- ٢٤٧ ﴿يَوْمَ يُفَخَّضُ فِي الصُّورِ وَتَحْشِرُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (١٠٤-١٠٢)
- ٢٧٨ ﴿وَمَنْ أَغْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ (١٢٤)

سورة الأنبياء

- ٤٧٢ ﴿أَمْ أَنْخَذْنَا إِلَهَةً مِنَ الْأَرْضِ﴾ (٢٣-٢١)
- ٤٧٠، ٤٦٥ ﴿لَوْكَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفِسْدَنَا﴾ (٢٢)
- ٤٠١ ﴿وَنَجَّنَّنَهُمْ مِنَ الْقَرْنَيْةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ لِكَبِيْثُ﴾ (٧٤)
- ٣٣ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوْءًا فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٧٧)

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ﴾ (٨٧) ١١٣، ٢٠

﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْفَ�َّارِ﴾ (٨٨) ٢٢

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ (٩٠) ٣٣

سورة الحج

﴿وَمَنْ يُبَشِّرُ أَلَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ (١٨) ١٩٤، ١٨٧، ١٧٢، ١٤٤

﴿وَمَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَكَانَمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ (٣١) ٥٩

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (٣٨) ١٧٥

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَرُ﴾ (٤٦) ٢٧٤

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَأَسْتَمِعُوا لَهُ﴾ (٧٣ - ٧٤) ٣٢١

سورة المؤمنون

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١-٧) ٣٤٦

﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهَلَّكِينَ﴾ (٤٨) ٣٣

﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ كُلُّوا مِنَ الطَّيْبَاتِ﴾ (٥١) ١٠

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُذَهَّبُ بِهِ مِنْ مَالٍ وَيَتَّيْنَ﴾ (٥٥ - ٥٦) ٥٤٧

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ حَشِيدَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ﴾ (٥٧ - ٦١) ٨٩

﴿وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (٩١ - ٩٢) ٤٧٢، ٤٧١

﴿فَلَمَّا كُنْ لَيَشْتَرُ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِينِينَ﴾ (١١٢ - ١١٤) ٢٤٧

سورة النور

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا مِنْ أَنْصَارِهِمْ﴾ (٣٠) ٤١٦

٤١٦، ٣١٥	﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٣٥)
٤٤٤	﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ بِحَدَّةٍ وَلَا يَعْجِزُونَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (٣٧)
٣٥٤	﴿كَسَابِينَ بِقِيَمَةِ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً﴾ (٣٩)
٢٧٤	﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَانِ حَرَجٌ﴾ (٦١)
سورة الفرقان	
٣١٠	﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُولَاتٍ كَمِنْ أَوْلَيَاءَ﴾ (١٨)
١٥٨	﴿وَهُوَ الَّذِي مَنَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ (٥٣)
٣٧٦	﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَنَا﴾ (٦٣)
٤٢٧	﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (٦٥)
٣٤٥، ٢٩١، ٢٦٢	﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَّهًا مَا خَرَقَ﴾ (٦٨-٧٠)
سورة الشعراء	
٣٩٩	﴿وَفَعَلَتْ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلَتْ﴾ (١٩)
٤٣٦	﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّ سَيِّدِينَ﴾ (٦٢)
٤٥٥	﴿أَفَرَبِيشَرَ مَا كُنْتُ تَعْبُدُونَ ...﴾ (٧٥-٧٧)
١٩٣	﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانًا صَدِيقًا فِي الْأَخْرِينَ﴾ (٨٤)
٢٨٢	﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنْوَنَ ...﴾ (٨٨-٨٩)
٥٣٥، ٣٠٤	﴿نَأَلَّهُ إِنْ كُنَّا لَهُ ضَلَالٍ مُّبِينٍ ...﴾ (٩٧-٩٨)
٣١٠	﴿وَمَا نَزَّلْتَ بِهِ الشَّيْطَنِيْنَ ...﴾ (٢١٠-٢١١)
سورة العنكبوت	

- ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾ (٥) ٤٢٩
- ﴿رَبِّ أَنْصَارِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٣٠) ٤٠٢
- ﴿إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْفَرِीْةِ﴾ (٣١) ٤٠١
- ﴿وَلَنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٩) ٤٣٦
- سورة الروم**
- ﴿وَمَنْ أَيْتَهُمْ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ﴾ (٢١) ٥٥٢
- ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾ (٢٨) ٣٢٠
- ﴿ظَاهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (٤١) ١٥٩، ١٥٧
- سورة السجدة**
- ﴿أَللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (٤) ٤٤٠
- ﴿وَحَعَلَنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَنْرِنَا﴾ (٢٤) ٢٢٣، ٨٥
- سورة الأحزاب**
- ﴿وَلَذِنَّقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ (٣٧) ٥٥٥، ٥٢٩
- سورة سباء**
- ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ (٤١-٤٠) ٣٢٧
- سورة فاطر**
- ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلَلَّهُ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (١٠) ٤١٩، ١٤٦
- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ (٤١) ٢١٠
- سورة يس**

﴿أَنْ أَغْهَدَ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَادَمَ﴾ (٦١-٦٠) ٣٢٨، ٣٢٧

﴿وَمَا عَلِمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ (٦٩) ٣٠٩

سورة الصافات

﴿وَالصَّافَاتِ صَافًا....﴾ (١-٣) ٤٦٨

﴿وَإِنَّكَ مِنْ شَيْعَتِهِ لَا يَرْهِبُهُ....﴾ (٨٣-٨٤) ٢٨٢

﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَيْفَكَا إِلَهٌ...﴾ الصافات: ٨٥ - ٨٧ ٣١٩، ٤٨

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَتَّحِينَ...﴾ (١٤٣-١٤٤) ٣٣

﴿وَلَنَ جُنَاحَنَا هُمُ الْغَلَيْلُونَ﴾ (١٧٣) ٢٢٨

سورة ص

﴿لَيَدْبِرُوا مَا يَنْتَهِ﴾ (٢٩) ٣٢

﴿وَأَذْكُرْ عِنْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ (٤٥-٤٦) ٢٢٠، ١٩٢

سورة الزمر

﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (٢٤) ٤٠٤

﴿أَمْ أَنْهَدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شَفَاعَةً﴾ (٤٣) ٤٤١

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْفُرُ الْذُنُوبَ حَيْثَماً﴾ (٥٣) ٣٨٥، ٣٣٤، ٤٠

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (٦٧) ٣٢١

سورة غافر

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ (٧) ١٧٦

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٨) ٢٧١

﴿ وَقِهْمُ السَّيْئَاتِ ﴾ (٩)

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ﴾ (٩-٧)

﴿ يَعْلَمُ حَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ﴾ (١٩)

﴿ يَنْهَمُنُ أَبْنَى لِصَرْحًا ﴾ (٣٧-٣٦)

﴿ يَنْقُورُ أَثْيَاعُونَ أَهْدِكُمْ ﴾ (٣٩-٣٨)

﴿ أَذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (٦٠)

سورة فصلت

﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُوكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَيْتُكُمْ ﴾ (٢٣)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا رَبِّنَا اللَّهَ ﴾ (٣١-٣٠)

﴿ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ (٤٠)

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَنْجَحِيًّا ﴾ (٤٤)

سورة الشورى

﴿ وَمَا أَصَبَّكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَإِمَّا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ ﴾ (٣٠)

سورة الزخرف

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَيْهَ وَقَوْمِهِ ﴾ (٢٨-٢٦)

﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ (٣٥-٣٣)

﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفَيَضْ لَهُ شَيْطَنًا ﴾ (٣٩-٣٦)

﴿ فَلَمَّا آتَسْفُونَا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ (٥٥)

سورة الجاثية

- ٤٤١ ﴿مَنْ وَرَأَيْهِمْ جَهَنَّمُ﴾ (١٠)
- ٩٦ ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْتَرُهُوا أَلْسِنَاتٍ﴾ (٢١)
- ٤٢٥ ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهًا هَوَنَهُ﴾ (٢٣)
- سورة الأحقاف
- ٣٣٧، ٢٤٧ ﴿كَانُوكُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ (٣٥)
- سورة الفتح
- ٣١٨ ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ (٦)
- سورة الحجرات
- ١٩٤ ﴿يَنْسَ الْآتَمُ الْفَسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ (١١)
- سورة ق
- ٣٧٥ ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنٌ﴾ (١٨)
- سورة الذاريات
- ٨٣ ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٢١)
- ٢٩٦ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْحَنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْمَلُوْنَ﴾ (٥٦)
- سورة الطور
- ٩٢ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ (٧)
- ٤٠٤ ﴿أَصْلَوْهَا فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ (١٦)
- سورة النجم
- ٤٦٨ ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ (٢٦)

٢٨٩	﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرًا إِلَّا شَرِ﴾ (٣٢)
٥٣٧	﴿يَتَعَلَّمُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٢٩)
٥٧٣	﴿وَلِمَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَانٌ﴾ (٤٦)
	سورة الرحمن
٤٧٧	﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ عَيْرَ مَدِينِينَ﴾ (٨٧-٨٦)
	سورة الواقعة
٢٩٦	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْبِنَتِ﴾ (٢٥)
	سورة الحديد
١٧٦	﴿يَرْفَعَ اللَّهُ الَّذِينَ إِمَّا مُّؤْمِنُوا﴾ (١١)
	سورة المجادلة
٣٢	﴿كَنَّ لَا يَكُونُ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ (٧)
١٧٢	﴿يَئِيمَّا الَّذِينَ إِمَّا مُّؤْمِنُوا إِنْهَا اللَّهُ﴾ (١٩-١٨)
٢٤٣	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ (١٩)
	سورة الحشر
٤٠٥	﴿فَذَكَّرَتْ لَكُمْ أُشْوَّهَ حَسَنَةٌ فِي إِنْزِهِمَ﴾ (٤)
	سورة المتحنة
٢٤٨، ٢٢٦	﴿يَئِيمَّا الَّذِينَ إِمَّا هَمَّلُوا أَذْكُرُوكُمْ﴾ (١٣-١٠)
	سورة الصاف
	سورة المنافقون

٤١٩، ١٧٦	﴿وَلِلّهِ الْعَزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨)
٤٤٤	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْهَاكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾ (٩)
سورة الطلاق	
١٩٥	﴿فَاتَّقُوا اللّهَ يَتَّقِلِي الْأَنْبِيبُ﴾ (١٠)
٢٩٥	﴿اللّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ (١٢)
سورة القلم	
٤٧٦	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَّنَ حُكْمٌ عَظِيمٌ﴾ (٤)
٢١٩	﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَنُنَّ عَيْنَنَا بِلِغَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ (٤٠-٣٩)
سورة الحاقة	
٣٣	﴿فَصَحَّوْ رَسُولُ رَبِّهِمْ﴾ (١٠)
٨٣	﴿فَلَا أُقِيمُ بِمَا تَبَصِّرُونَ...﴾ (٤٠-٣٨)
سورة المعارج	
٤١٣، ٣٤٧	﴿وَالَّذِينَ هُرْلَفُ وَرِحْمَهُ حَوْفَطُونَ ...﴾ (٣١-٢٩)
٤٥٨	﴿وَالَّذِينَ هُمْ شَهَدَاتِهِمْ فَلَمْ يُؤْمِنُوا﴾ (٣٣)
سورة الجن	
١٩٩، ٣٢	﴿وَالَّلّهُ أَسْتَقْنُمُوا عَلَى الْطَّرِيقَةِ لَأَسْقِنَتِهِمْ﴾ (١٦)
٤٣٨	﴿وَإِنَّهُ مَلَأَ قَمَّا عَبْدُ اللّهِ يَدْعُوهُ﴾ (١٩)
سورة المرسلات	
٤٦٨	﴿وَالْمَرْسَلَاتِ عَرَفَا...﴾ (٥-١)

سورة النازعات

- ﴿وَالنَّرَى عَدْتَ غَرْقاً...﴾ النازعات: (١-٥)
٤٦٨
- ﴿وَأَمَّا مَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ (٤٠-٤١)
٥٧٣، ٤٥٨
- ﴿يَشَّلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَنَهَا﴾ (٤٢-٤٦)
٢٤٦
- ﴿كَانُوكُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَوْلَيَّلُوكُوا﴾ (٤٦)
٣٣٧

سورة عبس

- ﴿عَسَ وَوَلَقَ ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْخَمْ﴾ (٢-١)
٢٧٤

سورة التكوير

- ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨)
٣١١

سورة الانفطار

- ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَنُ مَا عَرَكَ بِرِبِّكَ الْكَبِيرِ﴾ (٦)
٤١
- ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحْظَاتِنِي...﴾ (١٠-١١)
٢٥٦
- ﴿إِنَّ الْأَذْرَارَ لَفِي تَعْبِيرٍ...﴾ (١٣-١٤)
٢٨٢، ١٨٤

سورة المطففين

- ﴿كَلَّا بَلْ رَأَنَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ (١٤-١٥)
٢٧٨، ١٤٠، ١٢٧

سورة الأعلى

- ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَرَكَ...﴾ (١٤-١٥)
١١٣
- ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا...﴾ (١٦-١٧)
٥٤١

سورة الفجر

٧٨	﴿فَإِنَّ الْإِنْسَنَ إِذَا مَا أَبْتَلَهُ رَبُّهُ﴾ (١٥-١٧)
١٣٨	﴿يَقُولُ يَلْتَسِنِي قَدْمَتُ لِجَانِي﴾ (٢٤)
	سورة الشمس
١٨٩	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّنَا ...﴾ (٩-١٠)
٣٣	﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَفَرُوهَا﴾ (١٤)
	سورة الليل
٤١	﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلْظِلُ ...﴾ (١٤-١٦)
	سورة الضحى
٤٠	﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَرَضَتِ﴾ (٥)
	سورة الشرح
١٩٣	﴿وَرَفَعْنَاكَ ذِكْرَكَ﴾ (٤)
	سورة البينة
٣٠٣	﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا يَعْبُدُوا أَللَّهَ﴾ (٥)
	سورة العصر
٢٢١	﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي خُتْرٍ ...﴾ (١-٣)
	سورة الإخلاص
٣٣٨	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١)

(٢) فهرس الأحاديث والآثار

- ٩١ (أبو بكر) * ابکوا فیان لم تبکوا فتبکوا
- ١٦٣ أتعجبون من غیرة سعد؟
- ٢٩٠ اجتنبوا السبع الموبقات
- ٣١٠ أجعلتني الله ندًا؟
- ٥١٢ (أبو بكر) * أخرة أنت أم مملوكة؟
- ٩ ادعوا الله وأنتم موافقون بالإجابة
- ٤١٢ إذا أنت المرأة المرأة فهما زانيتان
- ١٢١ إذا أخفيت الخطية لم تضر إلا أصحابها
- ١٢٧ (حذيفة) * إذا أذنب العبد نكت في قلبه
- ١١١ (عائشة) * إذا استباحوا الزنى
- ٣٧٢ إذا أصبح العبد فإن الأعضاء كلها تکفر اللسان
- ٧٧ إذا رأيت الله عز وجل يعطي العبد من الدنيا
- ٦٧ إذا صار أهل الجنة في الجنة
- ١١٥ إذا ضن الناس بالدينار والدرهم
- ١٠٧ (ابن مسعود) * إذا ظهر الزنى والربا
- ١٠٣ إذا ظهرت المعاصي في أمتي
- ١٢٢ إذا كان يوم القيمة
- ٢٥٠ إذا كذب العبد

* الأثر مسوق بنجمة ومذكور قائله.

٤٥٩ ، ٢٨١	إذا مررت برياض الجنة فارتعوا
٦٥	إذا وضعت الجنaza
٣٧	أذنب عبد ذنبًا
٤٣٩	اذهبوا إلى محمد
١٧٨	استعادة النبي ﷺ من ثمانية أشياء
٥٦	استعيذوا بالله من عذاب القبر
١١١	اسكني فإنه لم يأن لك بعد
٢٠	اسم الله الأعظم في ثلاث سور
١٩	اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين
١٥٢-١٤٩	الإشارة إلى أحاديث اللعن
٣٠٧	اشتدّ غضب الله على قوم
٣١٦	أشد الناس عذاباً يوم القيمة
١٣١	(أبو الدرداء) * اعبدوا الله كأنكم ترونـه
٣١٨	أغـيـظـ رـجـلـ عـلـىـ اللهـ
٥٣	أـفـ لـكـ،ـ أـفـ لـكـ
٥٠٠	اقرأـ عـلـيـ
٣٧٦ ، ٣٦٥	أـكـثـرـ مـاـ يـدـخـلـ النـارـ :ـ الفـمـ وـ الـفـرـجـ
٣٦٥	أـلـأـخـبـرـكـ بـمـلـاكـ ذـكـ
٢١	أـلـأـخـبـرـكـ بـشـيـءـ ؟ـ
٢٩٠	أـلـأـبـثـكـ بـأـكـبـرـ الـكـبـائـرـ ؟ـ

١٩		أَلْظَوَابُ (يَاذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)
٣٠٣	(عمر بن الخطاب)	* اللهم اجعل عملي كله صالحًا
٤٢٨		اللهم إني أسألك بعلمك الغيب
٣٠٨		اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد
٥٦٠		اللهم هذا قسمي فيما أملك
١٢٩	(عائشة)	* أما بعد فإن العبد إذا عمل بمعصية الله
١٢٨		أما بعد يا معاشر قريش
٢٦٢		أن تجعل الله ندًا
٢٩١		أن تدعوا الله ندًا
٩٧	(عمر بن الخطاب)	* أنشدك الله
٦٧		إن أحدهم إذا مات
٣٦٩		إن أحدهم ليتكلّم بالكلمة
٣١٧		إن أخنح الأسماء عند الله
٩٥	(أبو الدرداء)	* إن أشد ما أخاف على نفسي
٧٢		إن أول الناس يقضي فيه
١٤٥	(أبو هريرة)	* إن الحبارى لتموت في وكرها
١٣٣ ، ١٠٣		إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب
١٩٩		إن روح القدس نفت في روعي
٢٥٢		إن السكينة تنطق على لسان عمر
٢٣٦		إن الشيطان قد قعد لابن آدم

- إن العبد ليتكلّم بالكلمة ما يتبيّن ما فيها
٣٦٨
- إن العبد ليتكلّم بالكلمة من رضوان الله
٣٦٧
- إن العبد ليتكلّم بالكلمة الواحدة
٢٠٦
- إن الغضب جمرة في قلب ابن آدم
٢٤١
- إن الله اتخدني خليلاً
٤٤٥
- إن الله جعل الروح والفرح
١٩٩
- إن الله عز وجل إذا أراد بالعباد نعمة
١١٦
- إن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء
٥
- إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء
٤
- إن الله يحب الملَّحِين في الدعاء
١٤
- إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب
٧٨
- إن الله يغار
٣٧٩
- * إن للحسنة ضياء
١٣٥ (عبد الله بن عباس)
- إن للملك بقلب ابن آدم لمة
٢٥١
- إن المرأة تقبل في صورة شيطان
٥٥٣
- إن المصورين يغذبون يوم القيمة
٦٧
- إن معكم من لا يفارقكم
٢٥٥
- إن مما أدرك الناس من كلام النبوة
١٦٨
- إن من شرار الناس
٣٠٦
- إن من الغيرة ما يحبها الله
١٦٥

- إن من كان قبلكم كان إذا عمل العامل
١٠٨
- إن من كان قبلكم كانوا إذا مات فيهم
٣٠٧
- إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد
٣٠٦
- إن المؤمن إذا أذنب
١٢٧
- * إن المؤمن يرى ذنوبه
١٤٤ (ابن مسعود)
- إن الناس إذا رأوا الظالم
١٢١
- إن النبي ﷺ كان إذا رأى عائشة
٥٣٠
- إن النبي ﷺ كان يقبلها
٥٣٠
- إن هذه القبور ممتنعة
١٨٨
- إنكم لتعملون أعمالاً
١٢٤
- إنما تطفأ النار بالماء
٢٤١
- إنه إذا تجلى لهم ورأوه
٥٤٢
- إنه لا يذل من واليت
٤٢٠
- إنني أبرا إلى كل خليل من خلته
٤٤٥
- إنني أرى ما لا ترون
٦٣
- إنني رزقت حبها
٥٥٨
- إنني لأعلم كلمة
٤٥٨
- * إنني لا أحمل هم الإجابة
٢٩ (عمر بن الخطاب)
- إنني لست كهينتكم
٤٦٠
- أو لا تدرى فلعله تكلم
٣٧٠

٣٤٢	(جندب)	* أول ما يتن من الإنسان
٦١		أي إخوانى، لمثل هذا اليوم فأعدوا
٣٥٠		إياكم والجلوس على الطرقات
١٢٤، ٧١		إياكم ومحقرات الذنوب
١٠		أيها الناس إن الله طيب
١٢٠		أيها الناس إن الله عز وجل يقول
١١١	(عمر بن الخطاب)	* أيها الناس ما كانت هذه الزلزلة
١٤٣		بعثت بالسيف بين يدي الساعة
٤٠٧		بعثني رسول الله ﷺ إلى رجل
٦٥		تدنو الشمس يوم القيمة
٣٧٨		تعجبون من غيره سعد؟
٧٠		تعرض الناس يوم القيمة
٣٦٧	(أبو هريرة)	* تكلم بكلمة أوبقت
١٢٢	(عمر بن الخطاب)	* توشك القرى أن تخرب
٤٤١		ثلاث من كنْ فيه
٢٠٥		جعل الذلة والصغر
٥٥٦		حرب إلى من دنياكم ثلاث
٥٥٦، ٤٨٤		حرب إلى من دنياكم النساء والطيب
٤٩٥		حبك للشيء يعمي ويصم
٥٥٨، ٤٤٦		حديث حب النبي ﷺ لعائشة وأبيها

١٦٠		حديث النهي عن دخول ديار ثمود
١٦٨		الحياء خير كله
١٦١		خلق الله آدم وطوله في السماء ستون ذراعاً
٥٥٨	(ابن عباس)	* خير هذه الأمة أكثرها نساء
٣٤٤		دخلت امرأة النار في هرة
٧٦		دخل رجل الجنة في ذباب
١١		الدعاء سلاح المؤمن
١٢		الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل
٢٠		دعوة ذي النون
٢٠٤		الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله
٢٠٤		الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله
٤٧٩		ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربّا
٥٣٢	(عمر بن الخطاب)	* ذاك ما لا تملك
٣٤٠		رأى النبي ﷺ عمرو بن لحي يعذب
٣٤٦	(عمرو بن ميمون)	* رأيت في الجاهلية قرداً
٣٤٣		سباب المسلم فسوق
٢٠		سبحان الله العظيم
٥٢٨		سبحان مقلب القلوب
٩٧		سبقك بها عكاشة
١٢٢		سيظهر شرار أمتي على خيارها

٣٠٢		الشرك في هذه الأمة
١٩٠		الشيطان ذئب الإنسان
٢٨٩		الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة
١٢٥		عذبت امرأة في هرة
٣١٢		عرف الحق لأهله
٢٢		علمني رسول الله ﷺ إذا نزل بي كرب
٩٥	(أبوذر)	* عندنا عتنز نحلبها
٣٤٩		غضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم
٩٤	(علي)	* فأما طول الأمل فيبني الآخرة
٥٥٩	(ابن عمر)	* مما صبرت أن قبّلتها
٥٠٣، ٢٦٣		فما ظنك؟
٥٤٢		فواه ما أعطاهم شيئاً أحبّ إليهم
٤٤		قال الله عز وجل: أنا عند حسن ظن عبدي بي
٤٣٥		قال الله عز وجل: أنا مع عبدي ما ذكرني
٤٤٦		قال الله عز وجل: لا يبدل القول لدى
٤٣٠		قال الله عز وجل: ما تقرب إلي عبدي بمثل
٣١٧		قال الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق
٦		قتلوه قتلهم الله!
٥٧٢	(ابن عباس)	* قتيل الهوى
٥٥٤		قصة زواج النبي ﷺ من زينب

٧٦	قصة المرأة التي دخلت النار في هرة
٢٣	* قصة أبي معلق (أنس بن مالك)
٥٥٩	قصة مغيث وبريرة
٣٧١	قل: آمنت بالله، ثم استقم
٢٧٣	* القلوب أربعة (حذيفة بن اليمان)
١٩	كان إذا أهمه الأمر
٤٧٦	كان خلقه القرآن
٣٦٣	* كان عمر يجهز جيشه
٢٥٣	كان الملك ينافح عنك
٢٠	كان النبي ﷺ إذا كربه أمر
٥٤٣	كأن الناس يوم القيمة لم يسمعوا القرآن
٣٧١	كلام ابن آدم عليه
١٤٢	كل أمتي معافي إلا المجاهرين
٥٤٨	كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل
٦٢	كل ما أسكر حرام
٤٨	الكيّس من دان نفسه
٦٦	كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم قرنه
٣٧٩ ، ١٦٤	لا أحد أغير من الله
٢٢	لا إله إلا الله العظيم الحليم
٣٤٨	لا تتبع النظرة النظرة

٣٤٣		لا ترجعوا بعدي كفارا
١٠٣		لا تزال هذه الأمة تحت يد الله
٧٤		لا تشرك بالله شيئا
٣٤٠		لا تقتل نفس ظلماً بغير حق
٩٠		لا يا بنت الصديق
١٤		لا تعجزوا في الدعاء
٥٣٥ ، ٤٦٥	(حذيفة)	* لا ولنهم كانوا إذا أمروا
٤٤١		لا يا عمر لا يجد حلاوة الإيمان
٣٧٦		لا يحل دم امرئ مسلم
٥٠٣		لا يدخل الجنة قاطع رحم
٥٠٣ ، ٢٦٣		لا يدخل الجنة من لا يؤمن جاره بوائقه
٣٨٣		لا يدخل الجنة ولد زينة
١٣		لا يرد القدر إلا الدعاء
١٦		لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل
٣٤٣		لا يزال المؤمن في فسحة من دينه
١٥		لا يزال يستجاب للعبد
١٧٥		لا يزني الزاني حين يزني
٣٦٤		لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه
١٢		لا يعني حذر من قدر
٥٤٠		لا ينام ولا ينبغي له أن ينام

٣٠٩		لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد
٥٣٥، ٤٦٤		لا يؤمن عبد حتى يكون
٣٤٤		لزوال الدنيا أهون على الله
٢٩	(عمر بن الخطاب)	* لستم تنصرون بكثرة
٤٧٦	(ابن عباس)	* لعلى دين عظيم
٣٠٧		لعنة الله زوارات القبور
٣٩٨		لعنة الله من عمل عمل قوم لوط
٣٠٦		لعنة الله اليهود والنصارى
٥٠١		لعنة النبي ﷺ الرائش
٥٠٢		لعنة النبي ﷺ من خحب امرأة
٦٥		لقد تضائق على هذا العبد
١٨		لقد دعا الله باسمه العظيم
١٧		لقد سأله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى
١٨		لقد سألت الله باسمه الأعظم
٤		لكل داء دواء
٥٥٤		لم ير للمتحابين مثل النكاح
٣٩٠		* لما احتضر أبو الدرداء
١٠٤، ٥٤		لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار
١٠٢		لن يهلك الناس حتى يعذروا
٩٤	(عثمان بن عفان)	* لو أنني بين الجنة والنار

٩٥	(أبو الدرداء)	* لو تعلمون ما أنتم لا قون
٥٥٠	(عثمان بن عفان)	* لو ظهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله
٤٤٢		لو كنت متخدناً من أهل الأرض خليلاً
١٢٩	(أبو الدرداء)	* ليحذر امرؤ أن تلعنه قلوب المؤمنين
٨٤		ليس الخبر كالمعاينة
٢٧٤		ليس الشديد بالصرعة
٢٧٤		ليس المسكين بالطواف
٢٣		ما أصحاب أحداً قط هم ولا حزن
٣٤٢	(ابن عمر)	* ما أعظمك وأعظم حرمتك
٤١٤، ٤		ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء
٢٨٢		ما بين بيتي ومنبري روضة
٤٤٢		ما تحاب رجالن في الله إلا كان
٨٠		ما الدنيا في الآخرة إلا كما يدخل
٤٩٧	(ابن عباس)	* ما شأن هذا؟
٩٢	(أبو بكر)	* ما صيد من صيد
١١٨		ما طفف قوم كيلاً
٤٣٦		ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟
٣٨٠		* ما ظهر الربا والزنى في قرية إلا أذن الله
٣٩٧	(علي)	* ما فعل هذا إلا أمة
٤٧		ما فعلت؟ أكنت فرقت الستة الدنانير

٥١٢	(عثمان)	* ما قصتك؟
٥٦١	(علي)	* ما قصتك؟
٢٣	(ابن مسعود)	* ما كربنبي من الأنبياء إلا استغاث
١١٢	(عمر)	* مالك؟ مالك؟
٥٥		مالي لم أرميكائيل ضاحكاً فقط؟
١٢٣		ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي
١٤	(مورق)	* ما وجدت للمؤمن مثلًا إلا رجلًا
٥٣		مررت ليلة أسرى بي
٩٣	(ابن عباس)	* مصر الله بك الأمصار
٤١١		من أتى بهيمة فاقتلوه
٤٢٩		من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه
٤٤٢		من أحب الله وأبغض الله
٧٤		من أخذ شبراً من الأرض بغير حقه
٦٧		من اشتري ثواباً بعشرة دراهم
٣٨٠		من أشراط الساعة
٤٠٨		من تخطى حرم المؤمنين
٦٨		من ترك الصلاة سكرًا
٦٦		من تعظم في نفسه
٣٧١		من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه
٣١٠		من حلف بغير الله فقد أشرك

من خاف أدلج

- ٨٩ من شرب الخمر شربة
- ٦٨ من صام رمضان وأتبعه بست من شوال
- ٣٣٨ من صلى العشاء في جماعة
- ٣٣٧ من عشق وعفّ وكتم
- ٥٧٢-٥٦٨،٥٢٧ من قال في يوم سبحان الله وبحمده مائة مرة
- ٣٧ من قرأ قل هو الله أحد
- ٣٣٨ من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة
- ٤٥٦ من كان آخر كلامه لا إله إلا الله
- ٣٧٠ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإذا شهد أمراً
- ٣٧٠ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً
- ٧٣ من كانت عنده لأخيه مظلمة
- ٣٠،١٤ من لم يسأل الله يغضب عليه
- ٦٩ من مات مدمناً للخمر
- ٣٩٧ من وجدت موه يعمل عمل قوم لوط
- ٣٤٣ * من ورطات الأمور
(ابن عمر)
- ٤٠٨ من وقع على ذات محرم فاقتلوه
- ٢٢٣ من يسألني فأعطيه
- ٧٤ ناركم هذه التي يوقد بنو آدم
- ٣٤٨ النظرة سهم مسموم من سهام إبليس

- ٥٠٢ نهى أن يخطب الرجل على خطبة أخيه
- ٥٠٢ نهى أن يستام على سوم أخيه
- ٣٠٨ نهى عن صلاة التطوع عند طلوع الشمس
- * ٣٧٣ (شداد بن أوس) هات السفرة نعث بها
- * ٣٧٤، ٩١ (أبو بكر) * هذا أوردني الموارد
- ٢٢ هل أدلكم على اسم الله الأعظم
- ١٥٣ هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا؟
- * ٢٩١ (ابن مسعود) هي أربع، يعني الكبائر
- * ٢٩١ (عبد الله بن عمرو) هي تسعة
- * ٢٩١ (عبد الله بن عمر) هي سبع
- ٥٤٣ وأسألك لذة النظر إلى وجهك
- * ٩٣ (عمر) وددت أنني أنجو
- * ٩٢ (أبو بكر) وددت أنني خضرة
- * ٩١ (أبو بكر) وددت أنني شعرة
- * ٩٦ (أبو عبيدة) وددت أنني كبش
- ٣ والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه
- * ٦٣ (أبو ذر) * والله لو ددت أنني شجرة تعصد
- * ٩٢ (أبو بكر) * والله لو ددت أنني كنت هذه الشجرة
- ١١٧ والذى نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يبعث
- ٤٦٤ والذى نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى تكون

٧		وما يدريك أنها رقية
٣٧٠		وما يدريك لعله كان يتكلم
٢٦٨		ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
٩٣	(عمر)	* ويحك ضع خدي على الأرض
١٠١	(أبو الدرداء)	* ويحك يا جبير
٥٥١	(الصحابة)	* يا أبا موسى ذكرنا ربنا
٣٧٩، ١٦٤		يا أمة محمد ما أحد غير من الله
٦٢		يا أيها الناس تدرون ما مثلي ومثلكم؟
١١٢	(عمر)	* يا أيها الناس ما هذا؟
٩٢	(أبو بكر)	* يا بنية إني أصبت من مال المسلمين
٢٠		يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث
١٢٥	(ابن عباس)	* يا صاحب الذنب
٩٥	(أبوذر)	* يا ليتني كنت شجرة تعضد
١٠٧		يا معشر المهاجرين خمس خصال
٥٤		يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك
١٢٢		يأتي زمان يذوب فيه قلب المؤمن
١٠٦	(علي)	* يأتي على الناس زمان
١٢٣، ٥٢		يجاء بالرجل يوم القيمة
٣٤١		يجيء المقتول بالقاتل
١٠٥		يخرج في آخر الزمان قوم

١٥		يستجاب لأحدكم ما لم يعجل
٧١		يضرب الجسر على جهنم
٦٤		يضغط المؤمن فيه ضغطة
٣٠٣		يقول الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك
٣١٦		يقول الله عز وجل: العظمة إزارى
١١	(أبوذر)	* يكفي من الدعاء مع البر
٣٩٧	(ابن عباس)	* ينظر أعلى بناء في القرية
٥٥		يؤتى بأنعم أهل الأرض
١٠٣		بوشك أن تداعى عليكم الأمم

(٣) فهرس القوافي

الصفحة	القائل	البحر	القافية
٥١٠	—	طويل	سواء
٥٦٧	[أبو محمد الخازن]	بسيط	الخليلصاء (بيتان)
٤٩٣	[الفتح بن خاقان]	طويل	يلعب
٤٣٢	[ابن غلندو]	طويل	تعيب
٥١٠	—	طويل	نصيب
٥١١	—	طويل	كروب (٣ أبيات)
٥٦٢	—	طويل	شاريء
٥٤٨، ٤٠٤	—	طويل	عذابا
٥٢٣	عتبة بن حباب	بسيط	طربا (٤ أبيات)
٥٤٤	[العباس بن الأحنف]	رمل	حبيا
٤٣٣	—	بسيط	تغِب (بيتان)
٣٥٣	المؤلف	بسيط	تصب (بيتان)
٣٨٨، ٢١٦	—	بسيط	منجَب
٣٨٨	—	بسيط	الباب
١٤٠	[الأعشى]	متقارب	منها بها
٥٥٠	—	مجثث	كتابي (بيتان)
٥١٧	أبو العباس بن سريح	كامل	سناته (٣ أبيات)
٥١٦	أبو بكر الظاهري	بسيط	الساجي (بيتان)

١٧٠	[سمون بن حمزة]	طويل	يصبح
٥٦٧	[البحتري]	كامل	لا يفلح
٣٥٣	المؤلف	كامل	مليح (٣ أبيات)
٥٤٥	[بشار]	كامل	منفرد
٣٥٤	[رجل من بني العارث]	طويل	رغدا
٥١٠	[الأحوص]	طويل	جل جدا
٥٤٥، ٤٢٧	[مجنون ليلي]	طويل	وحدي (بيتان)
٥٢٣	عتبة بن الحباب	طويل	بعد (٣ أبيات)
٤٦٠	[إدريس بن أبي حفصة]	بسيط	الزاد (٣ أبيات)
٢١١	[محمود الوراق]	كامل	الخالد (بيتان)
٥٦٣	—	كامل	البارد (٣ أبيات)
٥٦٤	—	كامل	الحاسيد (٣ أبيات)
٤٨٩	[المتنبي]	خفيف	التوحيد
٥٦١	النهاس بن عيسية	طويل	البدر (٤ أبيات)
٥١٠	—	طويل	حماز
٤٩٣	—	طويل	يدور (٣ أبيات)
٥٤٩	[الأحوص]	طويل	السرائر
٣٥١	—	طويل	المناظر (بيتان)
٥٢٤	عتبة بن الحباب	طويل	عيروها (بيتان)
٥٢١	عتبة بن الحباب	كامل	عاكر (٧ أبيات)

٤٩٨	[العباس بن الأحلف]	كامل	الأقدار
٤٠٤	—	طويل	أجرا (٧ أبيات)
١٤٠	—	طويل	الخمر
٥٦٤	[جامع بن مرخية]	طويل	وزر (بيتان)
٣٥٠	—	بسيط	الشرر (٤ أبيات)
٥٢١	عتبة بن الجباب	كامل	الصدر (٦ أبيات)
٥٤٠	—	كامل	بأسره
٢٥٨	[محمود الوراق]	سريع	طاري (بيتان)
٢٢٤	الخنساء	وافر	نفسي (بيتان)
٤٢٦	[المرار الفقعي]	كامل	المخلس
٢٤٢	[صالح بن عبد القدوس]	سريع	نفسه
١٧٣، ١٣٣	[الأرجاني]	متقارب	واستأنس
١٣٢	الشافعى	وافر	المعاصي (بيتان)
٤٦٢، ١٧٣	—	بسيط	عوْض
١٧٣	[عمران بن حطان]	كامل	يخدع
٤٣٣	[القاضي الفاضل]	طويل	معي (بيتان)
٤٢٥	[ابن الفارض]	كامل	تصطفي
٤٩٨	—	متقارب	لم يطّق (بيتان)
٣٢٥، ٢٢٤	[الأعشى]	طويل	لانتفرقُ
٢٢٣	—	طويل	يحرقُ

٥٤٤	[العباس بن الأحلف]	طويل	يعشقُ
٥٢٦	ريّا بنت الغطريف	طويل	لا حَقَّهُ (٣ أبيات)
٥٤٥	—	طويل	عاشقٌ
٤٩٢	[نصيب]	وافر	المذايقِ (٤ أبيات)
٥٢٠	أبو بكر الظاهري	كامل	مشتاقِ (٣ أبيات)
٥١١	—	كامل	عشاقه (بيتان)
٥١٨	—	خفيف	الأحداقِ (بيتان)
٥١٩	شهاب الدين محمود	خفيف	العشاقِ (٤ أبيات)
٢١٩	—	بسيط	تملّكُه (٦ أبيات)
٤٩٨	[ابن الفارض]	طويل	قتلُ
٤٥٤	[البهاء زهير]	طويل	يزوْلُ
٥٠٩	[كتير عزة]	طويل	غائله (٤ أبيات)
٤٤٩	[هشام بن عقبة]	بسيط	مبذولُ
٣٥٢	[أبو نواس]	كامل	قتيلُ
٣٥٢	المؤلف	كامل	جميلاً (بيتان)
٥٦٣	—	طويل	العقلِ (بيتان)
٤٣٤	[كتير عزة]	طويل	سبيلِ
٤٨٩، ٣٨٩	مجزوء البسيط [أحمد بن كلبي]		النحيلِ (بيتان)
٤٣٨	[أبو تمام]	كامل	الأولِ (بيتان)
٤٣٤	[المتنبي]	متقارب	الناقلِ

١٨١	—	متقارب	النعم (٨ أبيات)
٤٢٦	[مجنون ليلي]	طويل	حجم
٥١٣	عبيد الله بن عبد الله بن عتبة	طويل	ظلم (٥ أبيات)
١٨٧	—	طويل	يُكرِّمُ
٤٩٦	[الحارث المخزومي]	طويل	أَلْوَمُهَا
٤١٤	[أبو الشيص]	كامل	متقدِّم (٤ أبيات)
٥١٨، ٥١٧	أبو بكر الظاهري	طويل	محرَّما (٤ أبيات)
٣٥٩	[ابن الفارض]	بسيط	أيامي (بيتان)
٥١٢	—	كامل	الناعم (بيتان)
٤٩١، ٣٦١	[مجنون ليلي]	طويل	فتمكنا
٢٢٣	—	طويل	مكان
١٨٢	—	بسيط	قرن
٤٩٥، ٤١٨	[مجنون ليلي]	بسيط	بالمجانين (بيتان)
٥٣١	عبد الله بن عمر	بسيط	قالون
٤١٨	[الخليل الشامي]	كامل	سكران
٥١٦	أبو بكر الظاهري	خفيف	الغصون (بيتان)
٥٢٠	—	بسيط	سواك لها (بيتان)
٥٢٠	الكلوذاني	بسيط	أصخت لها (٣ أبيات)

الأنصاف والمنظومات المستحدثة

٢٤٥	[المتنبي]	خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به
٤٩١	[مجنون ليلي]	فصادف قلباً خالياً فتمكنا
٥٤٦، ١٣٣	[المتنبي]	ما لجرح بemit إيلام
٥٣٨	—	أدعوك للوصل تأبى
٥٥١	—	تقرأ عليك الختمة

(٤) فهرس الكتب

٥٧١	اعتلال القلوب للخرائطي
٢٢٦	الإنجيل
٤٦٩، ٨٣	أيمان القرآن للمؤلف
٥١٨	تاريخ بغداد للخطيب
٥٦٨	الذكرة لابن طاهر
٥٥٢	تفسير سفيان الثوري
٢٢٦	التوراة
١، ١٢٧، ١٠٤، ٩٠، ٨٨، ٨٠، ٧٨، ٤٨، ٢٠، ١٩، ١٨	جامع الترمذى
٤٠٧، ٣٧٢، ٣٧١، ٣٦٩، ٣٦٥، ٣٤١، ٢٠٤، ١٦١	
١٢٥	حلية الأولياء
٥٦٨	الذخيرة لابن طاهر
٥٦٣	ربيع الأبرار للزمخشري
٥٥٧، ٤٨٣، ٢٠٠، ١٤٢، ١٣٠، ٣٠، ١٤، ١١	الزهد للإمام أحمد
٥١٦	الزهرة لأبي بكر الظاهري
٥٤٣	الستة لعبد الله بن الإمام أحمد
٤٤٢، ٣٤٤، ١٠٨، ١٨، ١٧	السنن
٤١١، ٤٠٦، ٣١٠، ٥	سنن أبي داود
٥٥٣، ٤٠٧، ١٠٧، ٣٠، ١٣	سنن ابن ماجه
٥٤٢	سنن النسائي

٣٤٣، ٣٠٦، ٢٩١، ٢٩٠، ١٢٥، ٧٤، ٦٧، ٥٢، ٢٢، ٧	الصحيحان
٤٦٤، ٤٤١، ٣٧٩، ٣٧٦، ٣٧٠، ٣٦٧	
٣٤٢، ١٥٣، ١٤٤، ١٢٤، ١٢٣، ٩٦، ٧٣، ٦٥، ١٥، ٤	صحيح البخاري
٤٦٤، ٤٣٠، ٣٤٦، ٣٤٤، ٣٤٣	
٣٦٨، ٧٢، ٦٢، ٥٥، ١٥، ١٠، ٤	صحيح مسلم
٣١٠، ٣٠٧، ٣٠٢، ١٨، ١٧	صحيح ابن حبان
٣١٠، ٢١، ٢٠، ١٩، ١٤، ١٢، ١١، ٩	صحيح الحاكم
٥٧١	الضعفاء لابن الجوزي
٥٠٥	العاقة لعبد الحق الإشبيلي
٥٦٨	الكامل لابن عدي
٣٣٠	كتب أبي الحسن الأشعري
٢٢	المجايبون في الدعاء لابن أبي الدنيا
٤١١	مسائل الشالنجي
١٧٩	مسائل ابن هانئ
٦٥، ٦٤، ٦٣، ٦٢، ٦١، ٥٦، ٥٣، ٤٨، ٢٢، ١٩، ١٨، ١٥، ٤	مسند أحمد
١، ١٠٨، ١٠٤، ١٠٣، ١٠٢، ٨٤، ٨٠، ٧٤، ٧٠، ٦٩، ٦٨، ٦٦	
٣١٢، ٣٠٧، ٢٠٥، ١٦٠، ١٤٣، ١٣٣، ١٢٧، ١٢٠، ١١٩	
٥٤٢، ٤٩٥، ٤٢٧، ٣٤٨	
١١٨	معجم الطبراني
٥١٩	منازل الأحباب لشهاب الدين محمود
١١٢	مناقب عمر لابن أبي الدنيا
٥٦٨	الموضوعات لابن الجوزي

(٥) فهرس الأعلام

٢٢٥، ٢١١، ٢١٠، ١٩٩، ١٦١، ١١٣، ٩٨	آدم عليه السلام
٤٥٥، ٤٤٦، ٤٤٥، ٤٠٢، ٣١٩، ٣٠١، ١٩٣، ٤٨	إبراهيم عليه السلام
٥٥٧، ٥٣٠	
١١٩	إبراهيم بن الأشعث
٩٧	إبراهيم التيمي
١٠٩	إبراهيم بن عمرو الصناعي
٣٩٣	إبراهيم النخعي
١١٣، ١١٢، ١٠١، ٩١، ٨٤، ٧٧، ٧٦، ٦٠، ٥٢، ٣٠، ١٨، ١١	أحمد بن حنبل
١٦٩، ١٦٠، ١٣٠، ١٢٨، ١٢٦، ١٢٤، ١٢٣، ١٢٢، ١٢٠، ١١٧	
٣٩٨، ٣٩٤، ٣٩٣، ٣٩١، ٣٤٥، ٣٣٣، ٣١٠، ٢٧٣، ٢٦١، ٢٠٠	
٥٥٩، ٥٥٧، ٤٧٦، ٤١١، ٤١٠، ٤٠٩، ٤٠٦	
٥٧٠، ٥٢٧	أحمد بن مسروق
٥٦٩، ٥٢٧	الأزهري
١٢٣، ٥٢	أسماء بن زيد
٤	أسماء بن شريك
٥١١	إسحاق بن إبراهيم الموصلي
٤١٠، ٤٠٩، ٤٠٦، ٣٩٣	إسحاق بن راهويه
١٨	أسماء بنت يزيد
٤١١	إسماعيل بن سعيد الشالنجي

١١٣	أسود بن عامر
١١٥، ٧٦	الأعمش
٦٥، ٤٧، ٢٠	أبو أمامة
٤٨٢	امرأة العزيز
٣٦٤، ١٢٤، ١١١، ١١٠، ١٠٤، ٥٣، ٢٠، ١٩، ١٨، ١٥، ١٤	أنس بن مالك
٥٥٦، ٤٨٤، ٣٧٩، ٣٦٩	
٤١٠، ٣٩٣، ١٢٦، ١٢٢، ١٢١، ١٤	الأوزاعي
٣٩٨، ٣٤٦، ١٤٤، ٩٦،	البخاري
١١٥	بختنصر
١٠٢	أبو البخري
٤٠٦، ٦١، ٥٦	البراء بن عازب
١٥٧	البرقاني
٦٢، ١٧	بريدة
٥٠٩	بريرة
١١٣	أبو بكر
٥٦٩	أبو بكر الأزرق
٤٤٦، ٤٤٥، ٣٩٧، ٣٩٦، ٣٩٢، ٣٧٤، ١٢١، ٩٢، ٩١	أبو بكر الصديق
٥٦١، ٥١٢	
٣٦٩، ٣٦٨	بلال بن الحارث المزنبي
١٢٦	بلال بن سعد

٥٦٨	البيهقي
٤٠٧، ٣٧٢، ٣٧١، ٣٦٨، ٣٦٥، ٣٤٢، ١٦١، ١٢٧، ٢٠، ١٩، ٥	الترمذى
٩٦	تميم الدارى
٤٧٢، ٣٨٣، ٣٣٥، ٢٠٨، ٩٧، ٧٣	ابن تيمية
٤٨٤	ثابت البنانى
١٠٣، ١٣	ثوبان
٣٩٢	جابر بن زيد
٥٥٣، ٦٤، ٦٢، ٥، ٤	جابر بن عبد الله
٥٦٤	جامع بن مرخية
٤٠٣، ١٩٩، ١٠٤، ٩٧، ٥٥، ٣٩	جبريل
١٠١	جيير بن نفیر
١٢٣	جريير بن عبد الله
١٠٥	جعفر بن محمد
٣٦٧، ٣٤٢	جندب بن عبد الله
٤٠٧	الجوزجاني
٥٧١، ٥٦٨	ابن الجوزي
٤٠٧	الحارث بن عمرو
٥٦٩، ٣١٠، ١٢، ١١	الحاکم
٣٩٨، ٣١٠، ٣٠٧، ٣٠٢	ابن حبان
٣٧١	أم حبیبة

٥١٤،٤٠٨	الحجاج بن يوسف
٢٧٣،١٢٧،١٢٥،١١٦،٩٧،٦٤	حديفة
٧٧	حرملة التجيبي
٥٧٢،٥٣١،٣٨	ابن حزم
١٢٢	حسان بن عطية
٣٣٠	أبو الحسن الأشعري
١٤٤،١١٦،١١٥،١٠٧،١٠٣،٩٧،٥١،٢٥،٢٣	الحسن البصري
٤١٩،٤١٠،٣٩٣،١٤٨،١٤٦	
٣٩٤	الحكم بن عتبة
١٠٩	الحميدي
٤١٠،٤٠٩،٣٩٤	أبو حنيفة
٢٤٠،٢١١،٢١٠،٩٨	حواء
٣٩٧،٣٩٦،٣٩٢	خالد بن الوليد
٥٥٨	حديجة
٥٧١،٥٦٣،٥٣١،٥١٢	الخرائطي
٥٦٩،٥٢٧،٥١٨	الخطيب البغدادي
٢٢٤	الخنساء
١١٥	Daniyal
٥٥٧،٥٥٤،٥٢٩،١١٠،١٠٨	داود عليه السلام
٤١١،٤١٠،٤٠٦،٣١٠،١١٥،٢٥	أبو داود

٣٩٠، ١٦١، ١٢٩، ١٠١، ٩٥	أبو الدرداء
، ١١٦، ١١٥، ١١٢، ١١١، ١١٠، ١٠٩، ١٠٥، ٢٣	ابن أبي الدنيا
١٢٢، ١١٩، ١١٧	
٥٦٤	دهماء
٩٥، ٦٣، ١١	أبو ذر
٥٢	أبورافع
١٩	ريعة بن عامر
٣٩٢	ريعة بن أبي عبد الرحمن
٧٧	رشدين بن سعد
٥٢٤	ريّا بنت الغطريف السلمي
، ٥٦٤	زبيدة بنت جعفر
٥٧٠، ٥٢٨	الزبير بن بكار
١٢٩	زكريا
٥٦٣	الزمخشي
٥٢٩، ٣٩٢، ١٢٨، ١٤	الزهري
٥٠٠، ٥٠٤، ٥٢٨	زيد بن حارثة
١٥٩	ابن زيد
٥٠٠، ٥٠٤، ٥٥٣، ٥٢٨	زينب بنت جحش
٥٥٧	سارة زوج إبراهيم عليه السلام
١٢٩، ١٠٨	سالم بن أبي الجعد

٥٣٠	سعد بن إبراهيم
٣٧٨، ١٦٣	سعد بن عبادة
٥٣٠، ٢١، ٢٠	سعد بن أبي وقاص
٦٤	سعد بن معاذ
١١٩، ١١٨	سعيد بن جبير
٥٦٥، ٥٦٤، ٣٩٣	سعيد بن المسيب
٦٥، ٧	أبو سعيد الخدري
٥٥٢، ٣٩٠، ١٠٩	سفيان الثوري
٣٧١	سفيان بن عبد الله الثقفي
٤٧٦، ٢٧٦، ١٠٩	سفيان بن عيينة
١٢١	أبو سلمة
٥٣٠، ١٠٢	أم سلمة
٥٥٨	سليمان عليه السلام
١٣١	سليمان التيمي
٥٦٤، ٥٦٣	سليمان بن عبد الملك
٧٦	سليمان بن ميسرة
١٠٦	سماك بن حرب
١٥٣	سمرة بن جندب
٥٧٠، ٥٦٩، ٥٦٨، ٥٢٧، ٥١٥	سويد بن سعيد
٤١٠، ٤٠٩، ٣٩٣، ٣٥٩، ١٨٨، ١٣٢	الشافعي

٤١٧	شجاع الكرماني
٤٩	شداد بن أوس
١٠٢	شعبة
١٢٩	الشعبي
٥١٩	شهاب الدين محمود بن سليمان
١٢٨	صالح
١٢٧	أبو صالح
٢٢٤	صخر
١٠١	صفوان بن عمرو
٥٠٠	صفوان بن المعطل
١١٢	صفية
٧٦	طارق بن شهاب
٢٩٢	أبو طالب المكي
٥٧٢،٥٦٨	ابن طاهر
٣٨٧	أبو طاهر السلفي
٥٥٢	طاووس
٥٥٢	ابن طاووس
٤١١	الطحاوي
٤٧٦،٤٤٦،١٢٩،١١٩،١١٠،٩٢،٨٩،٤٧،١٤،١٢	عائشة أم المؤمنين
٥٧٠،٥٥٨،٥٣٠،٥٢٩،٥٢٧،٥٠٠	

٥٣٠	عامر بن سعد
١٢٩	عامر الشعبي
٥٥٩	العباس
٥١٨، ٥١٧	أبو العباس بن سريح
١٠٩	ابن عبد البر
٥٠٥، ٣٨٧، ٣٨٦	عبد الحق الإشبيلي
١٠١	عبد الرحمن بن جبير
١١٩	عبد الرحمن بن زيد
١١٩	أبو عبد الرحمن بن زيد
١٠٦	عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود
٥٧١	عبد الرحمن بن عوف
٥٧١، ٥٧٠، ٥٢٨	عبد العزيز بن أبي حازم
٥٢٨	عبد العزيز الماجشون
١٤٢، ١٣٠، ١١	عبد الله بن أحمد بن حنبل
١٧	عبد الله بن بريدة
٣٩٢	عبد الله بن الزبير
٣٩٢، ٣٤١، ١٣٥، ١٢٥، ١٢٢، ١١٨، ٩٥، ٩٣، ٦٥، ٢٢	عبد الله بن عباس
٥٥٨، ٥٢٨، ٥٢٧، ٥١٥، ٤٩٧، ٤٧٦، ٤١١، ٤٠٧، ٣٩٧	
٥٧٣، ٥٧٢، ٥٦٩	

٣٤٢، ٢٩١، ٢٠٥، ١٤٣، ١٢٥، ١١٧، ١١٥، ١٠٧، ٦٦، ١٢	عبد الله بن عمر
٥٥٩، ٥٥٨، ٥٣١، ٣٤٣	
٥٣٠، ٢٩١، ٦٨	عبد الله بن عمرو
١٤٧	عبد الله بن المبارك
٢٩١، ٢٦١، ١٤٤، ١٢٨، ١٢٤، ١٠٨، ١٠٧، ٧٠، ٢٣، ٢٢	عبد الله بن مسعود
٥٥٠، ٣٨٠، ٣٧٧	
٤٠٨	عبد الله بن مطرف
٥٢٦، ٥٢٢، ٥٢٠	عبد الله بن معمر القسيسي
٥٧١	عبد الملك
٥١٤	عبد الملك بن مروان
٥١٣، ١٢٨	عبيد الله بن عبد الله بن عتبة
٣٩٢	عبيد الله بن عبد الله بن معمر
١٦٩	أبو عبيدة
١٠٨	أبو عبيدة
٩٦	أبو عبيد بن الجراح
٥٢٦، ٥٢٥، ٥٢٤، ٥٢٢	عتبة بن الحباب بن المنذر
٥٦١، ٥٥٠، ٥١٢، ٩٣	عثمان بن عفان
٥٦٨	ابن عدي
٥٧٠، ٥٢٧، ١١٩، ٤٧، ١٤	عروة بن الزبير
٣٩٣، ١١٤	عطاء بن أبي رباح

٧٧	عقبة بن عامر
٧٧	عقبة بن مسلم
٩٧	عكاشه
١٥٨، ١٤٦	عكرمة
٣٦٩	علقمة
١٠٢	علي بن الجعد
٥٦١، ٣٩٧، ٣٩٢، ١٧٩، ١٠٦، ٩٤، ٢٢، ١١	علي بن أبي طالب
٥١٨، ٥١٧	علي بن عيسى الوزير
٥٢٧، ٥١٥	علي بن مسهر
٥٤٢، ٤٢٨، ١١٥	عمار بن ياسر
٤٤٦، ٣٦٣، ٣٠٣، ٢٥٢، ١٢٢، ١١٢، ١١١، ٩٧، ٩٢، ٢٩	عمر بن الخطاب
٥٣٥، ٥٣٢، ٤٩٦، ٤٦٥	
٥١٤، ٥١٣، ١١٢	عمر بن عبد العزيز
٤١١	عمرو بن أبي عمرو
٣٤٠	عمرو بن لحي
١٠٨، ١٠٢	عمرو بن مرّة
٣٤٦	عمرو بن ميمون الأودي
١٢٠	العمري الزاهد
٣٢٧، ١٦٢، ١٠٨	عيسى ابن مريم
٥١٢	أبو غسان

٥١٤، ٥١٣	فاطمة بنت عبد الملك
٣٩٩، ٢٣٠، ٢٩٩، ١٤٢، ١٠٠	فرعون
١٢٧، ١١٧	الفضل بن عياض
١٠٠	قارون
٢٠	القاسم
٣٩٣، ١٥٨، ١١٧، ٩٢، ١٤	قادة
٥٧٠، ٥٢٧	قطبة بن الفضل
١٢٠	قيس بن أبي حازم
٥٣٠	أبو قيس مولى عبد الله بن عمرو
١١٢	كعب الأحبار
٥٢٠	الكلوذاني أبو الخطاب
٤٠٣، ٤٠٢	لوط عليه السلام
٤٣٤، ٤٢٦	ليلي
٥٧٠	ابن الماجشون
٥٥٣، ٤٠٧، ١٠٧، ٣٠، ١٣	ابن ماجه
٤١٠، ٤٠٩، ٣٩٣، ١٨٨، ١٣٢	مالك بن أنس
١٤٢، ١٢٤، ١١٦	مالك بن دينار
٥٧٠، ٥٢٧، ٥١٥، ١٥٨، ١٤٥	مجاحد
٤٩٥	مجنون ليلي
٥٧١	محمد بن جعفر بن سهل

٣٩٤	محمد بن الحسن
٥٦٩	محمد بن خلف بن المرزيان
٥١٨، ٥١٥	محمد بن داود الظاهري
١٢٩	محمد بن سيرين
١٠٥	محمد بن علي بن الحسين
٥١٢	محمد بن القاسم
٥١٩	محمود بن سلمان بن فهد
٣٢٧	مريم عليها السلام
٨٠	المستور بن شداد
٥٢٩	مسروق
١٠٩	مسعر
٣٧٠، ٣٦٨، ٣٦٧	مسلم بن الحجاج
٣٦٥، ٧٤	معاذ بن جبل
٥٦٩، ٥٢٧	المعافي بن زكريا
٥٦٢، ١٢٩	معاوية بن أبي سفيان
٧٦	أبو معاوية
٥١	المعروف الكرخي
٢٣	أبو معلق
٥٥٩	مغیث
٩٦	ابن أبي مليكة

١٦٢	المهدي عليه السلام
٥٦١	المهلب بن رياح
١٤	مورق
٣٩٩، ٣٣٠، ٣٢٣، ١٢٧، ١١٧	موسى عليه السلام
٥٥١، ٦٩	أبو موسى
٩٧، ٣٩	ميكمائيل
٣٤٢	نافع
٥٧١، ٥٧٠، ٥٢٨	ابن أبي نجيح
١٢٩	أبو نعيم الأصفهاني
٥١٥	نقطويه
٥٦٢	النهاس بن عيينة
١٤٠	أبو نواس
١١٢، ١٠٠	نوح عليه السلام
٥٣٠	هاجر أم إسماعيل
٢٩٩	هامان
١٦٩	ابن هانئ
١٠٤، ٩٠، ٨٨، ٧٤، ٧٣، ٧١، ٣٠، ١٩، ١٥، ١٣، ١٠، ٩، ٤	أبو هريرة
٣٧٠، ٣٦٧، ٣٤٣، ١٤٥، ١٢٧، ١٢١	
١٠٩	أبو هزان
٥٧٠، ٥٢٧	هشام بن عروة

٤٨٠	هود عليه السلام
٧٥	أبو الوفاء بن عقيل
١٣٢، ١٢٩	وكيع
١٢٦، ١٠١	الوليد بن مسلم
٤٢٦	أم الوليد
١٢٨، ١١٠	وهب بن منبه
٧٧	يحيى بن غيلان
٥٢٧، ٥١٥	أبو يحيى القتات
١٢١	يحيى بن أبي كثير
٥٠٨، ٣٦٤، ١٣١	يحيى بن معاذ
١٢٨	يعقوب بن إبراهيم
٥٧١	يعقوب بن عيسى
٤٨٧، ٤٨٤، ٤٨٢	يوسف عليه السلام
٤٨٤	يوسف بن عطية الصفار
٣٩٤	أبو يوسف القاضي
١٠٩	يوشع بن نون
١١٣، ٢٢	يونس عليه السلام

(٦) فهرس الجماعات والفرق

٢٨٩	الأئمة
٢٨١، ١٨٦	أبناء الملوك
١٤٧، ١٢٤	الأحبار
٢٣١	إخوان النصارى
٣٢٣	أشياء المجروس
٢٧٧	أشياء اليهود
٣٣٥، ٣٣٣	أصحاب أحمد
٣٣٣	أصحاب الشافعى
٣٣٥	أصحاب مالك
٢٩٥، ٢٢٩، ١٩٦، ١٩٢، ١٧٧، ١٦٤، ٨٣، ٨٢، ٨١، ٧٣، ٢٣	الأنبياء والرسل
٤٠٠، ٦٢٤، ٣٠٦	
١٤٢	أنبياء بنى إسرائيل
٥٢٥، ٥٦، ٢٣	الأنصار
٥٠٠	أهل الإفك
٣٢٤، ١٦٢	أهل بيت النبي ﷺ
٣٠١	أهل الجدل
٤٠٩	أهل الحديث
٣٩٧	أهل السنن
٣٧٣، ١٦٦، ١٣٠، ٧٣	أهل العلم

١٥٨	أهل العمود
١٥٨	أهل القرى والريف
٣٩٨، ٤٧، ٤٠	أهل الكبار
٣٧	أهل مكة
٢٩٩	أهل وحدة الوجود
١٥٧	أولاد المشركين
٢١٢	أولياء الأمر
٤٠٠، ٣٣٤، ٣٢٥، ٣٢٤، ٢٢٧، ٢٢١، ١٩٥	أولياء الرحمن
٢٢١	أولياء الشيطان
١٤٢، ١٢٨، ١٢٥، ١١٥، ١١٠، ١٠٠، ١١	بني إسرائيل
١٦٦	بني أمية
٥٢٤	بني سليم
٢٨٩	التابعون
٣٩٥	جمهور الأمة
٥٧١	حافظ الإسلام
٢٥٤، ٢٢٨، ١٧٦	حملة العرش
٥٦١	الخلفاء الراشدون
٣٩	خواص الملوك
٣٢٤	الرافضة
١٤٧، ١١٧	الرهبان

٥٧٢، ١٩٦، ٧٣	الشهداء
٥٠٣، ٢٣٣، ٢٢٥، ٢٢٢، ٢١٢، ١٤٠	الشياطين
١٦١	شيخ الصحراء
٣٧٠، ٢٩٢، ٢٨٩، ٢٥٥، ٢٢٩، ١٥٣، ٩٨، ٩٦، ٩١، ٢٩٧	الصحابة
٥٥١، ٤٠٨، ٣٩٩، ٣٩٧، ٣٩٦، ٣٩٥	
١٩٦	الصديقون
٣٥٨	الصوفية
١٦١، ٤٠	الظلمة والخونة
٣٢٧، ٣٠٩، ٣٠١	عبد الشمس والقمر
٣٠١، ٣٠٠	عبد النار
٥٦٨، ٥٦٧، ٥١١، ٥٠٤، ٥٠٢، ٤٩٥، ٤٩٤	العشاق
٤٥٣، ٤٥٠، ١٩٤	العقلاء
٣٠٠	غلاة الجهمية
٤١٠، ٢٦٦، ٣٧	الفقهاء
٣٠٠	القدرية
٣٠٠	الترامطة
١٢٨	قرיש
٣١٩، ٤٨	قوم إبراهيم
١٦٠، ٩٩	قوم ثمود
١٤٢، ١٠٠	قوم شعيب

١٠٠	قوم صاحب يس
١٤٢، ١٠٠	القوم فرعون
٤٨٧، ٤٨٢، ٤١٨، ٤٠٢، ٤٠١، ٣٩٨، ٣٩٧، ١٤٢، ١٠٠	القوم لوط / اللوطية
١٤٢، ٩٩	القوم هود
١٠٩	قوم يوشع بن نون
٣٠١، ٣٠٠	المجروس
٤٤٤، ٤٤٣، ٤٤١، ٤٤٠، ٣٢٩، ٣٢٧، ٢٩٨	المشركون
٣٠١	مشركو الصابة
٣١٧، ٦٧	المصوروون
١٥٣، ١٥٢، ١٥١، ١٤٧، ١٤٠، ١٠٠، ٧١، ٥٩، ٥٨، ٥٧، ٥٦	الملائكة
٢٥٦، ٢٥٤، ٢٥١، ٢٥٠، ٢٢٨، ٢٢٧، ١٩٩، ١٩٨، ١٧٧، ١٧٦	
٤٦٨، ٤٦٧، ٣٢٧، ٣٢٣، ٢٧٠، ٢٦٩	
٣٠٠	الملاحدة
٥٤٤، ٤٧١، ٣٢٩، ٢٨١، ١٨٦، ١٤٧، ١١٦، ٨٣، ٨٢، ٣٩	الملوك
٢٨٥، ٢٨٤، ٩٧	المناقون
١٠٧	المهاجرون
٥٦٠، ٥٥٤	نساء النبي ﷺ
٥٠٥، ٤٤٣، ٣٢٤، ٣٠٦، ١٦٢	النصارى
٤٤٣، ٣٢٤، ٣٠٦، ٢٧٧، ١٦٢	اليهود
٥٧٠	الوضاعون

(٧) فهرس الأماكن

٥٢٤	أرض السماوة
٥٣	البيع
٢٠٢	البيت الحرام
٥٢٧	الحجاز
٥٦٧	حزوى
٣٨٨، ٣٨٧، ٢١٦	حمام منجاب
٥٦٧	الخلصاء
٤	دمشق
١٦٠	ديار ثمود
٥٢٢	الروضة
٥٣٠، ٢٠٢	الشام
٥٦٧	شعب العقيق
٥٦٧	العذيب
٥١٨، ٥١٤	العراق
١٠١	قبرس
٥٦٧	قصر تيماء
٥١٤	الكوفة
٥٦٤، ٥٢٧، ٥٢٦، ١١٢	المدينة
٥٢٣، ٥٢٢	مسجد الأحزاب

٥٢٤	مسجد الأنصار
٥٢٠	مسجد المدينة
٣٩١	مصر
٥٦٣، ٢٩٥، ٣٧، ٨	مكة
٥٢٤	منازل بنى سليم
٥٦٧	نجد
٧٩	نهر الغوطة

ثانيًا: الفهارس العلمية

(٨) التفسير وعلوم القرآن

رقم الصفحة

* الآيات التي فسرها المؤلف

٤٢

﴿أَعَدْتُ لِلْكُفَّارِ﴾ [البقرة: ٢٤]

٤٤٠ - ٤٣٩

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة: ١٦٥]

٤٢

﴿أَعَدْتُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]

٢٢٩ - ٢٢٨

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠]

٥٥٢

﴿وَحَلَقَ الْإِنْسَنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]

٤١

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشَرِّكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]

٥٦٠

﴿وَلَنْ تَسْتَطِعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ١٢٩]

٣٣٧

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [المائدة: ٣٢]

٣٠٥

﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١]

٢٧٦

﴿وَمَا مِنْ دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٣٨]

٢٣٤

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ [الأعراف: ١١٢]

٤٠١ - ٣٩٩

﴿أَتَأَئُنَّ الْفَنَجَشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ﴾ [الأعراف: ٨١ - ٨٠]

٥٤٧

﴿سَنَسْتَدِرُ جَهَنَّمَ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]

٢٤٤

﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبه: ٦٧]

٤٧٥

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَلَامًا وَلَا نَصَبَ﴾ [التوبه: ١٢١ - ١٢٠]

٤٨١ - ٤٨٠ ، ٢٨٤

﴿إِنَّ رَبَّهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦]

- ﴿لَعْنُوكَ لَا تَهُمْ تَفِي سَكَرَّتِهِمْ يَقْهَمُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]
- ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى﴾ [النحل: ٩٧]
- ﴿وَلَا نَقْرِبُوا الْزِفَرَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ [الإسراء: ٣٢]
- ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعْهُ إِلَهٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ [الإسراء: ٤٢]
- ﴿وَنَنْزِلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ [الإسراء: ٨٢]
- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِلنَّارِ﴾ [الكهف: ٥٠]
- ﴿وَمَنْ أَغْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ [طه: ١٢٤]
- ﴿أَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَنَا﴾ [الأنياء: ٢٢]
- ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ أَلْقَى فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]
- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَفَظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾ [المؤمنون: ٥ - ٨]
- ﴿أَللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]
- ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَحَ الْبَحْرَيْنِ﴾ [الفرقان: ٥٣]
- ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَسْتَوْنُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَنَا﴾ [الفرقان: ٦٣]
- ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ بِمَعِ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠]
- ﴿إِذْ شَوَّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٨]
- ﴿وَمَنْ ءَايَنَتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [الروم: ٢١]
- ﴿ظَاهِرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الروم: ٤١]
- ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]
- ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُونَ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ [سبأ: ٤٠ - ٤١]

- ٤١٩ ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلَلَّهُ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر: ١٠]
- ٢٨٣-٢٨٢ ﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ، يَقْلِبُ سَلِيمٍ ﴾ [الصافات: ٨٤]
- ٢٢٠ ﴿ وَإِذْكُرْ عِبَادَتَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ [ص: ٤٥]
- ١٩٢ ﴿ إِنَّا أَخَصَّنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذُكْرَى الدَّارِ ﴾ [ص: ٤٦]
- ٤٠ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٥٣]
- ٢٧١-٢٦٩ ﴿ الَّذِينَ يَمْحُلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ، ﴾ [غافر: ٩-٧]
- ٤٦ ﴿ وَذَلِكُ طَنَّكُمُ الَّذِي طَنَّنَّنَّمِ بِرَبِّكُمْ أَزَدَنَّكُمْ ﴾ [فصلت: ٢٣]
- ٤٥٦ ﴿ وَجَعَلَهَا كَلْمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِيبِهِ ﴾ [الزخرف: ٢٨]
- ٤٧٩-٤٧٧ ﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ عِنْدَ مَدِينَنَا ٦٧ تَرْجِعُونَهَا ﴾ [الواقعة: ٨٧-٨٦]
- ٢٩٦ ﴿ لَقَدْ أَزْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيْنَتِ ﴾ [الحديد: ٢٥]
- ٢٤٤-٢٤٣ ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسْوَ اللَّهَ ﴾ [الحشر: ١٩]
- ٤٧٦ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]
- ٤١ ﴿ يَأْتِيهَا الْأَنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ ﴾ [الانفطار: ٦]
- ٢٥٦ ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحْفَظَنِ ﴾ [الانفطار: ١٠]
- ٢٨٢، ١٨٤ ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ [الانفطار: ٤١-١٣]
- ١٨٩ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّنَا ١١ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّنَا ﴾ [الشمس: ٩-١٠]
- ٤١ ﴿ لَا يَصْلَحُهَا إِلَّا آثَانَقَ ﴾ [الليل: ١٥]

نکت و فوائد *

التداوی بالفاتحة

八

- | | |
|---------|---|
| ٣٤-٣١ | على ألف موضع، ومن أمثلته |
| ١٧٧-١٧٥ | الخيرات التي رتبها الله في كتابه على الإيمان نحو مائة خصلة |
| ٣٥ | من أفعى شيء في معرفة تفاصيل أسباب الشر والخير: تدبر القرآن |
| ١٩٤ | سر خطاب القرآن لأولي الألباب |
| ٢٠٢ | وصف الله تعالى الشام بالبركة في ست آيات |
| ٢١٠ | سر ختم الآية (٤١) من فاطر بالاسمين الحليم الغفور |
| ٣١٠-٣٠٩ | معنى «لا ينبغي» في كلام الله ورسوله |
| ٣٨١ | لماذا نهى الله سبحانه عباده أن تأخذهم بالزانى رأفة في دينه؟ |
| ٤٢٣ | منع الله سبحانه إماماة الدين إلا من أهل الصبر واليقين |
| ٤٨٧-٤٨٣ | وجوه قوة الداعي إلى الفاحشة في قصة يوسف وامرأة العزيز |
| ٤٨٧ | في قصة يوسف من العبر والفوائد والحكم ما يزيد على ألف فائدة |
| ٥٥٥-٥٥٤ | قصة زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش على الوجه الصحيح |

(٩) الحديث وعلومه

* الأحاديث والأثار التي شرحها المؤلف

- ٥ إن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء
- ١٩ أظلوا بيا ذا الجلال والإكرام
- ٤٤ أنا عند حسن ظن عبدي بي
- ٩٧ سبقك بها عكاشة
- ١٦٨ إذا لم تستحي فاصنع ما شئت
- ١٧٩-١٧٨ حديث الاستعاذه من الهم والحزن ...
- ٢٦٢-٢٦١ حديث ابن مسعود سأله النبي ﷺ: أي الذنب أعظم؟
- ٢٧٠-٢٦٨ ونوعذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا
- ٣٧٦ لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلات
- ٤٢٠ إنه لا يذل من وليت ولا يعز من عاديت
- ٤٣٥-٤٣٠ ما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه
- ٤٣٥ الباء في ((فبَيْ يسمع وَبِي يبصر ...)) ليست لمجرد الاستعاذه بل للمصاحبة
- ٤٣٧ الكلام على تردد الرب سبحانه في إماتة عبده
- ٤٦٠ إني أظل عند ربِّي يطعمني ويستقيني
- ٤٦٠ ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة
- ٤٨٢-٤٨١ اللهم إني عبدك ، ابن عبدك
- ٥٤٨ كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل
- ٥٥٣ فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته

٩٧

شرح قول حذيفة لعمر: لا أزكي بعده أحداً

* الكلام على الأحاديث والرجال

٥٥٦

حب إليّ من دنياكم ثلاث

٥٧٣-٥٦٨

من عشق وعفّ وكتم فمات فهو شهيد

٥٧١

تضعيف المؤلف للخراططي وهما

(١٠) مسائل العقيدة

- ٤٧١ من أظهر الأدلة على التوحيد
- ٨١ الإشارة إلى بعض أدلة التوحيد والنبوة والمعاد
- أصل دعوة جميع الرسل إنما هو عبادة الله وحده المتضمنة لكمال حبه وكمال
- ٤٦٤ الخضوع والإجلال ولوازم ذلك من الطاعة والتقوى
- كلمة (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) هي الكلمة الباقية التي ورثها إمام الحنفاء لأنّها أتّباعه إلى
- ٤٥٦ يوم القيمة
- ٤٥٧ روح هذه الكلمة وسرّها
- ٤٥٦ هذه الكلمة كلمة الولاء والبراء
- ٤٥٥ لا تصح الموالاة إلا بالمعاداة ولا ولاء إلا براء
- ٣١٦-٣١٣ خصائص الإلهية
- ٤٤٠، ٣٢١-٣١٩ توحيد الألوهية وإبطال الشركاء والشفعاء
- الجواب عن مسألتين: الأولى أن المشرك إنما قصده تعظيم جناب الرب
فلم كان هذا القدر موجباً لغضب الرب؟
- والثانية: هل استفيد التقرب إلى الله بالشفعاء من الشرع أو هو قبيح في الفطر
- ٢٩٧ والعقول وجاءت الشرائع بتقريره؟
- ٣١٨-٣١٣حقيقة الشرك: التشبيه بالخالق وتشبيه المخلوق به
- الشرك نوعان: شرك بالله في ذاته وأسمائه وصفاته، وشرك به في عبادته
- ومعاملته
- ٢٩٨، ٢٨٧ النوع الأول قسمان: شرك التعطيل، وشرك من جعل معه إلهاً آخر

٣٠٥-٣٠١	الشرك في العبادة وأقسامه
٣٠٩-٣٠٥	الشرك بالله في الأفعال
٣١١-٣١٠	الشرك في الأقوال
٣١٣-٣١٢	الشرك في الإرادات وهو بحر لا ساحل له
٣٣٠-٣٢٩	القول على الله بلا علم والشرك متلازمان
٢٩٦	الشرك أظلم الظلم وأكبر الكبائر
٣٢٩	حرم الله الجنة على أهل الشرك والكبر
٣٢٨-٣٢٧	كل من عبد غير الله فإنما عبد الشيطان
٣٠٨	النبي عن صلاة التطوع عند طلوع الشمس وغروبها منعاً للتشبيه بعياد الشمس
٥٣٤، ٤٦٣، ٤٤٤، ٤٤١-٤٣٩	أصل الشرك بالله: الإشراك به في المحبة
٤٩٠-٤٨٨	بعض أنواع العشق من الشرك
٣١٥	العبودية تقوم على ساقين: غاية الحب مع غاية الذل
٤٣٩، ٤٣٨، ٤٢٦	التعبد آخر مراتب الحب وهو حقيقة الإسلام
٤٣٨	ذكر الله سبحانه النبي ﷺ بالعبودية في أشرف مقاماته
٥٣٢	الشرك في هذه العبودية من أظلم الظلم
٥٣٤	(التوحيد في الحب) أطبت قلبه دعوة الرسل ولأجله خلقت السماوات والأرض أنفع المحبة على الإطلاق وأوجبها وأعلاها محبة الله، وهو سر شهادة
٥٣٢، ٤٦٥-٤٦٣	أن لا إله إلا الله
٥٤٣	أعظم لذات الدنيا على الإطلاق لذة معرفة الله سبحانه ولذة محبته
٥٣٤	الولاية أصلها الحب، فلا موالاة إلا بحب

	الولاية عبارة عن موافقة الولي الحميد في محااته ومساخطه، ليست بكثرة صوم ولا صلاة ولا تمزق ولا رياضة
٤٥٢	كل حركة في العالم العلوي والسفلي فأصلها المحبة
٤٦٩، ٤٦٦	المحبة أصل كل دين سواء كان حقاً أو باطلأ
٤٧٦	الدين دينان: شرعى أمري، وحسابي جزائى. وكل هما لله وحده، والمحبة
٤٧٩	أصل كل منهما
٤٥٥	أصل الأعمال الدينية حب الله ورسوله، كما أن أصل الأقوال الدينية تصديق الله ورسوله
٤٤٣	أربعة أنواع من المحبة يجب التفريق بينها
٤٧٣، ٤٦٣	أعظم أنواع المحبة الم محمودة محبة الله وحده ومحبة ما أحب
٥٣٢	الله سبحانه يُحب لذاته من جميع الوجوه، وما سواه يُحب بعَد محبته
٥٤٠-٥٣٥	الداعي إلى محبة الله
٤٤٤-٤٤١	الحب في الله والله
٥٤٩، ٤٤١	محبة الرسول من محبة الله
٥٥٢-٥٤٩	محبة كلام الله
٤٦٣	المحبة الشركية أصل الشقاوة ورأسها
٤٧	المحبة الفاسدة لا تقع إلا من جهل واعتقاد فاسد أو هوى غالب أو ما ترکب من ذلك
٤٧٥-٤٧٣	كل محبة محمودة أو مذمومة لها آثار وتواتع، وحكم التوابع حكم متبعها
٨٩	(الرجاء والخوف النافع) هو ما اقترن به العمل
١٧٧-١٧٥	الخيرات التي ربها الله في كتابه على الإيمان نحو مائة خصلة

٤١٩	الإيمان قول وعمل، ظاهر وباطن
٨٤	أسباب تخلف العمل مع التصديق الجازم بالمعاد
٣٨	تعلق الجهال بنصوص الرجاء
٨٧	مستلزمات الرجاء
٣١٨	إساءة الظن بالله أعظم الذنوب عند الله
٣٨	اغترار الناس بمسألة الجبر
٣٩	اغترارهم بمسألة الإرجاء
٣٢٢	ذم الجبرية
٣٢٣	ذم نفاة الصفات والأفعال والحكم والأسباب
٣٢٣	ذم القول بأن الله في كل مكان
٣٢٤	ذم قول الرافضة
٣٢٥	ذم القائلين بأنه يجوز أن يعذب الله أولياءه وينعم أعداءه
٢٩٩	(التعطيل) أصل الشرك وقاعدته
٣٣٠	المشرك المُقرّ بصفات الرب خير من المعطل الجاحد لصفات كماله
٢٩٩	التعطيل ثلاثة أقسام
٤٣٦	المعية الخاصة
٢٧١	الصفتان (العزيز الحكيم) مصدر الخلق والأمر
٥٤٢	أعظم نعيم الآخرة ولذاتها: النظر إلى وجه رب وسماع كلامه منه والقرب منه
٤٦٩-٤٦٤	من تمام الإيمان بالملائكة
٢٩-٢٦	بين الدعاء والقدر
٣٤	الفقيه كل الفقيه الذي يدفع القدر بالقدر
٣٨٦-٣٨٣	هل يدخل الجنة مفعول به؟

(١١) مسائل الفقه

٤٠٥

* ما شرعه رسول الله ﷺ فإنما شرعه عن الله

* الجهاد

٥٥٩

جواز الاستمتاع من المسيحية قبل الاستبراء بغير الوطء بخلاف الأمة المشترأة

* العقوبات

٢٦١

العقوبات نوعان: شرعية وقدرية، الأولى تخص والأخرى تعم وتخص

٢٦١

إذا أقيمت العقوبات الشرعية رفعت القدرة أو خفضت

٣٩٥، ٢٥٩

رتب الشارع العقوبات على الجرائم بحسب الداعي وحسب الواقع

٢٦١

العقوبات الشرعية ثلاثة أنواع: القتل والقطع والجلد

٣٣٣، ٢٦٣-٢٦١

عقوبة القتل

٣٣٢

تفاوت درجات القتل بحسب قبحه

٣٣٥-٣٣٣

هل تمنع توبه القاتل المسلم من نفوذ جزائه

٢٦٤

عقوبة القطع

٢٦٥

عقوبة الجلد

٣٨٢-٣٨٠

حد الزاني خصّه سبحانه من بين الحدود بثلاث خصائص

٣٨٣

حد الزاني المحصن مشتق من عقوبة قوم لوط

لماذا جعل الحد في الزنى والسرقة وشرب المسكر دون أكل الميّة والدم

٣٩٥

ولحم الخنزير؟

٢٦٠

الحكمة في عدم إفساد العضو الذي باشر به الزاني المعصية

٤٠٩	اتفاق المسلمين على أن من زنى بذات محرم فعليه الحد وإنما اختلفوا في صفتة
٤٠٩	من لا يباح وطؤه فحدّ وطئه القتل
٤١٢-٤١٠، ٣٩٥	عقوبة وطء البهيمة
٤١٠، ٣٩٥	عقوبة وطء الميتة
٤١٣-٣٩٢	عقوبة اللواط والرّد على من جعلها دون عقوبة الزنى
٤١٣	حكم التلوط مع المملوك
٥٠٢	لا يسقط حق الغير بالتوبة من الفاحشة
٥٦٤	فتوى مكذوبة على سعيد بن المسيب
	* الكفارات
٢٦٥	أنواع الكفارات
٢٦٥	شرعت الكفارة في ثلاثة أنواع من الذنوب
٢٦٦	لا يجتمع الحدّ والكافارة في معصية، وكذلك لا يجتمع الحدّ والتعزير.
٢٦٧	هل يجتمع التعزير والكافارة في معصية لا حدّ فيها؟

(١٢) التزكية والسلوك

- (الولاية) عبارة عن موافقة الولي الحميد في محا به ومسا خطه، ليست بكترة
صوم ولا صلاة ولا تم زق ولا رياضة ٤٥٢
- الكمال الإنساني مداره على أصلين: معرفة الحق من الباطل وإيثاره عليه ٢٢٠
- إيثار أعلى المحبوبين على أدناهما لا يتم إلا بقوة الإدراك وشجاعة القلب ٤٤٧
- ذم الذي آثر هواه على طلب رضوان ربه ٣٢٦
- الحب والإرادة أصل كل فعل ومبؤه ٤٤٨
- لذات الدنيا ثلاثة أنواع ٥٤٦
- أعظم لذات الدنيا على الإطلاق: لذة معرفة الله ولذة محبته
مصالح الدنيا تابعة في الحقيقة لمصالح الدين، فمن ضاعت عليه هذه فتلت ٥٤٣
- أضيع وأضيع ٤٩٤
- أول مداخل الشيطان على الإنسان هو النفس ٢٣٠
- النفس الأمارة والنفس المطمئنة متعدitan ٣٦٠
- القلب السليم لا تتم سلامته حتى يسلم من خمسة أشياء
التقرب إلى الله وطلب مرضاته والإحسان إلى خلقه من أعظم الأسباب ٢٨٣-٢٨٢
- الجالية لكل خير ٣٠
- (العبودية) أشرف أحوال العبد ومقاماته ٤٣٨
- (تدخل العبادات) في العبادة الواحدة باب عزيز شريف لا يعرفه إلا صادق
الطلب متضلع من العلم عالي الهمة ٣٦٣

* الذكر والدعا

- ٢٢٩ طريقة الشيطان في غزو قلب العبد
- ٢٣٩ الشهوة والغفلة من جنود الشيطان
- ٤٦١ لا شيء أفعى للعبد من إقباله على الله واشتغاله بذكره
الأذكار والأيات والأدعية نافعة شافية في نفسها ولكن تستدعي قبول المدخل وقوته
- ٨ همة الفاعل وتأثيره
- ١١ الدعاء من أفعى الأدوية
- ١٥،٩ أسباب تخلف أثر الدعاء
- ١٢ للدعاء مع البلاء ثلاثة مقامات
- ١٣ الإلحاح في الدعاء
- ١٦ أوقات إجابة الدعاء
- ١٦ آداب الدعاء
- ٢٥ قد يجابت الدعاء للأحوال المقتربة به فيغلط كثير من الناس ويظن أن السر في لفظه
- ٢٥ قد يجابت الدعاء عند قبر فيظن الجاهل أن السر للقبر
- ١٧ من الأدعية التي هي مظنة الإجابة
- ٢٦ بين الدعاء والقدر
- ٢٨-٢٦ أقوال الطوائف في الاشتغال بالدعاء
- ٣٥ أمران تتم بهما سعادة المرء وفلاحه
- ٣٥ معرفة أسباب الخير والشر

٣٦	الحدن من الاغترار برحمة الله
٤٥	حسن الظن بالرب إنما يكون مع طاعته
٧٩-٥١	أحاديث وأثار لردع الجهال العصاة المغتربين برحمة الله
٨٦	الفرق بين حسن الظن والغرور
٩٦-٩١	أحوال الصحابة في غاية العمل مع غاية الخوف
٩٦	خوف الصحابة على أنفسهم من النفاق
	* الذنوب وتكفيرها
٩٨	كل شر وداء في الدنيا والآخرة سببه الذنوب
٢٨٦-٢٧٣، ٢٥٨-١٣٢	من أضرار المعاichi للعبد في دينه ودنياه وآخرته
٢٨٩	الذنوب صغائر وكبائر
٢٩١	اختلافهم في عدد الكبائر
٢٩٣	أدلة القائلين بعدم تقسيم الذنوب إلى كبائر وصغرى
٢٩٥	كشف الغطاء عن هذه المسألة
٢٨٧	أنواع الذنوب باعتبارات مختلفة
٢٦٢	تضاعف درجاتها في الإثم والعقوبة
٢٨٨	الذنوب البهيمية أكثر ذنوب الخلق
٢٩٦	الشرك بالله أكبر الكبائر على الإطلاق
	الشرك أظلم الظلم والتوحيد أعدل العدل، فما كان منافاة لهذا المقصود فهو
٢٩٦	أكبر الكبائر
٣٢٩	حرّم الله الجنة على أهل الشرك والكبـر

٣٣٢	الظلم من أكبر الكبائر
٣٣٢	قتل الإنسان ولده أو والديه من أشد الظلم
٣٤٥-٣٣٧	مفسدة القتل
٣٨٢-٣٧٦، ٣٤٧-٣٤٥	مفسدة الزنى تلي مفسدة القتل في الكبر
٣٩٥	مفسدة اللواط تلي مفسدة الكفر، وربما كانت أعظم من مفسدة القتل
٤٩٩	التشييب بالمحبوب وتهكّم بين الناس يجمع بين الشرك والظلم
١٥٢-١٤٩	المعاصي التي لعن عليها الله ورسوله
٢٠١، ١٣٧	المراد بنقص العمر بالمعصية
٣٣١	البدعة أحبت إلى إبليس من المعصية
٤٤-٤٢	تكفير الذنوب
٢٨٩	الأعمال المكفرة للذنوب لها ثلاثة درجات
٢٠٧	هل يعود التائب إلى درجته التي كان فيها؟
	* العشق ومداواته
٥٣٢	العشق من حيث هو لا يُحمد ولا يذم
٤٤٦-٤٢٦	مراتب الحب
٥٥٨، ٥٥٢	محبة النساء من كمال الإنسان
٤٧٣	كل محبة محمودة أو مذمومة لها آثار وتوابع، وحكم التوابع حكم متبعها
٤٧٤	المحبة الفاسدة لا تقع إلا من جهل واعتقاد فاسد أو هوى غالب
٥٦٥	العشق ثلاثة أقسام
٤٨٨	العشق الشركي الكفري

	عشق الصور قد تضمن أنواع الظلم كلها ويجمع أحياناً بين الظلم والشرك والكفر
٥٠٦-٤٩٩	من مفاسد العشق الدينية والدنيوية
٤٩٤	ليس شيء أضيق لمصالح الدين والدنيا من عشق الصور
٤٩٤	آفات الدنيا والأخرة أسرع إلى عشاق الصور من النار في الحطب
٥٠٥	قد تنصرت جماعة ممن نشأ في الإسلام بسبب العشق، وحيل النصارى في تصوير الأسيء
٥٣٢-٥٠٨	فوائد مزعومة للعشق
٥٧٣-٥٣٢	الرّد علىها
٤٩٩	ثلاث مقامات للعاشق وما يجب عليه في كل منها
٤٩١	لا دواء للعشق أنسع من الإخلاص لله
٤١٥	علاج مرض العشق من طريقين: حسم المادة، وقلعها بعد نزولها
٣٤٨	أربعة مداخل للمعاichi من حفظها أحرز دينه: اللحظات والخطرات واللحوظات والخطوات
٣٥١	من آفات النظر
٤٢٢-٤١٥	فوائد غض البصر
٣٥٣	من راعي خطراته ملك زمام نفسه
٣٥٥	أقسام الخطرات
٣٥٧	أعلى الفكر وأنواعها
٣٦١	من مزالق السلوك في حفظ الخواطر

اللفظات

٣٦٣

الإنسان يهون عليه الاحتراز من أكل الحرام والظلم ... ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه

٣٦٦

٣٧٤

هل يكتب جميع ما يلفظ به العبد أو الخير والشرّ فقط؟

٣٧٥

الخطوات

* حسن الخاتمة

٣٩٠

من أعظم الفقه خوف الرجل أن تخذله ذنبه عند الموت فتحول بينه وبين حسن الخاتمة

٣٩٢-٣٨٦

من قصص المحتضرين وسوء الخاتمة

(١٣) فوائد لغوية وأدبية

* ألفاظ وأساليب فسرها المؤلف

٥٣٢، ٤٦٥	الإله والتأله
١٨٩	التدسيّة
٤٣٨	الستيّم
٦٤	الحمائل
٤٧٧-٤٧٦	الدّين
٤٢٧	الشوق
٥٣٢	العبادة
٤٢٧	العشق
٤٢٦	العلاقة
٤٢٧	الغرام
٤٦٨	الملك
٤٧٣	معنى «لا ينبغي» في كلام الله ورسوله
	* الفروق
٤٤٦، ٤٤٤	الخلة والمحبة
٤٢	الصلّي والدخول
١٧٨	الهم والحزن
١٧٩	العجز والكسل
١٧٩	الجبن والبخل

ابتغى السبيل إليه وعليه

* ألفاظ لم ترد في المعجمات

يتهاوكون (ورد في الحديث)

تلاف مصدر تِلْف يَتَلَفْ (في كلام المؤلف)

تواعد بمعنى توعد (في كلام المؤلف)

* شرح قول الشاعر:

رأيت الذي لا كله أنت قادر

عليه ولا عن بعضه أنت صابر

٤٧٣

(١٤) فوائد عن المؤلف وشيخه

المؤلف *

- | | |
|----------------------------|--|
| ٨ | معالجة المؤلف نفسه في مكة بسورة الفاتحة ووصف ذلك لغيره |
| ٤٦٩، ٨٣ | الإحالـة على كتابه أيمان القرآن |
| ٤٨٧ | رغبته في تأليف كتاب في العبر والفوائد التي تضمـنـتها قصـة يوسف |
| ٣٥٣، ٣٥٢ | من شـعـرـ المؤـلـف |
| | *شيخ الإسلام ابن تيمية |
| ٤٧٢، ٣٨٣، ٣٣٥، ٢٠٨، ٩٧، ٧٣ | نـقـولـ عنـهـ صـرـحـ بـهـ |
| ١٨٧ | نقـلـ دونـ ذـكـرـ اـسـمـهـ |

(١٥) قواعد وفوائد أخرى

القاعدة الكبرى التي عليها مدار الشرع والقدر وإليها مرجع الخلق والأمر:

- ٣٥٦ إشار أكبر المصلحتين ...
- ٤٢ نفي الأخض لا يستلزم نفي الأعم
- ٤٠٥ نفي دليل معين لا يستلزم نفي مطلق الدليل ولا نفي المدلول
- ٣٣٧ لا يلزم من تشبيه الشيء بالشيء أخذته بجميع أحکامه
- ٤٧٨ كل ملزم دليل على لازمه ولا يجب العكس
- ٤٧١ أصل فساد العالم إنما هو من اختلاف الملوك والخلفاء
- ٢٥٩ العقوبات على الجرائم بحسب الدواعي والوازع
- ٥١ من اعتمد على العفو مع الإصرار فهو كالمعاند
- ٤٦١ كلما كان وجود الشيء أنسع للعبد وهو إليه أحوج كان تألمه بفقده أشد
- ٤٩٦ لا يرى عيب الشيء إلا من دخل فيه ثم خرج منه
- ٤٠٩ من لا يباح وطئه فحدّ وطئه القتل
- ٤٤٩ مسألة الترك هل هو أمر وجودي أو عدمي؟
- ٨٤ الرد على من قال: إن العلم لا يتفاوت
- ٤٩٥ أشرف ما في الإنسان عقله
- ٤٦٦ أنواع الحركات
- ٤٩٦ الصحابة الذين أسلموا بعد الكفر كانوا خيراً من الذين ولدوا في الإسلام

فهرس الموضوعات

مقدمة التحقيق

٨	- توثيق نسبة الكتاب
١٢	- عنوان الكتاب
١٧	- موضوع الكتاب
٢١	- ترتيب مباحث الكتاب
٢٧	- موارد الكتاب
٣٣	- أهمية الكتاب والثناء عليه
٣٦	- طبع الكتاب وتحقيقه
٣٩	- النسخ المعتمدة في هذه الطبعة
٥٤	- منهج التحقيق
٥٧	- نماذج مصورة من النسخ المعتمدة
	النص المحقق
٣	- نص الاستفتاء
٤	- لكل داء دواء
٥	- الجهل داء وشفاؤه السؤال
٦	- القرآن كله شفاء

٧	- التداوي بالفاتحة
٨	- أسباب تخلف الشفاء
٩	- أسباب تخلف أثر الدعاء
١١	فصل : الدعاء من أنفع الأدوية
١٢	- للدعاء مع البلاء ثلاث مقامات
١٣	فصل : الإلحاح في الدعاء
١٥	- الآفات المانعة من أثر الدعاء
١٦	فصل : شروط قبول الدعاء
١٧	- الأدعية التي هي مظنة الإجابة
٢٥	- قد يستجاب الدعاء للأحوال المقتنة به ، لا لسرّ في لفظه
٢٦	فصل : الدعاء كالسلاح ، والسلاح بضاربه لا بحدّه فقط
٢٦	فصل : بين الدعاء والقدر
٢٩	- الدعاء من أقوى الأسباب
٣٠	- رضا ربّ في سؤاله وطاعته
٣١	- ترتيب الجزاء على الأعمال يزيد في القرآن على ألف موضع
٣٥	- أمران تتمّ بهما سعادة المرء وفلاحه :
٣٥	- الأول : معرفة أسباب الشر والخير

فصل : الثاني : الحذر من مغالطة النفس على الأسباب اتكالاً على	
٣٦	عفو الله ونحوه
٣٦	- أمثلة من الاغترار
٤٤	- حسن الظن بالرب إنما يكون مع طاعته
٤٨	- حسن الظن بالله هو حسن العمل نفسه
٥١	فصل : أحاديث وأثار لردع الجھال العصاة المغترين برحمـة الله
٧٧	- اغترار بعضهم على ما أنعم الله عليه في الدنيا
٧٩	فصل : أعظم الخلق غروراً من اغتر بالدنيا وعاجلها
٨١	- الإشارة إلى بعض أدلة التوحيد والنبوة والمعاد
٨٣	- أسباب تخلف العمل مع التصديق الجازم بالمعاد
٨٦	فصل : الفرق بين حسن الظن والغرور
٨٧	فصل : لوازم الرجاء
٨٨	- كل راجٍ خائف
٩١	- غاية الإحسان مع غاية الخوف
٩٦	- خوف الصحابة على أنفسهم من النفاق
٩٨	فصل : العودة إلى ذكر دواء الداء
٩٨	- كل شرّ وداء في الدنيا والآخرة سببه الذنوب

- أحاديث وآثار في أنواع العقوبات التي نزلت بالأفراد والأمم
- في الدنيا بسبب معاصيهم
- ١٠١
- غلط الناس في تأثير الذنب
- ١٣٠
- فصل : من أضرار المعاشي للعبد في دينه ودنياه وآخرته
- ١٣٢
- حرمان العلم
- ١٣٢
- حرمان الرزق
- ١٣٣
- الوحشة في قلب العاصي بينه وبين الله
- ١٣٤
- الوحشة بينه وبين الناس
- ١٣٥
- تعسير الأمور
- ١٣٥
- ظلمة في القلب
- ١٣٦
- وهن القلب والدين
- ١٣٦
- حرمان الطاعة
- ١٣٧
- قصر العمر
- ١٣٩
- فصل : المعاشي تولد أمثالها
- ١٤١
- فصل : المعاشي تضعف القلب عن إرادته
- ١٤١
- فصل : المعاشي تذهب من القلب استقباحها
- ١٤٢
- كل معصية ميراث عن أمّة من الأمم المعذبة

فصل : هوان العبد على ربه

- ١٤٤ فصل : عودة ضرر معصيته على غيره من الناس والدواب
- ١٤٥ فصل : المعاishi تورث الذل
- ١٤٦ فصل : المعاishi تفسد العقل
- ١٤٧ فصل : كثرة الذنوب تؤدي إلى الطبع على القلب
- ١٤٨ فصل : المعاishi التي لعن الله عليها ورسوله ﷺ
- ١٤٩ فصل : من عقوبات المعاishi التي رأها النبي ﷺ في منامه
- ١٥٣ فصل : المعاishi تحدث في الأرض أنواعاً من الفساد
- ١٥٧ فصل : المعاishi تطفئ من القلب نار الغيرة
- ١٦٣ فصل : المعاishi تضعف الحياة ، وربما تذهب
- ١٦٨ فصل : المعاishi تضعف في القلب تعظيم الرب جل جلاله
- ١٧٠ فصل : المعاishi تستدعي نسيان الله لعبدة
- ١٧٢ فصل : المعاishi تخرج العبد من دائرة الإحسان والمحسنين
- ١٧٤ فصل : المعاishi تضعف سير القلب إلى الله والدار الآخرة
- ١٧٨ فصل : المعاishi تزيل النعم وتحل النقم
- ١٧٩ فصل : المعاishi تورث الرعب والخوف في قلب العاصي
- ١٨٢ فصل : المعاishi توقع الوحشة العظيمة في القلب
- ١٨٢

- فصل : المعاشي تورث القلب مرضًا وانحرافاً ١٨٤
- فصل : المعاشي تعمي القلب وتطمس نوره ١٨٧
- فصل : المعاشي تcumم النفس وتدنسها ١٨٩
- فصل : العاصي دائمًا في أسر شيطانه ١٩٠
- فصل : المعاشي تسقط كرامة العاصي عند الخالق والمخلوق ١٩٢
- فصل : المعاشي تسلبه أسماء المدح والشرف ، وتكسوه أسماء الذم والصغر ١٩٣
- فصل : المعاشي تورث نقصان العقل ١٩٤
- فصل : المعاشي توجب القطيعة بين العبد وربه ١٩٧
- فصل : المعاشي تمحق بركة الدين والدنيا ١٩٩
- فصل : المعاشي تجعل صاحبها من السفلة ٢٠٥
- فصل : المعاشي تجرئ عليه أصناف المخلوقات ٢١٢
- فصل : المعاشي تخون العبد أحوج ما يكون إلى نفسه ٢١٣
- فصل : المعاشي تعمي القلب ٢٢٠
- مدار الكمال الإنساني على أمرتين ٢٢٠
- انقسام الناس فيه إلى أربعة أقسام ٢٢٠
- فصل : المعاشي مدد من الإنسان لعدوه على نفسه ٢٢٥

٢٣٠	- طريقة الشيطان في غزو قلب العبد
٢٣٠	- أول مداخل الشيطان على الإنسان هو النفس
٢٣٠	- إفساد ثغر العين
٢٣١	فصل : إفساد ثغر الأذن
٢٣٤	فصل : إفساد ثغر اللسان ، وهو الثغر الأعظم
٢٣٦	- الشيطان قاعد لابن آدم في كل طريق
٢٣٩	- الشهوة والغفلة جندان من جنود الشيطان
٢٤٣	فصل : المعاichi تنسي العبد نفسه
٢٤٨	فصل : المعاichi تزيل النعم الحاضرة ، وتقطع النعم الوالصة
٢٤٩	فصل : المعاichi تباعد الملك عن العبد وتدني منه الشيطان
٢٥٧	فصل : المعاichi تجلب مواد هلاك العبد في دنياه وآخرته
٢٥٨	فصل : العقوبات الشرعية على الجرائم
٢٦٠	فصل : العقوبات نوعان : شرعية وقدرية
٢٦١	- العقوبات الشرعية ثلاثة أنواع
٢٦١	١ - القتل في الكفر والزنى واللواء
٢٦٤	فصل : ٢ - القطع في إفساد الأموال
٢٦٥	- ٣ - الجلد في إفساد العقود وتمزيق الأعراض بالقذف

٢٦٥	- الذنوب ثلاثة أقسام
٢٦٥	- الكفارة في ثلاثة أنواع
٢٦٧	فصل : العقوبات القدرية نوعان
٢٦٧	- نوع على القلب
٢٦٨	- نوع على البدن
٢٧٣	فصل : ذكر طرف من عقوبات الذنوب لاستحضارها والكف عنها
٢٨٢	- العيش عيش القلب السليم
٢٨٣	- لا تتم سلامه القلب حتى يسلم من خمسة أشياء
٢٨٤	- معنى كون الرب على صراط مستقيم
	- من أعظم عقوبات الذنوب : الخروج عن الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة
٢٨٦	فصل : تفاوت العقوبات بتفاوت درجات الذنوب
٢٨٧	- الذنوب أربعة أقسام
٢٨٧	١ - الذنوب الملكية
٢٨٨	فصل : ٢ - الذنوب الشيطانية
٢٨٨	فصل : ٣ - الذنوب السبعية
٢٨٨	٤ - الذنوب البهيمية

- فصل : الذنوب كبائر و صغائر ٢٨٩
- الاختلاف في عدد الكبائر ٢٩١
- القول بأن الذنوب كلها كبائر بالنظر على الجراءة على الله ٢٩٣
- فصل : كشف الغطاء عن المسألة ٢٩٥
- هل تحرير الشرك مستفاد من الشرع فحسب أو هو قبيح في الفطر والعقول أيضاً ٢٩٧
- ما السر في كون الشرك لا يغفر من بين جميع الذنوب؟ ٢٩٨
- مقدمة بين يدي الجواب ٢٩٨
- الشرك نوعان : الأول : الشرك في الذات والصفات ٢٩٨
- وهو قسمان : ١ - شرك التعطيل ٢٩٩
- فصل : ٢ - شرك من جعل الله إليها آخر ٣٠٠
- فصل : النوع الثاني : الشرك في العبادة ٣٠١
- الشرك في العبادة ينقسم إلى مغفور و غير مغفور ، وأكبر وأصغر ٣٠٤
- النوع الأول ينقسم إلى كبير وأكبر وليس شيء منه مغفورةً ٣٠٤
- ومنه الشرك بالله في المحبة والتعظيم ٣٠٤
- فصل : و يتبعه الشرك في الأفعال والأقوال والإرادات ٣٠٥
- فصل : ومن الشرك به : الشرك في اللفظ كالحلف بغيره ٣١٠

- فصل : الشرك في الإرادات والنيات بحر لا ساحل له ، وقلّ من ينجو منه ٣١٢
- فصل : الجواب عن السؤال المذكور ٣١٣
- حقيقة الشرك : التشبيه بالخالق وتشبيه المخلوق به ٣١٣
- من خصائص الإلهية ٣١٤
- فصل : أصل عظيم يكشف سر المسألة ، وهو أن أعظم الذنب عند الله إساءة الظن به ٣١٨
- فصل : سبب كون الشرك أكبر الكبائر عند الله ٣٢٩
- فصل : مفسدة القول على الله بلا علم ٣٢٩
- البدع أحب إلى إبليس من المعصية ٣٣١
- فصل : الظلم والعدوان من أكبر الكبائر ٣٣٢
- تفاوت درجات القتل ٣٣٢
- توبة القاتل ٣٣٣
- توبة الغاصب ٣٣٥
- فصل : وجه كون قاتل نفس واحدة كقاتل النفس جمِيعاً ٣٣٧
- فصل : مفسدة الزنى تلي مفسدة القتل في الكبر ٣٤٥
- فصل : أربعة مداخل للمعاصي على العبد ٣٤٨

١ - اللحظات

- ٣٤٨
- ٣٥٣ فصل : ٢ - الخطرات
- ٣٦٣ فصل : ٣ - اللفظات
- ٣٧٥ فصل : ٤ - الخطوات
- ٣٧٦ فصل : عظم مفسدة الزنى
- ٣٨٠ - خصّ حدّ الزنى من بين الحدود بثلاث خصائص
- ٣٨٣ - مسألة : هل يدخل الجنة مفعول به ؟
- كثير من المحتضرين يحال بينه وبين حسن الخاتمة عقوبةً على
معاصيه
- ٣٨٦
- ٣٩٢ فصل : عظم مفسدة اللواط وشدة فحشها
- ٣٩٢ - الخلاف في عقوبته
- ٤٠٥ فصل : في الرد على من جعل عقوبته دون عقوبة الزنى
- ٤١٠ - حكم وطء الميتة
- ٤١٢ فصل : حكم السحاق
- ٤١٣ - حكم التلوّط بالمملوك
- ٤١٣ فصل : علاج داء العشق من طريقين

	الأول: الطريق المانع من حصوله، وهو أمران:
٤١٥	١ - غضن البصر، وذكر فوائده
٤٢٢	فصل : ٢ - اشتغال القلب بما يصدّه عن ذلك
	فصل : لا يمكن أن يجتمع في القلب حبّ المحبوب الأعلى
٤٢٤	وعشق الصور أبداً
٤٢٦	فصل : خاصيّة التعبّد، ومراتب الحبّ
٤٣٠	- تفسير حديث : «ماتقرّب إلى عبدي . . .»
٤٣٨	فصل : في التتّيم، وهو تعبّد المحب لمحبوبه
٤٣٨	- العبودية أشرف أحوال العبد ومقاماته
٤٣٩	- أصل الشرك بالله : الإشراك به في المحبة
٤٤١	- محبة الله من لوازم العبودية
٤٤٣	فصل : في أنواع المحبة
٤٤٤	فصل : في الخلّة، وهي تتضمّن كمال المحبة ونهايتها
٤٤٦	فصل : المحبة ليست أكمل من الخلّة
٤٤٧	فصل : العاقل يؤثّر أعلى المحبوبين وأيسر المكرهين
٤٤٨	- الحبّ والإرادة أصل كل فعل ومبدهُ
٤٤٩	فصل : أعقل الناس من آثر اللذة الآجلة الدائمة على العاجلة الزائلة

- ٤٥١ فصل : المحبوب قسمان : محبوب لنفسه ومحبوب لغيره
- ٤٥٢ - ميزان عادل لموالاة الرب و معاداته
- ٤٥٥ فصل : أصل الأعمال الدينية حب الله ورسوله ، وأصل الأقوال الدينية تصديق الله ورسوله
- ٤٥٧ - روح كلمة لا إله إلا الله
- ٤٦١ فصل : لا شيء أنفع للعبد من إقباله على الله
- ٤٦٣ فصل : أصل السعادة ورأسها محبة الله ومحبة ما أحبّ
- ٤٦٦ فصل : كل حركة في العالم العلوي والسفلي فأصلها المحبة
- ٤٦٧ - من تمام الإيمان للملائكة
- ٤٦٩ فصل : لا صلاح للموجودات إلا تكون حركاته ومحبته لفاطرها وحده
- ٤٧٦ فصل : المحبة والإرادة أصل كل دين
- ٤٧٩ - الدين دينان : شرعى أمري ، وحسابي جزائي ، وكلاهما الله وحده
- ٤٨٠ - تفسير : ﴿إِنَّ رَبَّى عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [٥٦/هود]
- ٤٨٢ فصل : الطريق الثاني في علاج العشق ، وهو طريق الخلاص منه
- ٤٨٢ - مفاسد العشق العاجلة والأجلة
- ٤٨٢ - ابتلاء يوسف من امرأة العزيز

٤٨٧	فصل : من أقسام العشق
٤٩٠	فصل : مفاسد العشق الدنيوية والدينية
٤٩٩	فصل : ثلاثة مقامات للعاشق وما يجب عليه فيها
٥٠١	- تضمن العشق كل أنواع الظلم والعدوان
٥٠٨	- اعتراض على المصنف بذكر فوائد العشق
٥١٢	- من قصص العشاق
٥٣٢	- الرد على المعترض
٥٣٢	- أنفع المحبة وأوجبها وأعلاها محبة الخالق سبحانه
٥٣٦	- بين محبة الخالق ومحبة المخلوق
٥٤٠	فصل : كمال اللذة ونعميم القلب تابع لكمال المحبوب وكمال محبته
	- أعظم نعيم الآخرة ولذتها : النظر إلى وجه القلب وسماع كلامه
٥٤٢	والقرب منه
٥٤٣	- أعظم لذّات الدنيا هي الموصلة إلى أعظم لذة في الآخرة
٥٤٦	- لذّات الدنيا ثلاثة أنواع
٤٤٦	١ - الموصلة إلى لذة الآخرة وهي أعظمها وأكملها
٥٤٦	٢ - المانعة من لذة الآخرة
٥٤٨	٣ - اللذة المباحة

٥٤٨	فصل : محبة رسول الله ﷺ
٥٤٩	- محبة كلام الله
٥٥٢	فصل : محبة النساء
٥٥٤	- نكاح المعشوقة هو دواؤها شرعاً وقدراً
٥٥٤	- قصة زينب بنت جحش على الوجه الصحيح
٥٥٩	- شفاعة النبي ﷺ والخلفاء والراحمين للعاشقين
٥٦٥	- العشق ثلاثة أقسام
٥٦٧	فصل : العشاق ثلاثة أقسام
٥٦٨	فصل : الكلام على حديث «من عشق فعف...»
٥٧٥	فهارس الكتاب
٥٧٧	أولاً: الفهارس اللغوية
٥٧٧	١ - فهرس الآيات الكريمة
٥٩٥	٢ - فهرس الأحاديث والآثار
٦١٢	٣ - فهرس القوافي
٦١٨	٤ - فهرس الكتب
٦٢٠	٥ - فهرس الأعلام

٦٣٤	٦ - فهرس الجماعات والفرق
٦٣٨	٧ - فهرس الأماكن
٦٤٠	ثانياً : الفهارس العلمية
٦٤٠	٨ - التفسير وعلوم القرآن
٦٤٤	٩ - الحديث وعلومه
٦٤٦	١٠ - مسائل العقيدة
٦٥٠	١١ - مسائل الفقه
٦٥٢	١٢ - التركية والسلوك
٦٥٨	١٣ - فوائد لغوية وأدبية
٦٦٠	١٤ - فوائد عن المؤلف وشيخه
٦٦١	١٥ - قواعد وفوائد أخرى